

بروايـة أهـل البيـت

علي الكوراني العاملي

الجزء الثاني



دار المرتضى
بيروت

السيرة النبوية

بنظر أهل البيت عليهم السلام

علي الكوراني العاملي

المجلد الثاني



دار المرتضى
بيروت

معركة بدر..يوم الفرقان

١- معالم معركة بدر ونتائجها

١. بدر ، كما في معجم البلدان: ٣٥٨/١ ، ومعجم البكري: ٢٣١/١: « ماء على ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة ، في طريق مكة». (نحو مئة وخمسين كيلو متراً) .

أما زمان المعركة فكان يوم الجمعة السابع عشر من رمضان السنة الثانية للهجرة.

(كشف اليقين/١٢٤ ، وابن هشام: ١٥٨/١، عن الإمام الباقر عليه السلام، والطبري: ١٢٨/٢و١٤٨).

٢. كانت مدة المعركة نصف نهار ، فقد انتهت ظهراً . وبدأت برسالة النبي صلى الله عليه وآله الى قريش بأنه لايحب أن يبدأ حروبه بهم لأنهم قومه ، وطلب منهم أن يرجعوا ويتركوه والعرب ويكونوا على الحياد ! وقبل ذلك زعيمهم عتبة بن ربيعة الأموي وكان هو وأبو جهل المخزومي قائديْ قريش ، فركب عتبة بعيره وخطب في معسكرهم داعياً الى قبول اقتراح النبي صلى الله عليه وآله ، وأعلن أنه يدفع من ماله دية ابن الحضرمي الذي تطالب قريش النبي صلى الله عليه وآله بدمه لأن أحد سرايا النبي صلى الله عليه وآله قتلته . فقبل عامة الناس كلامه ، لكن أبا جهل رفض ذلك واتهمه بالجبن ، ووبخه وأفحش له القول !

فغضب عتبة وثارت نخوته الجاهلية ، فدعا أخاه شيبة وابنه الوليد ، ولبسوا عدة حربهم وبرزوا للقتال ! فبرز اليهم من بني هاشم: علي وحمزة وعبيدة ، وانتصروا عليهم ، ثم برز عدة أبطال من مشركي قريش ، فقتلهم علي وحمزة .

ثم كانت الحملة العامة واستغرقت نحو ساعتين ، قتل فيها تسعة من المسلمين ، وبقية السبعين من المشركين ، ووقعت الهزيمة فيهم ، فأسر المسلمون منهم نحو سبعين ، فيهم عدد من شخصياتهم .

وجمع المسلمون الغنائم وأدوا الصلاة ، وسرعان ما اختلفوا عليها اختلافاً سيئاً ، واتهم بعضهم بعضاً بأنه غلَّ أشياء أي سرقها وأخفاها ، واتهم مرضى القلوب النبي صلى الله عليه وآله بأنه غلَّ قطيفة ! أي أخفى عباءة ثمينة كانت لأحد زعماء المشركين ، فكشف الله كذبهم وبرأ نبيه صلى الله عليه وآله ، ثم أنزل سورة الأنفال وفيها حقائق مهمة عن حال الصحابة ومعركة بدر ، ومستقبل الإسلام .

٣. اتفقت المصادر على أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أصحابه بالخروج معه الى بدر ، لأن الله أمره بأن يخرج لاعتراض قافلة قريش ، ويخبر المسلمين أن يضعوا في حسابهم احتمال أن تستنفر قريش لحربهم ، فكره قسم منهم الخروج كما قال الله تعالى: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ . وكان ذلك يوم الإثنين الثامن من شهر رمضان ، بعد ثمانية عشر شهراً للهجرة.(البحار:١٩/٢٣٢).

وعندما أفلتت القافلة وجاءهم خبر استنفار قريش للحرب ، استشار النبي صلى الله عليه وآله الصحابة في الحرب أو الرجوع ، فأشار أبو بكر وعمر والكارهون للحرب بالرجوع ، وأشار عدد من المؤمنين الشجعان بالمضي للحرب ، وكان أحسنهم أثراً رئيس الأنصار سعد بن معاذ رحمه الله. فمشى بهم النبي صلى الله عليه وآله طريقه حتى وصلوا مساء الى بدر ، فوجدوا المشركين سبقوهم الى الماء ، فنزلوا في حالة من التعب

والخوف، وعطش النبي ﷺ فأرسل علياً ليلاً فاستقى لهم ، وبات النبي ﷺ يصلي ويدعو ربه ، فأنزل الله عليهم المطر ، وقيل إنهم بقوا مدة بلا ماء .

ففي تفسير مقاتل:٧/٢:« ونزل المسلمون حيالهم على غير ماء ، وبينهم وبين عدوهم بطن واد فيه رمل، فمكث المسلمون يوماً وليلة يصلون محدثين مجنبين... فحزن المسلمون وخافوا وامتنع منهم النوم ، فعلم الله ما في قلوب المؤمنين من الحزن فألقى الله عليهم النعاس أمنة من الله ليذهب همهم ، وأرسل السماء عليهم ليلاً فأمطرت مطراً جواداً حتى سالت الأودية ، وملؤوا الأسقية وسقوا الإبل ، واتخذوا الحياض ، واشتدت الرملة وكانت تأخذ إلى كعبي الرجال». راجع: مناقب آل أبي طالب: ١٢٢/١، وتفسير الواحدي: ٤٣٢/١، والطبري: ٢٥٧/٩، وتفسير ابن زمين:١٦٨/٢) .

وفي تفسير القرطبي:٣٧٢/٧ ، أن المطر كان قبل النعاس. وفي تفسير ابن عبد السلام:٥٢٦/١ أن الذين:« غشيهم النعاس ببدر فهم الرسول (ص) وكثير من أصحابه فناموا » .

وسيأتي أن النبي ﷺ لم ينم ليلة بدر إلا لماماً ، وأن النعاس نزل على المؤمنين دون مرضى القلوب الذين أهمتهم أنفسهم ! وسيأتي وصفهم في سورة الأنفال وفي أحُد ، وأنهم لم ينزل عليهم الأمنة والنعاس وبقيت عيونهم تبحلق !

قال تعالى: ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأمر مِنْ شَئْ !

٤. كان عدد المسلمين أهل بدر ثلاث مئة وثلاث عشرة ، وقيل ثلاث مئة وأربع

عشرة وقيل وسبعة عشر ، ففي مناقب آل أبي طالب:١٦١/١:«خرج ﷺ سابع عشر شهر رمضان ، ويقال ثالثه في ثلاث مائة وسبعة عشر رجلاً في عدة أصحاب طالوت ،

منهم ثمانون راكباً أو سبعون ، ويقال سبعة وسبعين رجلاً من المهاجرين ، ومائتي وثلاثين رجلاً من الأنصار ، وكان المقداد فارساً فقط . يعتقب النفر على البعير الواحد ، وكان بين النبي صلى الله عليه وآله وبين أبي مرثد الغنوي بعير ويقال فرس . وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف» .

« فخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين ، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نتعادَّ ففعلنا ، فإذا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فأخبرنا النبي صلى الله عليه وآله بعدتنا فسُرَّ بذلك وحمد الله ، وقال عدة أصحاب طالوت. فقال: ما ترون في القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟ فقلنا: يا رسول الله لا والله مالنا طاقة بقتال القوم ، إنما خرجنا للعير». (الطبراني الكبير: ١٧٤/٤، ومجمع الزوائد: ٧٣/٦ ، وحسنه. وراجع: الطبري: ١٣٨/٢).

أقول: المشهور أن عددهم ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً ، وينبغي الإلتفات الى أن قداسة هذا العدد عند المسلمين ليس بسبب أهل بدر ، لأن أهل بدر فيهم بنص سورة الأنفال من غل من الغنائم واتهموا النبي صلى الله عليه وآله بأنه غلَّ ! وفيهم مرضى القلوب وهم أسوأ من المنافقين العاديين ! بل القداسة لهذا العدد لأنه عدد ملائكة نزلوا على النبي صلى الله عليه وآله في بدر ، وهم غير الألوف المسومين والمردفين ، وقد وورد أن هؤلاء الملائكة سيكونون مع الإمام المهدي عليه السلام ، وأن أصحابه الخاصين سيكونون بعددهم ، لكن أصحاب المهدي عليه السلام كلهم أولياء الله ، وليس فيهم منافق أو مريض القلب .

ففي كمال الدين/٦٧٢:«فإذا نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله انحط إليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاث مائة وثلاثة عشر ملكاً ، كلهم ينتظر القائم عليه السلام ، وهم الذين كانوا مع

نوح عليه السلام في السفينة ، والذين كانوا مع إبراهيم الخليل عليه السلام حيث ألقي في النار، وكانوا مع عيسى عليه السلام حيث رفع . وأربعة آلاف مسومين ومردفين».

وفي غيبة النعماني/٣٢٢:« هم الذين كانوا مع نوح في السفينة ، والذين كانوا مع إبراهيم حيث ألقي في النار ، وهم الذين كانوا مع موسى لما فلق له البحر ، والذين كانوا مع عيسى لما رفعه الله إليه ، وأربعة آلاف مسومين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً كانوا معه يوم بدر ، ومعهم أربعة آلاف صعدوا إلى السماء يستأذنون في القتال مع الحسين ، فهبطوا إلى الأرض وقد قتل فهم عند قبره». ودلائل الامامة/٤٥٧ ، والخرائج: ٧٨٢/٢ ، وغيرها .

٥. أما عدد المشركين فالمشهور أنهم تسع مئة وخمسون ، ففي الدر المنثور:١٦٥/٣:

«فنفروا على كل صعب وذلول ، وقال أبو جهل: أيظن محمد أن يصيب مثل ما أصاب بنخلة ! سيعلم أنمنع عيرنا أم لا ؟ فخرجوا بخمسين وتسعمائة مقاتل وساقوا مائة فرس ، ولم يتركوا كارهاً للخروج يظنون أنه في قهر محمد وأصحابه ، ولا مسلماً يعلمون إسلامه ، ولا أحداً من بني هاشم ، إلا من لايتهمون (كأبي لهب وقد كان مريضاً وهلك يوم وصل خبر بدر !) **إلا أشخصوه معهم ، فكان ممن أشخصوا العباس بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحارث ، وطالب بن أبي طالب ، وعقيل بن أبي طالب ، في آخرين ، فهنالك يقول طالب بن أبي طالب:**

يارب إما يخرجن طالبْ ... بمقنب من هذه المقانبْ

في نفر مقاتل يحاربْ ... فليكن المسلوب غير السالبْ

والراجع المغلوب غير الغالبْ ».

ونحوه الكافي: ٣٧٥/٨، وفيه:« فقالت قريش: إن هذا لعلينا فردوه ! وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان أسلم». انتهى.

لكن طالباً رحمه الله لم يرجع الى مكة ولم يُعرف مصيره ، فالمرجح أن القرشيين قتلوه !

وقال ابن إسحاق:٣٠٢/٣:«أجمعت قريش لحرب رسول الله بأحابيشها ومن أطاعهم من قبائل بني كنانة وأهل تهامة ،كل أولئك قد استغووا على حرب رسول الله (ص)» .

وروي أن معهم من الأحابيش ألفين ، والصحيح أن الأحابيش كانوا قلة . قال عبد الرزاق:٣٤٨/٥:«لم يشهد بدراً إلا قرشي أو أنصاري ، أو حليف لأحد الفريقين».

ويؤيد أنهم كانوا نحو ألف ، ما رووه في المطعمين لجيش المشركين ، ففي المحبر/١٦١، والمنمق/٣٨٩ ، لابن حبيب:«المطعمون من قريش لحرب يوم بدر: أبو جهل وهو عمرو بن هشام بن المغيرة ، نحر أول يوم عشراً ، ثم نحر أمية بن خلف تسعاً ، ثم نحر سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي عشراً ، ثم شيبة بن ربيعة نحر عشراً ، ثم نحر منبه ونبيه ابنا الحجاج عشراً ثم نحر أبو البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد عشراً ، ثم نحر العباس بن عبد المطلب وكان أخرج إلى بدر كارهاً ، عشراً. وذكر محمد بن عمرأن قريشاً لم تطعم من الطعام العباس لعلمها بهواه وميله مع رسول الله (ص) وأنه أخرج مكرهاً».

وروي أن المطعمين كانوا اثني عشر ونزل فيهم قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ. راجع: إعلام الورى: ١٦٨/٢، وشرح النهج: ٢٠٥/١٤ ، وتفسير الثعلبي: ٣٥٥/٤ ، وأسباب النزول للواحدي/١٥٩، و تفسير البيضاوي: ١٠٦/٣ ، وفتح القدير: ٣١٨/٥ ، والمعارف/١٥٤.

٦. نزل صلى الله عليه وآله الملائكة على النبي في بدر ومعهم جبرئيل عليه السلام، ورآهم علي عليه السلام وبعض المسلمين ، ففي تفسير القمي:٢٥٦/١: «ثم رفع يده صلى الله عليه وآله إلى السماء وقال: يا رب إن تهلك هذه العصابة لم تعبد ، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد . ثم أصابه الغشي فسري عنه وهو يسلت العَرَق عن وجهه ويقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين ، قال: فنظرنا فإذا بسحابة سوداء فيها برق وريح ، قد وقعت على عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقائل يقول: أقدم حيزوم أقدم حيزوم ! وسمعنا قعقعة السلاح من الجو» !

وفي المناقب:١١٨/١: « ظهروا على الخيل البُلْق بالثياب البيض يوم بدر ، يقدمهم جبرئيل على فرس يقال له حيزوم».

وفي المناقب:١٦١/١: « قال علي وابن عباس في قوله: مُسَوِّمِين: كان عليهم عمايم بيض أرسلوها بين أكتافهم... وسمع غفاري في سحابة حمحمة الخيل وقائل يقول: أقدم حيزوم... قال رجل: يا رسول الله إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك ! فقال صلى الله عليه وآله: ذاك ضرب الملائكة. لم يقاتل الملائكة إلا يوم بدر ، وإنما أتوا بالمدد».

وفي تفسير الثعلبي:٢٣٤/٤: « قال أبو داود المازني وكان شهد بدراً: اتبعت رجلاً من المشركين لأضربه يوم بدر ، فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل سيفي ! فعرفت أنه قتله غيري ! وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه ، قال: لقد رأيت يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه

السيف ! وقال ابن عباس: حدثني رجل عن بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى صعدنا في جبل ليشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الواقعة على من يكون الدبرة ، فننتهب مع من ينتهب ! قال: فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل. فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات أما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت». وتاريخ الطبري: ١٥٢/٢. وسيأتي أنهم سلموا على علي عليه السلام لما ذهب ليلاً ليستقي .

٧. ونص القرآن على أن الشيطان كان في معركة بدر لنصرة المشركين ، واتفقت الرواية على أنه جاء بصورة سراقة بن مالك زعيم بني مدلج ، لأن قريشاً خافت من هجوم كنانة على مكة إن ذهبت لحرب النبي صلى الله عليه وآله ، فجاءهم إبليس بصورته ليطمئنهم !

قال ابن هشام:٤٤٥/٢:« لما أجمعت قريش المسير ، ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك يثنيهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة ، فقال: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه ، فخرجوا سراعاً ».

وفي أمالي الطوسي/١٧٦، عن جابر رحمه الله قال:«تمثل إبليس لعنه الله في أربع صور: تمثل يوم بدر في صورة سراقة بن جعشم المدلجي فقال لقريش: لاغَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاتَرَوْنَ...

وتصور يوم العقبة في صورة منبه بن الحجاج فنادى: إن محمداً والصباة معه عند العقبة فأدركوهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار: لاتخافوا فإن صوته لن يعدوهم .

وتصور يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد ، وأشار عليهم في النبي صلى الله عليه وآله بما أشار ، فأنزل الله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ .

وتصور يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله في صورة المغيرة بن شعبة فقال:أيها الناس لا تجعلوها كسروانية ولا قيصرانية ، وسعوها تتسع فلا تردُّوها في بني هاشم فتنتظر بها الحبالى» !

وفي مناقب آل أبي طالب:١/١٦٣، عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام:«كان إبليس في صف المشركين أخذ بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث: يا سُرَاقُ أين ، أتخذلنا على هذه الحالة ؟! فقال له: إني أرى مالا ترون ، فقال: والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب ! (الجعسوس الرجل القصير الذميم) فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس ! فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناس سراقة ! فبلغ ذلك سراقة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم ! فقالوا: إنك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم ، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان».

وفي البحار:١٩/٣٤٢ ، عن عمارة الليثي قال:« حدثني شيخ صياد من الحي كان يومئذ على ساحل البحر قال: سمعت صياحاً: يا ويلاه يا ويلاه ، قد ملأ الوادي: يا حرْباه يا حرباه ! فنظرت فإذا سراقة بن جعشم فدنوت منه فقلت: مالك فداك أبي وأمي؟ فلم يُرجع إليَّ شيئاً ! ثم أراه اقتحم البحر ورفع يديه ماداً يقول: يا رب ما وعدتني ! فقلت في نفسي: جُنَّ وبيت الله سراقة ! وذلك حين زاغت الشمس عند انهزامهم يوم بدر».

وفي مناقب آل أبي طالب:٢/٧٤: «عن ابن عباس أنه: لما تمثل إبليس لكفار مكة يوم بدر على صورة سراقة بن مالك ، وكان سائق عسكرهم إلى قتال النبي فأمر الله تعالى جبرئيل فهبط إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه ألف من الملائكة ، فقام جبرئيل عن يمين أمير

المؤمنين عليه السلام فكان إذا حمل عليٌّ حمل معه جبرئيل ، فبصر به إبليس فولى هارباً وقال: إني أرى ما لاترون ! قال ابن مسعود: والله ما هرب إبليس إلا حين رأى أمير المؤمنين ، فخاف أن يأخذه ويستأسره ويعرفه الناس فهرب ، فكان أول منهزم» !

أقول: يبدو أن هذا هو السبب في وضعهم حديث هروب الشيطان من عمر ! فقد رووا هروبه من علي عليه السلام في بدر ، فزعموا أنه كان يهرب من عمر كل عمره !

قال بخاري:٩٦/٤:« قال رسول الله (ص): والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً (طريقاً) إلا سلك فجاً غير فجك».

وبذلك فضلوا عمر على النبي صلى الله عليه وآله، لأن بخاري نفسه روى عن النبي صلى الله عليه وآله:«إن الشيطان عرض لي فشد عليَّ يقطع الصلاة عليَّ ، فأمكنني الله منه». (٩٤/٤، ونحوه:٦١/٢).

وقد فاتهم الفرق بين الشيطان عندما يتجسد في معركة ، فيكون له هروب كهروب المقاتلين ، وبين حالته العادية وهو مختفٍ يوسوس للإنسان فيكون هروبه وحضوره بقوانين أخرى ، ولايهرب من إنسان دائماً ! راجع كتاب: ألف سؤال وإشكال:٤٧٤/٢.

٨ كان شعار المسلمين في بدر: يا نصر الله اقترب اقترب ، ففي الكافي:٤٧/٥ ، عن

الإمام الصادق عليه السلام قال: « شعارنا: يا محمد يا محمد. وشعارنا يوم بدر: يا نصر الله اقترب اقترب . وشعار المسلمين يوم أحد: يا نصر الله اقترب . ويوم بني النضير: يا روح القدس أرح . ويوم بني قينقاع: يا ربنا لا يغلبنك . ويوم الطائف: يا رضوان . وشعار يوم حنين: يا بني عبد الله . ويوم الأحزاب: حم لا يبصرون . ويوم بني قريظة: يا سلام أسلمهم . ويوم المريسيع وهو يوم بني المصطلق: ألا إلى الله الأمر . ويوم الحديبية: ألا لعنة الله على الظالمين . ويوم خيبر يوم القموص: يا علي آتهم من عل. ويوم الفتح: نحن عباد الله حقاً حقاً . ويوم تبوك: يا أحد يا صمد . ويوم بني الملوح:

أمت أمت . ويوم صفين: يا نصر الله . وشعار الحسين عليه السلام: يا محمد . وشعارنا: يا محمد» . وروي عنه عليه السلام أنه قال: قدم أناس من مزينة على النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما شعاركم؟ قالوا: حرام ، قال: بل شعاركم حلال .

وروي أن شعار المسلمين يوم بدر: يا منصور أمت ، ويوم أحد للمهاجرين: يا بني عبد الرحمن وللأوس: يا بني عبد الله». وفي جواهر الكلام:٥٥/٢١:« ينبغي اتخاذ الشعار في الحرب ، وهو النداء الذي يعرف به أهلها ، فيكون علامة على ذلك» .

٢- معركة بدر فرقانٌ في تكوين الأمة الإسلامية

١. حدد الله هدفه من معركة بدر بقوله عز وجل: « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ. لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ. وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرض يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» .

فالهدف: إهلاك طرفٍ أي قطعة من قبائل قريش ، وكَبْتُ الباقين بهزيمتهم !

وروي عن علي عليه السلام أنه قال:« أما بنو مخزوم فقطع الله دابرهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين». (فتح الباري: ٢٣٥/٧).

ورووا:« عن ابن عباس أنه سأل عمر عن هذه الآية: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ؟ فقال من هم؟ قال: هم الأفجران من بني مخزوم وبني أمية ، أخوالي وأعمامك ! فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر ، وأما أعمامك فأملى الله لهم إلى حين». (فتح الباري:٢٨٧/٨).

لكن معنى الآية: أنه تعالى أراد أن يستأصل بعضهم سياسياً ، ويخرجهم من ساحة الصراع مع الإسلام ، بقتل زعمائهم ! لذلك لم نر لهم أي دور مهم في التاريخ ، وهم: بنو عبد الدار أصحاب راية قريش ، وقد قتل علي عليه السلام منهم في بدر وأحُد بضعة عشر قائداً ! كما استأصل الله بني المغيرة سياسياً ، وهم العائلة المالكة في بني مخزوم ، فقد انطفؤوا بعد مقتل أبي جهل في بدر ، ولم يبرز منهم إلا عسكري واحد هو خالد بن الوليد ! فألغاه عمر سياسياً حتى مات في بيته في حمص ! ثم برز بعده ابنه عبد الرحمن وأحبه أهل الشام ، وطلبوا من معاوية أن يجعله ولي عهده ، فقتله بالسم ! وانتهى بنو المغيرة سياسياً كلياً .

كما أراد عز وجل من معركة بدر أن يكبت الكافرين من قريش ، أي يخزيهم بالهزيمة والأسر ، ويمهل بعضهم ويتوب عليهم إن أسلموا وتابوا . وقد عدَّهم الإمام الباقر عليه السلام من المُرْجَوْن فقال:« المرجَوْن: هم قوم قاتلوا يوم بدر وأحد ويوم حنين ، وسلِموا ، ثم أسلموا بعد تأخر ، فإما يعذبهم وإما يتوب عليهم». (تفسير العياشي: ١١٠/٢).

ومعنى قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله :لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ . وَلله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرض يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ: أنه يجب أن تتبع إرادة الله تعالى لأن الأمر له ، فهو صاحب العلم والحكمة المطلقيْن ، وله أهداف في الإنسان بقانون صراع الخير والشر.

٢. سمى الله بدراً يوم الفرقان ، أي في تكوين الأمة المسلمة ، لأنها ميزتها عن المشركين ، قال تعالى: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ، يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (الأنفال:٤١). فهي الفرز الإجتماعي الضروري لتكوين أمة الإسلام وتمييزها عن غيرها ، حتى لو حدث فيها اختلاط بعد ذلك .

ففي الأصول الستة عشر/٨٦ عن الإمام الصادق عليه السلام قال عن يوم بدر: « هو الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ، وهو اليوم الذي فرق الله بين الحق والباطل ، وإنما كان قبل ذلك اليوم هذا كذا ووضع كفيه أحدهما على الآخر. وإنما كان صلى الله عليه وآله يومئذ خرج في طلب العير. وأهل بدر الذين شهدوا إنما كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، ولم يريدوا القتال إنما ظنوا أنها العير التي فيها أبو سفيان ، فلما أتى أبو سفيان الوادي نزل في بطنه عن ميسرة الطريق ، فقال: إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى.. قلت له: ما العُدوة الدنيا ؟ قال مما يلي الشام ، والعدوة القصوى مما يلي مكة. قلت: فالعدوتان بين ضفتي الوادي؟ فقال: نعم...

قال أبو عبد الله عليه السلام: ونادى الشيطان على جبل مكة: إن هذا محمد في طلب العير ، فخرجوا على كل صعب وذلول ». انتهى. ويتضح من الحديث أن الإمام عليه السلام تكلم عن الفرز الإجتماعي العقائدي ، لكن الراوي سأله عن المكان.

ولأهمية هذا الفرقان خلده الله تعالى في شريعته ، فكانت ليلة بدر ويومها من الأوقات الفضيلة ، تستحب فيهما العبادة والغسل: « ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وهي ليلة التقى الجمعان». (تهذيب الأحكام: ١١٤/١، والحدائق: ١٨٠/٤، وصححه).

وفي الطبراني الكبير: ٩/٢٢١: «إلتمسوا ليلة القدر لسبع عشرة خلت من رمضان صبيحة يوم بدر يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان. وفي إحدى وعشرين وفي ثلاث وعشرين، فإنها لا تكون إلا في وتر».

٤. وكانت بدر فرقاناً في تكوين شيعة العترة داخل الأمة، فقد شرع الله الخمس لقرابة نبيه صلى الله عليه وآله قبل بدر، لكنه ربطه بالإيمان بما أنزل يومها: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

يقول عز وجل: أيها المختلفون على الغنائم، المتهمون لنبيهم صلى الله عليه وآله بأنه غلَّ وسرق منها! إنكم مدينون بوجودكم وانتصاركم لمحمد صلى الله عليه وآله وقرابته عليهم السلام، فاعلموا أن لهم خمس ما غنمتم إن كنتم مؤمنين بما عاينتم! ألا ترون أن الملائكة وبني هاشم هم الذين حققوا النصر، فلولاهم لما كنتم أمة ولا دولة ؟!

وفي تحف العقول لابن شعبة الحراني رحمه الله/٣٤١: «فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة أنزل الله عليه: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى..».

وفي تفسير البيضاوي: ٣/١٠٩: « إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ: متعلق بمحذوف دل عليه: وَاعْلَمُوا. أي: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم ».

وفي الكافي: ٨/٦٣: « إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ، فنحن والله عنى بذي القربى، الذين قرننا الله بنفسه وبرسوله صلى الله عليه وآله».

وفي كتاب سُليم بن قيس ٢٢٨/: « قال سُليم: ثم أقبل(علي) على العباس وعلى من حوله ثم قال: ألا تعجبون من حبسه وحبس صاحبه عنا سهم ذي القربى الذي فرضه الله لنا في القرآن؟ وقد علم الله أنهم سيظلمونه وينتزعونه منا ، فقال: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ».

فالفرقان في سورة الفرقان بثلاث معان:

فرقان الأمة وتمييزها عن غيرها . وفرقان الموالين للنبي في أهل بيته من الأمة . وفرقان البصيرة للمؤمن ليميز بين الحق والباطل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا . (الفرقان: ٢٩).

٥. كان تشريع الخمس لأقارب النبي قبل بدر ، ونزلت آيته على أثر بدر ، ففي

كتاب الأوائل للطبراني/٩٠:« أول خمس خُمِّسَ عند رسول الله (ص) مغانم عبد الله بن جحش». وفي الدرر/١٠٠: «ثم قدموا بالعير والأسيرين وقال لهم عبد الله بن جحش إعزلوا مما غنمنا الخمس لرسول الله (ص) ففعلوا فكان أول خمس في الإسلام». ونحوه أسباب النزول للواحدي/٤٣ ، والطبقات: ٧٥/٢، وتفسير الثعلبي: ١٤٠/٢ ، والبغوي: ١٨٩/١، والطبقات: ١١/٢، و٣٠ ، وتاريخ اليعقوبي: ٦٩/٢ ، والصحيح من السيرة: ٣٣٥/٤.

كما اتفقت المصادر على أن النبي عيَّنَ مسؤولاً عن الخمس هو محمية بن جزء .

ففي صحيح مسلم: ١١٨/٣، أن شابين من بني هاشم طلبا الى النبي أن يستعملهما على الصدقات فقال:«إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس ! أدعوا لي محمية ، وكان على الخمس ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب. قال فجاءاه فقال لمحمية: أنكح هذا الغلام ابنتك للفضل بن عباس فأنكحه ، وقال لنوفل

بن الحارث: أنكح هذا الغلام ابنتك..وقال لمحمية: أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا». ونحوه ابن هشام: ٨٢٠/٣، وأحمد: ١٦٦/٤، والبيهقي: ٣١/٧، وفتح الباري: ٩/١١، وابن خزيمة: ٥٦/٤، والطبقات: ٦٤/٢، و: ١٩٨/٤، والإصابة: ٣٧/٦.

أقول: كان تشريع الخمس قبل بدر لكن النبي صلى الله عليه وآله لم يأخذه في بدر ربما لأن بعضهم أساء الأدب اتهمه بأنه غلَّ قطيفة، وأخذه قبلها وبعدها! (الصحيح من السيرة: ٩٠/٥).

وفي تفسير القمي: ٢٥٥/١: «فلم يخمس رسول الله صلى الله عليه وآله ببدر وقسمه بين أصحابه، ثم استقبل يأخذ الخمس بعد بدر». ومثله الشافعي في أحكام القرآن: ١٨٣/٢.

وقال بخاري وابن جرير وغيرهما إن غنائم بدر قد خمست. (سيرة ابن كثير: ٤٦٩/٢).

٣- خلاصة معركة بدر من تفسير القمي

١. *في تفسير علي بن إبراهيم القمي: ٢٥٦/١: في قوله تعالى: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ* بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. قال: «وكان سبب ذلك أن عيراً لقريش خرجت إلى الشام فيها خزائنهم، فأمر رسول الله أصحابه بالخروج ليأخذوها، فأخبرهم أن الله قد وعده إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش أن أظفُر بهم، فخرج في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما قارب بدر كان أبو سفيان في العير فلما بلغه أن الرسول صلى الله عليه وآله قد خرج يتعرض العير، خاف خوفاً شديداً ومضى إلى الشام، فلما وافى البَهْرة (موضع باليمامة) اكترى ضمضم الخزاعي بعشرة دنانير وأعطاه قلوصاً وقال له: إمض إلى قريش وأخبرهم أن محمداً والصُّبَاة (المسلمين) من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فأدركوا العير!

وأوصاه أن يخرم ناقته ويقطع أذنها حتى يسيل الدم ويشق ثوبه من قبل ودبر ! فإذا دخل مكة ولى وجهه إلى ذنب البعير وصاح بأعلى صوته: يا آل غالب ! اللطيمة اللطيمة ! العير العير ! أدركوا أدركوا ، وما أراكم تدركون ! فإن محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم..

٢. *ورأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم في منامها بثلاثة أيام كأن* راكباً قد دخل مكة ينادي: يا آل غُدر يا آل فهر ! أغدوا إلى مصارعكم صبح ثالث ! ثم وافى بجمله على أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك من دور قريش إلا أصابها منه فلذة ، وكأن وادي مكة قد سال من أسفله دماً !

فانتبهت ذعرة فأخبرت العباس بذلك ، فأخبر العباس عتبة بن ربيعة ، فقال عتبة: مصيبة تحدث في قريش وفشت الرؤيا في قريش !

وبلغ ذلك أبا جهل فقال: ما رأت عاتكة هذه الرؤيا ، وهذه نبية ثانية في بني عبد المطلب ! واللات والعزى لننتظر ثلاثة أيام فإن كان ما رأت حقاً فهو كما رأت ، وإن كان غير ذلك لنكتبن بيننا كتاباً أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم !

فلما مضى يوم قال أبو جهل: هذا يوم قد مضى ، فلما كان اليوم الثاني قال أبو جهل: هذان يومان قد مضيا ، فلما كان اليوم الثالث وافى ضمضم ينادي في الوادي: يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة... فتصايح الناس بمكة وتهيؤوا للخروج ، وقام سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وأبو البختري بن هشام ومنبة

ونبية ابنا الحجاج ونوفل بن خويلد ، فقالوا: يا معشر قريش والله ما أصابكم مصيبة أعظم من هذه أن يطمع محمد والصباة من أهل يثرب أن يتعرضوا لعيركم التي فيها خزائنكم ، فوالله ما قرشي ولا قرشية إلا ولها في هذه العير شئ فصاعداً ، وإنه الذل والصغار أن يطمع محمد في أموالكم ويفرق بينكم وبين متجركم ، فاخرجوا.

٣. وأخرج صفوان بن أمية خمس مائة دينار وجهز بها ، وأخرج سهيل بن عمرو خمس مائة ، وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرجوا مالاً وحملوا وقوّوْا وخرجوا على الصعب والذلول ، ما يملكون أنفسهم ! كما قال الله تعالى: خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ ، وأخرجوا معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب. وأخرجوا معهم القينات ، يشربون الخمر ويضربون بالدفوف !

٤. وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً ، فلما كان بقرب بدر على ليلة منها بعث بشير بن أبي الدعناء ومجد بن عمرو يتجسسان خبر العير ، فأتيا ماء بدر وأناخا راحلتيهما واستعذبا من الماء ، وسمعا جاريتين قد تشبثت إحداهما بالأخرى وتطالبها بدرهم كان لها عليها فقالت: عير قريش نزلت أمس في موضع كذا وكذا وهي تنزل غداً هاهنا ، وأنا أعمل لهم وأقضيك ، فرجع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبراه بما سمعا ، فأقبل أبو سفيان بالعير فلما شارف بدر تقدم العير وأقبل وحده حتى انتهى إلي ماء بدر ، وكان بها رجل من جهينية يقال له كسب الجهني فقال له: يا كسب هل لك علم بمحمد وأصحابه؟ قال: لا: قال: واللات والعزى لئن كتمتنا أمر محمد لاتزال قريش معادية لك آخر الدهر ، فإنه ليس أحد من قريش إلا وله في هذه العير النش فصاعداً فلا تكتمني ، فقال: والله مالي

علم بمحمد ، وما بال محمد وأصحابه بالتجار، إلا أني رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا واستعذبا من الماء وأناخا راحلتيهما ورجعا فلا أدري من هما .

فجاء أبو سفيان إلى موضع مناخ إبلهما ففت أبعار الإبل بيده فوجد فيها النوى فقال: هذه علايف يثرب ، هؤلاء عيون محمد ، فرجع مسرعاً وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر وتركوا الطريق ومروا مسرعين ، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره أن العير قد أفلتت ، وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها ، وأمره بالقتال ووعده النصر .

وكان نازلاً ماء الصفراء فأحب أن يبلو الأنصار لأنهم إنما وعدوه أن ينصروه في الدار ، فأخبرهم أن العير قد جازت وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها ، وأن الله قد أمرني بمحاربتهم ، فجزع أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك وخافوا خوفاً شديداً ! فقال رسول الله ﷺ: أشيروا عليَّ ، فقام الأول (أبو بكر)فقال: يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها ، ما آمنتْ منذ كفرتْ ، ولا ذلت منذ عزَّت ، ولم تخرج(أنت) على هيئة الحرب ! فقال رسول الله ﷺ: أجلس فجلس ، قال: أشيروا علي ، فقام الثاني (عمر) فقال مثل مقالة الأول ، فقال ﷺ: أجلس فجلس !

ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله إنا قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله ، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراش لخضنا معك ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا

إِنَّا هَا هُنَا قَاعِـدُونَ ، ولكنـا نقـول: إمـض لأمـر ربـك فإنـا معـك مقـاتلون ! فجـزَّاهُ النبي صلى الله عليه وآله خيراً ثم جلس.

ثم قال: أشيروا عليَّ ، فقام سعد بـن معـاذ فقـال: بـأبي أنـت وأمـي يـا رسـول الله كأنك أردتنا ؟ قال: نعم ، قال: فلعلك خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟

قال: نعم ، قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنا قد آمنا بـك وصـدقناك وشـهدنا أن ما جئت به حق من عند الله ، فمرنا بما شئت وخذ من أموالنـا مـا شـئت واتـرك منها ما شئت ، والذي أخذت منه أحب إلي من الذي تركت منـه ، والله لـو أمرتنـا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ! فجزَّاه خيراً .

ثم قال سعد: بأبي أنت وأمـي يـا رسـول الله ، والله مـا خضـت هـذا الطـريـق قـط ومالي به علم ، وقد خلفنا بالمدينة قوماً ليس نحن بأشد جهاداً منهم ، ولـو علمـوا أنه الحرب لما تخلفوا ، ولكنا نَعُدُّ لك الرواحل ونلقى عدونا ، فإنا لصُبُرٌ عند اللقاء أنجادٌ في الحرب ، وإنا لنرجو أن يقر الله عينك بنا ، فإن يـك مـا تحـب فهـو ذلـك وإن يكن غير ذلك قعدت على رواحلك فلحقت بقومنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أو يحدث الله غير ذلك ، كأني بمصرع فلان ها هنا وبمصـرع فلان ها هنا وبمصرع أبي جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، ومنبه ونبيه ابني الحجاج ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله الميعاد !

فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الآية: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِـالْحَقِّ.. الى قوله: وَلَو كره المجرمون. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالرحيل حتى نزل عشاءً علـى مـاء بدر ، وهي العدوة الشامية ، وأقبلت قريش فنزلت بالعدوة اليمانية..

٥. ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختري بن هشام بن هاشم بن عبد المطلب فقال له: أما ترى هذا البغي ، والله ما أبصر موضع قدمي ! خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً ، والله ما أفلح قوم قط بغوا ، ولوددت أن ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهب كله ولم نسر هذا المسير !

فقال له أبو البختري: إنك سيد من سادات قريش ، تَحَمَّل العير التي أصابها محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي فإنه حليفك ، فقال عتبة: أنت عليَّ بذلك وما على أحد منا خلاف إلا ابن حنظلة يعني أبا جهل ، فسر إليه وأعلمه أني قد تحملت العير التي قد أصابها محمد ، ودم ابن الحضرمي.

فقال أبو البختري فقصدت خباءه فإذا هو قد أخرج درعاً له فقلت له: إن أبا الوليد بعثني إليك برسالة ، فغضب ثم قال: أما وجد عتبة رسولاً غيرك ؟

فقلت: أما والله لو غيره أرسلني ما جئت ولكن أبا الوليد سيد العشيرة ، فغضب أشد من الأولى فقال: تقول سيد العشيرة ! فقلت: أنا أقوله وقريش كلها تقوله ! إنه قد تحمل العير ودم ابن الحضرمي. فقال: إن عتبة أطول الناس لساناً وأبلغهم في الكلام ويتعصب لمحمد فإنه من بني عبد مناف وابنه معه ويريد أن يُخذّل بين الناس ! لا ، واللات والعزى حتى نقتحم عليهم بيثرب ، ونأخذهم أسارى فندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك ، ولا يكونن بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه !

٦. وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كثرة قريش ففزعوا فزعاً شديداً وبكوا واستغاثوا فأنزل الله على رسوله: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ

إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.(الأنفال:٩-١٠) فلما مشى رسول الله صلى الله عليه وآله وجنَّهُ الليل ألقى الله على أصحابه النعاس حتى ناموا وأنزل الله تبارك وتعالى عليهم السماء،وكان نزل الوليد في موضع لايثبت فيه القدم فأنزل الله عليهم السماء حتى تثبت أقدامهم على الأرض، وهو قول الله تعالى: إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ. وذلك أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله احتلم: وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ، وكان المطر على قريش مثل العزالى (كصب القرب. والقربة أو الراوية هي العزلاء) وكان على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله رذاذاً، بقدر ما لبَّد الأرض.

٧. وخافت قريش خوفاً شديداً فأقبلوا يتحارسون يخافون البيات، فبعث رسول الله

عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود فقال: أدخلا في القوم وأتياني بأخبارهم، فكانا يجولان في عسكرهم لايرون إلا خائفاً ذعراً، إذا صهل الفرس وثب على جحفلته! فسمعوا منبة بن الحجاج يقول: لايترك الجوع لنا مبيتا..لا بد أن نموت أو نميتا.

قال صلى الله عليه وآله: والله كانوا شباعى ولكنهم من الخوف قالوا هذا، وألقى الله على قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى: سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ.

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله عبأ أصحابه وكان في عسكره فرَسان: فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد، وكان في عسكره سبعون جملاً يتعاقبون عليها، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وعلي بن أبي طالب على جمل يتعاقبون عليه والجمل لمرثد، وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس، فعبأ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بين يديه وقال: غضوا أبصاركم، ولا تبدؤوهم بالقتال، ولا

يتكلمن أحد ، فلما نظر قريش إلى قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل: ما هم إلا أكلة رأس ، ولو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد !

فقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً ومدداً ؟ فبعثوا عمر بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتى طاف إلى معسكر رسول الله ﷺ ثم صعد الوادي وصوب ، ثم رجع إلى قريش فقال: ما لهم كمين ولا مدد ، ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع ، أما ترونهم خرساً لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الأفاعي ، ما لهم ملجأ إلا سيوفهم ، وما أراهم يولون حتى يقتلون ، ولا يقتلون حتى يقتلون بعددهم ، فارتؤوا رأيكم !

فقال أبو جهل: كذبت وجبنت وانتفخ منخرك حين نظرت إلى سيوف يثرب !

٨ ***فزع أصحاب رسول الله ﷺ حين نظروا إلى كثرة قريش وقوتهم ، فأنزل الله على***

رسوله ﷺ: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، وقد علم الله أنهم لايجنحون ولا يجيبون إلى السلم ، وإنما أراد سبحانه بذلك ليطيِّب قلوب أصحاب رسول الله ، فبعث رسول الله ﷺ إلى قريش فقال: يا معشر قريش ما أحد من العرب أبغض إليَّ من أن أبدأ بكم ، خلوني والعرب فإن أكُ صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً ، وإن أكُ كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري ، فارجعوا .

فقال عتبة: والله ما أفلح قوم قط ردوا هذا ! ثم ركب جملاً له أحمر فنظر إليه رسول الله ﷺ يجول في العسكر وينهى عن القتال ، فقال: إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر ، فإن يطيعوه يرجعوا ويرشدوا ، فأقبل عتبة يقول: يا

معشر قريش إجتمعوا واستمعوا. ثم خطبهم فقال: يُمْنٌ رَحْبٌ ، فرحبٌ مع يمن. يا معشر قريش: أطيعوني اليوم واعصوني الدهر ، وارجعوا إلى مكة واشربوا الخمور وعانقوا الحور ، فإن محمداً له إلٌّ (عهد) وذمة ، وهو ابن عمكم فارجعوا ولا تنبذوا رأيي ، وإنما تطالبون محمداً بالعير التي أخذها محمد بنخيلة ، ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعليَّ عقله . فلما سمع أبو جهل ذلك غاظه وقال: إن عتبة أطول الناس لساناً وأبلغهم في الكلام ولئن رجعت قريش بقوله ليكونن سيد قريش آخر الدهر ، ثم قال: يا عتبة نظرت إلى سيوف بني عبد المطلب وجبنت وانتفخ سحرك ، وتأمر الناس بالرجوع ، وقد رأينا ثارنا بأعيننا !

فنزل عتبة عن جمله وحمل علي أبي جهل وكان على فرس فأخذ بشعره ، فقال الناس يقتله ، فعرقب فرسه وقال: أمثلي يُجَبَّن ، وستعلم قريش اليوم أينا ألأم وأجبن وأينا المفسد لقومه ، لا يمشي إلا أنا وأنت إلى الموت عياناً !

ثم قال: هذا حبائي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه !

ثم أخذ بشعره يجره فاجتمع الناس فقالوا: يا أبا الوليد اللهَ اللهَ لا تَفُتَّ في أعضاد الناس ، تنهى عن شئ وتكون أوله ! فخلصوا أبا جهل من يده ، فنظر عتبة إلى أخيه شيبة ، ونظر إلى ابنه الوليد فقال: قم يا بنيَّ فقام ، ثم لبس درعه وطلبوا له بيضة تسع رأسه ، فلم يجدوها لعظم هامته ، فاعتم بعمامتين ثم أخذ سيفه وتقدم هو وأخوه وابنه ونادى: يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قريش ! فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار عود ومعود وعوف من بني عفراء فقال عتبة: من أنتم ، إنتسبوا

لنعرفكم. فقالوا: نحن بنو عفرا أنصار الله وأنصار رسول الله ﷺ. قال: إرجعوا فإنا لسنا إياكم نريد إنما نريد الأكفاء من قريش ! فبعث إليهم رسول الله أن ارجعوا فرجعوا ، وكره أن يكون أول الكرة بالأنصار فرجعوا ووقفوا موقفهم .

٩. ثم نظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان له سبعون سنة فقال له: قم يا عبيدة ، فقام بين يديه بالسيف ، ثم نظر إلى حمزة بن عبد المطلب فقال قم يا عم ، ثم نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: قم يا علي ، وكان أصغرهم ، فقال: فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم ، قد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفي نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ثم قال رسول الله ﷺ: يا عبيدة عليك بعتبة ، وقال لحمزة عليك بشيبة ، وقال لعلي عليك بالوليد بن عتبة. فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقال عتبة من أنتم ، إنتسبوا لنعرفكم ؟ فقال عبيدة: أنا عبيدة بن حارث بن عبد المطلب ، فقال كفوٌ كريم فمن هذان ؟ قال حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ، فقال: كفوان كريمان ، لعن الله من أوقفنا وإياكم هذا الموقف !

فقال شيبة لحمزة: من أنت ؟ فقال أنا حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، وقال له شيبة: لقد لقيت أسد الحلفاء ، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله ! فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة ففلق هامته ، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فقطعها وسقطا جميعاً ، وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما ، وكل واحد يتقي بدرقته .

وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على عاتقه فأخرج السيف من إبطه ! فقال علي عليه السلام: فأخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض !

ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: ياعليُّ أما ترى الكلب قد أبهر عمك ! فحمل علي عليه السلام ثم قال: يا عم طأطئ رأسك ، وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره ، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فطير نصفه ، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه ، وحمل عبيدة بين حمزة وعلي حتى أتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنظر إليه رسول الله واستعبر ، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ألست شهيداً ؟ فقال: بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي.

قال: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه ، قال وأي أعمامي تعني؟ قال أبو طالب حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نبرأ محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل
وننصره حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله ، وابنه الآخر في جهاد لله بأرض الحبشة؟! فقال: يا رسول الله أسخطتَ عليَّ في هذه الحالة ؟ فقال: ما سخطت عليك ، ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك ».

١٠. *وقال أبو جهل لقريش: لا تعجلوا ولا تبطروا كما عجل وبطر أبناء ربيعة ، عليكم* بأهل يثرب فاجزروهم جزراً ، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي كانوا عليها...

وجاء إبليس إلى قريش في صورة سراقة بن مالك فقال لهم: أنا جاركم ، إدفعوا إليَّ رايتكم ، فدفعوها إليه وجاء بشياطينه يهول بهم على أصحاب رسول الله ، ويخيل إليهم ويفزعهم ، وأقبلت قريش يقدمها إبليس معه الراية ، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقال: غضوا أبصاركم ، وعضوا على النواجذ ، ولا تسلوا سيفاً حتى آذن لكم ، ثم رفع يده إلى السماء وقال: يا رب إن تهلك هذه العصابة لم تعبد ، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد. ثم أصابه الغشي فسري عنه وهو يسلت العرق عن وجهه ويقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين ، قال: فنظرنا فإذا بسحابة سوداء فيها برق وريح قد وقعت على عسكر رسول الله ﷺوقائل يقول: أقدم حيزوم أقدم حيزوم ! وسمعنا قعقعة السلاح من الجو ! ونظر إبليس إلى جبرئيل فتراجع ورمى باللواء فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه ثم قال: ويلك يا سراقة تفتُّ في أعضاد الناس ، فركله إبليس ركلة في صدره وقال: إِنِّي أَرَى مَا لاتَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ ! وهو قول الله: وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاغَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاتَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ... قال وحمل جبرئيل على إبليس فطلبه حتى غاص في البحر وقال: رب أنجز لي ما وعدتني من البقاء إلى يوم الدين !

وروي في الخبر أن إبليس التفت إلى جبرئيل وهو في الهزيمة فقال: يا هذا أبدى لكم فيما أعطيتمونا؟ فقيل لأبي عبد الله ؑ: أترى كان يخاف أن يقتله ؟ فقال: لا ، ولكنه كان يضربه ضرباً يشينه منها إلى يوم القيامة !

١١. وأنزل على رسوله ﷺ: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ

آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ

بَنَانٍ. قال أطراف الأصابع. وخرج أبو جهل من بين الصفين فقال: اللهم إن محمداً قطعنا الرحم وأتانا بما لانعرفه فأحنه الغداة ! فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَخَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ .

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كفاً من حصى فرمى به وجوه قريش وقال: شاهت الوجوه ! فبعث الله رياحاً تضرب في وجوه قريش فكانت الهزيمة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم لايفلتنّ فرعون هذه الأمة أبو جهل بن هشام . فقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون ، والتقى عمرو بن الجموح مع أبي جهل فضرب عمرو أبا جهل بن هشام على فخذيه ، وضرب أبو جهل عمرو على يده فأبانها من العضد ، فتعلقت بجلدة فاتكأ عمرو على يده برجله ثم نزا في السماء حتى انقطعت الجلدة ورمى بيده ! وقال عبد الله بن مسعود: انتهيت إلى أبي جهل وهو يتشحط في دمه فقلت: الحمد لله الذي أخزاك ، فرفع رأسه فقال: إنما أخزى الله عبد بن أم عبد الله لمن الدين ويلك؟ قلت: لله ولرسوله وإني قاتلك ! ووضعت رجلي على عنقه فقال: ارتقيت مرتقىً صعباً يارويعي الغنم ! أما إنه ليس شئ أشد من قتلك إياي في هذا اليوم إلا تولى قتلي رجل من المطيبين أو رجل من الأحلاف ! فاقتلعت بيضة كانت على رأسه ، فقتلته وأخذت رأسه وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله البشرى هذا رأس أبي جهل بن هشام ، فسجد لله شكراً.

١٢. وأسر أبو بشر الأنصاري العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ، وجاء بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: هل أعانك عليهما أحد؟ قال: نعم رجل عليه ثياب بياض ، فقال رسول الله: ذاك من الملائكة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للعباس

إفد نفسك وابن أخيك ، فقال: يا رسول الله قد كنت أسلمت ، ولكن القوم استكرهوني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تذكر حقاً فإن الله يجزيك عليه ، وأما ظاهر أمرك فقد كنت علينا. ثم قال صلى الله عليه وآله: يا عباس إنكم خاصمتم الله فخصمكم ، ثم قال: إفد نفسك وابن أخيك . وقد كان العباس أخذ معه أربعين أوقية من ذهب ، فغنمها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما قال للعباس إفد نفسك فقال: يا رسول الله إحسبها من فدائي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا ، ذاك أعطانا الله منك ، فأفد نفسك وابن أخيك ، فقال العباس: فليس لي مال غير الذي ذهب مني ، قال: بلى المال الذي خلفته عند أم الفضل بمكة فقلت لها إن حدث عليَّ حدث فاقسموه بينكم. فقال: ماتتركني إلا وأنا أسأل الناس بكفي !

فأنزل الله على رسوله في ذلك: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.(الأنفال: ٧٠-٧١)

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعقيل: قد قتل الله يا أبا يزيد: أبا جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشبية بن ربيعة ، ونبيه ومنبه ابني الحجاج ، ونوفل بن خويلد ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وعقبة بن أبي معيط ، وفلاناً وفلاناً. فقال عقيل: إذاً لا تنازع في تهامة ، فإن كنت قد أثخنت القوم وإلا فاركب أكتافهم ! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله . وكان القتلى ببدر سبعين والأسرى سبعين ، قتل منهم أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرين ولم يأسر أحداً ، فجمعوا الأسارى وقرنوهم في

الحبال وساقوهم على أقدامهم ، وجمعوا الغنائم . وقتل من أصحاب رسول الله تسعة رجال ، فمنهم سعد بن خثيمة ، وكان من النقباء .

١٣. فرحل رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل الأثيل عند غروب الشمس ، وهو من بدر على ستة أميال فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث بن كلدة وهما في قران واحد ، فقال النضر لعقبة: يا عقبة أنا وأنت من المقتولين ، فقال عقبة: من بين قريش؟ قال: نعم لأن محمداً قد نظر الينا نظرة رأيت فيها القتل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي عليَّ بالنضر وعقبة ، وكان النضر رجلاً جميلاً عليه شعر ، فجاء علي فأخذ بشعره فجره إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال النضر: يا محمد أسألك بالرحم الذي بيني وبينك إلا أجريتني كرجل من قريش ، إن قتلتهم قتلتني وإن فاديتهم فاديتني ، وإن أطلقتهم أطلقتني. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا رحم بيني وبينك ، قطع الله الرحم بالإسلام ، قدمه يا علي فاضرب عنقه !

فقال عقبة: يا محمد ألم تقل لا تُصبر قريش أي لا يقتلون صبراً ، قال: أفأنت من قريش؟ إنما أنت علج من أهل صفورية ، لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له ، لست منها ! قدمه يا علي فاضرب عنقه ، فقدمه وضرب عنقه !

فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وآله النضر وعقبة ، خافت الأنصار أن يقتل الأسارى كلهم فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين ، وهم قومك وأساراك ، هبهم لنا يا رسول الله وخذ منهم الفداء وأطلقهم ، فأنزل الله

عليهم: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ».

أقول: هذا النص لعلي بن إبراهيم رحمه الله وأكثره موافق لرواية مصادر السيرة السنية، وقد ضمنه روايات عن المعصومين عليهم السلام كما في محاولة جبرئيل ضرب إبليس.

كما ضمنه رأيه في تفسير بعض الآيات كآية فداء الأسرى، ولا نوافقه عليه، لأنه جعل نزولها وتحليل الفداء للمسلمين بعد ستة أميال من المسير من بدر، وقد تقدم في كلامه أن النبي صلى الله عليه وآله طلب من عمه العباس في بدر أن يفدي نفسه، ومعناه أن تشريع الفداء كان من بدر، ولم ينزل في طريق العودة منها!

مضافاً الى السؤال: كيف يحلل الله تعالى شيئاً ثم يعاقب عليه، فيحل للمسلمين الفداء ثم يعاقبهم بخسارة سبعين رجلاً منهم! وسيأتي شرح مسألة أسرى بدر.

٤- أضواء من سيرة النبي صلى الله عليه وآله في بدر

١. روى في الإحتجاج: ١/٤٠، عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: رسالة أبي جهل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة وجوابه عنها وهي: « يا محمد إن الخيوط التي في رأسك هي التي ضيقت عليك مكة، ورمت بك إلى يثرب، وإنها لا تزال بك تنفرك وتحثك على ما يفسدك ويتلفك، إلى أن تفسدها على أهلها وتصليهم حر نار جهنم، وما أرى ذلك إلا وسيؤول إلى أن تثور عليك قريش ثورة رجل واحد، لقصد آثارك ودفع ضرك وبلائك، فتلقاهم بسفهائك المغترين بك، ويساعدك على ذلك من هو كافر بك مبغض لك، فيلجؤه إلى مساعدتك ومظافرتك خوفه لأن لا يهلك

بهلاكك ويعطب عياله بعطبك ، ويفتقر هـو ومـن يليـه بفقـرك وبفقـر شـيعتك ، إذ يعتقدون أن أعداءك إذا قهروك ودخلوا ديارهم عنوة لم يفرقوا بين من والاك وعاداك واصطلموهم باصطلامهم لك ، وأتوا على عيالاتهم وأموالهم بالسـبي والنهـب ،كمـا يأتون على أموالك وعيالك ، وقد أعذر من أنذر وبالغ من أوضح !

وأُدِّيَتْ هذه الرسالة إلى محمد وهو بظاهر المدينة بحضرة كافـة أصـحابه وعامـة الكفار من يهود بني إسرائيل ، وهكذا أُمِر الرسولُ لِيُجبِّن المؤمنين ، ويغري بـالوثوب عليه سائر من هناك من الكافرين !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للرسول: قد أطريت مقالتك واستكملت رسالتك؟ قـال: بلـى. قال: فاسمع الجواب ، إن أبا جهل بالمكاره والعطب يتهددني ، ورب العالمين بالنصر والظفر يعدني ، وخبر الله أصدق والقبول من الله أحق ! لن يضر محمداً من خذلـه أو يغضب عليه ، بعد أن ينصره الله ويتفضل بجوده وكرمه عليه .

قل له: يا أبا جهل إنك واصلتني بما ألقاه في خلدك الشيطان ، وأنا أجيبك بما ألقاه في خاطري الرحمن ، إن الحرب بيننا وبينك كائنة إلى تسع وعشرين يومـاً ، وإن الله سيقتلك فيها بأضعف أصحابي ! وستلقى أنت وشيبة وعتبة والوليد وفلان وفلان وذكر عدداً من قريش في قليب بدر ، مقتولين ! أقتل منكم سـبعين وآسـر مـنكم سـبعين ، وأحملهم على الفداء الثقيل .

ثم نادى صلى الله عليه وآله جماعة من بحضرته من المؤمنين واليهود وسائر الأخلاط: ألا تحبـون أن أريكم مصارع هؤلاء المذكورين ، مصرع كل واحد منهم ؟

قالوا: بلى. قال: هلموا إلى بدر فإن هناك الملتقى والمحشر، وهنـاك الـبلاء الأكبـر لأضع قدمي على مواضع مصارعهم ، ثم ستجدونها لا تزيد ولا تنقص ولا تتغيـر ولا

تتقدم ولا تتأخر لحظة ، ولا قليلاً ولا كثيراً ! فلم يَخُفَ ذلك على أحد منهم ولم يجبه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وحده قال: نعم ، بسم الله. فقال الباقون: نحن نحتاج إلى مركوب وآلات ونفقات ولا يمكننا الخروج إلى هناك وهو مسيرة أيام !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لسائر اليهود: فأنتم ماذا تقولون ؟ فقالوا: نحن نريد أن نستقر في بيوتنا ولا حاجة لنا في مشاهدة ما أنت في ادعائه محيل !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لانَصَبَ لكم في المسير إلى هناك ، أخطوا خطوة واحدة ، فإن الله يطوي الأرض لكم ويوصلكم في الخطوة الثانية إلى هناك !

قال المسلمون: صدق رسول الله فلنُشَرَّفْ بهذه الآية ، وقال الكافرون والمنافقون: سوف نمتحن هذا الكذاب لينقطع عذر محمد ، وتصير دعواه حجة عليه وفاضحة له في كذبه ! قال: فخطى القوم خطوة ثم الثانية ، فإذا هم عند بئر بدر ، فتعجبوا !

فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إجعلوا البئر العلامة واذرعوا من عندها كذا ذراع ، فذرعوا فلما انتهوا إلى آخرها ، قال: هذا مصرع أبي جهل يجرحه فلان الأنصاري ويجهز عليه عبد الله بن مسعود ، أضعف أصحابي . ثم قال: إذرعوا من البئر من جانب آخر ثم من جانب آخر ثم من جانب آخر ، كذا وكذا ذراعاً وذراعاً ، وذكر أعداد الأذرع مختلفة ، فلما انتهى كل عدد إلى آخره قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا مصرع عتبة ، وهذا مصرع شيبة ، وذاك مصرع الوليد ، وسيقتل فلان وفلان إلى أن سمى سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ! وسيؤسر فلان وفلان إلى أن ذكر سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وصفاتهم ونسب المنسوبين إلى أمهاتهم وآبائهم ، ونسب الموالي منهم إلى مواليهم .

ثم قال: أوقفتم على ما أخبرتكم به ؟ قالوا: بلى. قال: إن ذلك من الله لحق كائن بعد ثمانية وعشرين يوماً في اليوم التاسع والعشرين ، وعداً من الله مفعولاً ، وقضاءً حتماً لازماً . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر المسلمين واليهود اكتبوا بما سمعتم . فقالوا: يا رسول الله قد سمعنا ووعينا ولا ننسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الكتابة أذكر لكم. فقالوا: يا رسول الله فأين الدواة والكتف؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذلك للملائكة ! ثم قال: يا ملائكة ربي أكتبوا ما سمعتم من هذه القصة في الكتاب ، واجعلوا في كم كل واحد منهم كتفاً من ذلك ! ثم قال: يا معشر المسلمين تأملوا أكمامكم وما فيها وأخرجوها واقرؤوها ، فتأملوها وإذا في كم كل واحد منهم صحيفة قرأوها ، وإذا فيها ذكر ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك سواء لا يزيد ولا ينقص ولايتقدم ولا يتأخر . فقال: أغيضوها في أكمامكم تكن حجة عليكم ، وشرفاً للمؤمنين منكم ، وحجة على أعدائكم ، فكانت معهم !

فلما كان يوم بدر ، جرت الأمور كلها ببدر كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تزيد ولا تنقص ، قابلوها في كتبهم فوجدوها كما كتبتها الملائكة ، لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر ، فقبل المسلمون ظاهرهم ، ووكلوا باطنهم إلى خالقهم».

٢. أنزل الله قبل بدر سورة القمر وأخبر بأن قريشاً ستنهزم ! وكان النبي صلى الله عليه وآله في بدر:

مصلتاً سيفه يتلو قوله تعالى: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ. واشترك في حرب بدر بنفسه وقاتل قتالاً شديداً. (الصحيح من السيرة: ٥/٤٣).

وكان صلى الله عليه وآله أخبرهم عن هزيمتهم في بدر في أول بعثته عندما طلبوا منه معجزة:«فقالوا له: يا محمد إنك قد ادعيت عظيماً لم يدعه آباؤك ، ولا أحد من بيتك ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول ، وإن لم تفعل علمنا

أنك ساحر كذاب ! فقال ﷺ: وما تسألون؟ قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال ﷺ: إن الله على كل شئ قدير ، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا نعم. قال: فإني سأريكم ما تطلبون ، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير ، وأن فيكم من يطرح في القليب ، ومن يحزب الأحزاب»! ثم دعا ربه فأراهم ما طلبوا فازدادوا كفراً ! (نهج البلاغة:١٥٧/٢).

٣. *كان النبي ﷺ يعلم أنه سيخوض معركة بدر ، لكنه تألف أصحابه واستشارهم* مرتين (فتح الباري:٢٢٣/٧) أولاهما قبل حركته من المدينة ، والثانية عندما بلغه نجاة القافلة ومجيء قريش لحربه ، وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ..

ثم عزم ﷺ ومضى لأمر ربه ولم يهتم لتخويف مرضى القلوب الذين قالوا: غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ.. ولالجدل الصحابة المنهارين: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ !

٤. *روى الجميع أدعية النبي ﷺ يوم بدر ، فعندما خرج من المدينة دعا الله:«اللهم* إنهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فأشبعهم وعالةٌ فأغنهم من فضلك . قال: فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً ، للرجل البعير والبعيران ، واكتسى من كان عارياً ، وأصابوا طعاماً من أزوادهم وأصابوا فداء الأسرى».(الإمتاع: ١٧٨/١٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:« لما نظر النبي ﷺ إلى كثرة المشركين وقلة المسلمين استقبل القبلة وقال: اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض. فنزلت: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ». (الصحيح من السيرة: ٣٥/٥).

وبات ﷺ في ليلة بدر يدعو:« اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض ،

فلما أن طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله ، فجاء الناس من تحت الشجر والجحف ، فصلى بنا رسول الله وحرض على القتال». (الطبري: ١٣٤/٢).

«ودعا يوم بدر حتى سقط رداؤه عن منكبيه يستنجز الله وعده». (تفسير القرطبي:٢٥٦/٣).

وعن علي عليه السلام قال:« إغتنموا الدعاء عند خمسة مواطن: عند قراءة القرآن ، وعند الأذان وعند نزول الغيث ، وعند التقاء الصفين ، وعند دعوة المظلوم.. كان صلى الله عليه وآله إذا لقي العدو قال: اللهم إنك أنت عصمتي وناصري ومعيني . اللهم بك أصول وبك أقاتل . وكان صلى الله عليه وآله إذا لقي العدو عبأ الرجّالة وعبأ الخيل وعبأ الإبل..

كان صلى الله عليه وآله إذا زحف للقتال يعبئ الكتائب ويفرق بين القبائل ، ويقدم على كل قوم رجلاً ، ويصفف الصفوف ، ويكردس الكراديس ، ثم يزحف إلى القتال..

كان صلى الله عليه وآله إذا زحف للقتال جعل ميمنةً ، وميسرةً وقلباً يكون هو فيه ، ويجعل لها روابط ويقدم عليها مقدمين ، ويأمرهم بخفض الأصوات والدعاء ، واجتماع القلوب ، وشهر السيوف ، وإظهار العدة ، ولزوم كل قوم مكانهم ، ورجوع كل من حمل إلى مصافه بعد الحملة ». (دعائم الإسلام: ٣٧١/١).

وقال ابن مسعود:«ما سمعنا مناشداً ينشد حقاً له أشد مناشدة من محمد يوم بدر يقول: اللهم إني أنشدك ما وعدتني ، إن تهلك هذه العصابة لاتعبد. ثم التفت كأن وجهه القمر فقال: كأني أنظر إلى مصارع القوم عشية ». (مجمع الزوائد: ٨٢/٦).

وأراد بخاري أن يمدح أبا بكر فزعم أن النبي صلى الله عليه وآله أفرط في الدعاء ، حتى نهاه أبو بكر ! وكان النبي صلى الله عليه وآله كان يقفز وهو لابسٌ درعه ! قال في صحيحه:٥٤/٦:«قال النبي(ص) وهو في قبة: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لاتعبد بعد اليوم ! فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك ! وهو يَثب

(يقفز !) في الدرع ! فخرج وهو يقول: سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر» !

وهذا ديدنهم فتراهم لايتورعون عن الطعن في نبيهم صلى الله عليه وآله، لمدح من اتخذوه إماماً !

٥. وعندما وصلوا الى بدر نزلوا على غير الماء ، لأن قريشاً سبقته الى الماء ، أو لأن عين بدر كانت مملوكة كما يظهر . وعطش النبي صلى الله عليه وآله فذهب علي عليه السلام ليلاً وجاء له بالماء . وفي الصباح أنزل الله عليهم المطر فاستقوا واغتسلوا ، وألقى عليهم النعاس فناموا ، وبقي النبي صلى الله عليه وآله تلك الليلة يصلي ويدعو ربه ولم ينم إلا لماماً . ويظهر أنه كان يوم خميس .

٦- وفي يوم الجمعة يوم بدر ، صلى النبي صلى الله عليه وآله بالمسلمين الفجر وصفَّهم ، وأرسل الى قريش يقترح عليهم الرجوع وعدم الحرب ، واستجاب له عتبة بن ربيعة لكن أبا جهل جَبَّنَه ! فأخذته الغيرة وبرز هو وابنه الوليد وأخوه شيبة فبرز اليهم أبناء عفراء من الأنصار ، فأبوا وطلبوا أن يبرز اليهم أكفاءهم ، فاختار النبي صلى الله عليه وآله لهم ثلاثة من بني هاشم ، علياً وحمزة وعبيدة ، ونصرهم الله تعالى على فرسان قريش. وبارز علي عليه السلام عدة أخرى فقتلهم ، فأمر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين بالزحف وزحف معهم وقاتل ، وهزم الله المشركين شر هزيمة !

وزعموا أن أبا بكر كان مع النبي صلى الله عليه وآله في العريش ، لكن النبي صلى الله عليه وآله قاتل ، وأبو بكر وعمر لم يقاتلا ! قال علي عليه السلام:« لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وآله وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً.. كنا إذا احمرَّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ». (مكارم الأخلاق/١٨).

وكان علي عليه السلام في المعركة قرب النبي صلى الله عليه وآله فقال له النبي صلى الله عليه وآله: « ناولني كفاً من حصى ، فرمى بها في وجوههم وقال لهم: شاهت الوجوه ! فلم يبق أحد منهم إلا ولى الدبر لذلك منهزماً ». (الدر النظيم/١٥٢).

وفي إعلام الورى/١٦٩:« فكثر الله المسلمين في أعين الكفار ، وقلل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا ، وأخذ رسول الله كفاً من تراب فرماه إليهم وقال: شاهت الوجوه ! فلم يبق منهم أحد إلا اشتغل بفرك عينيه ». وفي رواية « فما بقي أحد إلا امتلأت عينه من الحصباء ، وأفواههم ومناخرهم ». (المناقب: ١/١٦٤).

وفي الطبري: ١٥٠/٢:«ثم نفحهم بها وقال لأصحابه: شدوا ، فكانت الهزيمة».

وفي الصحيح من السيرة:٥٣/٥:«وبالمناسبة فإن عائشة قالت في حرب الجمل: ناولوني كفاً من تراب ، فناولوها فحثت في وجوه أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقالت: شاهت الوجوه ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل بدر ! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى ، وليعودنَّ وبالك عليكِ إن شاء الله ! كما أن عائشة قد نظرت إلى علي عليه السلام وهو يجول بين الصفوف في حرب الجمل فقالت: أنظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله يوم بدر ، أما والله ما ينتظر بكم إلا زوال الشمس ، وهكذا كان ».

٧. أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يُلقى قتلى المشركين في بئر مهجورة لا ماء فيها ، ثم وقف

عليهم وخاطبهم فأحياهم الله وسمعوه ، قال لهم:« لقد كنتم جيران سوء لرسول الله ، أخرجتموه من منزله وطردتموه ، ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه ، فقد وجدتُ ما وعدني ربي حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال له عمر: يا رسول الله ما خطابك لهام

قد صَدِيَتْ ؟ فقال له: مه يا ابن الخطاب ! فوالله ما أنت بأسمع منهم ! وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع الحديد إلا أن أعرض بوجهي هكذا عنهم».

« فقال المنافقون: إن رسول الله يكلم الموتى ! فنظر إليهم فقال: لو أذن لهم في الكلام لقالوا: نعم وإن خير الزاد التقوى». (الفقيه:١/١٨٠، وتصحيح الإعتقاد/٩٢، والصحيح من السيرة: ٥/٦٤، والطبري: ٢/١٥٥، وابن هشام: ٢/٤٦٦، والقرطبي: ٧/٣٧٧، وسمى منهم بضعة رجال).

٨. وكان النبي صلى الله عليه وآله يدعو على أبي جهل ويعتبره فرعون الفراعنة ، فأحاطت به قبيلته

«ولما كان يومئذٍ ورأت بنو مخزوم مقتل من قتل قالوا: أبو الحكم لايخلص إليه ! فإن ابني ربيعة قد عجلا وبطرا ولم تُحام عليهما عشيرتهما ، فاجتمعت بنو مخزوم فأحدقوا به فجعلوه في مثل الحرجة ، وأجمعوا أن يلبسوا لأمة أبي جهل رجلاً منهم فألبسوها عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة فصمد له علي عليه السلام فقتله وهو يراه أبا جهل ، ومضى عنه وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب !

ثم ألبسوها أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة فصمد له حمزة وهو يراه أبا جهل فضربه فقتله وهويقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب !

ثم ألبسوها حرملة بن عمرو فصمد له علي عليه السلام فقتله ، وأبو جهل في أصحابه ! ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلم ، فأبى أن يلبسها » ! (مغازي الواقدي/٤٧).

أقول: كان أبو جهل في المعركة محاطاً ببني مخزوم وغيرهم من قريش و: « لما اصطفت الخيلان يوم بدر رفع أبو جهل يده وقال: اللهم إنه أقطعنا للرحم ، أتانا بما لا نعرفه فأجئه بالعذاب ، فأنزل الله: سأل سائل بعذاب واقع». (تفسير القمي: ٢/٣٨٥).

لكن لما اشتدت المعركة انشغل بنو مخزوم بأنفسهم ، وانفرجوا عنه ، فاشترك في قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ ابن عفراء ، وأجهز عليه عبدالله بن مسعود أضعف أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، كما كان أخبر صلى الله عليه وآله. (الدرر لابن عبد البر/١١٠).

ووقف النبي صلى الله عليه وآله على مصارع عتاة قريش بعد المعركة وخاطبهم:« جزاكم الله من عصابة شراً ، لقد كذبتموني صادقاً ، وخونتموني أميناً ! ثم التفت إلى أبي جهل فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون ! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وحَّدَ الله ، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى» ! (أمالي الطوسي: ٣١٦/١، والزوائد: ٩١/٦).

٩. وكان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة مسلماً مع النبي صلى الله عليه وآله وكان ابنه محمد شيعياً من

أبطال فتح الشام ومصر ، وفي الطبري:١٥٦/٢:« ولما أمر بهم رسول الله (ص) أن يلقوا في القليب ، أخذ عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب ، فنظر رسول الله (ص) فيما بلغني في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيب قد تغير ، فقال: يا أبو حذيفة لعلك دخلك من شأن أبيك شئ ، أو كما قال ؟ فقال: لا والله يا نبي الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك. قال فدعا رسول الله (ص) له بخير وقال له خيراً» .

١٠. ووقف علي عليه السلام بعد معركة الجمل على مصرع طلحة بن عبيدالله في البصرة

وخاطبه. قال المفيد في الإرشاد:٢٥٦/١:« ومرَّ على طلحة بن عبيد الله فقال: هذا الناكث بيعتي والمنشئ الفتنة في الأمة والمُجْلب عليَّ ، الداعي إلى قتلي وقتل عترتي ! أجلسوا طلحة فأُجلس ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا طلحة بن عبيد الله ، قد وجدتُ ما

وعدني ربي حقاً ، فهل وجدتَ ما وعد ربك حقاً !؟ ثم قال: أضجعوا طلحة ، وسار ، فقال له بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين أتكلم كعباً وطلحة بعد قتلهما؟ قال: أما والله إنهما لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر» .

وفي الكافئة في رد توبة الخاطئة للمفيد/٢٦:« وهكذا فعل عليه السلام بكعب بن سور لما مر به قتيلاً ، وقال: هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصر أمه ، يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ! ثم استفتح وخاب كل جبار ! أما أنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله » . ونحوه الإحتجاج: ٢٣٩/١.

١١. كان النبي صلى الله عليه وآله يحرص على الإعتكاف في شهر رمضان، ففي الكافي: ١٧٥/٤،

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«كانت بدر في شهر رمضان ، فلم يعتكف رسول الله صلى الله عليه وآله فلما كان من قابل اعتكف عشرين ، عشراً لعامه وعشراً قضاءً لما فاته».

٥- أضواء من سيرة علي عليه السلام في بدر

١. بعث النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في ليلة بدر ليستقي لهم ، فأحس بنزول مجموعات

الملائكة ، ففي تفسير العياشي: ٦٥/٢: «عن علي بن الحسين عليه السلام قال: لما عطش القوم يوم بدر ، انطلق علي عليه السلام بالقربة يستقي وهو على القليب إذ جاءت ريح شديدة ثم مضت ، فلبث ما بدا له ، ثم جاءت ريح أخرى ثم مضت ، ثم جاءت أخرى كادت أن تشغله وهو على القليب ، ثم جلس حتى مضت ، فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما الريح الأولى ففيها جبرئيل مع ألف من الملائكة ، والثانية فيها ميكائيل مع ألف من الملائكة ، والثالثة فيها إسرافيل

مع ألف من الملائكة ، وقد سلموا عليك وهم مدد لنا، وهم الذين رآهم إبليس فنكص على عقبيه يمشي القهقرى حتى يقول: وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاتَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

وفي المناقب:٢/٨٠، عن:« محمد بن ثابت بإسناده عن ابن مسعود ، والفلكي المفسر بإسناده عن محمد بن الحنفية قال: بعث رسول الله علياً في غزوة بدر أن يأتيه بالماء حين سكت أصحابه عن إيراده... وفي رواية: ما أتوا إلا ليحفظوك، وقد رواه عبد الرحمن بن صالح بإسناده عن الليث وكان يقول: كان لعلي في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة وثلاث مناقب ، ثم يروي هذا الخبر ، قال الحميري:

وسلم جبريل وميكال ليلة ... عليه وإسرافيل حياه معربا

أحاطوا به في ردعة جاء يستقي ... وكل على ألف بها قد تحزبا

ثلاثة آلاف ملائك سلموا ... عليه فأدناهم وحياً ومرحبا »

وفي أمالي الطوسي/٥٤٧ ، ومنهاج الكرامة/٩٣، أنه عليه السلام قال حين ناشد المسلمين بعد قتل عثمان: « فهل فيكم من سلم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة ، وفيهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ليلة القليب لما جئتُ بالماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله غيري ؟! قالوا: لا ». وبصائر الدرجات/١١٥، وفيه: في ثلاثة آلاف من الملائكة.

٢. قبيل بدر عَلَّم الخضر علياً عليه السلام إسم الله الأعظم ، فكان يدعو به وهو يطارد الفرسان ففي التوحيد للصدوق/٨٩:« قال عليه السلام: رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل بدر بليلة فقلت له: علمني شيئاً أُنصرُ به على الأعداء ، فقال: قل: يا هوَ ، يا من لا هوَ إلا هو. فلما أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: يا علي عُلمت الإسم الأعظم فكان على لساني يوم بدر. وإن أمير المؤمنين عليه السلام قرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ، فلما فرغ

قال: يا هو ، يا من لا هو إلا هو ، إغفر لي وانصرني على القوم الكافرين. وكان علي عليه السلام يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد فقال له عمار بن ياسر: يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات؟ قال: اسم الله الأعظم وعماد التوحيد لله لا إله إلا هو ، ثم قرأ: شَهد الله أنه لا إله إلا هو وآخر الحشر ، ثم نزل فصلى أربع ركعات قبل الزوال. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق و يؤله إليه ، والله هو المستور عن درك الأبصار ، المحجوب عن الأوهام والخطرات ».

أقول: يدل هذا الحديث على أن تأثير الإسم الأعظم مشروط بمن يدعو به.

٣. كانت معركة بدر أول حرب يخوضها علي عليه السلام وكان عمره أربعاً وعشرين سنة

على الرواية المشهورة من أن عمره كان عند بعثة النبي صلى الله عليه وآله عشرة سنين ، وعلى رواية الإثنتي عشرة يكون عمره عليه السلام ستاً وعشرين ، وكانت بدر بعد أربع عشرة سنة ونصفاً من البعثة . ولم يشترك عليه السلام قبل بدر في حرب لكن كان له تجربتان في القتال: أولاهما: في مكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله حيث كمن له فارسٌ في الليل ليفاجأه ويقتله: « فصاح علي به صيحة خرَّ على وجهه وجلله بسيفه» (المناقب: ٣٣٥/١) فكانت هذه أول صيحة له وأول ضربة سيف !

وثانيتهما: في طريق هجرته عليه السلام عندما أرسلت قريش بضعة فرسان ليردوه يقودهم فارس معروف بشجاعته وفتكه ، فأدركوه قريب ضجنان: « فأهوى له جَناح بسيفه فراغ علي عليه السلام عن ضربته ، وتختله علي عليه السلام فضربه على عاتقه ، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مسَّ كاثبة فرسه» ! (أمالي الطوسي/٤٧٠)

فكانت هذه ثاني ضربة لعلي عليه السلام ! والكائبة: مجتمع الكتف أي شقت ضربته كتف الفارس وبدنه ، حتى وصلت الى مرتفع ظهر فرسه !

وروى في المناقب: ٣١٢/٢ ، أن سعد بن أبي وقاص قال إنه رأى علياً يوم بدر «يحمحم فرسه» وقد كان راجلاً ولم يكن عنده فرس ، فهو تصحيف لما رواه الخوارزمي في مناقبه/١٥٨ ، عن سعد:« قال معاوية: أتحب علياً؟ قلت: وكيف لا أحبه وقد سمعت رسول الله (ص)يقول له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ، ولقد رأيته بارز يوم بدر وهو يحمحم كما يحمحم الفرس ، ويقول:

ما تنقمُ الحرب العوان مني بازلُ عامين حديثٌ سني

سنحْنَحْلُ الليل كأني جني لمثل هذا ولدتني أمي !

فما رجع حتى خضب سيفه». ومناقب محمد بن سليمان: ٥٦٩/٢، والصراط المستقيم: ٤/٢، والفايق: ٩٥/١، وينابيع المودة: ١٥٨/١، والنهاية لابن الأثير: ٤١٢/٢، ولسان العرب: ٥٢/١١ ، وفيه: يقول: أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة. وابن هشام: ٤٦٣/٢، روى أن أبا جهل تمثل بهذا الشعر! ».

٤. سطع نجم علي عليه السلام في بدر بطلاً فاق عمه حمزة رضي الله عنه حيث ساعده على قتل قرينه:

« وحمل أمير المؤمنين على الوليد بن عتبة فضربه على عاتقه فأخرج السيف من إبطه.. ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا علي أما ترى الكلب قد أبهر عمك ! فحمل علي عليه السلام ثم قال: يا عم طأطئ رأسك وكان حمزة أطول من شيبة ، فأدخل حمزة رأسه في صدره ، فضربه أمير المؤمنين على رأسه فطرح نصفه ، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق ، فأجهز عليه».

وفي الإرشاد:٧٤/١:« فاختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين عليه السلام واتقى بيده اليسرى ضربة أمير المؤمنين فأبانتها. فروي أنه كان يذكر بدراً وقتله الوليد فقال

في حديثه: كأني أنظر إلى وميض خاتمه في شماله ، ثم ضربته ضربة أخرى فصرعته وسلبته ، فرأيت به ردعاً من خَلوق (طيب) فعلمت أنه قريب عهد بعرس».

وفي الفصول المهمة لابن الصباغ:٣١٥/١، أن المبارزة كانت بالترتيب: بارز عليٌّ عليه السلام الوليد ، ثم بارز حمزة عتبة ، ثم بارز عبيدة شيبة. « برز الوليد لعلي فقال: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله وأخو رسوله ، فقتله». (الطبقات: ٢٣/٢، وابن كثير: ٤١٤/٢).

ولم يذكر رواة السلطة أنه عليه السلام قتل قرن حمزة وأجهز على قرن عبيدة ، فقالوا:«وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله». (ابن هشام:٤٥٦/٢) ومعناه أنه برز مع صاحبيه لقرنيهما !

وفي الدر النظيم/١٥٢:«ثم بارز أمير المؤمنين عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص بعد أن أحجم عنه من سواه ، فلم يلبث إلا أن قتله. وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله ، وبرز بعده طعيمة بن عدي فقتله ، وقتل بعده نوفل بن خويلد وكان من شياطين قريش. ولم يزل عليه السلام يقتل واحداً منهم بعد واحد حتى أتى على شطر المقتولين منهم وكانوا سبعين قتيلاً. وتولى كافة من حضر بدراً من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين الشطر الآخر ، وكان قتل أمير المؤمنين عليه السلام للشطر بمعونة الله تعالى له وتوفيقه وتأييده ونصره ، وكان الفتح له بذلك ».

وفي إعلام الورى: ١٧٠/١: « قتل علي عليه السلام ببدر من المشركين: الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان شجاعا فاتكاً ، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية والد سعيد بن العاص ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، شجره بالرمح وقال: والله لاتخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً ! ونوفل بن خويلد ، وهو الذي قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة بحبل وعذبهما يوماً إلى الليل ، وهو عم الزبير بن العوام .

ولما أجلت الوقعة قال النبي صلى الله عليه وآله: من له علم بنوفل؟ فقال عليه السلام: أنا قتلته ، فكبر النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه.

وروى جابر عن الباقر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لقد تعجبت يوم بدر من جرأة القوم ، وقد قتلت الوليد بن عتبة ، إذ أقبل إليَّ حنظلة بن أبي سفيان ، فلما دنا مني ضربته بالسيف فسالت عيناه ، ولزم الأرض قتيلاً ».

« قتل عليه السلام من المشركين في بدر نصف السبعين وشارك في قتل النصف الآخر ! وقد عدَّ الشيخ المفيد ستة وثلاثين بأسمائهم ممن قتلهم علي عليه السلام ، وقال ابن إسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلي ». (الصحيح من السيرة: ٥/٥٩).

وفي كشف الغمة: ١/١٨١: « قال الواقدي في كتاب المغازي: جميع من يحصى قتله من المشركين ببدر تسعة وأربعون رجلاً ، منهم من قتله علي وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً ، شرك في أربعة وقتل بانفراده ثمانية عشر ، وقيل إنه قتل بانفراده تسعة بغير خلاف وهم: الوليد بن عتبة بن ربيعة خال معاوية قتله مبارزة ، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعامر بن عبد الله ، ونوفل بن خويلد بن أسد وكان من شياطين قريش ، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة ، وقيس بن الفاكه ، وعبد الله ابن المنذر بن أبي رفاعة ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، وحاجب بن السايب.

وأما الذين شاركه في قتلهم غيره فهم: حنظلة بن أبي سفيان أخو معاوية ، وعبيدة بن الحارث ، وزمعة وعقيل أبنا الأسود بن المطلب .

وأما الذين اختلف الناقلون في أنه قتلهم أو غيره فهم: طعيمة بن عدي ، وعمير بن عثمان بن عمرو ، وحرملة بن عمرو ، وأبو قيس بن الوليد ابن المغيرة ، وأبو

العباس بن قيس ، وأوس الجمحي ، وعقبة بن أبي معيط صبراً ، ومعاوية بن عامر. فهذه عدة من قيل إنه قتلهم في هذه الرواية ، غير النضر بن الحارث فإنه قتله صبراً بعد القفول من بدر . هذا من طرق الجمهور .

فأما المفيد فقد ذكر في كتابه الإرشاد...ونقل رواية المفيد وفيها: وقد أثبت رواة العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولى أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين ، على اتفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح ، فكان ممن سموه.... فذلك ستة وثلاثون رجلاً ، سوى من اختلف فيه ، أو شرك أمير المؤمنين فيه غيره ، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر على ما قدمناه .

وعلى اختلاف المذهبين في تعيين عدة المقتولين ، فقد اتفقا على أن أمير المؤمنين عليه السلام قتل النصف ممن قتل ببدر أو قريباً منه !

قال المفيد رحمه الله: فمن مختصر الأخبار التي قد جاءت بشرح ما أثبتناه ، ما رواه شعبة عن أبي إسحاق عن حارث بن مضرب قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: لقد حضرنا بدراً وما فينا فارس إلا المقداد بن الأسود ، ولقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا من نام غير رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه كان منتصباً في أصل شجرة يصلي ويدعو حتى الصباح » ! راجع في من قتلهم علي عليه السلام يوم بدر: شرح الأخبار: ٢٦٣/١ ، وأعيان الشيعة: ٢٤٥/٦، ومطالب السؤول لمحمد بن طلحة الشافعي/١٩٩ ، وشرح النهج: ١٩/١٨، وغيرها.

٥. كان عليه السلام يقاتل شوطاً فيبتعد عن النبي صلى الله عليه وآله ثم يرجع الى مكانه ليطمئن عليه .

وكان جبرئيل عليه السلام يوجه النبي صلى الله عليه وآله لما ينبغي عمله ، فكان صلى الله عليه وآله يقاتل شوطاً ثم

يرجع الى مركزه ويدعو . ويظهر أنه بعد أن ألقى النبي صلى الله عليه وآله كف الحصى على المشركين ، واصل الدعاء حتى وقعت الهزيمة ، قال علي عليه السلام:« لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال ، ثم جئت مسرعا لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل . فجئت فإذا هو ساجد يقول: يا حي يا قيوم ، يا حي يا قيوم ، لا يزيد عليها . فرجعت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً . فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ، حتى فتح الله عليه». (الصحيح من السيرة:٥/٦٨).

وروت هذا الحديث عامة مصادرهم ، وفي بعضها أنه عليه السلام رجع الى النبي صلى الله عليه وآله مرتين كما في النسائي: ٦/١٥٧، والطبقات: ٢/٢٦، والحاكم: ١/١٤٧، وصححه. وفي مجمع الزوائد: ١٠/١٤٧، أنها ثلاث مرات ، وكذا الثعالبي عن الترمذي ، وغيره .

وتقدم قول علي عليه السلام:« لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وآله ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً». (مكارم الأخلاق/١٨).

٦. جاء جبرئيل يوم بدر بذي الفقار الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونادى باسم علي عليه السلام ، ثم

نادى كذلك يوم أحُد ! ففي الإحتجاج: ١/٢٠٠، قال علي عليه السلام في احتجاجه على أعضاء شورى عمر:« نشدتكم بالله هل فيكم أحد نوديَ باسمه من السماء يوم بدر: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليٌّ ، غيري ؟ قالوا: لا ».

٧. ونوَّه النبي صلى الله عليه وآله باسمه في بدر فرفع بيده ، وأكد للمسلمين أنه وزيره ووليهم بعده

ففي الإحتجاج: ١/٢٠٩:« قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيده يوم بدر فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه وهو يقول: ألا إن هذا ابن عمي ووزيري ، فوازروه وناصحوه ، فإنه وليكم بعدي ، غيري ؟ قالوا لا».

٨«وكان جبرئيل يقاتل عن يمين علي عليه السلام وميكائيل عن يساره، وملك الموت قدامه»

(المناقب: ٥٤/٣). وسماه المشركون: الموت الأحمر. (المناقب: ٤٣/٣، والبحار: ٦٢/٣٥).

وسماه الطلقاء والمنافقون: قتَّال العرب ، فعندما حاصر عمر بن سعد الحسين في كربلاء حمل عليهم الحسين عليه السلام عدة حملات وكانوا ثلاثين ألفاً ، فقال لهم عمر بن سعد: « الويل لكم أتدرون من تبارزون ! هذا ابن الأنزع البطين ، هذا ابن قتَّال العرب فاحملوا عليه من كل جانب ». (المناقب: ٢٥٨/٣).

وسموه: قاتل الأحبة ، ففي جواهر الكلام: ٣٣١/٢١ ، أن أمير المؤمنين عليه السلام لما زار عائشة بعد معركة الجمل:«انتهى إلى دار عظيمة فاستفتح ففتح له ، فإذا هو بنساء يبكين بفناء الدار ، فلما نظرن إليه صحن صيحة واحدة وقلن: هذا قاتل الأحبة ، فلم يقل لهن شيئاً وسأل عن حجرة عائشة ففتح له بابها ، وسمع بينهما كلام شبيه بالمعاذير لا والله وبلى والله ، ثم خرج فنظر إلى امرأة أدماء طويلة ، فقال لها يا صفية فأتته مسرعة ، فقال ألا تبعدين هؤلاء الكلبات يزعمن أني قاتل الأحبة ! ولو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة ومن في هذه ، وأومأ إلى ثلاث حجر ، فذهبت إليهن وقالت لهن فما بقيت في الدار صائحة إلا سكتت ولا قائمة إلا قعدت !

قال الأصبغ وكان في إحدى الحجر عائشة ومن معها من خاصتها ، وفي الأخرى مروان بن الحكم وشباب من قريش ، وفي الأخرى عبد الله بن الزبير وأهله ! فقيل للأصبغ: فهلا بسطتم أيديكم على هؤلاء فقتلتموهم ، أليس هؤلاء كانوا أصحاب القرحة فلمَ استبقيتموهم ؟! قال: قد ضربنا والله بأيدينا إلى قوائم سيوفنا ، وأحددنا أبصارنا نحوه لكي يأمرنا فيهم بأمر ، فما فعل وأوسعهم عفواً ». والإختصاص/٣٠٣.

٩- *تحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن بدر في عدة مناسبات ، واعتبرها أحد امتحاناته*

الربانية السبعة التي وفقه الله للفوز فيها ، فقد قال له حبر يهودي إن كتبنا تقول إن وصي هذا النبي يمتحن امتحانات في حياته وبعد وفاته ، فأخبرني كم هذه الإمتحانات وما هي؟ فأجابه عليه السلام: « وأما الثالثة يا أخا اليهود ، فإن ابني ربيعة وابن عتبة كانوا فرسان قريش ، دَعوا إلى البراز يوم بدر فلم يبرز لهم خلق من قريش ، فأنهضني رسول الله صلى الله عليه وآله مع صاحبيَّ رضي الله عنهما وقد فعل ، وأنا أحدث أصحابي سناً وأقلهم للحرب تجربة ، فقتل الله عز وجل بيدي وليداً وشيبة ، سوى من قتلت من جحاجحة قريش في ذلك اليوم ، وسوى من أسرت ، وكان مني أكثر مما كان من أصحابي. واستشهد ابن عمي في ذلك رحمه الله ». (الخصال/٣٦٧).

وذكر عليه السلام بدراً ، رداً على قولهم إنهم بايعوا أبا بكر يوم السقيفة خوفاً على الإسلام فقال عليه السلام: « ما لنا ولقريش؟ وما تنكر منا قريش غير أنا أهل بيت شيَّد الله فوق بنيانهم بنياننا ، وأعلى الله فوق رؤوسهم رؤوسنا ، واختارنا الله عليهم فنقموا عليه أن اختارنا عليهم ! وسخطوا ما رضي الله وأحبوا ما كره الله ! فلما اختارنا عليهم شركناهم في حريمنا وعرفناهم الكتاب والسنة ، وعلمناهم الفرايض والسنن وحفظناهم الصدق واللين ، وديَّناهم الدين والإسلام ، فوثبوا علينا وجحدوا فضلنا ومنعونا حقنا ، وألتونا أسباب أعمالنا !

اللهم فإني أستعديك على قريش فخُذ لي بحقي منها ، ولاتدع مظلمتي لها ، وطالبهم يا رب بحقي ، فإنك الحكم العدل...

يا معشر المهاجرين والأنصار: أين كانت سبقة تيم وعديٍّ إلى سقيفة بني ساعدة خوف الفتنة ؟ ألا كانت يوم الأبواء إذ تكاتفت الصفوف وتكاثرت الحتوف وتقارعت السيوف؟ أم هلا خشيا فتنة الإسلام يوم ابن عبد وُدّ ، وقد نفح بسيفه وشمخ بأنفه وطمح بطرفه؟!

وهلا كانت مبادرتهما يوم بدر إذ الأرواح في الصَّعْداء ترتقي ، والجياد بالصناديد ترتدي ، والأرض من دماء الأبطال ترتوي؟...

ثم عدَّد عليه السلام وقايع النبي صلى الله عليه وآله وقرَّعهما بأنهما في كل هذه المواقف كانا مع النظارة ! ثم قال: ما هذه الدهماء والدهياء التي وردت علينا من قريش؟! أنا صاحب هذه المشاهد وأبو هذه المواقف ، وابن هذه الأفعال الحميدة...». (مناقب آل أبي طالب: ٤٦/٢، والعدد القوية/١٩٦، وبحار الأنوار: ٥٦٥/٢٩).

وذكر عليه السلام بدراً ، في رسالة الى معاوية: «فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا ، وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل ، ومنعونا العذب ، وأحلسونا الخوف ، واضطرونا إلى جبل وعر ، وأوقدوا لنا نار الحرب ، فعزم الله لنا على الذب عن حوزته ، والرمي من وراء حرمته ، مؤمننا يبغي بذلك الأجر ، وكافرنا يحامي عن الأصل. ومن أسلم من قريش خلوٌ مما نحن فيه ، بحلف يمنعه ، أو عشيرة تقوم دونه ، فهو من القتل بمكان آمن . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا احمر البأس وأحجم الناس قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة ! فقتل عبيدة بن

الحارث يوم بدر وقتل حمزة يوم أحد وقتل جعفر يوم مؤتة. وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عجلت ومنيته أجلت.

فيا عجباً للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها، إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله على كل حال». (نهج البلاغة: ٨/٣).

وفي رسالة له عليه السلام الى معاوية: «وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً واخرج إليَّ وأعف الفريقين من القتال، ليعلم أينا المرين على قلبه والمغطى على بصره! فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي، ما استبدلت ديناً ولا استحدثت نبياً. وإني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين». (نهج البلاغة: ٨/١١).

وفي رسالة له عليه السلام الى معاوية أيضاً: «فأنا ابن عبد المطلب صاحب ذلك السيف، وإن قائمه لفي يدي، وقد علمتَ من قتلتُ من صناديد بني عبد شمس، وفراعنة بني سهم وجمح وبني مخزوم، وأيتمت أبناءهم وأيمت نساءهم، وأذكرك ما لست له ناسياً يوم قتلت أخاك حنظلة وجررت برجله إلى القليب، وأسرت أخاك عمراً فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً وطلبتك ففررت ولك حصاص» (نهج السعادة: ٢١٣/٤. والحصاص: ركض الشيطان إذا سمع الأذان، وركض الكلب إذا اشتد عدوه وهو يمصع بذنبه - نهاية ابن الأثير: ٣٩٦/١).

٧- النظرة الخيالية الى عامة الصحابة البدريين

كانت معركة بدر معجزة ربانية ، وسر إعجازها النبي صلى الله عليه وآله والملائكة ، وبطولة علي عليه السلام وبني هاشم . وقد سرقت السلطة القرشية ذلك وأعطته لكل الصحابة وجعلتهم جميعاً كالملائكة: أبطالاً أخياراً أبراراً من أهل الجنة !

ويكفي جواباً على كذبهم: سورة الأنفال التي نزلت خصيصاً في بدر ، وكشفت سقوط صحابة بدريين خرجوا من المدينة على كره كأنهم يساقون الى الموت !

ومنهم من أراد من النبي صلى الله عليه وآله أن يرجع ولايقاتل قريشاً ، بنص رواة (الخلافة) !

ومنهم من كان يلحُّ على النبي صلى الله عليه وآله في مكة أن يقاتل قريشاً فيقول له النبي صلى الله عليه وآله كف يدك واصبر ، فلما كتب عليه القتال في بدر اعترض على ربه لماذا كتب عليه القتال ، ونكص عن مبارزة الفرسان ، وتلطى خلف المسلمين جبناً وحباً للحياة ! فتعجب منهم الله تعالى ووبخهم بقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً..

ومنهم: من اختلفوا على الغنائم ، واتهموا بعضهم البعض طمعاً بدراهم معدودات أو بفرس أو بعير ، أو ثوب قماش ، أو كيس شعير !

ومنهم: من أعماه الطمع وأفقده دينه فاتهم نبيه صلى الله عليه وآله بأنه سرق قطيفةً أو عباءة ! فذبهم الله تعالى بقوله: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ !

ونورد في العناوين التالية بعض الحقائق عن مواقف بعض الصحابة في بدر:

٨- المنافقون تحمسوا للقتال في مكة ونكصوا في بدر!

قال الله عزَّ وجل: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً. (النساء: ٧٧).

فالآية تتحدث عن منافقين كانوا في مكة يطالبون النبي صلى الله عليه وآله بقتال المشركين، فلما كتب الله عليهم القتال بعد الهجرة، ظهر زيف إيمانهم، فهم جبناء يخافون الناس أكثر مما يخافون الله! كما ظهرت وقاحتهم مع الله تعالى فاعترضوا عليه لماذا كتب عليهم القتال الآن؟! وكشفت أسماء بعضهم رواية ابن حجر في أسباب النزول: ٩١٨/٢، والواحدي في أسباب النزول: ١١١، قال: «نزلت هذه الآية في نفر من أصحاب رسول الله (ص) منهم عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون، وسعد بن أبي وقاص، كانوا يلقون من المشركين أذى كثيراً ويقولون: يا رسول الله إئذن لنا في قتال هؤلاء، فيقول لهم: كفوا أيديكم عنهم فإني لم أومر بقتالهم، فلما هاجر رسول الله إلى المدينة، وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين، كرهه بعضهم وشق عليهم فأنزل الله تعالى هذه الآية»!

وروى الحاكم: ٦٦/٢، و٣٠٧، أنها نزلت في عبد الرحمن بن عوف وأصحاب له، وصححه على شرط بخاري، قال: «أتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة؟! فقال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا! فأنزل الله تبارك وتعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى

الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ. والنسائي: ٣/٣، و: ٣٢٥/٦، والبيهقي: ١١/٩ ، والطبري في تفسيره: ٢٣٤/٥، وروى أيضاً أنها نزلت في:«أناس من أصحاب رسول الله..كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد...فلما فرض عليهم القتال شقَّ عليهم » !

وقال الرازي في تفسيره: ١٨٤/١٠: « والأولى حمل الآية على المنافقين ، لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ، ولا شك أن من هذا كلام المنافقين.. فالمعطوف في المنافقين وجب أن يكون المعطوف عليهم فيهم أيضاً ».

وسمَّى الثعلبي (٣٤٥/٣) الأربعة ورجح أنها:« نزلت في قوم كانوا مؤمنين ، فلما فرض عليهم الجهاد نافقوا عن الجهاد من الجبن وتخلفوا عن الجهاد. ويدل عليه أن الله لايتعبد الكافر والمنافق بالشرائع ، بل يتعبدهم أولاً بالإيمان ثم بالشرائع ، فلما نافقوا نبّه الله على أحوالهم. وقد قال الله مخبراً عن المنافقين أنهم: آمنوا ثم كفروا..». وقال البغوي: ٤٥٣/١: «يخشون الناس: يعني يخشون مشركي مكة ».

وفي برهان الزركشي: ٤٢٢/١: « فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ.. هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا من القوم: الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ».

وفي تنوير المقباس من تفسير ابن عباس/٧٤:« إذا فريق منهم: طائفة منهم طلحة بن عبد الله. يخشون الناس: يخافون أهل مكة ».

وفي العجاب لابن حجر: ٩١٨/٢:«وذكر مقاتل المذكور أن من هذا الفريق طلحة بن عبيد الله ، كذا قال ، ولعله كان ممن قال ذلك أولاً ، وأما الفريق الذين قالوا: لم كتبت علينا القتال فاللائق أنهم ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه ، وطلحة كان من الراسخين» !

وقد تصدى علماء السلطة للدفاع عمن ذمهم الله بأن خوفهم طبيعي ! وقال بعضهم يستحيل أن يكون هؤلاء صحابة فكذبوا القرآن ! قال القرطبي(٢٨١/٥): «ومعاذ الله أن يصدر هذا القول من صحابي كريم يعلم أن الآجال محدودة والأرزاق مقسومة ، بل كانوا لأوامر الله ممتثلين سامعين طائعين» !

وهذه مكابرة منهم أو ردٌّ على الله تعالى ! فهؤلاء المذمومون صحابة منافقون وبدريون أيضاً ! وهم أكثر من خمسة ، وقد جبنوا في بدر وتخبؤوا خلف المقاتلين ، وطمعوا بالغنائم واتهموا البعض بالغل والسرقة ! واتهموا نبيهم صلى الله عليه وآله بأنه غلَّ قطيفة حمراء ! وتجد بقية صفاتهم في سورة الأنفال الفاضحة !

وقد خلط رواة السلطة بهم شخصاً بريئاً هو المقداد رحمه الله ! ويرد قولهم أنهم رووا أن موقفه كان بعكس ذلك تماماً ! ففي البخاري (١٨٧/٥) أن النبي صلى الله عليه وآله استشار أصحابه فقال المقداد:« يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ، ولكن إمض ونحن معك ! فكأنه سُرِّيَ عن رسول الله» . ومعنى سُرِّيَ عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله ارتاح لكلامه بعد غضبه من أهل آية: كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ، الذين خوَّفوه من قريش ، وأنها ما ذلت منذ عزت، ومن قاتلها ذل !

٩- مرضى القلوب (المكيون البدريون) !

ذكر الله تعالى« الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» في اثنتي عشرة آية ، وجعلهم قسماً مقابل المؤمنين والمنافقين والمشركين. وحذر منهم من أوائل البعثة في سورة المدثر فقال:

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً... وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً.. (المدثر: ٣١).

ثم ذكرهم في معركة بدر فقال: إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. (الأنفال: ٤٩).

ثم ذكرهم في معركة الأحزاب: هُنَالِكَ ابْتُلِي الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً.(الأحزاب: ١١-١٢).

وقد دلس أتباع السلطة فجعلوهم قسماً من المنافقين مع أنهم هنا قسم مقابل لهم ! ثم جعلوا المنافقين كلهم من المدينة وقالوا ليس في القرشيين منافق ! لكنهم اصطدموا بالآية ٣١ من سورة المدثر المكية ، التي تحدثت عن مرضى القلوب ، فهم موجودون في مكة قبل الهجرة إذن ، لكن أتباع السلطة القرشية يكابرون !

قال في الكشاف:١٨٤/٤:«فإن قلت: كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون ، والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق ، وإنما نجم بالمدينة؟ قلت: معناه: وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة ».

وهكذا يكابرون بقولهم لم يكن بمكة نفاق ، لإبعاده عن القرشيين ! والقرآن يذكرهم في مكة ، وهم يقولون سيأتون بعد بضع عشرة سنة في المدينة !

ثم لايعترفون بأمر بديهي وهو أن سبب النفاق قد يكون الطمع كما يكون الخوف ، ويحصرونه بالخوف لإبعاده عن الصحابة القرشيين ، مع أن الطمع بموقع مع النبي صلى الله عليه وآله أكثر إغراءً ، خاصة لمعدم يسمع بأن كنوز كسرى وقيصر ستسقط في أيدي أمته ! لذلك نجد القرآن يحذر من مرضى القلوب القرشيين في مكة ثم

في بدر وأحد والأحزاب وبقية حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعده !

وتدلك صفاتهم على أنهم الطبقة السياسية من المنافقين ، وأنهم أصحاب طموح سياسي مفرط ، وأنهم حشريون يتدخلون في كل قضية ! بل يحددون لله تعالى ما يفعله ويقولون إن جعله زبانية جهنم تسعة عشر اشتباه ! مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً ؟!

وتراهم يسخرون من المؤمنين الذين أطاعوا النبي صلى الله عليه وآله وشجعوه على المضي الى بدر لقتال قريش: إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ !

وتراهم يعترضون على النبي صلى الله عليه وآله ويحملونه مسؤولية الهزيمة في أحُد ، لأنه لم يأخذ برأيهم في القيادة ! يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأمر مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأمر كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَالايُبْدُونَ لَكَ..يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمر شَيْءٌ مَاقُتِلْنَا هَاهُنَا. (آل عمران: ١٥٤).

ولم يتراجع فضولهم في الأحزاب ، ولا خفَّ جُبنهم ، فوصفهم الله تعالى: وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا.. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاغُرُوراً. (الأحزاب: ١٠و١٢).

وقد كشف الله تعالى عدداً من صفاتهم ، ورسم في أولها لوحة لخوفهم: وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ. طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأمر فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ. (محمد: ٢٠-٢١).

ثم أخبرهم الله بأنهم سيحكمون الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله ويفسدون ! وأنهم استحقوا أن يكونوا ملعونين مطرودين من رحمته ، لأنهم عرفوا الهدى جيداً ثم كفروا ، وأخفوا كفرهم على المسلمين ! وأخبرهم بأنهم عقدوا اتفاقية سرية مع اليهود على طاعتهم في إبعاد عترة النبي صلى الله عليه وآله عن خلافته ! فخاطبهم عز وجل: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ

تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ. أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا. إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَانَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمر وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ.(محمد: ٢٢-٢٦).

وقد أقسم الإمام الصادق عليه السلام على أن مرض قلوبهم هو عداوة أهل البيت عليهم السلام، لأن هدفهم من إسلامهم سرقة دولة النبي صلى الله عليه وآله والوصول الحكم وإبعاد عترة النبي صلى الله عليه وآله! قال عليه السلام في حديث النداء السماوي: « ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض . والمرض والله عداوتنا ». (غيبة النعماني/٢٦٧).

فمرضى القلوب من المنافقين ، لكنهم الطبقة السياسية منهم ، فهم يعشيون ذواتهم فقط ويقيسون الأمور والأشياء بالنفع والضرر المادي الشخصي ويزيدون على المنافقين بأنهم يفسرون الأمور دائماً بالمعادلات السياسية ، ويتعاملون مع النبي صلى الله عليه وآله بهذه المعادلة ما وجدوا الى ذلك سبيلاً !

وقد يصير المنافق من مجموعة مرضى القلوب ، كما في قوله تعالى عن ولاء اليهود والنصارى: فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ..(المائدة: ٥٢). وهذا قول ابن سلول (تفسير القمي: ١/١٧٠، والطبري: ٦/٣٧٦) وهو رئيس المنافقين ، لكنه أيضاً من مرضى القلوب لطموحه ومنهجه السياسي المادي !

وهذا هو السبب في وصف الله تعالى لمرض القلب بأنهم رجس ، لأن أحدهم يجعل نفسه إلهاً مقابل الله تعالى ، وقيّماً على الرسول صلى الله عليه وآله، وعلى ربه عز وجل !

وهذا عمل إرادي يستحق صاحبه عليه العقوبة ، قال تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ. (التوبة: ١٢٥).

وقد حاول رواة السلطة إبعاد هذا الرجس عن القرشيين الصحابة ، ففسروه بأناس أسلموا في مكة ثم ارتدوا وحاربوا النبي صلى الله عليه وآله وقتلوا في بدر !

قال ابن إسحاق:٢٩٠/٣:«كانوا أسلموا ورسول الله (ص) هاجر إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً ، فهم فتية مسلمون ! فمن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، ومن بني مخزوم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة ، ومن بني جمح علي بن أمية بن خلف ، ومن بني سهم العاص بن منبه بن الحجاج».

ونحوه تفسير الطبري:٢٩/١٠، عن مجاهد ، وفيه:«خرجوا مع قريش من مكة وهم على الإرتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله(ص) قالوا: غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم» !
وتفسير الصنعاني: ٢٦١/٢، ومجمع الزوائد: ٧٨/٦ ، وفتح الباري: ١٩٨/٨، وشرح النهج: ١٥٦/١٤، عن الواقدي.

وهذا التفسير مضحك ، لأن الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وآله مع قريش مشركون منهم ، فلا يوصف أحد منهم بأنه من فئة المنافقين أو من فئة الذين في قلوبهم مرض ! وهو لا يطمح أن يكون له شراكة في القيادة مع النبي صلى الله عليه وآله: هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٍ ؟!

وقد أجاد صاحب تفسير الميزان (١٠٩/٩) فقال:«وسياق الآية الظاهر في حضورهم وقولهم ذلك عند التقاء الفئتين يأبى ذلك...والذي ذكره لاينطبق على الآية البتة فالقرآن الكريم لايسمى المشركين منافقين ولا الذين في قلوبهم مرض».

١٠. (الصحابة البدريون) الذين اتهموا النبي صلى الله عليه وآله بأنه غلّ

يأخذك العجب عندما تقرأ أن الصحابة البدريين (الأبرار الأخيار) بعد انتصارهم في بدر، اختلفوا على الغنائم، وتشاجروا، وساءت أخلاقهم، واتهم بعضهم بعضاً، وبلغ بهم الأمر أن اتهموا نبيهم صلى الله عليه وآله بأنه سرق قطيفة فبرأه الله تعالى !

قال عبادة بن الصامت:« نزلت الأنفال حين تنازعنا في الغنيمة وساءت فيها أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسوله فقسمه بين المسلمين على السواء». (تاريخ الذهبي:٦٤/٢). ومن المؤكد أن هؤلاء المتشاجرين على الحطام ليسوا أبطال بدر ولا صنّاع نصرها، بل هم مرضى، وجبناء، ولا أظن أن فيهم مقاتلاً حتى من الدرجة الثانية والثالثة ! وأما الذين اتهموا النبي صلى الله عليه وآله بأنه سرق قطيفة، فلا يمكن أن يكونوا مؤمنين به ! وأما الذي سرق قطيفة وطمرها بعيداً في التراب ليأخذها فيما بعد، فهو كأي بدوي سارق، لايُعَدُّ من الصحابة المؤمنين !

وخلاصة ما حدث بعد المعركة: أن قريشاً انهزمت عند الظهر فانشغل بعض المسلمين بتعقب الفارين، وكان همُّ بعضهم أن يأخذ أسيراً ليربح فديته، مع أن النبي صلى الله عليه وآله نهاهم عن الأسر حتى يثخنوا فيهم. وقسم منهم سارع الى أخذ الغنائم،

وكانت كلها:« مئة وخمسين من الإبل وعشرة أفراس . وعند ابن الأثير: ثلاثين فرساً ، ومتاعاً ، وسلاحاً ، وأنطاعاً ، وأدماً كثيراً ». (الصحيح من السيرة: ٨٩/٥).

والمتاع:الوسائل . والأنطاع: ما يفرش . والأدم المواد الغذائية: كالجبن واللحم والسمن .

واشتكى بعضهم للنبي صلى الله عليه وآله بأن فلاناً أخذ له شيئاً أو أخذ كثيراً فلم يترك له شيئاً فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله أن يردوا جميع ما أخذوه حتى ينزل فيه أمر الله ، فردوه على مضض ، وفقدوا بعضه ، ومنه القطيفة التي اتهموه صلى الله عليه وآله بها فبرأه الله تعالى.

وساق النبي صلى الله عليه وآله الأسرى والغنائم حتى وصل الى الصفراء ، فنزلت سورة الأنفال وفيها أن الغنائم للنبي صلى الله عليه وآله خاصة فوزعها عليهم بالسوية ، وقتل هناك أحد أشرار قريش ، وساق بقية الأسرى الى المدينة .

قال الطبري:١٥٦/٢:«ثم إن رسول الله (ص) أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع فاختلف المسلمون فيه » !

وقال علي بن إبراهيم القمي:١٢٦/١:«كان سبب نزولها أنه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر قطيفة حمراء ففقدت ، فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما لنا لا نرى القطيفة ، ما أظن إلا أن رسول الله أخذها ! فأنزل الله في ذلك: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ..الخ. فجاء رجل إلى رسول الله فقال: إن فلاناً غل قطيفة فأخبأها هنالك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحفر ذلك الموضع ، فأخرج القطيفة» ! وفي شرح النهج:١٦٨/١٤، عن الواقدي أنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله أن يستغفر له فلم يفعل !

وفي الترمذي: ٢٩٧/٤، وأبي داود: ٢٤٣/٢:« فقال بعض الناس: لعل رسول الله أخذها».

وفي عدد من رواياتهم بدون لعل ا" كالطبراني الكبير: ٢٨٨/١١، وتفسير الطبـري: ٢٠٦/٤، عن ابن عباس قال: «كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا: أخذها رسول الله» !

وفي تفسير الثعـالبي:١٣٤/٢:« وقد روي أن المفقود إنمـا كـان سـيفاً ». وفـي أسـباب النزول/٨٤ ، والعجاب لابن حجر:٧٧٧/٢ ، وغيرهما:«لكن المنافقين اتهموا رسـول الله (ص) في شي من الغنيمة فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ..».

فقد اعترف أتباع السلطة بأن البدريين كان فيهم منافقون ، فلماذا لايكـون فـيهم مرضى القلوب ، وهم سادتهم ؟!

وفي أمالي الصدوق/١٦٤:«قال علقمة: فقلت للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى عظائم الأمور ، وقد ضاقت بذلك صدورنا ! فقال عليه السلام: يا علقمة، إن رضا الناس لايملك وألسنتهم لاتضبط ! فكيف تَسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسـله وحججه عليهم السلام ؟! ألم ينسبوا يوسف عليه السلام إلى أنه هم بالزنا ؟ ألم ينسبوا أيوب عليه السلام إلى أنه ابتلي بذنوبه ؟ ألم ينسبوا داود عليه السلام إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهواها؟ وأنه قدم زوجها أمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها؟ ألم ينسبوا موسى عليه السلام إلى أنـه عنين ، وآذوه حتى برأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ؟ ألم ينسبوا جميع أنبياء الله إلى أنهم سحرة طلبة الدنيا ؟ ألم ينسبوا مريم بنت عمران عليها السلام إلى أنها حملت بعيسـى من رجل نجار إسمه يوسف ؟!

ألم ينسبوا نبينا محمداً صلى الله عليه وآله إلى أنه شاعر مجنون ؟ ألم ينسبوه إلى أنه هـوي امـرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخـذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء حتى أظهره الله عز وجل على القطيفة وبرأ نبيه صلى الله عليه وآله من الخيانة ، وأنزل بذلك في كتابه: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ !

ألم ينسبوه إلى أنه ينطق عن الهوى في ابن عمه علي عليه السلام حتى كذبهم الله عز وجل فقال سبحانه: مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى..».

١١- مذاهب (الخلافة) تتعمد الغلو في أهل بدر !

قال في الصحيح من السيرة:١٣٤/٥،تحت عنوان: أهل بدر مغفور لهم:« ويذكرون أنه حينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتجهز لفتح مكة ،كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكة يحذرهم ، وأعطاه امرأة لتوصله إليهم ، فأخبر جبرئيل النبي بالأمر فأرسل علياً ونفراً معه إلى روضة خاخ ، موضع بين مكة والمدينة ، ليأخذوا الكتاب منها ، فأدركوها في ذلك المكان وفتشوا متاعها فلم يجدوا شيئاً ، فهموا بالرجوع فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذبنا ، وسل سيفه وقال لها: أخرجي الكتاب وإلا لأضربن عنقك ، فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها ! فرجعوا بالكتاب إلى النبي صلى الله عليه وآله فأرسل إلى حاطب فسأله عنه فاعترف به ، وادعى أنه إنما فعل ذلك لأنه خشيهم على أهله ، فأراد أن يتخذ عندهم يداً ، فصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وعذره ، لكن عمر بن الخطاب رأى أن حاطباً خان الله ورسوله فطلب من النبي أن يضرب عنق حاطب فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أليس من أهل بدر؟ لعل الله – أو إن الله – اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم » ! قال الحلبي: وهو يفيد أن ما يقع منهم من الكبائر لا يحتاجون إلى التوبة عنه ، لأنه إذا وقع يقع مغفوراً ، وعبر فيه بالماضي مبالغة في تحققه .

وهذا كما لا يخفى بالنسبة للآخرة لا بالنسبة لأحكام الدنيا ، ومن ثم لما شرب قدامة بن مظعون الخمر في أيام عمر حُدَّ وكان بدرياً. وقال الحلبي أيضاً: وفي الخصائص الصغرى نقلاً عن شرح جمع الجوامع أن الصحابة كلهم لا يفسقون بارتكاب مايفسق به غيرهم». ورووا عنه صلى الله عليه وآله قوله: لن يدخل النار أحد شهد بدراً.

ونقول: إذا كان شرب البدري للخمر لا يضر ولا يحتاجون للتوبة من الكبائر ، فليكن الزنا حتى بالمحارم غير مضر لهم أيضاً ! وكذلك تركهم الصلاة وسائر الواجبات وغيرها ! وليكن أيضاً قتل النفوس كذلك ، ولقد قتلوا عشرات الألوف في وقعتي الجمل وصفين ، وقتلوا العشرات سراً وجهراً غيلة وصبراً ! فإن ذلك كله لايضر ولا يوجب لهم فسقاً ولا عقاباً » ! انتهى.

أقول: ركز النبي صلى الله عليه وآله مكانة عترته الطاهرين عليهم السلام طوال حياته ، وجعلهم وصيته المؤكدة لأمته فقال:« إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فقامت قريش بعزلهم واضطهادهم ، ورفعت مقابلهم الصحابة وزعمت أنهم كلهم عدول ، بل ادعت لبعضهم العصمة وفضلته على النبي صلى الله عليه وآله بأساليب ملتوية !

فكل ما تراه من مبالغة في الصحابة وغلو فيهم ، وفضائل مكذوبة لهم ، إنما هو من أعمال السلطة القرشية لجعلهم وجوداً مقابل النبي صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين عليهم السلام. ومن ذلك غلوهم في أهل معركة بدر حيث جعلوهم صانعي تاريخ الإسلام مع أنهم كانوا عالةً على المسلمين مستظلين بخلفهم ، حتى إذا انتصروا تصدروا كأنهم أبطال النصر !

راجع كتاب: نظرية عدالة الصحابة ، للمحامي الأردني ، فهو خير ما كتب في الموضوع .

١٢- التعجب من أغلاط العامة في الصحابة !

قال أبو الفتح الكراجكي رحمه الله في كتابه: التعجب من أغلاط العامة/٨٣: «الفصل الحادي عشر في أغلاطهم في الصحابة: ومن عجيب أمرهم غلوهم في تفخيم الصحابة وإفراطهم في تعظيمهم، وقولهم لا يدخل الجنة مستنقص لأحد منهم، وليس بمسلم من روى قبيحاً عنهم! ويقولون إنا لا نعرف لأحد منهم بعد إسلامه عيباً، وليس منهم من واقع ذنباً، ويجعلون من خالفهم في هذا زنديقاً، ومن ناظرهم فيه أو طلب الحجة منهم عليه مبتدعاً شريراً.

هذا ولهم في الرسل المصطفين والأنبياء المفضلين، الذين احتج الله تعالى بهم على العالمين صلوات الله عليهم أجمعين، أقوال تقشعر منها الجلود، وترتعد لها القلوب، ولا تثبت عند سماعها النفوس، يتدينون بذكرها، ويتحملون بنشرها، ويغتاظون على من أنكرها ودحضها، كغيظهم على من أضاف إلى أحد الصحابة بعضها، فينسبون آدم وحواء إلى الشرك، وإبراهيم الخليل إلى الإفك والشك، ويوسف إلى ارتكاب المحظور والجلوس من زليخا مجلس الفجور، وموسى إلى أنه قتل نفساً ظلماً، وداود إلى أنه عشق امرأة أوريا وحمله عشقها إلى أن قتل زوجها وتزوجها، ويونس إلى أنه غضب على الله تعالى.

ويقولون في سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله في تزويجه بامرأة زيد بن حارثة، وفي غير ذلك من الأقوال القبيحة المفتعلة ما لا ينطلق لمؤمن بذكره لسان، ولا يثبت لمسلم عند سماعه جنان، ولا يطلقه عاقل، ولا يجيزه منه

إلا كافر جاهل ! فإذا قيل لهم إن جميع الأخبار الواردة في ذلك باطلة ، وسائر الآيات التي تظنون أنها تقتضيه متأولة ، وقد شهدت العقول بعصمة الأنبياء عليهم السلام ودل القرآن على فضلهم وتميزهم عن الأنام ، فوجب أن تتأول الأقوال بما يوافق مقتضى الإستدلال.. قالوا إذا سمعوا هذا الكلام هذا ضلال وترفض ، وهو فتح باب التزندق !

فياليت شعري كيف صار الهتف بالأنبياء بالباطل إسلاماً وستراً ، والطعن على بعض الصحابة بالحق ضلالاً وكفراً ؟!

وكيف صار القادح في الأفاضل المصطفين ثبتاً صديقاً ومن قدح في أحد قوم غير معصومين رافضياً زنديقاً؟!

ألم يسمعوا قول الله تعالى في أنبيائه صلوات الله عليهم: وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ، وقوله سبحانه وتعالى لأصحاب نبيه صلى الله عليه وآله: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.. وقول النبي صلى الله عليه وآله: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن يفارقني ! فأي نسبة بين الطبقتين ، وأي تقارب بين القبيلتين ، لولا ما مع خصومنا من العصبية التي حرمتهم حسن التوفيق.

وقد قال بعض المعتزلة لأحد الشيعة: إن أمركم معشر الشيعة لعجيب ، ورأيكم طريف غير مصيب ، لأنكم أقدمتم على وجوه الصحابة الأخيار ، وعيون الأتقياء الأبرار ، الذين سبقوا إلى الإسلام واختصوا بصحبة الرسول وشاهدوا المعجزات ، وقطعت أعذارهم الآيات ، وصدقوا بالوحي ، وانقادوا إلى الأمر والنهي ،

وجاهدوا المشركين ، ونصروا رسول رب العالمين ، ووجب أن يحسن بهم الظنون ، ويعتقد فيهم الإعتقاد الجميل ، فزعمتم أنهم خالفوا الرسول ، وعاندوا أهله من بعده ، واجتمعوا على غصب حق الإمام ، وإقامة الفتنة في الأنام ، واستأثروا بالخلافة ، وسارعوا إلى الترأس على الكافة ، وهذا مما تنكره العقول وتشهد أنه مستحيل ، فالتعجب منكم طويل !

فأجابه: أما المؤمنون من الصحابة الأخيار ، والعيون من الأتقياء الأطهار ، فمن هذه الأمور مبرؤون ، ونحن عن ذمهم متنزهون ، وأما من سواهم ممن ظهر زللهم وخطؤهم ، فإن الذم متوجه إليهم ، وقبيح فعلهم طرق القول عليهم ، ولو تأملت حال هؤلاء الأصحاب لعلمت أنك نفيت عنهم خطأ قد فعلوا أمثاله ، ونزهتهم عن خلاف قد ارتكبوا أضعافه ، وتحققت أنك وضعت تعجبك في غير موضعه ، وأوقعت استطرافك في ضد موقعه ، فاحتشمت من خصمك ، ورددت التعجب إلى نفسك.

وهؤلاء القوم الذين فضلتهم وعظمتهم ، وأحسنت ظنك بهم ونزهتهم ، هم الذين دحرجوا الدباب ليلة العقبة بين رجلي ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله طلباً لقتله.

وهم الذين كانوا يضحكون خلفه إذا صلى بهم ويتركون الصلاة معه وينصرفون إلى تجاراتهم ولهوهم حتى نزل القرآن يهتف بهم.

وهم الذين جادلوا في خروجه إلى بدر وكرهوا رأيه في الجهاد ، واعتقدوا أنه فيما دبره على غير الصواب ، ونزل فيهم: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ

فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. (الأنفال: ٥-٦).

وهم الذين كانوا يلتمسون من النبي ﷺ بمكة القتال وينازلونه في الجهاد ، ويرون أن الصواب خلاف ما تعبدوا به في تلك الحال من الكف والإمساك ، فلما حصلوا في المدينة وتكاثر معهم الناس ، ونزل عليهم فرض الجهاد وأمروا بالقتال كرهوا ذلك وطلبوا التأخير من زمان إلى زمان ، ونزل فيهم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ..(النساء: ٧٧) !

وهم الذين أظهروا الأمانة والطاعة وأضمروا الخيانة والمعصية ، حتى نزل فيهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. (الأنفال: ٢٧).

وهم الذين كفوا عن الإثخان في القتل يوم بدر وطمعوا في الغنائم ، حتى نزل فيهم: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

وهم الذين شكوا يوم الخندق في وعيد الله ورسوله ﷺ وخبثت نياتهم ، فظنوا أن الأمر بخلاف ما أخبرهم به النبي ﷺ ، إذ نزل فيهم: إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ

ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً.

وهم الذين نكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ونقضوا ما عقده عليهم في بيعته تحت الشجرة ، وأنفذهم إلى قتال خيبر فولوا الدبر ونزل فيهم: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُولاً.

وهم الذين انهزموا يوم حنين وأسلموا النبي صلى الله عليه وآله للأعداء ، ولم يبق معه إلا أمير المؤمنين عليه السلام وتسعة من بني هاشم ، ونزل فيهم: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرض بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. وأمثال ذلك مما يطول بشروحه الذكر !

وهم الذين قال الله تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ..

وهم الذين قال لهم النبي صلى الله عليه وآله: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبّ لاتبعتموه ! قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذاً ؟وهم الذين قال لهم: ألا لأعرفنكم ترتدون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

وهم الذين قال لهم: إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة ، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم !

وهم الذين قال لهم: بينما أنا على الحوض إذ مُرَّ بكم زمراً فتفرق بكم الطرق

فأناديكم: ألا هلموا إلى الطريق ، فينادي مناد من ورائي: إنهم بدلوا بعدك ، فأقول: ألا سحقاً ألا سحقاً. وهم الذين قال لهم عند وفاته: جهزوا جيش أسامة ، ولعن من تخلف عنه ، فلم يفعلوا.

وهم الذين قال صلى الله عليه وآله لهم: إئتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي فلم يفعلوا وقال أحدهم: دعوه فإنه يهجر ! ولم ينكر الباقون عليه !

هذا مع إظهارهم الإسلام واختصاصهم بصحبة النبي صلى الله عليه وآله ورؤيتهم الآيات ، وقطع أعذارهم بالمعجزات !

فانظر الآن أينا أحق بأن يتعجب ، وأولانا بأن يتعجب منه: من أضاف إلى هؤلاء الأصحاب ما يليق بأفعالهم ، ومن جعلهم فوق منازل الأنبياء عليهم السلام ، وهذه أحوالهم» ؟!

١٣- ماذا قال الشيخان عندما استشارهم النبي صلى الله عليه وآله بشأن بدر؟

وصف الله تعالى خوف كثير من الصحابة وانهيارهم عندما أمرهم النبي صلى الله عليه وآله بالتوجه معه لاعتراض قافلة قريش ! فقال عز وجل: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. (الأنفال: ٥-٦).

ورغم أن النبي صلى الله عليه وآله أخبرهم أن الله تعالى وعده إحدى الطائفتين ، إما العير وإما النفير ! فعندما أفلتت منهم القافلة وبلغهم أن قريشاً جاءت لحربهم ، استشارهم وأكد لهم وعد ربه بإحدى الطائفتين ، قال مسلم في صحيحه:١٧٠/٥: « شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان ، قال فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ». ولم

يبين لماذا أعرض عنه ! وفي الدر المنثور: ١٦٥/٣: « فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ، إنها قريش وعزها ! والله ما ذلت منذ عزت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لتقاتلنك ، فتأهب لذلك أهبته واعدد له عدته». وعيون الأثر: ٣٢٧/١، والنهاية: ٣٢١/٣.

لكنهم حذفوا الفقرة الحساسة وهي قوله للنبي صلى الله عليه وآله:«ولم تخرج على هيئة الحرب»! أي إرجع ولا تقاتل قريشاً لأنك لم تستعد ! أو حرفوها وجعلوها: والله لتقاتلنك فتأهب لذلك واعدد له عدته ! أو نسبوها الى شخص مجهول ! لكن موقفهما واضح وهو التحذير من مواجهة قريش والنهي عنه !

قال في الكشاف: ١٤٣/٢، وتخريج الأحاديث: ١١/٢، والسيرة الحلبية: ٣٨٥/٢ ، وغيرها: «فاستشار النبي (ص) أصحابه وقال: ما تقولون؟ إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول ، فالعير أحب إليكم أم النفير؟ قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدو ! فتغير وجه رسول الله (ص): ثم ردد عليهم فقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل! فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو» !

فهؤلاء الذين أجابوا النبي صلى الله عليه وآله بهذا الكلام المنافق ، هم الذين: يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ؟

وكمثال لتعصب علماء السلطة وتغطيتهم على فلان وفلان: أن ابن حزم الذي حكم بأن أصحاب هذه الآية فساق ! قال في الأحكام:٣٠٨/٦: « وكذلك من قلد في فتيا أو نحلة وقامت عليه الحجة ، فعندنا فهو فاسق مردود الشهادة.. قال الله تعالى: يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. فذم عزوجل من عاند بعد أن تبين له الحق». انتهى.

لكن مَن هم هؤلاء الفساق الذين جادلوا الحق ! لقد ذابوا كالملح وذاب جواب أبي بكر وعمر ، وصار: قالا وأحسنا ، وكان الله يحب المحسنين !

وفي مناقب آل أبي طالب:١٦٢/١:« شاور النبي صلى الله عليه وآله أصحابه في لقائهم أو الرجوع؟ فقال أبو بكر وعمر كلاماً فأجلسهما ! ثم قال المقداد وسعد بن معاذ كلاماً فدعا لهما وسُرَّ ، ونزل: سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ».

وفي تفسير القمي:١٥٨/١، وتفسير أبي حمزة الثمالي/١٨٠ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بنفير المشركين من مكة ، فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير ، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها ، ما آمنت منذ كفرت ، ولا ذلت منذ عزت ، ولم تخرج على هيئة الحرب ! فقال صلى الله عليه وآله: أجلس فجلس. ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك ! فقال صلى الله عليه وآله: أجلس فجلس. ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقنا ، وشهدنا أن ما جئت به حق ، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك ، والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ. ولكنا نقول: إمض لأمر ربك فإنا معك مقاتلون ! فجزَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله خيراً على قوله ذاك.

ثم قال صلى الله عليه وآله: أشيروا عليَّ أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار لأن أكثر الناس منهم ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا ، ثم أنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا. فكان صلى الله عليه وآله يتخوف أن لا يكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدو.. فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا؟ فقال: نعم .

قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله ، فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت ، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ، ولعل الله عز وجل أن يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله !

ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: سيروا على بركة الله ، فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده ، والله لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وفلان وفلان ، وأمر رسول الله بالرحيل وخرج إلى بدر». والبحار:٣١١/١٩، و:٦٦/٩٠، عن تفسير النعماني .

١٤- افتراؤهم على النبي صلى الله عليه وآله بأنه أخطأ وأصاب عمر !

بحثنا في كتاب: ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام: ٣٥٥/٢، قصة أسرى بدر التي زعم عمر أنه أصاب فيها وأن النبي صلى الله عليه وآله أخطأ !

وخلاصتها: أن آيات الأنفال صريحة في أن عمله صلى الله عليه وآله كان بتوجيه ربه عز وجل، لاحظ قوله تعالى: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ. (الأنفال: ٥-٨).

ولم يدَّعِ أحدٌ يومها ولا بعدها أن النبي صلى الله عليه وآله أخطأ في الحرب ، أو في أخذ أسرى أو في إطلاقهم مقابل فدية !

لكن عمر ادعى في خلافته أنه نهى النبيﷺعن أخذ الأسرى القرشيين ، ونهاه عن أخذ الفدية منهم فلم يطعه ، فعاقبه الله في معركة أحد فانهزم جيشه وقتل منهم سبعون ، وأصيب هوﷺ ! فنزلت آيات توبخه والمسلمين على ذنبهم في بدر ، وتؤيد رأي عمر !

قال في مجمع الزوائد: ١١٥/٦: « عن عمر بن الخطاب قال: فلما كان عام أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون ، وفرَّ أصحاب رسول الله عن النبي ، فكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وأنزل الله عز وجل: أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَمِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، بأخذكم الفداء »!

وهذا الحديث الصحيح عندهم ظالم وباطلٌ: أولاً: لأن التوبيخ في الآية ليس للنبيﷺبل للذين أرادوا غنيمة القافلة وخافوا من القتال ، ومنهم أبو بكر وعمر !

ففي مسلم:١٧٠/٥:«أن رسول الله شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان ، قال فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه».

فقولهم إن النبيﷺأعرض عنهما وفي رواية تغير وجهه ، ثم سروره وإشراق وجهه بموقف المقداد (بخاري: ٤/٥) يدل على أنهما خوفا النبيﷺ ! لكن رواتهم قالوا إنهما قالا فأحسنا ! (فتح الباري: ٢٢٣/٧).

وثانياً: لأن روايتهم التي جعلوها فضيلة لعمر وطعناً بالنبيﷺ، متهافتة !

ففي الدر المنثور:١٦٣/٣:« فقال: ماترون في القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟ فقلنا يا رسول الله لا والله مالنا طاقة بقتال القوم ، إنما خرجنا للعير... إلى أن قال: فقتلنا وأسرنا ، فقال عمر: يا رسول الله ما أرى أن تكون لك أسرى فإنما نحن داعون مؤلفون ، فقلنا معشر الأنصار: إنما يحمل عمر على ما قال حسده لنا ، فنام رسول الله ثم استيقظ ثم قال: أدعوا لي عمر فدعي له فقال له: إن الله قد أنزل عليَّ: ماكان لنبي أن تكون له أسرى..» وحسَّنه (الزوائد: ٧٣/٦).

وهو يدل على أن عمر وأبا بكر قالا: لا طاقة لنا بقتال قريش ، وأن عمر كان معارضاً لأخذ الأسرى تعصباً أن يأسرهم الأنصار ! ثم زعموا بعد ذلك أن عمر كان أشد على المشركين ، وأن رأيه كان أن تضرب أعناقهم !

وثالثاً: تزعم الرواية أن عمر اعترض في بدر فنزلت الآية مؤيدة لرأيه ، لأن بدراً لم تكن إثخاناً كافياً يحلل أخذ الأسرى ! فدعا النبي صلى الله عليه وآله عمر فقرأها له وأقرَّ أن عمر أصاب وأنه صلى الله عليه وآله قد أخطأ وبكى على ذنبه ! ومع ذلك خالف صلى الله عليه وآله أمر ربه وأخذ الأسرى وساقهم إلى المدينة ! ثم عصى ربه ثانية فأخذ منهم الفداء !

وروى ذلك أحمد: ٣٠/١ ، برواية طويلة عن عمر يحكي فيها منقبته ، قال: « فأخذ منهم الفداء فلما أن كان من الغد قال عمر: غدوتُ إلى النبي فإذا هو قاعد وأبو بكر وإذا هما يبكيان ! فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك.. فقال النبي: الذي عرض عليَّ أصحابك من الفداء ! لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة ! وأنزل الله عز وجل: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى

حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض.. فلما كان يوم أحُد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ! فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي عن النبي وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ! وأنزل الله تعالى: أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا...بأخذكم الفداء» ! ومسلم: ٣/١٥٨ و١٧٠ ، ومجمع الزوائد: ٦/١١٣ و ١١٥ و ١١٨ ، وأحمد: ١/٣٢ ، ونحوه سنن أبي داود: ١/٦٠٨.

فقد زعم عمر أن رأيه كان قتل الأسرى ونزل الوحي موافقاً له ، لكن النبي ﷺ عصى ولم يقتلهم ! وزعم أن النبي ﷺ أخذ الفداء في اليوم الثاني للمعركة فنزلت الآية توبخه ، فقعد هو وأبو بكر يبكيان على ذنبهما ! ومع ذلك عاد بالأسرى إلى المدينة وأخذ الفداء ! فمن يصدق أن الله تعالى ناقض نفسه فأحل لهم الغنائم والأسرى وعفا عنهم ، ثم عاقبهم في أحُد !

ومن يصدق أن النبي ﷺ نزل عليه التوبيخ وبكى على ذنبه ، ثم أصر عليه؟!

١٥- أكذوبة: لو نزل العذاب مانجا منه إلا ابن الخطاب !

أرادوا مدح عمر بن الخطاب فوضعوا حديثاً يقول:« لو نزل العذاب لما نجا منه إلا ابن الخطاب » ! ومعناه أن الجميع بمن فيهم النبي ﷺ كانوا في معرض العذاب الإلهي لأخذهم أسرى بدر وفدائهم ، إلا عمر !

ومع أنهم اعترفوا بأنه حديث مكذوب ، إلا أن علماءهم كانوا وما زالوا يستشهدون به ويصححونه عملياً ! فهو كحديث:«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم

اهتديتم» ينصون على أنه موضوع مكذوب ، لكنهم يستشهدون به في العقائد والفقه والتفسير وخطب المساجد !

قال السيوطي في الدر المنثور:٢٠٢/٣:« عن ابن عمر قال... فأخذ رسول الله بقول أبي بكر ففاداهم رسول الله ، فأنزل الله: لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فقال رسول الله: إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما أفلت إلا عمر ». وقال السرخسي في المبسوط: ١٣٩/١٠: « قال (ص): لو نزل العذاب ما نجا منه إلا عمر ، فإنه كان أشار بقتلهم » !

وقال الغزالي في المستصفى/١٧٠: «حيث نزلت الآية على وفق رأي عمر: لو نزل بلاء من السماء ما نجا منه إلا عمر».

وفي تفسير ابن الجوزي: ٢٥٨/٣: «فلقي النبي عمر فقال: كاد يصيبنا في خلافك بلاء».

وقال الكاشاني في بدائع الصنائع: ١١٩/٧: « وأشار سيدنا عمر إلى القتل ، فقال رسول الله: لو جاءت من السماء نار ما نجا إلا عمر» !

وقال الجصاص في أحكام القرآن: ٩٤/٣:«يستحيل أن يكون الوعيد في قول قاله رسول الله (ص) لأنه: مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ، ومن الناس من يجيز ذلك على النبي(ص) من طريق اجتهاد الرأي ! ويجوز أيضاً أن يكون النبي أباح لهم أخذ الفداء وكان ذلك معصية صغيرة ! فعاتبه الله والمسلمين عليها » !

وحاول القرطبي في تفسيره: ٤٥/٨ ، أن يبعد التوبيخ عن النبي صلى الله عليه وآله فجعله على الذين أشاروا عليه ، ثم جعله على الذين باشروا الحرب ! ثم جعله على النبي صلى الله عليه وآله! واعتذر عنه بأنه انشغل عن الإثخان بالحرب وعن قتل الأسرى !

فانظر إلى هذا التناقض والتخبط من أجل تفضيل عمر حتى على النبي صلى الله عليه وآله!

وأصل القضية في أسرى بدر: هي تعصب عمر ضد الأنصار ، لأنهم أخذوا زعماء قريش أسرى في بدر ، ثم أطلقوهم بفدية وكانوا يَمُنُّون بذلك عليهم ! فاضطغن ذلك القرشيون عليهم ومنهم عمر ، وحملوا مسؤوليته للنبي صلى الله عليه وآله !

ولم أجد من وافقنا من علمائهم في تبرئة النبي صلى الله عليه وآله، إلا قلة كالفخر الرازي ، قال في المحصول:١٥/٦:« إذا جوزنا له (ص) الإجتهاد فالحق عندنا أنه لا يجوز أن يخطئ ، وقال قوم: يجوز بشرط أن لايقر عليه . لنا: أنا مأمورون باتباعه في الحكم لقوله تعالى: فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم.. فلو جاز عليه الخطأ لكنا مأمورين بالخطأ ، وذلك ينافي كونه خطأ .

واحتج المخالف بقوله تعالى: عفا الله عنك لم أذنت لهم.. وقال تعالى: في أسارى بدر: لولا كتاب من الله سبق... فقال عليه الصلاة والسلام: لو نزل عذاب من الله لما نجا إلا ابن الخطاب ، وهذا يدل على أنه أخطأ في أخذ الفداء... والجواب عن هذه الوجوه في الكتاب الذي صنفناه في عصمة الأنبياء عليهم السلام». انتهى.

ثم ، إن عمر زعم أن العذاب نزل على النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين في أحُد ، لأخذهم الفداء من قريش في بدر فهل نجا منه هو ، وقد وصف نفسه فقال:« لما كان يوم أحد هزمناهم ، ففررت حتى صعدت الجبل ، فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى(عنزة جبلية) والناس يقولون قتل محمد» !

ألا يكفيه عذاباً أنه شمله قوله تعالى: وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. (الأنفال: ١٦).

ولعل عفو مشركي قريش عن عمر عندما هرب يوم أحد ، كان بسبب تعصبه لهم ضد الأنصار ! فقد رووا أنهم قرروا عدم قتله ! ففي ابن هشام: ٢٨٢/٢ ، والدر المنثور: ٨٨/٢: « وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب (وليس أخاه) يوم أُحُد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: أنج يا ابن الخطاب. لا أقتلك » !

١٦- أكذوبة حراسة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وآله في العريش

رأى أتباع أبي بكر وعمر أن موقفهما في طريق بدر كان سلبياً ، فأرادوا جبرانه فاخترعوا لأبي بكر دوراً في العريش أي في الخيمة مع النبي صلى الله عليه وآله ، وزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله استبقاه ليستشيره في إدارة المعركة !

قال ابن هشام: ٤٥٧/٢: « ثم عدَّل رسول الله (ص) الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره ».

يقصد بذلك أن أبا بكر لم يقاتل لأنه كان يحرس النبي صلى الله عليه وآله ، لكنهم رووا أن ابن سعداً وجماعته كانو يحرسونه صلى الله عليه وآله: ففي سيرة ابن هشام: ٤٥٨/٢: « وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله (ص) متوشحٌ السيف ، في نفر من الأنصار ، يحرسون رسول الله (ص) يخافون عليه كرة العدو ». انتهى.

ومن الثابت أن النبي صلى الله عليه وآله قاتل في بدر قتالاً شديداً ولم يكن معه أبو بكر ولا عمر ، فأين كانا؟! قال علي عليه السلام: « لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وآله وهو

أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً » ! (مكارم الأخلاق للطبرسي/١٨). وروته مصادر السنة كمجمع الزوائد: ١٢/٩ ، بطرق وحسنه ، وابن أبي شيبة: ٥٧٨/٧ ، وتاريخ دمشق: ١٤/٤، وكنز العمال: ٣٩٧/١٠، عن عدة مصادر وقال إن الطبري صححه.

إذن لا بد من القول إن أبا بكر كان كعمر يحفظ نفسه في الصفوف الخلفية ، فقد حدَّثَ عمر عن نفسه بأنه كان في أطراف المعركة فرأى العاص بن أبي أحيحة فهابه وهرب منه ! قال لابنه سعيد بن العاص:« مالي أراك معرضاً كأني قتلت أباك؟ إني لم أقتله ولكن قتله أبو حسن ! رأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه فإذا شدقاه قد أزبدا كالوزغ فهبته وزغت عنه ! فقال: إلى أين يا ابن الخطاب ! وصمد له علي فتناوله ، فما رمت من مكاني حتى قتله ! فقال له علي: اللهم غفراً ذهب الشرك بما فيه ومحا الإسلام ما تقدم ، فما لك تهيِّج الناس عليَّ ؟ فكفَّ عمر . وقال سعيد: أما إنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب». (ابن هشام: ٤٦٤/٢، وكشف الغمة: ١٨٦/١، والصحيح من السيرة: ٦٢/٥).

ومع ذلك ادعوا أن عمر كان في العريش ! وغرضهم تفضيله وأبا بكر على علي عليه السلام الذي تحمل نصف أعباء المعركة ، وجندل بسيفه نصف قتلى بدر من طغاة قريش !

وقد أجاب علماؤنا على ذلك ، فقال الشريف المرتضى في الفصول المختارة/٣٤.

«إن المعتزلة والحشوية يدعون أن جلوس أبي بكر وعمر مع رسول الله صلى الله عليه وآله في العريش أفضل من جهاد أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف ، لأنهما كانا مع النبي في مستقره يدبران الأمر معه ، ولولا أنهما أفضل الخلق عنده لما اختصهما بالجلوس معه.. الى أن قال: فأما ما توهموه من أنه حبسهما للإستعانة برأيهما ، فقد ثبت أنه

كان كاملاً وأنهما كانا ناقصين عن كماله ، وكان معصوماً وكانا غير معصومين ، وكان مؤيداً بالملائكة وكانا غير مؤيدين ، وكان يوحى إليه وينزل القرآن عليه ولم يكونا كذلك ، فأي فقر يحصل له مع ما وصفناه إليهما» !

وقال المفيد في الإفصاح/١٩٨:«ثم يقال لهم: خبرونا عن حبس رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر وعمر عن القتال في يوم بدر لحاجة إلى مشورتهما عليه ، وتدبيرهما الأمر معه أقلتم ذلك ظناً أو حدساً ، أم قلتموه واعتمدتم فيه على اليقين؟ فإن زعموا أنهم قالوا ذلك بالظن والحدس والترجيم ، فكفاهم بذلك خزياً في مقالهم وشناعةً وقبحاً ، وإن ادعوا العلم به والحجة فيه طولبوا بوجه البرهان عليه ، وهل ذلك من وجه العقل أدركوه أم وجوه السمع والتوقيف؟! فلا يجدون شيئاً يتعلقون به من الوجهين جميعاً. ثم يقال لهم.. أما العريش فكان من رأي الأنصار بلا اختلاف ولم يكن لأبي بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين مقال .

وأما المشورة فلم تكن فيه وإنما في الأسرى بعد القتال واختلفا عند المشورة في الرأي ، وعدل رسول الله صلى الله عليه وآله إذ ذاك عن رأي عمر بن الخطاب».

وقد واصلوا الإفتخار بما اخترعه أسلافهم وزادوا عليه ! فجعل ابن تيمية أبا بكر وعمر أشجع من علي عليه السلام ! وأغمض عن فرارهما في أحد وخيبر وحنين وغيرها ! قال في منهاجه: ٨٦/٨ ، و٧٨:« فمعلوم أن الجهاد منه ما يكون بالقتال باليد ومنه مايكون بالحجة والبيان والدعوة... وأبو بكر وعمر مقدمان في أنواع الجهاد غير قتال البدن ! قال أبو محمد بن حزم: وجدناهم يحتجون بأن علياً كان أكثر الصحابة جهاداً وطعناً في الكفار وضرباً ، والجهاد أفضل الأعمال. قال: وهذا خطأ لأن

الجهاد ينقسم أقساماً ثلاثة: أحدها الدعاء إلى الله تعالى باللسان ، والثاني الجهاد عند الحرب بالرأي والتدبير ، والجهاد باليد في الطعن والضرب أقل مراتب الجهاد..!

ثم قال ابن تيمية:« وإذا كانت الشجاعة المطلوبة من الأئمة بشجاعة القلب ، فلا ريب أن أبا بكر كان أشجع من عمر وعمر أشجع من عثمان وعلي وطلحة والزبير وهذا يعرفه من يعرف سيرهم وأخبارهم ، فإن أبا بكر باشر الأهوال التي كان يباشرها النبي من أول الإسلام إلى آخره ولم يجبن ولم يحرج ولم يفشل ، وكان يقدم على المخاوف يقي النبي(ص) بنفسه يجاهد المشركين تارة بيده وتارة بلسانه وتارة بماله ، وهو في ذلك كله مقدم ! وكان يوم بدر مع النبي (ص) في العريش مع علمه بأن العدو يقصدون مكان رسول الله ، وهو ثابت القلب ربيط الجأش يظاهر النبي ويعاونه. ولما قام النبي(ص) يدعو ربه ويستغيث ويقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذا العصابة لا تعبد اللهم اللهم.. جعل أبو بكر يقول له: يا رسول الله هكذا مناشدتك ربك إنه سينجز لك ما وعدك ! وهذا يدل على كمال يقين الصديق وثقته بوعد الله وثباته وشجاعته» ! وكرره في مجموع فتاواه: ٢٥٧/٢٨ .

وقد رد علماء الشيعة المعاصرون على هذه الأكذوبة وهذر ابن تيمية وابن حزم!
راجع الغدير: ٢٠٠/٧، ومحاضرات في الإعتقادات للسيد الميلاني: ٣٢٤/١، ودراسات في منهاج السنة/٢١٤ ، والصحيح من السيرة: ٤١/٥ ، **وقد شكك في أصل وجود العريش** .

١٧- الشيخان يشربان الخمر وينوحان على قتلى بدر !

من مفارقات أتباع السلطة أنهم نسفوا ما حاولوا إثباته لأبي بكر وعمر في بدر ، فرووا أنهما شربا الخمر وغنيا بشعر ينوح على قتلى المشركين في بدر ، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وبيده سعفة أو مكنسة يريد أن يضربهما بها !

وتفاجأ بأن الحديث صحيح عندهم ، فقد رواه تمام الرازي المتوفى٤١٤ ، في كتابه الفوائد: ٢٢٨/٢، برقم: ١٥٩٣، وطبعة: ٤٨١/٣: بسنده صحيح عن عوف عن أبي القموص قال: « شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم فأخذت فيه ، فأنشأ يقول:

تَحَيَّيْ بالسلامة أمَّ بكرٍ ... وهل لك بعد رهطك من سلام
ذريني أصطبح يا بكر أني ... رأيت الموت نقَّبَ عن هشام
فودَّ بنو المغيرة أن فدوْهُ ... بألف من رجال أو سوام
فكائن بالطويِّ طويِّ بدر ... من القينات والخيل الكرام
فكائن بالطويِّ طويِّ بدر ... من الشيزى تُكلل بالسنام

فبلغ ذلك النبي(ص) فقام معه جريدة يجر إزاره حتى دخل عليه ، فلما نظر إليه قال: أعوذ من سخط الله ومن سخط رسوله، والله لا يلج لي رأساً أبداً ! فذهب عن رسول الله ما كان فيه وخرج ونزل عليه: فَهَلْ أنتمْ مُنْتَهُونَ؟! فقال عمر: انتهينا والله».

ورواه الثعلبي في تفسيره: ١٤٢/٢، دون أن يسميهما قال:«وكان قوم يشربونها ويجلسون في بيوتهم ، وكانوا يتركونها أوقات الصلاة ويشربونها في غير حين الصلاة، إلى أن شربها رجل من المسلمين فجعل ينوح على قتلى بدر ، ويقول... فبلغ ذلك رسول الله فخرج مسرعاً يجر رداءه حتى انتهى إليه ، ورفع شيئاً كان بيده (سعفة)

ليضربه، فلما عاينه الرجل قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله والله لا أطعمها أبداً ».

ورواها ابن هشام: ٥٤٩/٢ ، بأطول من هذا ، وفيها أبيات أبي بكر إنكار الآخرة قال:

«يخبرنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداءٍ وهام » !

وفي الصحيح من السيرة: ٣٠١/٥:

أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام

أيعجز أن يرد الموت عني وينشرني إذا بليت عظامي

ألا من مبلغ الرحمان عني بأني تارك شهر الصيام

فقل الله يمنعني شرابي وقل الله يمنعني طعامي»

ورواه ابن حجر في الإصابة: ٣٩/٧ ، عن الفاكهي في كتاب مكة ، أن الرجل كان أبا بكر ! وفيه: « شرب أبو بكر الخمر فأنشأ يقول: فذكر الأبيات... فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقام يجر إزاره حتى دخل فتلقاه عمر وكان مع أبي بكر ، فلما نظر إلى وجهه محمراً ، قال: نعوذ بالله من غضب رسول الله ! والله لا يلج لنا رأسا أبداً ! فكان أول من حرمها على نفسه ! واعتمد نفطويه على هذه الرواية فقال: شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم ، ورثى قتلى بدر من المشركين » !

وذكر ابن حجر في فتح الباري: ٣١/١٠ ، أن تلك الجلسة كانت حفلة خمر في بيت أبي طلحة ، وكانوا عشرة صحابة أو أكثر ، وكان ساقيهم أنس بن مالك !

ثم قال:«ولأحمد عن يحيى القطان عن حميد عن أنس: كنت أسقي أبا عبيدة وأبي بن كعب وسهيل بن بيضاء ، ونفراً من الصحابة عند أبي طلحة. ووقع عند عبد الرزاق عن معمر بن ثابت وقتادة وغيرهما عن أنس ، أن القوم كانوا أحد

عشر رجلاً ، وقد حصل من الطرق التي أوردتها تسمية سبعة منهم ، وأبهمهم في رواية سليمان التيمي عن أنس... ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان عن أنس ، أن أبا بكر وعمر كانا فيهم ! وهو منكر ، مع نظافة سنده ، وما أظنه إلا غلطاً » !

يقصد ابن حجر أن حديث شرب أبي بكر وعمر للخمر صحيح السند ، لكن معناه مستنكر ! مع أن مذهبه أنه إذا صح سند الحديث فلا قيمة لاستغراب معناه !

والأدهى من ذلك أن القصةكانت عند نزول سورة المائدة ، أي قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بشهر أو شهرين ! لأن آية: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ. (المائدة:٩١) من سورة المائدة ، وهي آخر سورة نزلت من القرآن قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله!

كما نلاحظ أن القصة انتشرت بين المسلمين وأن القصيدة كانت من نظم أبي بكر ! فاهتمت عائشة بنفي نظمه لها ، لكنها لم تنف مشاركته في الحفلة وإنشاده لها !

فقد روى بخاري في صحيحه:٢٦٣/٤ ، دفاعها فقال: «عن عائشة أن أبا بكر تزوج امرأة من كلب يقال لها أم بكر ، فلما هاجر أبو بكر طلقها فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر ، الذي قال هذه القصيدة ورثى كفار قريش:

وماذا بالقليب قليب بدر ... من الشيزى تزين بالسنام
وماذا بالقليب قليب بدر ... من القينات والشرب الكرام
تحييْ بالسلامة أم بكر ... وهل لي بعد قومي من سلام
يحدثنا الرسول بأن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام »

لكن عائشة لم تحل المشكلة ، لأنهما نفت أن أباها نظم القصيدة ولم تنف إنشاده لها ! وكأن المهم عندها نفي نظمها لأنها تثبت كفر ناظمها لأنكاره النبوة والآخرة ! أما إنشادها فهو أقل مصيبةً ! وروى ابن حجر في الإصابة: ٣٩/٧، أنها كانت غاضبة لأن الناس يومها لم يصدقوها !،كانت تدعو على من يقول إن أبا بكر الصديق قال هذه القصيدة ثم تقول: والله ما قال أبو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في الإسلام ، ولكن تزوج امرأة من بني كنانة ثم بني عوف فلما هاجر طلقها فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر ، فقال هذه القصيدة يرثي كفار قريش الذين قتلوا ببدر ، فتحامى الناس أبا بكر من أجل المرأة التي طلقها وإنما هو أبو بكر بن شعوب ».

تقصد أن أم بكر المخاطبة بالقصيدة هي زوجة أبيها لكنه طلقها عندما هاجر ، وتزوجها ابن شعوب وتسمى بأبي بكر من أجلها وهو الذي نظم القصيدة ! راجع في الموضوع: أمالي الطوسي/٧٣٧، ورواها بسبعة أبيات ، وابن هشام: ٥٤٩/٢، رواها بتسعة أبيات ، والغدير: ٢٥١/٦، و٩٦/٧ و: ٩٥/٧، وفتح الباري: ٣٠/١٠، وقد توسع في الموضوع ودافع بما يستطيع ، لكن كلامه يشي بتعجبه وتحيره ، وسيرة ابن كثير: ٥٣٥/٢ ، و مستدرك الوسائل: ٨٣/١٧ ، والسقيفة أم الفتن/٧٤ ، وفيض القدير: ١/ ١١٧ ، والإصابة: ٣٨/٧ ، والصحيح من السيرة: ٣٠١/٥ و٣٠٤، ومجمع الزوائد: ٥١/٥ ، والهداية الكبرى/١٠٦ ، وأمالي المرتضى:١٨/٢ ، والنص والإجتهاد/٣١١ ، وأحاديث الشعر للمقدسي/٥٧ ، والنهاية:٤١٢/٣ ، وتفسير الثعلبي: ١٤٢/٢ ، والإصابة: ٣٨/٧.

١٨- سورة الأنفال فضحت كثيراً من الصحابة البدريين !

اتفق الرواة على أن سورة الأنفال نزلت بعد معركة بدر ، وهي خمس وسبعون آية. وأكثر آياتها في شأن بدر ، وموقف الإسلام من قريش ، وتوجيه المسلمين في جوانب من الحرب والسلم ، وتشريع الخمس لآل النبي صلى الله عليه وآله.

قال سعيد بن جبير:« قلت لابن عباس: سورة التوبة ؟ قال: التوبة ؟ بل هي الفاضحة ! ما زالت تنزل ومنهم ومنهم.. حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها ! قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر. قلت: فالحشر ؟ قال: نزلت في بني النضير». (مسلم: ٢٤٥/٨، والدر المنثور: ١٥٨/٣، عن ابن منصور ، والبخاري ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه). وقد تقدمت بعض آيات الأنفال ، وهذا نصها مع شرح لمضمون فقراتها:

١. يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.(١).

بدأت السورة حديثها عن أكبر معركة في تاريخ الإسلام ، بذكر اختلاف المسلمين على الغنائم ! لتقول لهم أيها المسلمون إن مشكلتكم الطمع بالماديات فانتبهوا !

٢. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ: (٢-٤).

عرَّضت هذه الآيات بقسم من الصحابة البدريين ، فمدحت المؤمنين حقاً الذين لايختلفون على غنائم ، لأنهم أصحاب إيمان عميق ، ووصفتهم بأنهم ينفقون مما رزقهم الله ، لأنهم ينتظرون مغفرته ورزقه في الآخرة !

٣. كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ. (٥-٨).

ثم وبَّخهم عز وجل بتذكيرهم كيف أخرج نبيهﷺمن بيته بالحق وقسم منهم خائفون يجادلون النبيﷺبالباطل لأنه طرح عليهم احتمال الحرب وهم يريدون القافلة وليس الحرب ! وإنهم كانوا كمن يساقون الى الموت سوقاً !

٤. إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ. إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ. (٩-١٤).

ذكرت الآيات خوف المسلمين واستغاثتهم بربهم عندما واجهوا جيش قريش ، وكيف استجاب الله تعالى لهم وأمدهم بأنواع من المدد الغيبي المعنوي والمادي

منظور وغير منظور. ولم تذكر استغاثة النبي صلى الله عليه وآله لأنها لم تكن عن خوف فقد كان صلى الله عليه وآله ومعه علي عليه السلام وقلة من أصحابه على يقين من وعد الله تعالى بالنصر ، ولم يكونوا خائفين ، وضراعتهم الى الله تعالى ليست كاستغاثة البقية ! كما أن الله تعالى جعل الإستجابة لنبيه صلى الله عليه وآله استجابة لا ستغاثة المسلمين.

٥.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلامُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥-١٦).

وهذا أمرٌ مشددٌ أن لايفروا في المعركة ، وتهديدٌ وتعريض بهم ! ولم يُنقل فرار أحد منهم في بدر ، فلا بد أن يقصد من فروا من الصفوف الأمامية الى الخلفية . كما أنه تحذير من الفرار في المستقبل ، وقد حدث مراراً !

٦. فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ.إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَخَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ: (١٧-١٩) .

أخبر الله عز وجل بأنه هو طرف المعركة وهو الذي قتل المشركين ، وهو الذي رمى بيد النبي صلى الله عليه وآله ، وأنه أجرى المعركة على يد المؤمنين ليمتحنهم ويجزيهم جزاء حسناً. وخاطب الكفار ودعاهم الى التوبة ، وتوعدهم إن عادوا بالهزيمة.

٧. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا

يَعْقِلُونَ. وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. (٢٠-٢٦).

ثم أكد عز وجل على حقيقة إيمانية عملية هي طاعة المؤمنين لنبيهم ﷺ طاعة كاملة ، وفيه تعريض بالذين جادلوه بعد وضوح الأمر، خوفاً من المعركة ثم لم يطيعوه واختلفوا في الغنيمة ! وحذرهم من أن مخالفة النبي ﷺ ظلمٌ ينتج عنه فتنة لاتختص بفاعلها ، فعليهم نهيه عن المنكر. ثم ذكَّرهم عز وجل بنعمته عليهم وأنه هيأ لهم المدينة موطناً ومأمناً وقاعدة ، وأنعم عليهم بنصره ورزقه.

٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًاوَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.(٢٧-٢٩).

ثم حذرهم الله عز وجل من نوعين من الخيانة ، خيانة الله ورسوله ﷺ بمخالفة أوامره عن عمد. وخيانة أماناتهم بالتعدي على ما اؤتمن عليه المسلم من حقوق الآخرين وأموالهم . وقد حدث ذلك في بدر ، ففي الطريق خان بعضهم الله ورسوله بجدلهم النبي ﷺ متعمدين ! وفي بدر اتهموه ﷺ بأنه غلَّ وأخفى قطيفة من الغنائم فبرأه الله! وبعضهم خان الأمانة وغلَّ ! وتحدث الآية الثانية عن

نعمة الفرقان بين الخير والشر والخطأ والصواب ، كما كانت بدر فرقاناً ميزت بين المسلمين والمشركين.

٩. وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ. وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَالْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ.وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. (٣٠-٣٥).

وهذه الفقرة في تكذيب قريش للنبي صلى الله عليه وآله وتآمرهم عليه لقتله أو نفيه من مكة ! وهي تؤكد على أنهم فقدوا المنطق السليم بسبب تكبرهم ، وبلغ بهم الأمر أنهم طلبوا من الله أن يقتلهم بحجارة من السماء إن كان محمد صلى الله عليه وآله صادقاً !

وهي حالة من عبادة الذات تجعل صاحبها عدوانياً وتعميه عن الإيمان ! وحتى عن الإيمان بالكعبة التي يعيشون ببركتها ، ولذلك استحقوا العذاب الإلهي !

١٠. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ. لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ

سُنَّةُ الأَوَلِينَ. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ الله بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِير. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ الله مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. (٣٦ -٤٠).

خصص الله هذه الفقرة لنشاط القرشيين ومن وراءهم ، وإنفاقهم الأموال لعداء النبيﷺ، وأخبر أنهم سيغلبون في هذا الصراع لأنه إرادة ربانية لفرز الأخيار من الأشرار. وأنذرهم بالهزيمة إن واصلوا معاركهم مع النبيﷺ ، وأطمعهم بالعفو عما أسلفوا إن انتهوا ، وأمر المسلمين بمواصلة قتالهم حتى يخمدوا فتنتهم ويزيحوهم من طريق انتشار الإسلام .

١١. وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِالله وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ الله أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ الله لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ يُرِيكَهُمُ الله فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمر وَلَكِنَّ الله سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ الله أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأمور. (٤١-٤٤).

يقول الله بذلك للمسلمين: أيها المختلفون على الغنائم ، المتهمون لنبيهمﷺ بأنه سرق منها ! إنكم مدينون بانتصاركم لمحمدﷺوقرابته عليهم السلام، فاعلموا أن لهم خمس ما غنمتم إن كنتم مؤمنين بالله تعالى وما عاينتم من فعله ! ألا ترون أن الله

خطط ووقت وأدار المعركة ، ونصركم عليهم وحسم المعركة بالملائكة وبني هاشم ، فلولاهم لما كنتم أمة ولا دولة؟ فأدوا اليهم المالية التي خصهم الله بها !

١٢. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ. وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاتَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ. (٤٥-٤٨).

أكدت الفقرة على خمسة أحكام وقواعد في الحرب: وجوب الثبات وحرمة الفرار. وذكر الله كثيراً في الحرب. وطاعة الرسول. والمحافظة على وحدة الجبهة الداخلية وحرمة التنازع والإختلاف. وعدم الإعتداد بالنفس والبطر كحالة قريش في بدر ، التي غشها الشيطان فأساءت تقدير المعركة وانهزمت !

١٣. إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.(٤٩).

هذه الآية ذكرت المسلمين بموقف: المنافقين ، ومرضى القلوب وهم أخطر المنافقين ! فهؤلاء كانوا يتوقعون هزيمة المسلمين أمام قريش لأنها برأيهم أكثر وأقوى ، ويصفون المؤمنين بأنهم مغرورون بعقيدتهم ووعد ربهم لهم ! ومعنى الآية: واذكروا إذ يقول هذان النوعان منكم إنكم مغرورون ، فهم لضعف إيمانهم يرون التوكل على الله والإيمان بوعده غروراً ، مع أنه إيمان ويقين !

١٤. وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ. ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ. كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ. (٥٠-٥٤).

صوَّرت هذه الفقرة حالة الكفار عند الموت وفي الآخرة ، وذكرتهم بأنهم تجري عليهم سنة الله في عقوبة الكافرين المكذبين للرسل ، كآل فرعون ومن قبلهم ، الذين انطبقت عليهم قاعدة تغيير النعم وسلبها ، بسبب كفرانها وتغير أنفس أصحابها !

١٥. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لايُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لايَتَّقُونَ. فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ. وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الْخَائِنِينَ. (٥٥-٥٨).

أنذرت هذه الفقرة الفئات اليهودية والقبائل التي أبرم معها النبي صلى الله عليه وآله معاهدات تعايش وعدم اعتداء، ثم نقض بعضهم عهده وقام بأعمال عدوانية ضد المسلمين. وأمرت النبي صلى الله عليه وآله بمعالجة وضعهم والمبادرة الى حربهم إن رأى بوادر الخيانة.

١٦. وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لايُعْجِزُونَ. وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ

يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ. وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأرض جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ. الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.(٥٩-٦٦).

وفي هذه الفقرة أنذر الله تعالى الكافرين ، وأمر المسلمين بأن يعدوا العدة لحربهم ، وأن يسالموهم إن أرادوا السلم ، ولا يخافوا من مناوراتهم السياسية.

وبيَّن للمسلمين أن هذه الوحدة بينهم ، والتفافهم حول نبيهم صلى الله عليه وآله ، نعمةٌ غير عادية ، وهي من فعل الله تعالى ولطفه بهم فعليهم أن يعرفوا قيمتها ويؤدوا حقها.

وأمر النبي صلى الله عليه وآله بأن يقاتل الكفار بمن أطاعه من المؤمنين حتى لو كانوا قلة .

ثم كشف سبحانه عن تراجع في مستوى المسلمين في بدر ! فقد أراد الله تعالى أن يكون المسلم المقاتل مقابل عشرة ، لكنه بسبب ضعفهم في بدر ، جعل الواحد منهم مقابل اثنين فقط ! وقد ظهر هذا الضعف بجدلهم للنبي صلى الله عليه وآله واختلافهم في الغنائم ، وخيانة بعضهم ، وجبن آخرين .

١٧. مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. (٦٧-٧١).

وفي هذه الآية أربعة تفاسير ترتكز على معنى الإثخان في الأرض ، ومعنى عرض الدنيا الذي أراده الصحابة، وتكليف النبي صلى الله عليه وآله وموقفه بشأن الأسرى .

التفسير الأول: أن معنى الإثخان في الأرض الإثخان في قتل المشركين ، وأن النبي صلى الله عليه وآله نهى الصحابة في بدر بعد هزيمة المشركين أن يأخذوا منهم أسرى قبل أن يثخنوهم قتلاً ويدمروا قوتهم القتالية ، فأخذوا أسرى قبل ذلك طمعاً في فدائهم ! وقد اختاره أبو الفتح الكراجكي رحمه الله في: التعجب من أغلاط العامة/٨٨ ، قال: « وهم الذين كفوا عن الإثخان في القتل يوم بدر وطمعوا في الغنائم حتى نزل فيهم: مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا..».

واختاره السيد الخوئي رحمه الله في البيان/٣٦٥، قال:« المعروف بين الشيعة الإمامية أن الكافر المقاتل يجب قتله ما لم يسلم، ولايسقط قتله بالأسر قبل أن يثخن المسلمون الكافرين ويعجز الكافرون عن القتال لكثرة القتل فيهم ، وإذا أسلم ارتفع موضوع القتل وهو الكافر، وأما الأسر بعد الإثخان فيسقط فيه القتل فإن الآية قد جعلت الإثخان غاية لوجوب ضرب الرقاب. وقد وردت الأحكام

المذكورة فيما رواه الكليني(الكافي: ٣٢/٥) والشيخ الطوسي بإسنادهما عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول كان أبي يقول إن للحرب حكمين: إذا كانت الحرب قائمة لم تضع أوزارها ولم يثخن أهلها، فكل أسير أخذ في تلك الحال فإن الامام فيه بالخيار إن شاء ضرب عنقه وإن شاء قطع يده ورجله من خلاف بغير حسم وتركه يتشحط في دمه حتى يموت وهو قول الله تعالى: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرض فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا... والحكم الآخر إذا وضعت الحرب أوزارها وأثخن أهلها، فكل أسير أخذ على تلك الحال وكان في أيديهم فالإمام فيه بالخيار إن شاء الله من عليهم فأرسلهم وإن شاء فاداهم أنفسهم ، وإن شاء استعبدهم فصاروا عبيداً ».

واختار شبيهه صاحب الصحيح من السيرة: ١١١/٥، قال:« إن حل الفداء كان قد علم من واقعة عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي ، فإنه أسر فيها عثمان بن المغيرة والحكم بن كيسان ولم ينكره الله تعالى ، وذلك قبل بدر بأزيد من عام... ومعنى ذلك أنه قد كانت ثمة أوامر خاصة بالنسبة لأسرى بدر بينها النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه ، ولكنهم قد أصروا على مخالفتها فاستحقوا العذاب العظيم ، ثم عفا الله عنهم رحمة بهم وتألفاً لهم». راجع أيضاً: القمي:٢٥٤/١ ، والتبيان: ١٥٨/٥.

والتفسير الثاني: أن الإثخان هو الإغلاظ:« ثخن الشئ ثخانة أي غلظ وصلب» «أثخن الرجل: إذا اتخذ شيئاً ثخيناً » (الصحاح: ٢٠٧٨/٥، والعين: ٢٤٨/٤).

والإثخان في الأرض أعم من الإثخان في القتل ، يقال أثخن فيهم واثخنهم قتلاً

أو جراحاً ، أو وثاقاً ، أو مطاردة..الخ.

والآية لم تعين نوع الإثخان بلفظ أو قرينة ، ولا استعمل الإثخان في العربية كنايةً عن القتل ، وذكر الأسرى في الآية لاينهض قرينة ، لأنها ذكرت الإثخان في الأرض وليس في الحرب ، فيبقى معناه مجملاً.

فالآية تنهى عن الأسر قبل الإثخان في الأرض ، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وآله أسرى بدر بعد أن أثخن أي توغل فيها وقطع مسافة طويلة وأمعن في قتل المشركين.

وهذا المعنى يتسق مع سياق الآيات ، وقوله تعالى: تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ، وقوله: وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ.

وقد اختاره السيد شرف الدين قدس سره فقال في النص والإجتهاد/٣٢٣:«ثم قال تنديداً بهم: لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ ، في علمه الأزلي بأن يمنعكم من أخذ العير وأسر أصحابه، لأسرتم القوم وأخذتم عيرهم ، ولو فعلتم ذلك لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ ، قبل أن تثخنوا في الأرض: عَذَابٌ عَظِيمٌ.هذا معنى الآية الكريمة ولايصح حملها على غيره».

التفسير الثالث: قال به آية الله الميلاني ، وحاصله أن تعبير: مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ، معناه ليس من شأنه ولاينبغي له ، وهو يدل على الترفع ولايدل على التحريم. وبذلك يبطل ما قيل من أن الله تعالى نهى نبيه صلى الله عليه وآله عن ذلك وخالف النهي فعاقبه الله تعالى. وهو كلام قوي يضاف اليه ما اختاره السيد شرف الدين قدس سره من نظر الآية الى رغبة الصحابة بأخذ القافلة وأسر حراسها ، وعدم رغبتهم بمواجهة جيش قريش. وهو برأيي تفسير قوي أيضاً .

والتفسير الرابع: ما زعمه عمر من أنه أصاب وأخطأ النبي صلى الله عليه وآله، وأن الله وافقه ونهى نبيه صلى الله عليه وآله عن الأسر وأخذ الفداء، لكن النبي صلى الله عليه وآله خالف ذلك فنزلت الآية توبخه لأنه أخذ أسرى قبل أن يثخن في الأرض! وتوبخ الأنصار لأنهم أخذوا الأسرى طمعاً بفدائهم! راجع رواياتهم في تفسير الطبري: ٥٥/١٠.

وقد بينا بطلان هذا التفسير لأن التوبيخ ليس للنبي صلى الله عليه وآله بل للذين خافوا وأرادوا غنيمة القافلة على التفسير الثاني، أو خالفوه وأسروا منهم قبل أن يثخنوهم قتلاً على التفسير الأول، أو لأنه لاموضوع للمخالفة لأنه لانهيَ أصلاً كما في التفسير الثالث.

أما الآية الأخيرة الموجهة الى أسرى بدر فهي إقرار بصحة أسرهم، وقد تقدم قول الإمام الصادق عليه السلام من الكافي: ٢٠٢/٨: «نزلت في العباس وعقيل ونوفل وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم، وأبو البختري، فأسروا، فأرسل علياً فقال: أنظر من هاهنا من بني هاشم... فجيئ بالعباس فقيل له: إفد نفسك وافد ابن أخيك، فقال: يا محمد تتركني أسأل قريشاً في كفي؟ فقال: أعط مما خلفت عند أم الفضل وقلت لها: إن أصابني في وجهي هذا شئ فأنفقيه على ولدك ونفسك، فقال له: يا ابن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال: أتاني به جبرئيل عليه السلام من عند الله عز وجل فقال ومحلوفه: ما علم بهذا أحد إلا أنا وهي! أشهد أنك رسول الله، قال: فرجع الأسرى كلهم مشركين إلا العباس وعقيل ونوفل وفيهم نزلت هذه الآية...».

١٨. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ

شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. (٧٢-٧٥).

أخبر الله أن بدر يوم الفرقان بين الحق والباطل وتمييز الأمة المسلمة عن غيرها.

قال الإمام الصادق عليه السلام: « هو اليوم الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل ، وإنما كانا قبل ذلك اليوم هذا كذا ووضع كفيه أحدهما على الآخر». (الأصول الستة عشر/٢٥٦٨).

وجاءت هذه الفقرة ختاماً للسورة ، فبينت أن الأمة المسلمة أمة واحدة ، مهاجروها وأنصارها ، وأوجبت الهجرة الى دولة الإسلام على كل مسلم ، إلا من أجاز لهم النبي صلى الله عليه وآله ، أو أمرهم بالبقاء في بلادهم ، وقد استمرت هذه الفريضة حتى فتح مكة. ثم أمر الله المسلمين أن يعتبروا الكفار أمة واحدة مهما كانت اختلافاتهم ، وحذرهم إن خالفوا ذلك ولم يوحدوا سياستهم تجاههم ، من وقوع فساد كبير في الأرض !

١٩- (الخلافة الإسلامية) تثأر من علي عليه السلام لقتلى بدر !

١. لا توجد معركة أعمق تأثيراً في تاريخ الإسلام من معركة بدر ، فما زالت نتائجها

ممتدةً في حياتنا الى اليوم ! وقد عرف النبي صلى الله عليه وآله بما أخبره ربه عز وجل أن قريشاً لن تنسى هزيمة بدر وقتل سبعين من قادتها وفرسانها !

وبالفعل جعلت منها قريش محرقة قبل محرقة اليهود ! واخترعت مبررات للإنتقام من بني هاشم وشيعتهم ، وكان أول ذلك قرار قبائل قريش عزل بني هاشم عن الخلافة ، لأنهم في أعناقهم دماء قريش والعرب ، ثم إنهم أخذوا النبوة وهي كافية عليهم ، فالخلافة يجب أن تكون لبقية قبائل قريش !

لذلك قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: « فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهرهم عليك فإنها ضغائن في صدور قوم أحقاد بدر وتِرات أحد ! وإن موسى أمر هارون حين استخلفه في قومه إن ضلوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم بهم ، فإن لم يجد أعواناً أن يكف يده ويحقن دمه ولا يفرق بينهم فافعل أنت كذلك. إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك واحقن دمك». (كتاب سُليم/٣٠٥).

٢. *روت المصادر عشرات الصفحات في حزن قريش على قتلاها يوم بدر ، وفي* تحريمها البكاء ومظاهر الزينة حتى تأخذ بثارها !

وروت قصائد كثيرة لشعرائها في رثاء قتلى بدر ، ونشرت قصائدهم في العرب خاصة شعر ابن الزبعرى وضرار بن الخطاب والحاخام كعب بن الأشرف ، وهي مليئة بهجاء النبي صلى الله عليه وآله والأنصار ، وانتشرت فكانت تقرأ في مجالس الخمر ، وتقدم حديثهم الصحيح أن بعض الصحابة شربوا الخمر في المدينة، وتغنوا بالنوح على قتلى بدر ! قال ضرار بن الخطاب الفهري (ابن هشام: ٢/٥٣٩):

عجبت لفخر الأوس والحين دائر ... عليهم غدا ، والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار أن كان معشر ... أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنا رجال بعدهم سنغادر

وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم بني الأوس حتى يشتفي النفس ثائر

وقال عبد الله بن الزبعرى السهمي: (ابن هشام:٢/٥٤١):

ماذا على بدر وماذا حوله من فتية بيض الوجوه كرام
تركوا نبيهاً خلفهم ومنبهاً وابني ربيعة خير خصم فئام
والحارث الفياض يبرق وجهه كالبدر جلى ليلة الاظلام
والعاصي بن منبه ذا مرة رمحاً تميماً غير ذي أوصام
تنمى به أعراقه وجدوده ومآثر الأخوال والأعمام...

واشتهرت قصيدته في أحُد أكثر من غيرها:

يا غراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل...
أبلغن حسان عني آية فقريض الشعر يشفي ذا الغلل..
كم قتلنا من كريم سيد ماجدا الجدين مقدام بطل
فسل المهراس من ساكنه؟ بين أقحاف وهام كالحجل
ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكت بقباء بركها واستحر القتل في عبد الأشل
فقتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
بسيوف الهند تعلو هامهم عَلَلاً تعلوهم بعد نهل

فأجابه حسان بن ثابت:

ذهبت يا بن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحياناً دول
نضع الأسياف في أكتافكم حيث نهوى عللاً بعد نهل..

وقال كعب بن الأشرف اليهودي:

«طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا ، إن الملوك تصرع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد ... ذي بهجة يأوى إليه الضيع...

(ابن هشام:٥٦٤/٢ ، والإستيعاب:٧٤٨/٢ ، و:٩٠١/٣).

وقال أياس بن زنيم يحرض مشركي قريش على قتل علي عليه السلام:

في كل مجمع غاية أخزاكم ... جذعٌ أبرُّ على المذاكي القرَّح
لله دركم ألمَّا تنكروا ... قد ينكر الحرُّ الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ... ذبحاً وقتله قعصة لم يذبح
أين الكهول وأين كل دعامة ... في المعضلات وأين زين الأبطح
أفناهم قعصاً وضرباً يفتري ... بالسيف يعمل حده لم يصفح
أعطوه خرجاً واتقوا بمصيبة ... فعل الذليل وبيعة لم تربحِ»

(الإصابة:٢٣١/١، وأنساب الأشراف/١٨٨، وتاريخ دمشق:٨/٤٢) .

٣. ومن عجائب تاريخنا أن «مناحة» قريش على قتلى بدر ، ظهرت في فلتات ألسنة

(خلفاء النبي صلى الله عليه وآله) ! الذين يعرفون جيداً أنه لولا معركة بدر لما كان إسلامٌ ولا خلافةٌ يجلسون على كرسيها ! ويعرفون أنه يفترض أنهم مسلمون مهاجرون في صف النبي صلى الله عليه وآله في معركة بدر ، ضد من ينوحون عليهم !

لكن تعقيد الشخصية القرشية جعلتهم يتبنون نتيجة معركة بدر التي منها الخلافة ويتبنون في نفس الوقت (مناحة قومهم) على قتلى بدر ، لأنها تنفعهم ضد قبيلة بني هاشم ، وتساعد في إبعادهم عن الخلافة !

قال عمر لابن عباس في محاورته الشهيرة في الخلافة:«كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة ، فتجخفوا جخفاً (تكبراً) فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت...أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشاً في أمر قريش لايزول..»! (تاريخ الطبري: ٢٨٨/٣، وشرح النهج: ٥٠/٦، وجمهرة الأمثال: ٣٣٩/١، والعقد الفريد/١٣٧٨، وغيرها).

وقال عبدالله بن عمر لعلي عليه السلام:«كيف تحبك قريش وقد قتلت في يوم بدر وأُحُد من ساداتهم سبعين سيداً، تشرب أنوفهم الماء قبل شفاههم»! (مناقب آل أبي طالب: ٢١/٣). وقال له عثمان:« ما أصنع إن كانت قريش لاتحبكم وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين، كأن وجوههم شنوف الذهب، تشرب أنوفهم قبل شفاههم»! (نثر الدرر/٢٥٩، وابن حمدون/١٥٦٧، وشرح النهج: ٢٢/٩،أي وجوههم جميلة كأقراط الذهب وأنوفهم طويلة جميلة).

فحاكم الدولة الإسلامية عمر وبعده عثمان ، يعرفان أنه لولا قتل بني هاشم مشركي قريش في بدر لما كانت دولة النبي صلى الله عليه وآله التي يتنعمان بحكمها ! ويعرفان أن قتلى بدر طغاة عملوا لقتل النبي صلى الله عليه وآله في بدر وقبلها. ويعرفان أن قريشاً أعلنت إسلامها والمفروض أنها تبرأت من الشرك والمشركين !

ومع ذلك يعطيان قريشاً الحق في كره بني هاشم ومطالبتهم بدماء مشركيها !

فاعجب ل"خليفة" يتعمد إدانة منطق الإسلام الذي يحكم بإسمه ويلبس ثوبه !

بل لا تعجب ، لأن منطق قريش الجاهلي هو الذي أتى به الى الخلافة ، فهو يتبناه ولو تناقض مع ثوب الخلافة نفسه ، ولا يرى بأساً في اعتبار قتل مشركي بدر جريمة ، يتحمل عليٌّ مسؤوليتها لأنه كبير بني هاشم !

واعجب لتناقض هؤلاء الصحابة: فالنبي صلى الله عليه وآله يصنع تاريخ الإسلام ويقيم دولة مترامية ، بانتصاره على قريش في بدر ، وقتله لطغاتها وفرسانها !

ثم ترى قريشاً بدل أن تشكره وتعرف حقه صلى الله عليه وآله وحق أهل بيته عليهم السلام، تقوم بتأسيس نظام خلافته على الثأر لقتلى بدر من أهل بيته صلى الله عليه وآله !

ثم تؤسس (الخلافة) القرشية بنفس روح الثأر مذاهب وثقافة ، وتقوم بقتل الأئمة من عترة النبي صلى الله عليه وآله والشخصيات الفاعلة ، أو قمعها ، أو تشريدها ، وتشويه سمعتها وإسكات صوتها ، وإبادة المصادر الثقافية لمذهبهم ، أو تغييبها ! وما زالت هذه السياسة سارية في العالم الإسلامي الى اليوم !

سألت أم سلمة فاطمة الزهراء عليها السلام:«كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟فقالت: أصبحت بين كمد وكرب ! فُقد النبي وظُلم الوصي ، وهُتك والله حجابه ، وأصبحت إمامته مقتصة على غير ما شرع الله في التنزيل ، وسنها النبي صلى الله عليه وآله في التأويل ! ولكنها أحقاد بدرية وترات أحدية ،كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الآثار، من مخيلة الشقاق».(المناقب: ٢/٤٩).

وقال علي عليه السلام لقريش:« وإني لصاحبكم بالأمس ، لعمر أبي وأمي لن تحبوا أن يكون فينا الخلافة والنبوة ، وأنتم تذكرون أحقاد بدر وثارات أحد !

أما والله لو قلت ما سبق الله فيكم ، لتداخلت أضلاعكم في أجوافكم ، كتداخل أسنان دوارة الرحى ! فإن نطقت يقولون حسداً ! وإن أسكت فيقال ابن أبي طالب جزع من الموت ! هيهات هيهات ، الساعة يقال لي هذا؟! وأنا المميت المائت ، وخواض المنايا في جوف ليل حالك ». (الإحتجاج: ١/١٢٧).

وقال عبد الرحمن بن جندب:« لما بويع عثمان ، سمعت المقداد بن الأسود الكندي يقول لعبد الرحمن بن عوف: والله يا عبد الرحمن ما رأيت مثل ما أتيَ إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم ! فقال له عبد الرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد ؟ قال: إني والله أحبهم لحب رسول الله لهم ويعتريني والله وجد لا أبثه بثة ، لتشرُّف قريش على الناس بشرفهم واجتماعهم على نزع سلطان رسول الله من أيديهم !

فقال له عبد الرحمن: ويحك والله لقد اجتهدت نفسي لكم ! فقال له المقداد: أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون ، أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم يوم بدر واحد !

فقال له عبد الرحمن: ثكلتك أمك يا مقداد لا يسمعن هذا الكلام منك الناس ، أما والله إني لخائف أن تكون صاحب فرقة وفتنة. قال جندب: فأتيته بعد ما انصرف من مقامه وقلت له: يا مقداد أنا من أعوانك فقال: رحمك الله إن الذي نريد لا يغني فيه الرجلان والثلاثة. فخرجت من عنده فدخلت على علي فذكرت له ما قال وما قلت. قال: فدعا لنا بالخير ». (أمالي المفيد/١٦٩).

وقال في الصحيح من السيرة: ١٥٤/٦:« ولم تستطع(قريش)أن تنسى ثارات بدر وأحد وسائر المعارك ، حتى أن حرب صفين كما قالت أم الخير بنت الحريش: كانت لإحن بدرية وأحقاد جاهلية وضغائن أحدية ، وثب بها معاوية حين الغفلة ، ليدرك ثارات بني عبد شمس !

بل إن مجزرة كربلاء وفاجعة قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه كانت لها دوافع بدرية وإحن أحدية أيضاً ، فقد قال اللعين يزيد بن معاوية: ليت أشياخي ببدر شهدوا... ولما وصل رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة رمى مروان بالرأس نحو قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد يوم بيوم بدر» !

وفي تاريخ الطبري: ١٨٧/٨: « طلب (يزيد) بثارات المشركين عند المسلمين ، فأوقع بأهل الحرة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ، ولا أفحش مما ارتكب من الصالحين فيها ! وشفى بذلك حقد نفسه وغليله ، وظن أن قد انتقم من أولياء الله ، وبلغ النوى لأعداء الله ، فقال مجاهراً بكفره ، ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتكم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل !

هذا هو المروق من الدين ، وقول من لايرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه » !

وقد أجابت زينب عليها السلام يزيداً في مجلسه فقالت له:«أتقول: ليت أشياخي ببدر شهدوا.. غير متأثم ولامستعظم ، وأنت تنكث ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك؟! ولِمَ لاتكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشاقة بإهراقك دماء ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب. ولتردنّ على الله وشيكاً موردهم ،

ولتودن أنك عميت وبكمت وأنك لم تقل: فاستهلوا وأهلوا فرحاً.. اللهم خذ بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا ». (بلاغات النساء لابن طيفور/٢٠).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: « لقي المنهال بن عمرو علي بن الحسين بن علي عليه السلام فقال له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: ويحك أما آن لك أن تعلم كيف أصبحت؟ أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا! وأصبح خير البرية بعد محمد صلى الله عليه وآله يلعن على المنابر! وأصبح عدونا يعطى المال والشرف، وأصبح من يحبنا محقوراً منقوصاً حقه، وكذلك لم يزل المؤمنون! وأصبحت العجم تعرف للعرب حقها بأن محمداً منها، وأصبحت قريش تفتخر على العرب بأن محمداً منها، وأصبحت العرب تعرف لقريش حقها بأن محمداً منها، وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها! وأصبحنا أهل البيت لايعرف لنا حق! فهكذا أصبحنا يا منهال» ! (تفسير القمي: ١٣٤/٢).

٤. *اعترف ابن أبي الحديد المعتزلي أن ثارات بدر وأحد أوجبت قيام خلافة قرشية*

على أساس الثأر من بني هاشم، لأن بغض القرشيين للنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وبني هاشم أمرٌ طبيعي حتى بعد أن أسلموا! ومع ذلك فهي خلافة شرعية! قال في شرح النهج: ٢٩٩/١٣: «ولست ألوم العرب لا سيما قريشاً في بغضها له وانحرافها عنه عليه السلام، فإنه وترها وسفك دماءها، وكشف القناع في منابذتها! ونفوس العرب وأكبادهم كما تعلم! وليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد في النفوس كما نشاهده اليوم عياناً، والناس كالناس الأوَل، والطبائع واحدة!

فاحسب أنك كنت من سنتين أو ثلاث جاهلياً أو من بعض الروم ، وقد قتل واحد من المسلمين ابنك أو أخاك ، ثم أسلمت ، أكان إسلامك يُذهب عنك ما تجده من بغض ذلك القاتل وشنآنه؟ كلا ، إن ذلك لغير ذاهب ، هذا إذا كان الإسلام صحيحاً والعقيدة محققة ، لا كإسلام كثير من العرب ! فبعضهم تقليداً وبعضهم للطمع والكسب ، وبعضهم خوفاً من السيف ، وبعضهم على طريق الحمية والإنتصار ، أو لعداوة قوم آخرين من أضداد الإسلام وأعدائه !

واعلم أن كل دم أراقه رسول الله صلى الله عليه وآله بسيف علي عليه السلام وبسيف غيره، فإن العرب بعد وفاته صلى الله عليه وآله عصبت تلك الدماء بعلي بن أبي طالب وحده ، لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم وسنتهم وعادتهم أن يعصب به تلك الدماء إلا بعلي وحده ! وهذه عادة العرب إذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل ، فإن مات أو تعذرت عليها مطالبته ، طالبت بها أمثل الناس من أهله. لمَّا قتل قوم من بني تميم أخاً لعمرو بن هند ، قال بعض أعدائه يحرض عمراً عليهم:

من مُبْلغٌ عمراً بأن المرء لم يُخلق صَبارهْ (حجراً)

فاقتل زرارة لا أرى في القوم أمثل من زرارهْ !

فأمره أن يقتل زرارة رئيس بني تميم ، ولم يكن قاتلاً أخ الملك ولاحاضراً قتله» !

أقول: هذا اعتراف جريئ من عالم سني متعصب للشيخين ، بأن الخلافة القرشية قامت على أساس الثأر من النبي صلى الله عليه وآله بأهل بيته عليهم السلام! وعلى المسلم المنصف أن يفهم النتيجة الضخمة لذلك على الفكر الإسلامي من ألفه الى يائه !

فالإسلام الذي قدمه النبي صلى الله عليه وآله يقوم على تركيز مكانة أهل بيته عليهم السلام وأنهم وصيته في أمته كالقرآن . والإسلام الذي قدمته (الخلافة) يقوم على اضطهادهم وتركيز مكانة الصحابة الذين حكموا بدلهم ، والثأر منهم لقتلى بدر !

وقد بلغ من إفراط الحكام في نكس المفاهيم وتحريف معالم الإسلام ، أن أصوات علماء السلطة أنفسهم كانت ترتفع أحياناً كما فعل قتادة !

ففي الكافي:٨/١١١، عن أبان بن عثمان قال:« حدثني فضيل البرجمي قال: كنت بمكة وخالد بن عبد الله أمير (من قبل عبد الملك بن مروان) وكان في المسجد عند زمزم ، فقال: أدعوا لي قتادة ، قال: فجاء شيخ أحمر الرأس واللحية ، فدنوت لأسمع ، فقال خالد: يا قتادة أخبرني بأكرم وقعة كانت في العرب ، وأعز وقعة كانت في العرب ، وأذل وقعة كانت في العرب !

فقال: أصلح الله الأمير ، أخبرك بأكرم وقعة كانت في العرب وأعز وقعة كانت في العرب ، وأذل وقعة كانت في العرب ، وهي واحدة !

قال خالد: ويحك ، واحدة ! قال: نعم أصلح الله الأمير. قال: أخبرني؟ قال: بدر ، قال: وكيف ذا ؟ قال: إن بدراً أكرم وقعة كانت في العرب بها أكرم الله عز وجل الإسلام وأهله ، وهي أعز وقعة كانت في العرب بها أعز الله الإسلام وأهله ، وهي أذل وقعة كانت في العرب ، فلما قتلت قريش يومئذ ذلت العرب...

فقال: ويلك يا قتادة من الذي يقول: أوفي بميعادي وأحمي عن حسب؟

فقال: أصلح الله الأمير ليس هذا يومئذ ، هذا يوم أحد خرج طلحة بن أبي طلحة وهو ينادي من يبارز؟ فلم يخرج إليه أحد فقال: إنكم تزعمون أنكم تجهزونا

بأسيافكم إلى النار ونحن نجهزكم بأسيافنا إلى الجنة ، فليبرزن إلي رجل يجهزني بسيفه إلى النار وأجهزه بسيفي إلى الجنة ! فخرج إليه علي وهو يقول:

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب وهاشم المطعم في العام السغب

أوفي بميعادي وأحمي عن حسب

فقال خالد: كذب لعمري ، والله أبو تراب ما كان كذلك ! فقال الشيخ: أيها الأمير إئذن لي في الإنصراف ، قال: فقام الشيخ يفرج الناس بيده وخرج وهو يقول: زنديق ورب الكعبة ، زنديق ورب الكعبة» !

٢٠- كثرة مكذوبات رواة السلطة عن بدر !

وهي أنواع: منها ما يقصد تنقيص مقام النبي صلى الله عليه وآله ، ومنها أدوار ومناقب كاذبة لصحابة يحبونهم ، ومنها للتغطية والتعتيم على مثالب صحابة لايحبونهم !

ومن ذلك: قولهم إن النبي صلى الله عليه وآله نام يوم بدر:« فدنا القوم منهم ، فجعل الصديق يوقظه ويقول: يارسول الله دنوا منا ، فاستيقظ»!(الدر المنثور: ١٦٧/٣، وابن كثير: ٤٠٥/٢).

وقولهم: إن أول قتيل كان مهجع ، وهو غلام لعمر ! ومستندهم في ذلك (يقال) ! ولم يبينوا متى قتل ومن قتله ! راجع الصحيح من السيرة: ٦٥/٥.

ومنها: قول عمر إنه قتل خاله هشام بن العاص ، بينما قتله علي عليه السلام.(الواقدي: ١٤٩/١). على أن خالد بن الوليد كان لا يقبل أن أم عمر من عشيرته بني مخزوم.

ومنها: قولهم إن النبي صلى الله عليه وآله أعطى سهماً من غنائم بدر لعثمان وأنه تخلف لأنه كان يمرض زوجته بنت النبي صلى الله عليه وآله ! كما أعطى لطلحة بن عبيد الله التيمي ،

ولسعيد ابن عم عمر صاحب حديث العشرة المبشرة ، لأن النبي صلى الله عليه وآله بعثهما في استطلاع قافلة قريش مع أنهما كانا في تجارة بالشام ! راجع الصحيح من السيرة: ٩٨/٥.

الى كثير من هذه المكذوبات في مناقب أبي بكر وعمر وعثمان وسعد بن أبي وقاص ، ومن على شاكلتهم ، للتعويض على فقدانهم دوراً جهادياً !

٢١- الصحابة الأبرار الذين اشتهدوا في بدر

في الصحيح من السيرة: ٥٧/٥:«واستشهد من المسلمين ، قيل تسعة ، وقيل أحد عشر وقيل أربعة عشر ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار». والمشهور أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. (البحار: ٢٠٦/١٩، وشرح النهج: ٢٠٧/١٤، والطبري: ١٧١/٢، والطبقات: ١٧/٢، والنهاية: ٣٦٦/٣ ، وإمتاع الأسماع: ١١٩/١).

وعدهم ابن هشام: ٥٢٤/٢: عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وعمير بن أبي وقاص ، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة ، وعاقل بن البكير ، ومهجع مولى عمر ، وصفوان بن بيضاء ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر بن زنبر ، ويزيد بن الحارث (ابن فسحم) ، وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلى ، وحارثة بن سراقة بن الحارث ، وعوف ومعوذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد ، ابنا عفراء.

٢٢- سورة الروم بشرت بالنصر في معركة بدر

كانت الدولتان الكبيرتان في عصر النبي صلى الله عليه وآله فارس والروم. وقد مد الروم نفوذهم الى مصر وبلاد الشام ، وكان النصارى في الجزيرة على ارتباط بهم خاصة نجران ، وكانت الحبشة قاعدتهم في أفريقيا .

ومد الفرس نفوذهم الى العراق والبحرين واليمن ، وكانت بلاد الشام ومصر محل صراع بينهم وبين الروم ، وقد حكمها الفرس مدة قرنين قبل المسيحية ، حتى غلبهم عليها الروم سنة ٢٣١ قبل الميلاد. وحاول الفرس في عهد كسرى أن يستعيدوا السيطرة عليها ، فكانت معارك بينهم وبين الروم ، ومنها معركة أذرعات وهي "درعا" الواقعة على الحدود السورية الأردنية ، فانتصر فيها الفرس وفرح مشركو قريش الذين كانوا يتعاطفون مع الفرس لأنهم وثنيون مثلهم ، بينما يتعاطف المسلمون مع الروم لأنهم أهل كتاب مثلهم ، فنزلت سورة الروم تبشر المسلمين بأن الروم سيغلبون بعد بضع سنين ، وأن المؤمنين يومها سيفرحون بنصر الله ، وكان المقصود نصرهم في بدر.

قال الله تعالى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الَم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأرض وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الأمر مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ. (الروم:١-٧).

قال في مجمع البيان: ٤٣/٨، و٤٥: وهذه من الآيات الدالة على أن القرآن من عند الله عز وجل ، لأن فيها أنباء ما سيكون وما يعلم ذلك إلا الله عز وجل.. قال عطية: سألت

أبا سعيد الخدري عن ذلك فقال: التقينا مع رسول الله ﷺ ومشركوا العرب والتقت الروم وفارس ، فنصرنا الله على مشركي العرب ، ونصر أهل الكتاب على المجوس ، ففرحنا بنصر الله إيانا على مشركي العرب ونصر أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله: وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ ». وتفسير الطبري: ٢٢/٢١.

وفي الصحيح من السيرة: ٣٣٨/٥: «وفي السنة الثانية من الهجرة أيضاً كانت غلبة الروم على فارس ، ويقال إن ذلك كان في نفس اليوم الذي التقى فيه الرسول بالمشركين في بدر فنصر عليهم ، وفرح المسلمون بانتصار الروم هذا ».

هذا ، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام تفسير فرح المؤمنين بأنه فرحهم بانتصارهم على الفرس وفتحهم لبلادهم. (الكافي: ٢٦٩/٨). **وفرحهم«بنصر الله عند قيام القائم عليه السلام»** (تأويل الآيات: ٤٣٤/١) **وفرحهم في القيامة: «يعني نصر فاطمة لمحبيها».** (معاني الأخبار/٣٩٧).

وعليه يكون معنى قوله تعالى: وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ ، فرحهم بأول النصر في بدر ، ثم بمراحل النصر للمؤمنين في الدنيا والآخرة .

٢٣- بدأ تدهور الأمبراطورية الفارسية من أيام بدر !

قال اليعقوبي:٤٦/٢:«أعز الله نبيه وقتل من قريش من قتل فأوفدت العرب وفودها إلى رسول الله ﷺ، وحاربت ربيعة كسرى وكانت وقعتهم بذي قار (الناصرية في جنوب العراق) فقالوا: عليكم بشعار التهامي، فنادوا: يا محمد ، يا محمد ! فهزموا جيوش كسرى وقتلوهم ! فقال رسول الله: اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا. وكان يوم ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر أربعة أو خمسة ».

وقال اليعقوبي: ٢٢٥/١: « وأما يوم ذي قار ، فإنه لما قتل كسرى أبرويز النعمان بن المنذر بعث إلى هانئ بن مسعود الشيباني أن ابعث إليَّ ما كان عبدي النعمان استودعك من أهله وماله وسلاحه ، وكان النعمان أودعه ابنته وأربعة آلاف درع ، فأبى هانئ وقومه أن يفعلوا ، فوجه كسرى بالجيوش من العرب والعجم ، فالتقوا بذي قار فأتاهم حنظلة بن ثعلبة العجلي فقلدوه أمرهم ، فقالوا لهانئ: ذمتك ذمتنا ولا نخفر ذمتنا ! فحاربوا الفرس فهزموهم ومن معهم من العرب، وكان مع الفرس إياس بن قبيصة الطائي وغيره من إخوة معد وقحطان فأتى عمرو بن عدي بن زيد كسرى وأخبره الخبر فخلع كتفه فمات ! فكان أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم ». راجع: المعارف لابن قتيبة/٦٠٣، ومعجم قبائل العرب: ٩٦/١، والطبري: ٦٠٠/١.

وقال ابن خلدون: ق٢ ٣٠٢/١: «وأما بنو عجل بن لجيم بن صعب ، وهم الذين هزموا الفرس بمؤتة يوم ذي قار ، فمنازلهم من اليمامة إلى البصرة وقد دثروا وخلفهم اليوم في تلك البلاد بنو عامر المنتفق بن عقيل بن عامر ، وكان منهم بنو أبي دلف العجلي ، كانت لهم دولة بعراق العجم ».

وفي الإصابة: ١١٧/٢ ، أن رئيس ربيعة حنظلة بن سيار ، بلغه انتصار النبي صلى الله عليه وآله في بدر ونزول سورة الأنفال ، فأرسل خمس غنائمه من الفرس الى النبي صلى الله عليه وآله وقال:

ونحن بعثنا الوفد بالخيل ترتمي ... بهم قلص نحو النبي محمد
بما لقي الهرموز والقوم إذ غزوا ... وما لقي النعمان عند التورد »

الفصل الثامن والثلاثون

النبي صلى الله عليه وآله والعرب من غزوة بدر الى أحد

١- ثلاث غزوات وعدة سرايا في سنة واحدة !

ينبغي التذكير بحقيقة أن النبي صلى الله عليه وآله مسدد من ربه ، فهو لا ينطق عن الهوى ولا يفعل إلا ما يؤمر به . ومن ذلك خروجه بنفسه لحرب عدوه أو إرساله سرايا .

« رجع النبي صلى الله عليه وآله من بدر في الثاني والعشرين من رمضان في السنة الثانية للهجرة وكانت حرب أحُد في الرابع عشر من شوال سنة ثلاث للهجرة». (المحبر/١١١).

وفي هذه السنة بعث النبي صلى الله عليه وآله عدة سرايا في مهمات دفاعية أو هجومية ، وشارك بنفسه في ثلاث غزوات ، وعدها بعضهم ستاً. (عيون الأثر:١/٣٨٢) . والصحيح أنها ثلاثة ، لكن تسمية الرواة لها متعددة .

كما بعث سرايا في مهمات خاصة لاغتيال بعض اليهود الناشطين في عداء النبي صلى الله عليه وآله والإسلام ، كسرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك اليهودي ، وسرية لقتل كعب بن الأشرف . (الطبقات: ٢/٢٧) وسرية لقتل عصماء بنت مروان .

٢- غزوة بني سليم

غزوة بني سليم وبني غطفان بناحية نجد ، وسماها بعضهم غزوة قرقرة الكدر لأنهم مروا فيها عليها ، والقرقرة الأرض الملساء ، والكدر اللون غير النقي .

وهي نفسها غزوة الفرع ، وغزوة بحران ، وهو معدن بالحجاز (ابن هشام: ١٨/٦) قرب الفرع (الطبري: ٢٤٠٤). وهي نفسها غزوة ذي أمر ، لوحدة أحداثهما .

«ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة من بدر لم يُقم بالمدينة إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، حتى بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً. فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وفادى في إقامته جل أسارى بدر من قريش ». (إعلام الورى: ١٧٢/١).

٣- غزوة ذات السويق

ثم كانت غزوة السويق ، وذلك أن أبا سفيان نذر أن لايمس رأسه من جنابة حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وآله وكان العرب مع عبادتهم الأصنام فيهم بقايا شريعة إبراهيم الحنيفية ومنها غسل الجنابة .

فخرج أبوسفيان في مائة راكب من قريش ليبرَّ يمينه ، حتى إذا كان على بريد من المدينة أتى بني النضير ليلاً ، فضرب على حيي بن أخطب بابه فأبى أن يفتح له ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير ، فاستأذن عليه فأذن له وسارَّه ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه.

وبعث رجلاً من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية يقال لها العريض، فوجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له فقتلوهما ثم انصرفوا. ونذر بهم الناس(أحسُّوا) فخرج رسول الله في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر ، فرجع وقد فاته أبو سفيان ، ورأوا زاداً من

أزواد القوم قد طرحوها يتخففون منها للنجاء.. فقال المسلمون حين رجع رسول الله بهم: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ فقال: نعم ». (إعلام الورى: ١/١٧٣).

وفي إمتاع الأسماع:١/١٢٣، عن ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وآله غزا قريشاً حتى بلغ بحران معدناً بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيداً ». والمرجح أنها نفس غزوة السويق ، وهي تدل على أن أبا سفيان لم يستطع تجنيد أكثر من مئتي راكب ، فجاء بهم خفية الى قرب المدينة ، وتسلل ليلاً مع بضعة أشخاص الى حلفائه يهود بني النضير في ضاحية المدينة، فخاف رئيسهم حي بن أخطب أن يفتح له وينقض عهده مع النبي صلى الله عليه وآله ، فذهب أبو سفيان الى رئيس آخر من بني النضير هو ابن مشكم ، ففتح له وتداول معه في حرب النبي صلى الله عليه وآله وشرب معه الخمر ، ونصحه أن يرجع قبل أن يكتشف محمد صلى الله عليه وآله وجوده فرجع تلك الليلة ، لكنه أراد أن يقوم بعمل ما فأرسل بضعة نفر الى مزرعة معبد بن عمرو الأنصاري المنفردة عن المدينة فقتلوه مع أجيره وأحرقوا زرعه ونخله ! (الإمتاع: ١/١٢٣).

فتبعهم النبي صلى الله عليه وآله بأصحابه فأسرعوا وتخففوا من زادهم ورموه عن جمالهم ، وكان السويق وهو الحنطة المحمصة المطحونة ، يضاف اليها زيت أو سكر. فسميت غزوة السويق أو ذات السويق .

٤- غزوة ذي أمر

بعد غزوة السويق ومقامه بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم ، كانت غزوة ذي أمر ، وذلك لما بلغه أن جمعاً من غطفان تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة ، عليهم رجل يقال له: دعثور بن الحارث بن محارب ، فخرج في أربعمائة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس ، وهرب منه الأعراب فوق ذرى الجبال ونزل صلى الله عليه وآله ذا أمر وعسكر به ، وأصابهم مطر ، فذهب النبي صلى الله عليه وآله لحاجته فأصابه المطر فبلّ ثوبه ، فنزع ثيابه ونشرها لتجف وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها ، وكان وادي أمر بينه وبين أصحابه ، والأعراب ينظرون إلى ما يفعل ، فقالت الأعراب لدعثور وكان سيدهم وأشجعهم: قد أمكنك محمد وقد انفرد من بين أصحابه ، فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً ، ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف مشهوراً فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: الله ! ودفع جبرئيل في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وقام على رأسه وقال: من يمنعك مني ؟ قال: لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثِر عليك جمعاً أبداً !

فأعطاه رسول الله سيفه وأدبر ، ثم أقبل بوجهه وقال: والله لأنت خير مني ! قال رسول الله: أنا أحق بذلك منك .

فأتى قومه فقيل له: أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك؟ قال: قد كان والله ذلك، ولكني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري ، فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليه !

وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ..»

أقول: وردت روايات أخرى في قصة دعثور (راجع الصحيح من السيرة: ١٧/٦)وكان اليهود وقريش يحركون بعض قبائل نجد مثل بني سليم للغارة على المدينة ، وكانت لهم سابقة في غزو المدينة ، ومعارك مع الأوس والخزرج ، فبادر النبي ﷺ الى غزوهم لدفع شرهم ، فتفرقوا ولم يواجهوه ، وهدى الله رئيسهم.

٥- سرية حارثة بن زيد لاعتراض قافلة قريش

وأشهر سرايا النبي ﷺ بعد بدر ، سرية زيد بن حارثة لاعتراض قافلة قريش الذاهبة الى الشام عن طريق العراق ، وقد سميت غزوة قرقرة الكدر ، لأنهم مروا عليها ، وغزوة بني سليم لأنهم مروا عليهم ، وغزوة القردة ، باسم ماء في نجد . كما سميت "غزوة" مع أنها سرية وإسم الغزوة خاص بالتي يشارك فيها النبي ﷺ.

قال في إعلام الورى:١٧٤/١: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة بعد رجوعه من بدر إلى المدينة بستة أشهر ، فأصابوا عيراً لقريش على القردة فيها أبو سفيان ومعه فضة كثيرة ، وذلك لأن قريشاً قد خافت طريقها التي كانت تسلك إلى الشام حين

كان من وقعة بدر ، فسلكوا طريق العراق واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم على الطريق ، فأصاب زيد بن حارثة تلك العير وأعجزته الرجال هرباً. وفي رواية الواقدي: أن ذلك العير مع صفوان بن أمية ، وأنهم قدموا بالعير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأسروا رجلاً أو رجلين ، وكان فرات بن حيان أسيراً فأسلم ، فترك من القتل ».

وكانت تجارة قريش الى الشام وفلسطين ومصر ، عن طريق المدينة ، وبعد تهديد النبي صلى الله عليه وآله لطريق قوافلها سلكت طريق العراق من جهة البصرة ، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة في مائة راكب فاعترض قافلتهم في نجد وصادرها وهرب حماتها ، وجاء بها الى النبي صلى الله عليه وآله فأخذ خمسها لبني هاشم ، فبلغ عشرين ألف درهم وقسم الباقي بين المقاتلين. (الإمتاع:١/١٢٩). وفي الطبقات:٢/٣٦:« وكانت لهلال جمادي الآخرة.. والقردة من أرض نجد بين الربذة والغمرة... وأسر فرات بن حيان فأتي به النبي (ص) فقيل له إن تسلم تترك ، فأسلم فتركه رسول الله (ص)».

٦- إرسال قريش فدائياً لقتل النبي صلى الله عليه وآله

جَنَّدَ الزعيم القرشي صفوان بن أمية شخصاً لقتل النبي صلى الله عليه وآله. ففي الخرائج:١/١١٩، من حديث علي عليه السلام مع اليهودي عن معجزات النبي صلى الله عليه وآله قال:« ومنها: أن المشركين لما رجعوا من بدر إلى مكة أقبل عمير بن وهب الجمحي حتى جلس إلى صفوان بن أمية بن خالد الجمحي ، فقال صفوان: قبح الله العيش بعد قتلى بدر

! قال عمير: أجل والله ما في العيش بعدهم خير، ولولا دَيْنٌ عليَّ لا أجد له قضاء ، وعيال لا أدع لهم شيئاً ، لرحلت إلى محمد حتى أقتله إن ملأت عيني منه ، فإنه بلغني أنه يطوف في الأسواق ، وإن لي عندهم علة ، أقول قدمت على ابني هذا الأسير. ففرح صفوان بقوله وقال: يا أبا أمية هل نراك فاعلاً؟ قال: إي ورب البنية. قال صفوان: فعليَّ دينك وعيالك أسوة عيالي ، وأنت تعلم أن ليس بمكة رجل أشد توسعاً على عياله مني . فقال عمير: قد عرفت بذلك يا أبا وهب . قال: صفوان: فإن عيالك مع عيالي لن يسعني شئ ويعجز عنهم ودينك علي. فحمله صفوان على بعيره وجهزه وأجرى على عياله ما يجري على عيال نفسه ، وأمر عمير بسيفه فشُحذ وسُمَّ ثم خرج إلى المدينة ، وقال لصفوان: أكتم علي أياماً حتى أقدمها. فلم يذكرها صفوان ، فقدم عمير فنزل على باب المسجد وعقل راحلته وأخذ السيف فتقلده ، ثم عمد نحو رسول الله ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال له: ما أقدمك يا عمير؟ قال: قدمت في أسيري عندكم تفادوننا وتحسنون إلينا فيه ، فإنكم العشيرة. قال النبي صلى الله عليه وآله: فما بال السيف؟ قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت من شئ؟! إنما نسيته حين نزلتُ وهو في رقبتي !

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فما شرطت لصفوان في الحجر؟ ففزع عمير وقال: ماذا شرطت له؟ قال: تحملت له بقتلي على أن يقضي دينك ويعول عيالك ، والله حائل بيني وبين ذلك ! قال عمير: أشهد أنك رسول الله وأنك صادق ، وأن لا إله إلا الله ، كنا يا رسول الله نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء ، وإن هذا الحديث كان

شيئاً بيني وبين صفوان كما قلت ، لم يطلع عليه غيري وغيره ، وقد أمرته أن يكتم عليَّ أياماً ، فأطلعك الله عليه ، فآمنت بالله وبرسوله وشهدت أن ما جئت به صدق وحق ! قال صلى الله عليه وآله: علموا أخاكم القرآن وأطلقوا له أسيره .

فقال عمير: إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله وقد هداني الله فله الحمد ، فأذن لي لألحق قريشاً فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، فأذن له فلحق بمكة ، وكان صفوان يسأل عن عمير فقيل له: إنه أسلم ، فطرح عياله !

وقدم عمير فدعاهم إلى الله وأخبرهم بصدق رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم معه نفر كثير». والإحتجاج: ٣٢٣/١، مختصراً ، ومغازي الواقدي/٧١. ورواه ابن هشام: ٤٨٥/٢، وزاد فيه منقبة لعمر بأنه هو الذي اكتشف عمير وحذر النبي صلى الله عليه وآله منه !

○ ○

الفصل التاسع والثلاثون

النبي صلى الله عليه وآله واليهود من غزوة بدر الى أحد

١- حاخامات اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وآله

يتشابه زعماء بطون قريش مع أقاربهم اليهود حد كبير ، في عنادهم وعدائهم للنبي صلى الله عليه وآله ! فقد كذّبوا النبي صلى الله عليه وآله وآذوه ، وحاولوا قتله لمدة ثلاث عشرة سنة !

ثم هاجر عنهم وطلب منهم أن يتركوه والعرب ويقفوا على الحياد ، فلم يفعلوا وأصروا على حربه ، فحاربوه في بدر وانهزموا ولم يأخذوا العبرة .

ثم لم يأخذوا العبرة من حرب أحُد والخندق والحديبية ، ولا من القحط والسنوات العجاف التي ابتلاهم الله بها لعلهم يرجعون ، ولا من فتح مكة وإجبارهم على خلع سلاحهم !

وكذلك اليهود في إصرارهم على عداوته صلى الله عليه وآله وحماقتهم وفتح الحرب معه ! فقد جاؤوا بعد المسيح عليه السلام الى جزيرة العرب ، وسكنوا في تيماء وأم القرى وخيبر والمدينة ومكة ، ينتظرون النبي الموعود صلى الله عليه وآله ، وكانوا يتوعدون به العرب عندما يختلفون معهم ، وبذلك هيؤوا أهل المدينة للإيمان به !

ولما بعثه الله تعالى كفروا به لأنه من أولاد إسماعيل عليه السلام وهم يريدونه من أولاد إسحاق عليه السلام ! وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾. (البقرة: ٨٩-٩٠).

وكان زعماء اليهود حاخاماتهم ، لأنهم جاؤوا أساساً لهدف ديني هو انتظار بعثة النبي الموعود ، فكانوا مجموعات قبلية يرأسهم حاخاماتهم ، ومعهم كتبهم .

وقد تحالفوا في المدينة مع الأوس والخزرج ، واشتغلوا بالتجارو والصياغة ، وبعضهم في الزراعة ، وكان لكل منطقة منهم مدرستان: "المدراس" التي تدرس التوراة وتسمى الفهر (لسان العرب: ٦٦/٥). والمشناة ، التي تدرس التلمود أو الشريعة .

وكان أسوأ حاخاماتهم اثنان: كعب بن الأشرف رئيس بني النضير ، وخليفته حي بن أخطب ، فقد أفرطا في عداء النبي صلى الله عليه وآله وتحريك قريش والعرب ضده !

وذكر ابن هشام:٣٥٨/٢ ، أسماء اليهود الذين نصبوا العداء للنبي صلى الله عليه وآله، وكان ابن إسحاق خبيراً بهم ، قال:«ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله (ص) العداوة بغياً وحسداً وضغناً... وكانت أحبار يهودهم الذي يسألون رسول الله (ص) ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه.. منهم: حيى بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر بن أخطب ، وجدي بن أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق ، وأخوه سلام بن الربيع... والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف ، وهو من طيئ ، ثم أحد بني نبهان ، وأمه من بني النضير ، والحجاج

بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف وكردم ابن قيس ، حليف كعب بن الأشرف فهؤلاء من بني النضير .

ومن بني ثعلبة بن الفطيون: عبد الله بن صوريا الأعور ، ولم يكن بالحجاز في زمانه أعلم بالتوراة منه ، وابن صلوبا ، ومخيريق وكان حبرهم ، أسلم .

ومن بني قينقاع: زيد بن اللصيت... وسعد بن حنيف ، ومحمود بن سيحان ، وعزيز بن أبي عزيز ، وعبد الله بن صيف. قال ابن إسحاق: وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونعمان بن أضا ، وبحري بن عمرو ، وشاس بن عدي ، وشاس بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمرو ، وسكين بن أبي سكين ، وعدي بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن صيف... وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد ، وإزار بن أبي إزار... ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريملة ، ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام بن الحارث ، وكان حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله (ص)عبد الله ، فهؤلاء من بني قينقاع .

ومن بني قريظة: الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شمويل ، وكعب بن أسد ، وهو صاحب عقد بني قريظة الذي نقضه عام الأحزاب ، وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينة ، والنحام بن زيد ، وقردم بن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبي نافع ، وأبو نافع ، وعدي بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ،

وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رميلة ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهوذا ، فهؤلاء من بني قريظة .

ومن يهود بني زريق: لبيد بن أعصم ، وهو الذي أخذ رسول الله (ص)عن نسائه. ومن يهود بني حارثة: كنانة بن صورياء. ومن يهود بني عمرو بن عوف: قردم بن عمرو. ومن يهود بني النجار: سلسلة بن برهام. فهؤلاء أحبار اليهود ، وأهل الشرور والعداوة لرسول الله (ص) وأصحابه . انتهى.

وفي الصحيح من السيرة:٢١/٦: « اليهود شعب عنصري مؤمن بتفوق عنصره على البشر كافة ! والناس عندهم لا قيمة لهم ولا اعتبار ، وإنما خلقوا لخدمة الإسرائيليين وحسب ! فكل الناس إذن يجب أن يكونوا في خدمتهم وتحت سلطتهم كما يقول لهم تلمودهم. فقد جاء في التلمود ما ملخصه: إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة ، وإن اليهودي جزء من الله ، ومن ضرب يهودياً فكأنه ضرب العزة الإلهية ، والشعب المختار هم اليهود فقط ، وأما باقي الشعوب فهم حيوانات. ويعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم. ويلزم التلمود الإسرائيليين بأن يكونوا دنسين مع الدنسين ، ويمنع من تحية غير اليهودي إلا أن يخشوا ضررهم ، ولا يجيزون الصدقة على غير اليهودي. ويجوز لهم سرقة ماله وغشه كما أن على الأميين أن يعملوا ولليهود أن يأخذوا نتاج هذا العمل. ويجيز التلمود التعدي على عرض الأجنبي

لأن المرأة إن لم تكن يهودية فهي كالبهيمة. ولليهودي الحق في اغتصاب غير اليهوديات. ويحرم على اليهودي أن ينجي غيره.. إلى آخر ما هنالك».

وقد أسلم منهم الحاخام مخيريق وكان مخلصاً صادقاً، واستشهد مع النبي ﷺ في أحُد، ورووا أن عبد الله بن سلام قد أسلم، ولا أظنه صدق!

٢- كعب بن الأشرف رئيس بني النضير

في مناقب آل أبي طالب:٤٨/١« قال كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهودا وفنحاص بن عازورا: يا محمد إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا في التوراة أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ، فإن زعمت أن الله بعثك الينا فجئنا به نصدقك فنزلت: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ. (البقرة: ٨٩-٩٠).

وقوله: قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. أراد زكريا ويحيى وجميع من قتلهم اليهود».

وفي مجمع البيان:٣٤٧/٣، أن كعباً جاء الى النبي ﷺ عند هجرته وطلب منه معجزة فأراه، فاستكبر ولم يؤمن! وسألوه عنما خرج من عند النبي ﷺ: «أهو نبي؟ فقال: هو هو! فقيل: ماله عندك؟ فقال: العداوة الى الموت»!

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام/٩٢ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: « إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة وظهرت آثار صدقه وآيات حقه وبينات نبوته ، كادته اليهود أشد كيد وقصدوه أقبح قصد ، يقصدون أنواره ليطمسوها وحججه ليبطلوها ! فكان ممن قصده للرد عليه وتكذيبه: مالك بن الصيف ، وكعب بن الأشرف ، وحيي بن أخطب ، وجدي بن أخطب ، وأبو ياسر بن أخطب ، وأبو لبابة بن عبد المنذر ، وشعبة. فقال مالك لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمد تزعم أنك رسول الله؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كذلك قال الله خالق الخلق أجمعين .

قال: يا محمد لن نؤمن لك أنك رسول الله حتى يؤمن لك هذا البساط الذي تحتنا ! ولن نشهد أنك عن الله جئتنا حتى يشهد لك هذا البساط. وقال أبو لبابة بن عبد المنذر: لن نؤمن لك يا محمد أنك رسول الله ، ولا نشهد لك به حتى يؤمن ويشهد لك هذا السوط الذي في يدي. وقال كعب بن الأشرف: لن نؤمن لك أنك رسول الله ولن نصدقك به حتى يؤمن لك هذا الحمار الذي أركبه !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه ليس للعباد الإقتراح على الله تعالى ، بل عليهم التسليم لله والإنقياد لأمره والإكتفاء بما جعله كافياً. أما كفاكم أنه أنطق التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم بنبوتي ودل على صدقي ؟ وبين لكم فيها ذكر أخي ووصيي وخليفتي وخير من أتركه على الخلائق من بعدي علي بن أبي طالب ، وأنزل عليَّ هذا القرآن الباهر للخلق أجمعين ، المعجز لهم عن أن يأتوا بمثله وأن يتكلفوا شبهه . وأما هذا الذي اقترحتموه فلست أقترحه على ربي عز وجل ، بل

أقول إنما أعطاني ربي تعالى من دلالة هو حسبي وحسبكم، فإن فعل عز وجل ما اقترحتموه فذاك زائد في تطوله علينا وعليكم ، وإن منعنا ذلك فلعلمه بأن الذي فعله كاف فيما أراده منا .

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه هذا أنطق الله البساط فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً صمداً حياً قيوماً أبداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، ولم يشرك في حكمه أحداً ، وأشهد أنك يا محمد عبده ورسوله ، أرسلك بالهدى ودين الحق ليظهرك على الدين كله ولو كره المشركون. وأشهد أن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أخوك ووصيك ، وخليفتك في أمتك... فعجب القوم وقال بعضهم لبعض: ما هذا إلا سحر مبين ! فاضطرب البساط وارتفع... وأنطق الله سوط أبي لبابة ، ثم أنطق حمار كعب بن الأشرف فقال: هذا سحر ! فقال رسول الله ﷺ: يا كعب بن الأشرف حمارك خير منك ! فلما انصرف القوم من عند رسول الله ولم يؤمنوا أنزل الله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ..».

وكان كعب يقود الحاخامات ضد النبي ﷺ ويتصلون بالمؤمنين من الأنصار ويلقون عليهم الشبهات ليكفروا ، ونزلت فيهم آيات كقوله تعالى: الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. (آل عمران: ١٨٣).

ومع أن اليهود بطوائفهم الثلاث: قينقاع والنضير وقريظة ، وقَّعوا معاهدات تعايش مع النبي صلى الله عليه وآله لكنهم كانوا يتعاونون خفيةً مع قريش ، وعندما انهزمت في بدر أصابهم الذهول ، وقصد كعب وابن أخطب مكة يحرضانهم على النبي صلى الله عليه وآله!

وفي شرح النهج: ١٤/١٩٦، عن الواقدي ، قال:«وفرق الله عز وجل ببدر بين الكفر والإيمان وأذل رقاب المشركين والمنافقين واليهود ، ولم يبق بالمدينة يهودي ولا منافق إلا خضعت عنقه ! وقال قوم من المنافقين ليتنا خرجنا معه حتى نصيب غنيمة ! وقالت يهود فيما بينها: هو الذي نجد نعته في كتبنا والله لاترفع له راية بعد اليوم إلا ظهرت ! وقال كعب بن الأشرف: بطن الأرض اليوم خير من ظهرها ! هؤلاء أشراف الناس وساداتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن قد أصيبوا ! وخرج إلى مكة فنزل على أبي وداعة بن ضبيرة ، وجعل يرسل هجاء المسلمين ، ورثى قتل بدر من المشركين فقال:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر يستهل ويدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا ، إن الملوك تُصرَّع
نبئت أن الحارث بن هشامهم ... في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وإنما ... يسعى على الحسب القديم الأروع

قال الواقدي.. فلما أرسل كعب هذه الأبيات أخذها الناس بمكة عنه وأظهروا المراثي ، وقد كانوا حرَّموها كيلا يشمت المسلمون بهم ! وجعل الصبيان والجواري ينشدونها بمكة ، فناحت بها قريش على قتلاها شهراً ، ولم تبق دار بمكة إلا فيها النوح ، وجَزَّ النساء شعورهن ، وكان يؤتى براحلة الرجل منهم أو

بفرسه فتوقف بين أظهرهم فينوحون حولها ! وخرجن إلى السكك وضربن الستور في الأزقة ، فخرجن إليها ينحن» ! ونحوه ابن هشام: ٥٦٤/٢ ، والإمتاع: ١٧٩/١٢. باثني عشر بيتاً.

وفي أسباب النزول/٦٢: « وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى أهل مكة أبي سفيان وأصحابه ، فوافقوهم وأجمعوا أمرهم وقالوا: لتكونن كلمتنا واحدة ، ثم رجعوا إلى المدينة فأنزل الله فيهم هذه الآية: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ..».

٣- غزوة النبي صلى الله عليه وآله ليهود بني قينقاع بضاحية المدينة

كان بنو بنو قينقاع صاغة يعملون بالذهب ، وليس عندهم بساتين ولهم سوق الذهب المعروف قرب المدينة. وكان بنو النضير أصحاب زراعة وبساتين ، ويشبههم بنو قريظة. وعددهم جميعاً بضعة آلاف نسمة.

قال في إعلام الورى:١٥٧/١:« قال علي بن إبراهيم بن هاشم: جاءته اليهود قريظة والنضير والقينقاع (وهم كل يهود المدينة) فقالوا: يا محمد إلى مَ تدعو؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وإني الذي تجدوني مكتوباً في التوراة ، والذي أخبركم به علماؤكم أن مخرجي بمكة ومهاجري في هذه الحرة وأخبركم عالم منكم جاءكم من الشام. فقال: تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور ، لنبي يبعث في هذه الحرة ، مخرجه بمكة ومهاجره ها هنا ، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم ، يركب الحمار ، ويلبس الشملة ، ويجتزئ بالكسرة ، في

عينيه حمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، ويضع سيفه على عاتقه لايبالي من لاقى ، وهو الضحوك القتال ، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر.

فقالوا له: قد سمعنا ما تقول ، وقد جئناك لنطلب منك الهدنة ، على أن لا نكون لك ولاعليك ولا نعين عليك أحداً ، ولا نتعرض لأحد من أصحابك ، ولا تتعرض لنا ولا لأحد من أصحابنا ، حتى ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر قومك !

فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك وكتب بينهم كتاباً: أن لا يعينوا على رسول الله ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح ولا بكراع في السر والعلانية ، لا بليل ولا بنهار ، والله بذلك عليهم شهيد. فإن فعلوا فرسول الله صلى الله عليه وآله في حل من سفك دمائهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم ، وأخذ أموالهم !

وكتب لكل قبيلة منهم كتاباً على حدة ، وكان الذي تولى أمر بني النضير حيّ بن أخطب ، فلما رجع إلى منزله قال له أخواه جدي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب: ما عندك ؟ قال: هو الذي نجده في التوراة ، والذي بشرنا به علماؤنا ، ولا أزال له عدواً ! لأن النبوة خرجت من ولد إسحاق وصارت في ولد إسماعيل ، ولا نكون تبعاً لولد إسماعيل أبداً !

وكان الذي ولي أمر قريظة كعب بن أسد ، والذي تولى أمر بني قينقاع مخيريق وكان أكثرهم مالاً وحدائق ، فقال لقومه: تعلمون أنه النبي المبعوث فهلمَّ نؤمن به ونكون قد أدركنا الكتابين ! فلم تجبه قينقاع إلى ذلك ». انتهى.

فقد عرف اليهود إذن أن صفات النبي الموعود هي صفات محمد ﷺ ومع ذلك لم يؤمنوا به ، ثم سارعوا الى نقض عهدهم معه وتحالفوا مع قريش ضده !

قال الشافعي في الأم: ١٨١/٤: « ولم تخرج (اليهود) إلى شئ من عداوته (ص) بقول يظهر ولا فعل حتى كانت وقعة بدر، فكلم بعضها بعضاً بعداوته والتحريض عليه».

لكن في الصحيح من السيرة: ٣٦/٦: «بدأ اليهود قبل بدر بالتحريض على الرسول ﷺ والمسلمين والتعرض لهم بمختلف أنواع الأذى ، فكان أبو عفك اليهودي يحرض على رسول الله ﷺ ويقول فيه الشعر ، فنذر سالم بن عمير أن يقتله أو يموت دونه ، فذهب إليه فقتله...ثم كانت حرب بدر ونتائجها المذهلة ، فزاد ذلك من مخاوف اليهود والمشركين والمنافقين على حد سواء فصعَّدوا من نشاطاتهم».

وعدَّد في الصحيح(٣٠/٦) أنشطتهم ضد المسلمين فقال:

«١ - قد أشار الجاحظ إلى أنهم شبَّهوا على العوام واستمالوا الضعفة ، ومالؤوا الأعداء والحسدة ، ثم جاوزوا الطعن وإدخال الشبهة.الخ...

٢ - طرح الأسئلة الإمتحانية على النبي ﷺ بهدف تعجيزه ! ويلاحظ أن هذه المحاولات كانت تبذل من قبل مختلف قبائل اليهود...

٣ - ولما فشلوا في محاولاتهم محاربة الإسلام على صعيد الفكر ، اتجهوا نحو أسلوب الضغط الإقتصادي على المسلمين فيذكرون أن رجالاً من أهل الجاهلية باعوا يهوداً بضاعة ثم أسلموا وطلبوا من اليهود دفع الثمن فقالوا: ليس علينا أمانة ، ولا قضاء عندنا ، لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه ! وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم ! فجاء في الآية المباركة الرد عليهم: وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ

يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ .

٤ - ممالأة أعداء الإسلام ومساعدتهم بكل ما أمكنهم ، ولو بالتجسس..

٥ - محاربة الإسلام أيضاً عن طريق إثارة الفتن بين المسلمين ، ولا سيما بين الأوس والخزرج ، ونذكر على سبيل المثال قضية شاس بن قيس..

٦ - تآمرهم على حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وتحريضهم الناس عليه...

٧ - محاولات إثارة البلبلة وتشويش الأوضاع ، بإشاعة الأكاذيب وتخويف ضعاف النفوس من المسلمين.

٨- تآمرهم مع المنافقين على الإسلام ومكرهم معهم بالمسلمين ، ثم علاقاتهم المشبوهة مع قريش وممالأتهم إياها على حرب الرسول صلى الله عليه وآله.

٩- تآمرهم ومكرهم لمنع المسلمين من الخروج للحرب ، وكانوا يجتمعون في بيت سويلم اليهودي لأجل تثبيط الناس عن الرسول صلى الله عليه وآله... ولقد صبر الرسول الأعظم على مخالفاتهم الكبيرة تلك ، تفادياً لحرب أهلية قاسية في مقره الجديد.. حتى طفح الكيل وبلغ السيل الزبى ». انتهى.

ومن طريف أخبار اليهود أن بني قريظة والنضير كانوا حلفاء الأوس ، وبني قينقاع حلفاء الخزرج ، وكان بين الأوس والخزرج حرب ، فكانت كل فئة من اليهود تحارب مع حلفائها فتقاتل إخوانها وتقتل منهم ! فوبخهم الله تعالى وقال لهم: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاتُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَاوَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.(البقرة: ٨٤-٨٥).

٤- سارع بنو قينقاع بعد بدر الى نقض عهدهم

كانت هزيمة قريش في بدر صاعقة على اليهود ، فأسرع الحاخام كعب بن الأشرف الى مكة لتقوية قلوب القرشيين ، ونشط في عداء النبي صلى الله عليه وآله وهجائه حتى أمر النبي صلى الله عليه وآله بقتله ! كما سارع بنو قينقاع الى إعلان نقض عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله وأخذوا يستعدون لحربه ، وكانوا صاغة اليهود وأكثرهم ثروة ، ولهم سوق الذهب في ضاحية المدينة ، المعروف باسم: سوق بني قينقاع. (الحموي: ٤/٤٢٤).

وكان رئيس بني قينقاع الحاخام مخيريق رحمه الله ، ولعلهم رأسوه عليهم لأنه من بني النضير وبنو النضير وقريظة من ذرية هارون عليه السلام ، لكنهم لم يطيعوه عندما دعاهم الى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله، ولا عندما نصحهم بعدم نقض عهد التعايش معه.

وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج وطرف تحالفهم عبادة بن الصامت ، وكان من النقباء وخيار الصحابة ، وعبدالله بن سلول ، وكان رأس المنافقين من أهل المدينة ومن الذين في قلوبهم مرض ، أي الطبقة السياسية في المنافقين.

وكانت قريش تراسل ابن سلول وبني قينقاع قبل بدر ، تحثهم على حرب النبي صلى الله عليه وآله ، ومما كتبته اليهم: « إنكم آويتم صاحبنا ، وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لتخرجنه ، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم » !

فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله لقيهم فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ماكانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم ، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم ؟! فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وآله تفرقوا .

فبلغ ذلك كفار قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون ، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا . (أبو داود:٢/٣٣).

هنا سارع بنو قينقاع فنقضوا عهدهم وأخذوا يستعدون للحرب فنزل قوله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ.

وفي تفسير القمي:١/٩٧:« لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر أتى بني قينقاع وهو يناديهم ، وكان بها سوق يسمى سوق النبط ، فأتاهم رسول الله فقال: يا معشر اليهود قد علمتم ما نزل بقريش ، وهم أكثر عدداً وسلاحاً وكراعاً منكم ، فادخلوا في الإسلام فقالوا: يا محمد أإنك تحسب حربنا مثل حرب قومك؟! والله لو لقيتنا للقيت رجالاً ! فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ». (ونحوه ابن إسحاق: ٣/٢٩٤).

وفي إعلام الورى: ١/١٧٥:«كانت غزوة بني قينقاع يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله حاصرهم ستة أيام حتى نزلوا على حكمه... خرجوا من المدينة ونزلوا أذرعات ».

فكانت غزوتهم بعد بضعة وعشرين يوماً من رجوع النبي صلى الله عليه وآله من معركة بدر .

وفي سيرة ابن إسحاق:٢٩٥/٣:«كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله وحاربوا فيما بين بدر وأحد ، فحاصرهم رسول الله حتى نزلوا على حكمه ، فقام اليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في مواليَّ ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطأ عنه رسول الله (ص) فقال: يا محمد أحسن ، فأعرض عنه رسول الله ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله (ص) قال فقال له رسول الله وغضب رسول الله ثم قال: ويحك أرسلني ، فقال: لا والله لاأرسلك حتى تحسن في مواليَّ ، أربع مائة حاسر وثلاث مائة دارع ، منعوني من الأحمر والأسود وتحصدهم في غداة واحدة ! إني والله امرؤ أخشى الدوائر ! فقال رسول الله (ص): هم لك » !

وفي الطبري: ١٧٣/٢:«فقال النبي(ص): خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم ، فأرسلوهم ثم أمر بإجلائهم وغَنَّمَ الله عز وجل رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال ، ولم تكن لهم أرضون إنما كانوا صاغة فأخذ رسول الله (ص) لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم ، وكان الذي ولي إخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت فمضى بهم حتى بلغ بهم ذباب وهو يقول: الأقصى فالأقصى».

ونحوه الطبقات: ٢٩/٢ ، وفيه:«وجدوا في حصنهم سلاحاً كثيراً وآلة الصياغة ، فأخذ رسول الله (ص) صفيه والخمس وفض أربعة أخماس على أصحابه ، فكان أول خمسٍ خُمِّسَ بعد بدر» .

٥- رئيس بني قينقاع خير بني يهود

كان الحاخام مخيريق رحمه الله أغنى اليهود ، وقد وفقه الله للإسلام فقصد النبي صلى الله عليه وآله عند وصوله الى قباء وأسلم على يده ، ودعا قومه الى الإسلام فأبوا ، فتركهم وانحاز الى النبي صلى الله عليه وآله ، ووهب له كل أمواله وكانت بساتين كبيرة في بني النضير ثم قاتل معه في أحد واستشهد رحمه الله. قال في المناقب:١٤٦/١:«وكان مخرنق أحد بني النضير حبراً عالماً أسلم وقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصى بماله لرسول الله وهو سبع حوائط وهي: الميثب، والصايفة، والحسنى، ويرقد، والعواف، والكلاء، ومشربة أم إبراهيم» .

وفي الإصابة: ٤٦/٦: «كان عالماً وكان أوصى بأمواله للنبي(ص) وهي سبع حوائط... وشهد أحداً فقتل بها فقال رسول الله (ص): مخيريق سابق يهود ، وسلمان سابق فارس ، وبلال سابق الحبشة... فلما خرج النبي(ص) إلى أحُد قال لليهود: ألا تنصرون محمداً؟ والله إنكم لتعلمون أن نصرته حق عليكم ! فقالوا: اليوم يوم السبت ! فقال: لا سبت ! وأخذ سيفه ومضى إلى النبي (ص) فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، فلما حضره الموت قال: أموالي إلى محمد يضعها حيث شاء..».انتهى.

وقد أوقف النبي صلى الله عليه وآله هذه الأموال وجعل ولايتها لابنته فاطمة الزهراء وذريتها ، وكذا نخل بني النضير الذي أفاءه الله على نبيه صلى الله عليه وآله ولم يوجف عليه بخيل ولاركاب .
ففي سنن أبي داود: ٢٣/٢، وتاريخ المدينة:١٧٣/١، وفتح الباري:١٤٠/٦:«فكان نخل بني النضير لرسول الله (ص) خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها... وبقي منها صدقة رسول الله (ص) التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها ». لكن أبا بكر صادر ذلك بحجة أنه ولي الأمر بعده صلى الله عليه وآله ! وقال إنه هو يعطي نفقة المأكل والمشرب لعترة النبي صلى الله عليه وآله !

٦- غزوة بني النضير

لم يكتف بنو النضير وسيدهم كعب بخيانة النبي ﷺ، بل حاولوا اغتياله ! فأمره الله تعالى أن يقتل كعباً وبعض شرارهم لينذرهم بذلك ، ثم يغزوهم.

«أجمعت بنو النضير بالغدر ، فأرسلوا إلى رسول الله (ص) أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك ، وليخرج منا ثلاثون حبراً ، حتى نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك ، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله (ص) بالكتائب فحصرهم فقال لهم: إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه ». (سنن أبي داود: ٢/٢٣).

وفي الصحيح من السيرة: ٦/٥٨:« فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوقهم ، فجلست عند صائغ منهم لأجل حلي لها ، فأرادوها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ أو رجل آخر إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي لاتشعر ! فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها ، فصاحت فوثب مسلم على من فعل ذلك فقتله ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستنصر أهل المسلم بالمسلمين فغضب المسلمون ، وقال ﷺ: ماعلى هذا أقررناهم !

فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم ، وقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ».

٧- حاصر النبي صلى الله عليه وآله بني النضير وقطف علي عليه السلام النصر

قال المفيد في الإرشاد: ٩٢/١، ونحوه المناقب: ٣٣٢/٢: « ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بني النضير عمل على حصارهم ، فضرب قبته في أقصى بني خطمة من البطحاء فلما أقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة ، فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن تحول قبته إلى السفح ، وأحاط به المهاجرون والأنصار .

فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام فقال الناس: يا رسول الله ، لا نرى علياً ؟ فقال صلى الله عليه وآله: أراه في بعض ما يصلح شأنكم ! فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي صلى الله عليه وآله وكان يقال له عزورا ، فطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله فقال له النبي صلى الله عليه وآله: كيف صنعت؟ فقال: إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً ، فكمنت له وقلت ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منا غِرة ، فأقبل مصلتاً سيفه في تسعة نفر من أصحابه اليهود ، فشددت عليه فقتلته وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً ، فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم ! فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة ، وسهل بن حنيف ، فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة ، وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير. وفي تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف... (يبدو أنه كعب آخر غير المعروف).

وفيما كان من أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة وقتله اليهودي ، ومجيئه إلى النبي صلى الله عليه وآله برؤوس التسعة النفر ، يقول حسان:

لله أي كريهـــة أبليتَهـــا بينـي قريظـة والنفـوس تطلّـعُ
أردى رئيســهم وآبَ بتســعة طـوراً يشـلهم وطـوراً يـدفع»

وفي الصحيح من السيرة: ٩٢/٨، تحت عنوان: الفتح على يد علي عليه السلام: ما حاصله:

«كان لهذه الضربة تأثير كبير على معنويات بني النضير وضج الرعب في قلوبهم فإن تصدي رجل واحد من المسلمين لعشرة منهم، ثم قتل العشرة جميعاً، يؤذن بأن المسلمين قادرون على إبادتهم، واستئصال شأفتهم بسهولة ويسر!

ويلاحظ أن شعر حسان ذكر أن هذه القضية وقعت في بني قريظة، لكن الرواية تنص على حدوث ذلك في بني النضير، فيكون الخلل في رواية شعر حسان».

٨- الغرور اليهودي في بني النضير عند جلائهم!

تعمد بنو النضير أن يخرجوا من ضاحية المدينة بمظاهر الزينة والإحتفال! «فخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير تجلداً.. ثم شقوا سوق المدينة والنساء في الهوادج عليهن الحرير والديباج، وقطف الخز الخضر والحمر، قد صف لهم الناس، فجعلوا يمرون قطاراً في إثر قطار، فحملوا على ستمائة بعير.. ومروا يضربون بالدفوف ويزمرون بالمزامير...

ونادى أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ورفع مسك الجمل: إن هذا المسك مملوء من الحلي.. هذا مما نعده لخفض الأرض ورفعها، فإن يكن النخل قد تركناه، فإنا نقدم على نخل بخيبر... فقد كان بنو النضير أهل جبروت وقسوة وبغي وعنجهية واعتداد بالنفس، حتى إنهم ليظلمون إخوانهم من بني قريظة، وهم

أيضاً من بني هارون ، ظلماً فاحشاً ومخالفاً لأحكام التوراة الصريحة ، وحتى لأحكام أهل الجاهلية ! واستقبلهم يهود خيبر بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ، ما رؤي مثله من حي من الناس في زمانهم ». (الصحيح من السيرة بتصرف: ١٧٤/٨).

وفي الصحيح من السيرة: ١٤٢/٨: « تنص الروايات على أن الرجل من بني النضير كان يهدم بيته عن نجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به» !

٩- بداية حشر اليهود بإجلاء بني النضير

في تفسير القمي: ٣٥٨/٢: « سورة الحشر مدنية آياتها أربع وعشرون: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَهُوَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا...

سبب نزول ذلك أنه كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود بنو النضير وقريظة وقينقاع ، وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد ومدة فنقضوا عهدهم ، وكان سبب ذلك من بني النضير في نقض عهدهم أنه أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله يستسلفهم دية رجلين قتلهما رجل من أصحابه غيلة ، يعني يستقرض ، وكان قصد كعب بن الأشرف فلما دخل على كعب قال: مرحباً يا أبا القاسم وأهلاً ! وقام كأنه يضع له الطعام وحدث نفسه أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وآله ويتبع أصحابه ، فنزل جبرئيل فأخبره بذلك ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وقال لمحمد بن مسلمة الأنصاري:

إذهب إلى بني النضير فأخبرهم أن الله عز وجل قد أخبرني بما هممتم به من الغدر ، فإما أن تخرجوا من بلدنا وإما أن تأذنوا بحرب ! فقالوا: نخرج من بلادك. فبعث إليهم عبد الله بن أبيّ ألا تخرجوا وتقيموا وتنابذوا محمداً الحرب ، فإني أنصركم أنا وقومي وحلفاي، فإن خرجتم خرجت معكم وإن قاتلتم قاتلت معكم.

فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيؤوا للقتال ، وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إنا لا نخرج فاصنع ما أنت صانع. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وكبر وكبر أصحابه ، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: تقدم إلى بني النضير ، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الراية وتقدم ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأحاط بحصنهم ، وغدر بهم عبد الله بن أبيّ !

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ظهر بمقدم بيوتهم حصنوا ما يليهم وخربوا ما يليه ، وكان الرجل منهم ممن كان له بيت حسن خربه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقطع نخلهم فجزعوا من ذلك ، وقالوا يا محمد: إن الله يأمرك بالفساد؟ إن كان لك هذا فخذه وإن كان لنا فلا تقطعه .

فلما كان بعد ذلك قالوا: يا محمد نخرج من بلادك وأعطنا ما لنا. فقال: لا ، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل ، فلم يقبلوا ذلك فبقوا أياماً ، ثم قالوا: نخرج ولنا ما حملت الإبل ، فقال: لا ، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه ، فخرجوا على ذلك ، ووقع قوم منهم إلى فدك ووادي القرى ، وخرج منهم قوم إلى الشام ، فأنزل الله فيهم: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا..الى قوله: شديد العقاب.

وأنزل الله عليه فيما عابوه من قطع النخل: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ.. الى قوله: رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.

وأنزل الله عليه في عبد الله بن أبيّ وأصحابه: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ.. الى قوله: ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ. ثم قال: مَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، يعني بني قينقاع، قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. ثم ضرب في عبد الله بن أبيّ وبني النضير مثلاً، فقال: كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ...

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار: إن شئتم دفعت إليكم فئ المهاجرين منها، وإن شئتم قسمتها بينكم وبينهم وتركتهم معكم؟ قالوا: قد شئنا أن تقسمها فيهم، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين ودفعها عن الأنصار، ولم يعط من الأنصار إلا رجلين: سهيل بن حنيف وأبو دجانة، فإنهما ذكرا حاجة».

أقول: تقدم أن بني النضير أخذوا ما حملت الإبل، فلا بد أن يكون هؤلاء بنو قريظة وفي هذا الموضوع أربع مسائل:

المسألة الأولى: معنى حشر اليهود وهو موضوع السورة:

وقد سماه الله تعالى الحشر الأول، فما هو حشرهم الثاني؟ لا تجد في كلام المفسرين السنة ما يقنعك، بل فيها تهافت وتخبط! وغاية ما ذكروه أن الحشر الأول إجلاؤهم من الحجاز الى الشام والثاني حشرهم في الآخرة من بلاد الشام

أيضاً أو من عدن ! ورتبوا عليهما ما رووه من أن الشام أرض المحشر والمنشر ، وأن الناس يحشرون من عدن بنار تسوقهم الى الشام أرض المحشر .

لكن يردُّه أن سورة الحشر نزلت في حشر بني النضير ، وقد بدأ حشر اليهود بني قينقاع الذين أجلاهم النبي صلى الله عليه وآله قبلهم ؟

وأجابوا بأن بني النضير أول من حشروا الى الشام ، ولا يصح ذلك لأن بني قينقاع ذهبوا الى أذرعات الشام ، وهي المعروفة اليوم بدرعا على الحدود السورية الأردنية ، بينما ذهب أكثر بني النضير الى خيبر ، وقليل منهم الى الشام !

والجواب المقنع: أن حشر اليهود الثاني يكون عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ويعبر عنه بيوم الرجعة ، أي رجعة أهل البيت عليهم السلام. (التفسير الأصفى: ١٢٨١/٢).

ويرتبط حشرهم بآيات إفسادهم في الأرض مرتين ، وقد كان إفسادهم الأول قبل الإسلام وانتهى بهزيمتهم وحشرهم الأول على يد النبي صلى الله عليه وآله ، وإفسادهم الثاني بعد الإسلام وينتهي بحشرهم الثاني الذي قال عنه الله تعالى: وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأرض فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا. (الإسراء: ١٠٤).

أما لماذا جعل الله تعالى إجلاء بني النضير أول حشر اليهود وليس ببني قينقاع؟ فقد يكون السبب أن بني النضير كانت لهم أراض وبساتين فأجلاهم منها ، بينما كان بنو قينقاع صاغة وتجار ذهب ، وأن بني النضير من ذرية هارون دون بني قينقاع. فقد يكون للأرض ، أو لقادة بني إسرائيل ، دخلاً في بدء الإجلاء.

والجواب الأقوى: أن إجلاء اليهود وحشرهم بدأ ببني قينقاع وتواصل ببقيتهم لكن الحكمة اقتضت تأخير نزول السورة التي ذكرت حشرهم الى ما بعد إجلاء

بني النضير ، كما أجمع المفسرون ، أو بعد إجلاء بني قريظة كما هو محتمل ، ولعلها لو نزلت بعد إجلاء بني قينقاع ، لأضر ذلك بخطة إجلاء الباقين.

المسألة الثانية: هل قطع النبي صلى الله عليه وآله نخيل بني النضير أو أحرقه ؟

ذكرت مصادر الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بقطع بعض النخلات من بساتين بني النضير ، وقد تكون نخلات ملتفة تقع بين معسكره وحصونهم ، كانوا يتخذونها مخبأ لعمليات ليلية ، فقطع منها أو من سعفها الملتف بقدر الضرورة ، ويؤيد ذلك أنهم سموها البويرة ، ومعناها قطعة الأرض الصغيرة التي كانت بوراً غير مغروسة ثم غرست . لاحظ قول ابن شهراشوب في المناقب: ١/١٧٠: «ثم حاصرهم نيفاً وعشرين يوماً وأمر بقطع نخلات ، قوله: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ ، وهي البويرة في قول حسان ».

فالمقطوع هو نخلات قطعها المسلمون بإجازة النبي صلى الله عليه وآله لغرض مشروع ! لكن رواة السلطة بالغوا في المسألة وصوروا الأمر كأنه إبادة منطقة نخيل واسعة ، وغرضهم أن يبرروا ماارتكبه بعضهم في الفتوحات أو الحروب الداخلية من إحراق أشجار وبيوت ! لاحظ التضخيم في قول البخاري: ٥/٢٣: « حرق رسول الله (ص) نخل بني النضير وقطعه ، وهي البويرة ، فنزل: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ».

وغرضه إثبات منقبة لبعض الصحابة الذين كانوا بزعمهم أعقل من النبي صلى الله عليه وآله وأرحم فنهوه عن ذلك !

قال السرخسي في المبسوط:١٠/٣٢: « وأمر بقطع النخيل بخيبر حتى أتاه عمر فقال: أليس أن الله تعالى وعدك خيبر؟ فقال: نعم. فقال: إذاً تقطع نخيلك ونخيل أصحابك ؟! فأمر بالكف عن ذلك ! ولما حاصر ثقيفاً أمر بقطع النخيل والكروم ، حتى شق ذلك عليهم » !

وفي السير الكبير:١/٥٥: « قال الراوي: فأخبرني رجال رأوا السيوف في نخيل النطاة وقيل لهم: هذا مما قطع رسول الله ! والنطاة اسم حصن من حصون خيبر» !

وفي دلائل النبوة للبيهقي:٥/١٥٧، وسننه:٩/٩٠: «وزاد عروة في روايته قال: وأمر رسول الله المسلمين حين حاصروا ثقيفاً أن يقطع كل رجل من المسلمين خمس نخلات أو حبلات من كرومهم ! فأتاه عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله إنها عفاء لم تؤكل ثمارها ! فأمرهم أن يقطعوا ما أكلت ثماره الأول فالأول » !

كما رووا أن أبا بكر كان أعقل وأرحم من النبي صلى الله عليه وآله فأوصى بأن لايقطع الشجر ! فهي روايات موظفة لمدح عمر وأبي بكر ولو بالطعن بالنبي صلى الله عليه وآله ! تعويضاً لهما عن عدم مشاركتهما يوماً في قتال ! وهذا كافٍ لإسقاط الرواية .

المسألة الثالثة: لماذا جعل الله أراضي بني النضير ملكاً خاصاً للنبي صلى الله عليه وآله؟

نص القرآن على أن البلاد التي تفتح بدون قتال تكون ملكاً خاصاً للنبي صلى الله عليه وآله، قال تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (الحشر: ٦).

وفي المقنعة للمفيد/٢٧٨: «الأنفال لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة في حياته ، وهي للإمام القائم مقامه من بعده خالصة ، كما كانت له عليه وآله السلام في حياته ، قال الله عز وجل: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ..وماكان للرسول من ذلك فهو لخليفته القائم في الأمة مقامه من بعده.

والأنفال كل أرض فتحت من غير أن يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، والأرضون الموات ، وتركات من لا وارث له من الأهل والقرابات ، والآجام ، والبحار ، والمفاوز ، والمعادن ، وقطايع الملوك. روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: نحن قوم فرض الله تعالى طاعتنا في القرآن ، لنا الأنفال ، ولنا صفو الأموال. يعني بصفوها ما أحب الإمام من الغنائم واصطفاه لنفسه قبل القسمة ، من الجارية الحسناء والفرس الفارِهِ والثوب الحسن ، وما أشبه ذلك من رقيق أو متاع ، على ما جاء به الأثر من هذا التفسير عن السادة عليهم السلام».وجواهر الكلام: ٧/١٦ ، و١١٧، و١٣٧، و: ١٦٩/٢١.

وقد اتفق المسلمون على أن أراضي بني النضير ملك للنبي صلى الله عليه وآله. ففي سنن أبي داود: ٣٣/٢، وتاريخ المدينة: ١٧٣/١، وفتح الباري: ١٤٠/٦: « فكان نخل بني النضير لرسول الله (ص) خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها... وبقي منها صدقة رسول الله (ص) التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها ».

وقال المفيد في الإرشاد: ٩٢/١، ونحوه المناقب: ٣٣٢/٢: « واصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله أموال بني النضير ، فكانت أول صافية قسمها رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين الأولين ، وأمر علياً عليه السلام فحاز ما لرسول الله منها فجعله صدقة ، فكان في يده أيام حياته ، ثم في يد أمير المؤمنين عليه السلام بعده ، وهو في ولد فاطمة عليها السلام حتى اليوم ».

أقول: ويضاف الى ما أجمع عليه فقهاؤنا واستفاض في مصادرنا: أن الله تعالى مَلَّكَ الأرض كلها لنبيه صلى الله عليه وآله وبعده للإمام من أهل بيته عليهم السلام كقول الإمام الباقر عليه السلام قال:« قال رسول الله: خلق الله آدم وأقطعه الدنيا قطيعة ، فما كان لآدم فلرسول الله صلى الله عليه وآله وماكان لرسول الله فهو للأئمة من آل محمد عليهم السلام». (الكافي:١/٤٠٩).

وفي الكافي:١/٤٠٧ ، عن أبي خالد الكابلي عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض ، ونحن المتقون والأرض كلها لنا ، فمن أحيا أرضاً من المسلمين فليعمرها وليؤد خراجها إلى الإمام من أهل بيتي وله ما أكل منها. فإن تركها أو أخربها وأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرها وأحياها فهو أحق بها من الذي تركها ، يؤدي خراجها إلى الامام من أهل بيتي وله ما أكل منها حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف ، فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها كما حواها رسول الله صلى الله عليه وآله» .

وقال الإمام الصادق عليه السلام:« أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء ، جائز له ذلك من الله ». (الكافي:١/٤٠٨).

وقد بحث في الصحيح من السيرة تاريخ أموال بني النضير، وعقد فصلاً (٨/٢٢١) بعنوان:«أراضي بني النضير والكيد السياسي ، وذكر أنهم صادروها بعد النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته عليهم السلام ، ثم ردها عمر ، ثم صادروها وادعوا أنهم أولى بها..الخ.

كما بحث في(٨/١٤٢) محاولة علماء السلطة أن يخرجوا أرض بني النضير من ملكية النبي صلى الله عليه وآله الخاصة فادعوا أنه فتحها كان بقتال ! ليثبتوا أن الصحابة فتحوها مع أن القرآن نص على أنها للنبي صلى الله عليه وآله ، وأن ما أعطاه لبعض الصحابة كان من ملكه .

وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه الخطط السياسية/٣١١:

١ - ترك رسول الله الحوائط السبعة اللاتي وهبهن له مخيريق .

٢ - ما وهبه الأنصار إياه ، وهو كل ما ارتفع من أراضيهم الزراعية .

٣ - أراضي بني النضير الزراعية ونخيلها .

٤ - ثمانية أسهم من مجموع ٣٦ سهماً من أراضي خيبر .

٥ - أراضي وادي القرى الزراعية .

وبعد وفاة الرسول استولى عليها أبو بكر... جاء في مجمع الزوائد:٣٩/٩ ، عن عمر ، أنه «لما قبض رسول الله جئت أنا وأبو بكر إلى علي فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله؟ قال: نحن أحق الناس برسول الله ! قال فقلت: والذي بخيبر ؟ قال: والذي بخيبر. قلت: والذي بفدك ؟ قال: والذي بفدك. فقلت: أما والله حتى تحزوا رقابنا بالمناشير !!

قرارات إقتصادية لا بد منها: لإجبار الآل الكرام على الإحتكام للسلطة ، بغض النظر عن طبيعة القرارات التي ستصدر عنها.

١ - تجريد الآل الكرام من سلاح خطير وهو المال ، فإذا استعمله الآل الكرام ، فقد يؤلفون به قلوب المسلمين ويستميلونهم لصالح قضيتهم.

٢ - ربط الآل الكرام بالسلطة الحاكمة ، وجعل رغيفهم بيد هذه السلطة ، لتضمن السيطرة الكاملة عليهم ، وتحييدهم وإلغاء دورهم كقيادة سياسية شرعية.

٣ - عزل الآل الكرام شعبياً حتى تميل عنهم أعين الناس.

٤- الحيلولة العملية بين الآل الكرام والمطالبة بالجمع بين النبوة والخلافة .

تحقيق هذه الأهداف:

فقد فاوض الآل الكرام واحتكموا إلى السلطة ، فحكمت السلطة بتنفيذ قراراتها الإقتصادية ، وحرمانهم من التركة ومن المنح ومن سهم ذوي القربى ! وبموت فاطمة انصرف الناس عن علي فشق بنفسه طريق المصالحة وبايع هو وبنو هاشم وسلموا

بالأمر الواقع !! فعساه أن يتمكن يوماً من اطلاع الأمة على الحقيقة المرة ، وأن يبصر الناس بالتقاطيع الأساسية للمنظومة السياسية الإلهية فيقارنوا بينها وبين ما حدث في التاريخ» ! انتهى.

وقال في الخطط السياسية/٣٢١، تحت عنوان:« من أين يأكلون بحق السماء؟!:
مشكلة الآل الكرام الحقيقية أنه محظور عليهم أن يأخذوا الصدقة فهي محرمة عليهم لذلك خصهم الله تعالى بسهم ذوي القربى لتغطية هذه الناحية. هل يعيش الآل الكرام وأهل البيت عيش السوقة؟ هل يتسولون الناس؟ من أين يأكلون؟

عن أنس بن مالك أن أبا بكر قال لفاطمة عندما سألته عن سهم ذوي القربى: أفلك هو ولأقربائك؟ قالت نعم ، قال: لا، أنفق عليكم منه... وقال مرة: السهم لكم في حال حياة النبي ، وبعد موته ليس لكم...

وفي سنن الترمذي: ١١١/٧، أن أبا بكر قال: إني أعول من كان يعول رسول الله وأنفق على من كان رسول الله ينفق عليه ! فالدولة إذا هي تنفق على أهل بيت محمد بدليل قول أبي بكر: إن رسول الله قال لانورث ما تركناه فهو صدقة ، أن يأكل آل محمد من هذا المال ، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل..

فالحاكم يقدم لهم المأكل ولا يزيدون على المأكل ! فطوال التاريخ يجب على أهل البيت أن يرتبطوا بالحاكم الذي يقدم لهم المأكل، ومن الحشمة وحسن الخلق أن يطيع الإنسان من يطعمه» !راجع صحيح البخاري: ٢/ ٢٠٠، وسنن أبي داود: ٢/ ٤٩، وسنن النسائي: ٢/ ١٧٩.

المسألة الرابعة: مسجد الفضيخ وتحريم الخمر:

قال في الصحيح من السيرة: ١٨٦/٨ ، ما حاصله:« قال اليعقوبي وغيره: في هذه الغزوة شرب المسلمون الخمر فسكروا ، فنزل تحريم الخمر.. قال في الروضة: إن غزوة بني

النضير سنة ثلاث: وإن تحريم الخمر بعد غزوة أحد.. وروى القمي أنه لما نزل تحريم الخمر خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المسجد فقعد فيه ، ثم دعا بآنيتهم التي كانوا ينتبذون فيها فأكفأها كلها وقال: هذه كلها خمر وقد حرمها الله. وكان أكثر شئ أكفئ يومئذ من الأشربة الفضيخ فلذلك سمي المسجد بمسجد الفضيخ .

وأكثر من ذلك كله جرأة على الله ورسوله صلى الله عليه وآله ما رووه عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وآله أتي بجرة فضيخ فلذلك سمي مسجد الفضيخ ! والفضيخ: عصير العنب وشراب يتخذ من التمر. ومسجد الفضيخ هو المعروف بمسجد الشمس.

ونقول: إن تحريم الخمر كان في مكة ، فإن صح شئ من هذه الرواية فلابد أن يكون الأصحاب خالفوا حكم الله فيها وارتكبوا الحرام فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله.. وقد يكون أتي إليه به فيرفضه ونهى عنه»

٥ ٥

تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة

١- مكة قبل بيت المقدس قبلة آدم ونوح وإبراهيمعليهم السلام

منذ أن أسكن الله آدم وبنيه في الأرض ، أمرهم أن يتجهوا في صلاتهم الى مركز في الأرض يسمى القبلة ، فكانوايصلون الى الكعبة ، فهي كما قال الله تعالى: إِنَّ أَوَلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ..ثم جعل الله بيت المقدس قبلة لإبراهيمعليه السلاموأمره في نفس الوقت أن يجدد بناء الكعبة .

وعندما بعث الله رسولهصلى الله عليه وآلهأمره الله تعالى أن يتجه الى قبلة جده إبراهيمعليه السلام لحكمة ، ثم أمره بعد هجرته ، وبعد معركة بدر أن يتجه الى القبلة الأولى لأجداده آدم والأنبياءعليهم السلام . وأنزل عليه: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ..

وقد جعل اليهود قبلة إبراهيمعليه السلامقبلة قومية وتعصبوا لها وفضلوها على الكعبة ، مع أن الكعبة أقدم منها ، وقد جدد بناءها إبراهيمعليه السلام .

قال زرارةرحمه الله:«كنت قاعداً إلى جنب أبي جعفرعليه السلاموهو محتبٍ مستقبل الكعبة فقال: أما إن النظر إليها عبادة ، فجاءه رجل من بجيلة يقال له: عاصم بن عمر فقال لأبي جعفر: إن كعب الأحبار كان يقول: إن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة! فقال أبو جعفر: فما تقول فيما قال كعب؟ فقال: صدق ، القول ما قال كعب! فقال أبو جعفرعليه السلام: كذبت وكذب كعب الأحبار معك ، وغضب ! قال زرارة: ما

رأيته استقبل أحداً بقول كذبت غيره ! ثم قال: ما خلق الله عز وجل بقعة في الأرض أحب إليه منها ، ثم أومأ بيده نحو الكعبة ولا أكرم على الله عز وجل منها لها حرَّم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض ، ثلاثة متوالية للحج: شوال وذو العقدة وذو الحجة ، وشهر مفرد للعمرة رجب». (الكافي: ٢٣٩/٤).

٢- الكعبة والأمة الوسط

قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ .

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ. وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ .

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ

مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون . وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَاكُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلايَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاتَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(البقرة: ١٤٣-١٥٠).

قال المحقق البحراني في الحدائق الناضرة:٣٦٨/٦:« في الكافي في الصحيح أو الحسن عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي إلى بيت المقدس؟ قال نعم. فقلت أكان يجعل الكعبة خلف ظهره؟ فقال أما إذا كان بمكة فلا ، وأما إذا هاجر إلى المدينة فنعم ، حتى حُوِّل إلى الكعبة .

وروى الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمي بإسناده إلى الصادق أن النبي صلى الله عليه وآله صلى بمكة إلى بيت المقدس ثلاث عشرة سنة ، وبعد هجرته صلى الله عليه وآله صلى بالمدينة سبعة أشهر ثم وجهه الله تعالى إلى الكعبة، وذلك أن اليهود كانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون له أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا ، فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك غماً شديداً ، وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك أمراً ، فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين ، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فأخذ بعضديه وحوله إلى الكعبة وأنزل عليه: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ.. الآية.. فصلى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة. وقال الصدوق في الفقيه: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشرة سنة بمكة وتسعة عشر شهراً بالمدينة ، ثم عيرته اليهود فقالوا له إنك تابع قبلتنا ، فاغتم لذلك غماً شديداً ، فلما كان في

بعض الليل خرج صلى الله عليه وآله يقلب وجهه في آفاق السماء ، فلما أصبح صلى الغداة فلما صلى من الظهر ركعتين جاءه جبرئيل فقال له: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ.. الآية ، ثم أخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله فحول وجهه إلى الكعبة وحول من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال ، فكان أول صلاته إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة. وبلغ الخبر مسجداً بالمدينة وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو القبلة ، فكانت أول صلاتهم إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة ، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ، فقال المسلمون صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ. يعني صلاتكم إلى بيت المقدس» .

وروينا ، أن تحويل القبلة كان في النصف من شهر رجب في السنة الثانية للهجرة كما في مسارّ الشيعة للمفيد/٥٧ ، وإقبال الأعمال:٢٥٤/٣ ، وغيرهما .

وفي تهذيب الأحكام:٤٣/٢:«إن بني عبد الأشهل أتوْهم وهم في الصلاة وقد صلوا ركعتين إلى بيت المقدس فقيل لهم: إن نبيكم قد صرف إلى الكعبة ، فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء ، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة فصلوا صلاة واحدة إلى قبلتين. فلذلك سمي مسجدهم مسجد القبلتين ».

وروى في تفسير الإمام العسكري عليه السلام/٤٩١ ، مناقشة اليهود للنبي صلى الله عليه وآله في تغيير القبلة الى الكعبة، وفيه:« وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد

هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها أربع عشرة سنة ثم تركتها الآن ، أفحقاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل ، فإن ما يخالف الحق فهو باطل. أو باطلاً كان ذلك ، فقد كنت عليه طول هذه المدة ، فما يؤمننا أن تكون إلى الآن على باطل ؟

فقال رسول الله ﷺ: بل ذلك كان حقاً وهذا حق ، يقول الله: قُلْ لِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به ، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به ، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به ، فلا تنكروا تدبير الله تعالى في عباده وقصده إلى مصالحكم.

ثم قال لهم رسول الله ﷺ: لقد تركتم العمل يوم السبت ، ثم عملتم بعده من سائر الأيام ، ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده ، أفتركتم الحق إلى الباطل أو الباطل إلى حق ، أو الباطل إلى باطل أو الحق إلى حق ؟ قولوا كيف شئتم فهو قول محمد وجوابه لكم ! قالوا: بل ترك العمل في السبت حق والعمل بعده حق. فقال رسول الله ﷺ: فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق ». والإحتجاج: ٤٤/١.

٣- ترك بنو أمية الكعبة وحججوا الناس الى بيت المقدس

ذكرنا في جواهر التاريخ:٤٩٩/٤ ، أن ابن الزبير لما سيطر على الحجاز ،استغل موسم الحج ونشر أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في بني مروان ولعنه إياهم ، فخاف عبد الملك بن مروان من ذلك فمنع الحج ، وأمر الناس أن يحجوا بدل مكة الى بيت المقدس !

قال اليعقوبي:٢٦١/٢:« فضج الناس وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا ؟! فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجدي ، ومسجد بيت المقدس. وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام. وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة ! فبنى على الصخرة قبة ، وعلق عليها ستور الديباج ، وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وأقام بذلك أيام بني أمية».

○ ○

الفصل الحادي والأربعون

أزواج النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة خديجة عليها السلام

من الإشكالات التي طرحها خصوم الإسلام تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وآله ، مع أنهم يعرفون أنه صلى الله عليه وآله عاش ثلاثاً وخمسين سنة في مكة ولم يتزوج إلا خديجة عليها السلام ، فتعدد زوجاته صلى الله عليه وآله كان في السنوات العشر التي بني فيها دولته ، واحتاج الى إقامة أوسع العلاقات مع قبائل المجتمع وفئات الناس .

وبحكم إيماننا بعصمته الشاملة صلى الله عليه وآله وأنه لاينطق عن الهوى ، ولا يعمل إلا بتوجيه ربه عز وجل ، نعتقد بأن تعدد زوجاته كان غرضاً ربانياً لخدمة الرسالة .

ويدل عليه نوعية الزوجات ، فمنهن العربية واليهودية والقبطية ، ومنهن من قبيلة مخزوم وأمية وتيم وعدي وغيرها من قبائل العرب ، ومنهن من أمره الله بالزواج منها لإثبات تشريع إسلامي وإبطال عرف جاهلي ، ومنهن كبيرة السن ذات أولاد ومنهن من لا إرب لها في الرجال ، ومنهن من قصد بها المصاهرة لتأليف أهلها أو قومها ، أو لدفع شرهم ، ولم يكن ليختارها زوجة لولا ذلك..الخ.

في الكافي:٣٩٠/٥« وكانت عائشة من تيم ، وحفصة من عدي ، وأم سلمة من بني مخزوم ، وسودة من بني أسد بن عبد العزى ، وزينب بنت جحش من بني أسد وعدادها من بني أمية ، وأم حبيب بنت أبي سفيان من بني أمية ، وميمونة بنت الحارث من بني هلال ، وصفية بنت حي بن أخطب من بني إسرائيل ».

وقال في الصحيح من السيرة:٢٥٣/٥ ، ملخصاً:«نلاحظ أن أكثر زوجاته صلى الله عليه وآله كن ثيبات: إما مطلقات أو ترملن من أزواجهن قبله ، فلو كان صلى الله عليه وآله يهتم بأمور الجنس لكان باستطاعته أن يتزوج خيرة الفتيات الأبكار ، ولوجد أولياءهن يفتخرون بمصاهرته لهم. وهو الذي حث وحبذ وأثنى على الزواج بالأبكار. وقد بقي خمساً وعشرين سنة مع زوجته خديجة ، المرأة الوفية التي كانت تكبره سناً كما يقولون ولم يتزوج عليها في حياتها ، مع أن تعدد الزوجات كان مألوفاً آنئذ .

وقد رفض عرض قريش عليه التزويج بأي النساء شاء ، مقابل أن يلين في موقفه ويخفف من مواجهته لآلهتهم وعقائدهم .

ونلاحظ أن نساءه صلى الله عليه وآله كن على كثرتهن من قبائل شتى ، لا تكاد تجد منهن اثنتين من قبيلة واحدة ، وأيضاً فإن هذا التعدد لم يشغل النبي صلى الله عليه وآله عن واجباته . وتاريخ حياته يشهد بأنه صلى الله عليه وآله كان مثال العفاف والطهر البالغ .

ومما يجب الإلتفات إليه أنه صلى الله عليه وآله قد خير زوجاته بين الرضا بحياة التقشف معه وبين الطلاق والفراق ، فلو كان زواجه بهن بسبب طغيان الغريزة الجنسية لديه لكان يجب أن يحتفظ بهن. إن زواجه المتعدد هذا كان لدوافع سياسية ، انطلاقاً من مصلحة الإسلام العليا ».

هذا ، وقد ذكر الفقهاء أحكاماً من خصائص النبي صلى الله عليه وآله في الزواج وغيره:

قال المحقق البحراني في الحدائق الناضرة: ٩٤/٢٣، وهو يعدد خصائص النبي صلى الله عليه وآله:

« الأول.. اختصاصه صلى الله عليه وآله بجواز الزيادة على الأربع في النكاح الدائم... عن الصادق عليه السلام: تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس عشرة امرأة ودخل بثلاث عشرة منهن

وقبض عن تسع ، فأما اللتان لم يدخل بهما فعمرة والشنباء ، وأما الثلاث عشرة اللواتي دخل بهن فأولهن خديجة بنت خويلد ، ثم سوده بنت زمعة ، ثم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية ، ثم أم عبد الله ، ثم عائشة بنت أبي بكر ، ثم حفصة بنت عمر ، ثم زينب بنت خزيمة بن حارث أم المساكين ، ثم زينب بنت جحش ثم أم حبيبة زملة بنت أبي سفيان ، ثم ميمونة بنت الحارث ، ثم زينب بنت عميس ، ثم جويرية بنت الحارث ، ثم صفية بنت حي بن أخطب ، والتي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم الأسلمي .

وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه: مارية القبطية ، وريحانة الخندقية. والتسع اللواتي قبض عنهن: عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وزينت بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وصفية ، وجويرية وسودة ، وأفضلهن خديجة بنت خويلد ، ثم أم سلمة ، ثم ميمونة...

وما رواه في الكافي عن الحلبي في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل:يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ.. قلت:كم أحل له من النساء؟ قال: ما شاء من شئ. قلت: قوله: لايَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ؟ فقال: لرسول الله ﷺ أن ينكح ما شاء من بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وأزواجه اللاتي هاجرن معه ، وأحل له أن ينكح من عرض المؤمنين بغير مهر وهي الهبة ، ولا تحل الهبة إلا لرسول الله ﷺ فأما لغير رسول الله فلايصلح نكاح إلا بمهر ، وذلك معنى قوله تعالى: وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ.. قلت: أرأيت قوله: تُرْجِى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُئْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ؟ قال: من آوى فقد نكح ، ومن أرجى فلم ينكح ، قلت: قوله: لايَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ.. قال: إنما عنى

به النساء اللاتي حرم عليه في هذه الآية: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ..إلى آخر الآية. ولو كان الأمر كما يقولون كان قد أحل لكم ما لم يحل له ، إن أحدكم يستبدل كلما أراد ولكن ليس الأمر كما يقولون ، إن الله عز وجل أحل لنبيه ما أراد من النساء ، إلا ما حرم عليه في هذه الآية التي في النساء...

وربما علل جواز تجاوز الأربع بالنسبة إليه صلى الله عليه وآله بامتناع الجور عليه لعصمته ، ورد بأن ذلك منتقض بالإمام عليه السلام لعصمته عندنا. وهل له الزيادة على التسع؟ قيل: لا ، لأن الأصل استواء النبي والأمة في الحكم ، إلا أنه ثبت جواز الزيادة إلى التسع بفعله صلى الله عليه وآله وقيل: بالجواز مطلقاً وهو اختياره في المسالك ، قال: والأولى الجواز مطلقاً لما ثبت من العلة ، وما ثبت من أنه جمع بين إحدى عشرة...

الثاني.. العقد بلفظ الهبة لقوله تعالى صلى الله عليه وآله وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي.. ولا يلزم بها مهر ابتداء ولا بالدخول كما هو قضية الهبة.. الأصل في هذا الحكم ما رواه في الكافي عن محمد بن قيس في الصحيح أو الحسن، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت عليه وهو في منزل حفصة والمرأة متلبسة متمشطة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إن المرأة لاتخطب الزوج ، وأنا امرأة أيِّم لا زوج لي منذ دهر ولا لي ولد ، فهل لك من حاجة؟ فإن تك فقد وهبت نفسي لك إن قبلتني. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: خيراً ودعا لها ، ثم قال يا أخت الأنصار جزاكم الله عن رسوله خيراً ، فقد نصرني رجالكم ورغب فيَّ نساؤكم. فقالت لها حفصة: ما أقل حياءك وأجراك وأنهمك على الرجال ! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: كفي عنها يا حفصة فإنها خير منك رغبت في رسول الله فلمتها وعبتها ! ثم قال للمرأة: إنصرفي رحمك الله فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك في وتعرضك

لمحبتي وسروري وسيأتيك أمري إن شاء الله ، فأنزل الله تعالى: وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ . قال: فأحل الله عز وجل هبة المرأة نفسها لرسول الله ﷺ ولا يحل ذلك لغيره...

الثالث.. وجوب تخييره النساء بين إرادته ومفارقته ، لقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً. الى قوله: أَجْرًا عَظِيمًا.. (وسيأتي هجر النبي ﷺ لنسائه وتخييره لهن).

وروى في الكافي عن عيص بن القاسم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رجل خير امرأته فاختارت نفسها ، بانت منه؟ قال: لا إنما هذا شئ كان لرسول الله ﷺ خاصة أمر بذلك ففعل ، ولو اخترن أنفسهن لطلقهن..

الرابع..تحريم نكاح الإماء عليه بالعقد ، ولم أقف له على دليل في أخبارنا وإنما علل ذلك بتعليلات اعتبارية ، علل بأن نكاح الأمة مشروط بالخوف من العنت وهو ﷺ معصوم... وأما وطأ الإماء بملك اليمين مسلمة كانت الأمة أو كتابية ، فهو مما لا إشكال في جوازه بالنسبة إليه ﷺ ، لقوله عز وجل ﷺ: أو ما ملكت أيمانكم.. وما ملكت يمينك ﷺ. وقد ملك ﷺ القبطية وكانت مسلمة ، وملك صفية وكانت مشركة ، فكانت عنده إلى أن أسلمت ، فأعتقها وتزوجها.

الخامس والسادس..تحريم الإستبدال بنسائه اللواتي كن عنده وقت نزول هذه الآية: لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ...الآية.

السابع.. وهو ما ذكره العلامة في التذكرة أنه كان إذا رغب في نكاح امرأة فإن كانت خلية وجب عليها الإجابة ، وحرم على غيره خطبتها..

الثامن.. تحريم زوجاته صلى الله عليه وآله على غيره لقوله عز وجل: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا . وللأخبار المتكاثرة ». انتهى.

ثم ذكر المحقق البحراني عدداً من خصائص النبي صلى الله عليه وآله في غير الزواج ، فقال:

«الأول: وجوب السواك، الثاني: وجوب الوتر، الثالث: وجوب الأضحية..روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: ثلاث كتبت عليَّ ولم تكتب عليكم: السواك والوتر والأضحية..

الرابع: قيام الليل والتهجد فيه ، لقوله عز وجل: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ...

الخامس: تحريم الصدقة الواجبة عليه وهي الزكاة المفروضة...

السادس: تحريم خائنة الأعين عليه ، وهي الغمز بها بمعنى الإيماء بها إلى مباح من ضرب وقتل ، على خلاف ما تشعر به الحال...

السابع: أنه أبيح له الوصال المحرم على أمته ، وهو عبارة عن الجمع بين الليل والنهار في الإمساك بالنية عن تروك الصوم ، أو تأخير عشائه إلى سحوره..

الثامن: أنه تنام يمينه ولا ينام قلبه. قال صلى الله عليه وآله: تنام عيني ولا ينام قلبي ، بمعنى بقاء التفحص والإحساس ، ولهذا لا ينقض وضوءه بالنوم..

التاسع: أنه كان يبصر وراءه كما يبصر أمامه ، وفي أخبار الأمر بإقامة الصفوف في الجماعة ما يدل عليه . إلى غير ذلك مما يضيق المقام عن نشره ، بل نشر عشر عشره كما لايخفى على من راجع الأخبار الدالة على ما خُص به صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة» .

وختم المحقق البحراني قدس سره ببعض خصائص الزهراء عليها السلام وقول النبي صلى الله عليه وآله:«إنما أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأزوجكم ، إلا فاطمة ، فإن تزويجها نزل من السماء. وإنها لاكفؤ لها إلا أمير المؤمنين عليه السلام ، وأن الله حرم النساء على علي عليه السلام مادامت فاطمة في الحياة .

الفصل الثاني والأربعون

غزوة أحُد

١ - استعداد قريش لحرب أحُد

تلقى زعماء قريش في معركة بدر صفعة شديدة ، فقد خسروا سبعين فارساً وسبعين أسيراً ! وانهزمت بقيتهم الى مكة في حالة من الذل والغيظ !

وكانت قافلتهم التي نجت من النبي ﷺ محتبسة في دار الندوة ، فأقنعوا أصحابها أن يأخذوا رأس المال ! قالوا لهم: يا معشر قريش إن محمداً قد وتَرَكم وقتل خياركم ، فأعينوا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك منه ثأرنا !

وكانوا يربحون بالدينار ديناراً فبلغ المال خمسين ألف دينار. وقيل نزل يومها قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ** .

«وقال الحكم بن عيينة: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية ، وكانت الأوقية اثنين وأربعين مثقالاً». (عين العبرة /٥٣).

«وكانت وقعة أحد في شوال بعد بدر بسنة ». (تاريخ اليعقوبي: ٤٧/٢).

وبعثت قريش رسلها إلى قبائل كنانة وتهامة يستنصرونهم ، وبرز أبو سفيان زعيماً لقريش بلا منازع ، بعد أن قُتل منافساه عتبة بن ربيعة الأموي وأبو جهل المخزومي ، فقام لإثبات زعامته بغارة على ضواحي المدينة في مئتي راكب ، ليَبرَّ

بيمينه حيث حلف أن لايمس بدنه الماء من جنابة حتى يحارب محمداً ! ووصل الى ضواحي المدينة ليلاً ، والتقى بأحد زعماء اليهود ، وأغار على مزرعة للأنصار فقتل رجلين ، وعندما قصده النبي صلى الله عليه وآله سارع بالهرب وتخفف أصحابه من مؤونتهم ، فأخذها المسلمون وسميت غزوة ذات السويق !

وخلال سنة حشدت قريش ثلاثة آلاف مقاتل ، فيهم سبعمائة دارع ومئتا فارس وتوجهوا الى المدينة ومعهم فتيانٌ بالمعازف وغلمان بالخمور ، وخمس عشرة امرأة من نساء شخصياتهم ، فيهن هند زوجة أبي سفيان ، يغنين ويضربن بالدفوف ليحمسنهم للثأر لقتلى بدر ، ومعهم أبو عامر الفاسق الذي ترك المدينة كراهيةً لمحمد ، وسكن مكة مع خمسين رجلاً من الأوس ، وكان يحرض قريشاً ويقول لهم إنهم على الحق ومحمد على الباطل ، ويزعم لهم أن أهل المدينة معه !

وفي مقابل هؤلاء كان المسلمون سبع مئة مقاتل ، فيهم مائتا دارع ، وفارسان. (الصحيح من السيرة: ٧٧/٦ ، والنص والإجتهاد/٣٤١ ، وابن هشام: ٥٨١/٣).

ولما وصل القرشيون الى الأبواء وفيها قبر أم النبي صلى الله عليه وآله اقترحت عليهم هند أن ينبشوه ويأخذوا رمتها رهينة ، ليأخذوا فداءها من النبي صلى الله عليه وآله ! قالت: « فلعمري ليفدين رمة أمه بمال كثير ، إنه كان بها براً ». (الصحيح: ٨٥/٦).

فتشاوروا ، ثم أعرضوا عن ذلك ، خوفاً من أن تنبش قبور موتاهم في مناطق المسلمين وحلفائهم ! ووصلوا الى ذي الحليفة قبل المدينة بقليل ، فتركوا خيولهم وإبلهم ترعى زروع أهل المدينة ، وأرسل النبي صلى الله عليه وآله من يخمِّن عددهم وعُدتهم ، ثم واصلوا مسيرهم حتى نزلوا في آخر وادي قُبا عند جبل أحد ، قبال المدينة.

٢- رؤيا النبي صلى الله عليه وآله واستعداده للدفاع

كان النبي صلى الله عليه وآله يتعقب أخبار القرشيين ويستعد للدفاع عن المدينة ، وعندما بلغهم تحرك قريش اختلف أهلها بين رأيين في كل منهما نقاط ضعف وقوة ، فإما أن يتحصنوا في المدينة ويردوا هجوم قريش من مداخلها وسككها وأزقتها . وإما أن يخرجوا اليهم فيقاتلوهم خارج المدينة .

وكان أغلب الشجعان والمتحمسين يريدون ملاقاة العدو خارج المدينة ، لأنه ما غُزِيَ قومٌ في عقر دارهم إلا ذلوا ! وكان المنافقون والخائفون وبعض آخر ، يرون أن في الخروج مخاطر ، وأن الدفاع من داخل المدينة أضمن للنصر.

قال ابن إسحاق: ٣٠٣/٣: « قال رسول الله (ص) للمسلمين: إني قد رأيت بقراً ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة وتأولتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث قد نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها... وكان رأي عبد الله بن أبي سلول مع رسول الله... فقال رجال من المسلمين.. ممن كان فاتته بدر وحضروه: يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا ، لايرون أنا جبنا عنهم أو رضخنا ». وابن هشام: ٥٨٣/٣، وتفسير الطبري: ٩٤/٤.

وقال علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: ١١٠/١: «كان سبب غزوة أحد أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر ، لأنه قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون ، فلما رجعوا إلى مكة قال أبو سفيان: يا معشر قريش لاتدعوا النساء تبكي على قتلاكم ، فإن البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد ! ويشمت بنا محمد وأصحابه !

فلما غزوا رسول الله يوم أحد أذنوا لنسائهم بعد ذلك في البكاء والنوح ، فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله إلى أحُد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها فجمعوا الجموع والسلاح... فلما بلغ رسول الله ذلك جمع أصحابه وأخبرهم أن الله قد أخبره أن قريشاً قد تجمعت تريد المدينة ، وحث أصحابه على الجهاد والخروج ، فقال عبد الله بن أبي سلول وقومه: يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها ، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح ، فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا ، وما خرجنا إلى أعدائنا قط إلا كان الظفر لهم .

فقام سعد بن معاذ وغيره من الأوس فقالوا: يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام ، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا ؟! لا ، حتى نخرج إليهم فنقاتلهم ، فمن قتل منا كان شهيداً ، ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله ، فقبل رسول الله قوله وخرج مع نفر من أصحابه يبتغون موضع القتال كما قال الله: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ».

٣- النبي يختار مكان معسكره

لم يكن للعدو طريق لمهاجمة المدينة إلا من وادي قباء ، التي تقع غربي المدينة وتمتد من الجنوب الى الشمال. أما الجهات الأخرى فمرتفعات وبساتين يصعب النفوذ منها ، لذلك هاجمت قريش المدينة في أحُد والخندق من وادي

قباء. وينتهي الوادي بجبل أحد الذي يعترضه ويمتد بعكسه من الشرق الى الغرب وفيه قرب جبل أحُد جبلٌ صغير إسمه: جبل عينين ، وقد سمي فيما بعد بجبل الرماة ، ولهذا يسمى يوم أحد يوم عينين أيضاً.

ويظهر أن النبي صلى الله عليه وآله خرج صبح الجمعة أو قبله واستكشف العدو، واختار مكاناً لمعسكره ،كما قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ، أي خرجت غدوةً صباحاً ، ثم تابع النبي صلى الله عليه وآله تشاوره مع أصحابه في الخروج أو البقاء في المدينة ، واتخذ قراره بالخروج ، وصلى بهم الجمعة وخرج بهم بعد الصلاة وباتوا في أحد ، وكانت المعركة صبيحة السبت.

وعسكر المشركون في الوادي مقابل جبل عينين ، فاختار النبي صلى الله عليه وآله مكاناً لمعسكره غربي قبر حمزة عليه السلام ، ليكون ظهر المسلمين الى جبل أحد ووجههم الى معسكر المشركين ، فكان جبل عينين عن يسارهم ، وكان ظهرهم محمياً بجبل أحد ، الذي يسهل منع المشركين من تسلقه.

وكان المسلك الوحيد للإلتفاف عليهم من خلف جبل عينين من جهة المدينة ، وهو معبر ضيق تجري فيه عين المهراس التي تنبع من آخر الوادي من جهة أحد.

لذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله خمسين من الرماة أن يتخذوا مواقعهم في أصل جبل الرماة من جهة المدينة ليصدوا محاولة الإلتفاف ، وشدد عليهم أن لايتركوا مواقعهم !

وقد رأيت عين المهراس سنة ١٩٦١ ميلادية ، بين قبر حمزة والمسجد الذي في شرقيه ، وهي نبع على عمق بضعة أمتار ، ينزل اليه في درج واسع ، لكن الوهابيين

ردموها وأزالوها. ويسمى يوم أحد يوم المهراس ، وسيأتي أن علياً عليه السلام كان يأتي بالماء من المهراس وفاطمة عليها السلام تغسل جراح النبي صلى الله عليه وآله. (أمالي الطوسي/٥٥١).

٤- انتصار المسلمين الكاسح في الجولة الأولى

في صبح يوم السبت منتصف شوال سنة ثلاث للهجرة ، صفَّ النبي صلى الله عليه وآله المسلمين في مواجهة المشركين ، ووضع الرماة الخمسين شرقي جبل عينين. (ابن إسحاق: ٣٠١/٣).

وفي تفسير القمي:١١٢/١:« وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري فبرز ونادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة ، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليَّ ! فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

ياطلح إن كنت كما تقول لنا خيول ولكم نصول

فاثبت لننظر أينا المقتول وأينا أولى بما تقول

فقد أتاك الأسد الصؤول بصارم ليس به فلول

ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: قد علمتُ يا قضيم أنه لايجسر عليَّ أحد غيرك ! فشد عليه طلحة فضربه فاتقاه أمير المؤمنين بالجحفة ، ثم ضربه على فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره ، وسقطت الراية ! فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلَّفه بالرحم فانصرف عنه ، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً !

وأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحه فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية على الأرض.

فأخذها مسافع بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام ، فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام ، فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام ، فسقطت الراية إلى الأرض.

وأخذها أبو عذير بن عثمان فقتله علي عليه السلام ، وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها عبد الله بن أبي جميلة بن زهير فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض!

فقَتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبد الدار ! وهو أرطأة بن شرحبيل مبارزةً ، وسقطت الراية إلى الأرض !

فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها ، وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين على شماله فقطعها وسقطت الراية إلى الأرض ، فاحتضنها بيديه المقطوعتين ، ثم قال: يا بني عبد الدار هل أعذرت فيما بيني وبينكم ؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله ، وسقطت الراية إلى الأرض ! فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فقبضتها !

وحدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي: يا قضيم ؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب ، وأغروا به الصبيان وكانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يرمونه بالحجارة والتراب فشكى ذلك إلى علي عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إذا خرجت فأخرجني معك ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله

ومعه أمير المؤمنين عليه السلام فتعرض الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله كعادتهم فحمل عليهم أمير المؤمنين وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون قضمنا علي قضمنا علي ! فسمي لذلك: القضيم » !

وقال ابن هشام:٥٩٣/٣:« وأرسل رسول الله إلى علي بن أبي طالب: أن قدم الراية فتقدم عليٌّ فقال: أنا أبو القصم ، ويقال أبو القضم ، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا القضم في البراز من حاجة؟

قال: نعم ، فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه عليٌّ فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه ، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم ، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله».

وفي الكافي: ١١١/٨، قال أبان بن عثمان:« حدثني فضيل البرجمي قال: كنت بمكة وخالد بن عبد الله أمير (من قبل عبد الملك بن مروان) وكان في المسجد عند زمزم ، فقال: أدعوا لي قتادة ، قال: فجاء شيخ أحمر الرأس واللحية فدنوت لأسمع ، فقال خالد: يا قتادة... من الذي يقول: أوفي بميعادي وأحمي عن حسب ؟! فقال: أصلح الله الأمير ليس هذا يومئذ ، هذا يوم أحد خرج طلحة بن أبي طلحة وهو ينادي من يبارز؟ فلم يخرج إليه أحد فقال: إنكم تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار ونحن نجهزكم بأسيافنا إلى الجنة ، فليبرزن إلي رجل يجهزني بسيفه إلى النار وأجهزه بسيفي إلى الجنة ، فخرج إليه علي بن أبي طالب وهو يقول:

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب وهاشم المطعم في العام السغب

أوفي بميعادي وأحمي عن حسب

فقال خالد: كذب لعمري ، والله أبو تراب ما كان كذلك ! فقال الشيخ: أيها الأمير إئذن لي في الإنصراف ، قال: فقام الشيخ يفرج الناس بيده وخرج وهو يقول: زنديق ورب الكعبة ، زنديق ورب الكعبة » !

أقول: ارتاعت قريش بقتل طلحة وأصحاب الألوية ، وتزعزعت صفوفها ، فلم يتقدم لحمل رايتهم بعدهم إلا امرأة جمعتها عن الأرض ولم ترفعها !

فأصدر النبي صلى الله عليه وآله أمره بالحملة فتقدم علي وحمزة وأبو دجانة وفرسان المسلمين وحملوا عليهم ، فكانت هزيمة المشركين:« فانكشف الكفار حينئذ عن المسلمين هاربين على غير انتظام ، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون ما تركوه من أسلحة وأمتعة وذخائر ومؤن. فلما نظر الرماة إلى المسلمين وقد أكبوا على الغنائم دفعهم الطمع في النهب إلى مفارقة محلهم الذي أمروا أن لا يفارقوه ، فنهاهم أميرهم عبد الله بن جبير فلم ينتهوا وقالوا: ما مقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون؟! فقال عبد الله: والله لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ! وثبت مكانه مع أقل من عشرة ، فنظر خالد بن الوليد المخزومي إلى قلة من في الجبل من الرماة فكرَّ بالخيل عليهم ومعه عكرمة بن أبي جهل فقتلوهم ، ومثلوا بعبد الله بن جبير فأخرجوا حشوة بطنه !

وهجموا على المسلمين وهم غافلون وتنادوا بشعارهم يا للعزى يا لهُبَل ، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون فكان البلاء، وقتل حمزة سيد الشهداء وسبعون من صناديد المهاجرين والأنصار ، وأصيب النبي بأبي هو وأمي بجروح يقرح القلوب ذكرها ويهيج الأحزان بيانها ، فجزاه الله عنا خيراً ما جزى نبياً عن

أمته. وإنما كان هذا البلاء كله لمخالفة أوامره ونواهيه المقدسة ، عفا الله تعالى عنهم ». (الفصول المهمة لشرف الدين/١١٤).

٥- هزيمة المسلمين بعد انتصارهم!

« والذي كسر المسلمين يومئذ ونال منهم كل منال: خالد بن الوليد.. استدار خلف الجبل فدخل من الثغرة التي كان الرماة عليها من وراء المسلمين ، وتراجع قلب المشركين بعد الهزيمة ، فصار المسلمون بينهم في مثل الحلقة المستديرة ، واختلط الناس فلم يعرف المسلمون بعضهم بعضاً ، وضرب الرجل منهم أخاه وأباه بالسيف وهو لايعرفه لشدة النقع والغبار ، ولما اعتراهم من الدهش والعجلة والخوف ، فكانت الدبرة عليهم ، بعد أن كانت لهم ». (شرح النهج: ٢٤٥/١٤).

وفي تفسير فرات/٩٣: « فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ما قد نزل بالناس من الهزيمة والبلاء رفع البيضة عن رأسه وجعل ينادي: أيها الناس أنا لم أمت ولم أقتل. وجعل الناس يركب بعضهم بعضاً لايلوون على رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يلتفتون إليه ! فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا المدينة ! فلم يكتفوا بالهزيمة حتى قال أفضلهم في أنفسهم: قتل رسول الله !

فلما آيس رسول الله صلى الله عليه وآله من القوم رجع إلى موضعه الذي كان فيه علي بن أبي طالب وأبو دجانة... إنتهى رسول الله صلى الله عليه وآله الى صخرة فاستتر بها ليتقي بها من سهام المشركين فلم يلبث أبو دجانة إلا يسيراً حتى أثخن جراحة». وتفسير القمي: ١١١/١.

وفي إمتاع الأسماع:١/١٤٤:« قتل أصحاب اللواء وانكشف المشركون منهزمين لايلوون ، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفاف والفرح ، ولكن المسلمين أُتوا من قبل الرماة.. وبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والغنائم ، إذ دخلت الخيول تنادي فرسانها بشعارهم: يا للعزى يا لهبل ! ووضعوا في المسلمين السيوف وهم آمنون وكل منهم في يده أو حضنه شئ قد أخذه ، فقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً ، وتفرق المسلمون في كل وجه ! وتركوا ما انتهبوا وخلوا من أسروا... ونادى إبليس عند جبل عينين وقد تصور في صورة جعال بن سراقة: إن محمداً قد قتل: ثلاث صرخات ، فما كانت دولة أسرع من دولة المشركين ! واختلط المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون من العجلة والدهش ، وجرح أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبو برده بن نيار وما يدري ! وضرب أبو زعنة أبا بردة ضربتين وما يشعر ! والتقت أسياف المسلمين على اليمان حسيل بن جابر وهم لا يعرفونه حين اختلطوا ! وحذيفة يقول: أبي ، أبي ! حتى قتل ».

وفي تفسير الطبري: ٤/١٩٤، عن السدي قال: « لما انهزموا يومئذ تفرق عن رسول الله (ص) أصحابه فدخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها.. عن ابن إسحاق قال: فرَّ عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان حتى بلغوا الجلعب ، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص ، فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله(ص) فقال لهم: لقد ذهبتم فيها عريضة » !

وفي سيرة ابن إسحاق: ٣/٣٠٦: « لقد رأيتني أنظر إلى خدم (خلاخيل) هند ابنة عتبة

وصواحبها مشمرات هوارب ، ما دون أخذهن قليل ولا كثير ! إذ مالت الرماة عن العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب ، وخلوا ظهورنا للخيل فأُتينا من أدبارنا ، وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل ! فانكفأنا وانكفؤوا علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم ! فانكشف المسلمون فأصاب منهم العدو فكان يوم بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة ».

٦- ثبت مع النبي صلى الله عليه وآله بضعة أشخاص

روى المفيد في الإرشاد:٨٠/١ ، عن زيد بن وهب قال:« وجدنا من عبد الله بن مسعود يوماً طيبَ نفس فقلنا له: لو حدثتنا عن يوم أحد وكيف كان؟ فقال: أجل ثم ساق الحديث حتى انتهى إلى ذكر الحرب فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخرجوا إليهم على اسم الله فخرجنا ، فصفَّنا لهم صفاً طويلاً ، وأقام على الشعب خمسين رجلاً من الأنصار ، وأمَّر عليهم رجلاً منهم ، وقال: لاتبرحوا عن مكانكم هذا وإن قتلنا عن آخرنا ، فإنما نؤتى من موضعكم هذا !...

الى أن قال: وثبت أمير المؤمنين عليه السلام ، وأبو دجانة الأنصاري ، وسهل بن حنيف يدفعون عن النبي صلى الله عليه وآله وكثر عليهم المشركون ، ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه فنظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد كان أغمي عليه مما ناله ، فقال: يا علي ما فعل الناس؟ قال: نقضوا العهد وولوا الدبر ، فقال له: فاكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي ، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكشفهم ، ثم عاد إليه وقد حملوا عليه من ناحية

أخرى فكر عليهم فكشفهم ، وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه ﷺ بيد كل واحد منهما سيفه ليذب عنه...

قال زيد بن وهب: قلت لابن مسعود: انهزم الناس عن رسول الله حتى لم يبق معه إلا علي بن أبي طالب وأبو دجانة وسهل بن حنيف؟! قال: انهزم الناس إلا علي بن أبي طالب وحده ، وثاب إلى رسول الله ﷺ نفر ، وكان أولهم عاصم بن ثابت وأبو دجانة وسهل بن حنيف ، ولحقهم طلحة بن عبيد الله.

فقلت له: فأين كان أبو بكر وعمر ؟ قال: كانا ممن تنحى. قال قلت. فأين كان عثمان ؟ قال: جاء بعد ثلاثة من الوقعة ، قال له رسول الله ﷺ: لقد ذهبت فيها عريضة ! قال فقلت له: فأين كنت أنت؟ قال: كنت فيمن تنحى !

قال فقلت له: فمن حدثك بهذا؟ قال: عاصم وسهل بن حنيف. قال قلت له: إن ثبوت علي في ذلك المقام لعجب ! فقال: إن تعجبت من ذلك لقد تعجبت منه الملائكة ، أما علمت أن جبرئيل قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي !

فقلت له: فمن أين علم ذلك من جبرئيل؟ فقال: سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك ، فسألوا النبي ﷺ عنه فقال: ذاك جبرئيل...

وفي حديث عمران بن حصين قال: لما تفرق الناس عن رسول الله ﷺ في يوم أحد ، جاء علي متقلداً سيفه حتى قام بين يديه ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه فقال له: ما لك لم تفر مع الناس؟ فقال: يا رسول الله أأرجع كافراً بعد إسلامي؟!

فأشار له إلى قوم انحدروا من الجبل فحمل عليهم فهزمهم ، ثم أشار له إلى قوم آخرين فحمل عليهم فهزمهم ، ثم أشار إلى قوم فحمل عليهم فهزمهم !

فجاء جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله ، لقد عجبت الملائكة من حسن مواساة علي لك بنفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنعه من هذا ، وهو مني وأنا منه ! فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما ».

٧- ثم بقي النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وحدهما !

نصت أحاديث أحُد على أنه بعد جرح أبي دجانة ونسيبة ، لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا علي عليه السلام! وقال الإمام الصادق عليه السلام كما في الكافي:١١٠/٨:«انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله فغضب غضباً شديداً قال: وكان إذا غضب انحدر عن جبينيه مثل اللؤلؤ من العرق ، قال: فنظر فإذا علي إلى جنبه فقال له: إلحق ببني أبيك مع من انهزم عن رسول الله ! فقال: يا رسول الله لي بك أسوة ! قال: فاكفني هؤلاء ، فحمل فضرب أول من لقي منهم فقال جبرئيل: إن هذه لهي المؤاساة يا محمد ، فقال: إنه مني وأنا منه ! فقال جبرئيل: وأنا منكما يا محمد ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل على كرسي من ذهب بين السماء والأرض وهو يقول:

لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » .

وفي الإرشاد:٨٩/١:« لما انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وآله في يوم أحد وثبت أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: ما لك لاتذهب مع القوم؟فقال أمير المؤمنين: أذهب

وأدعك يا رسول الله! والله لا برحت حتى أقتل، أو ينجز الله لك ما وعدك من النصر . فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أبشر يا علي، فإن الله منجز وعده، ولن ينالوا منا مثلها أبداً» .

وفي تفسير القمي:١١٥/١:«ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أبو دجانة الأنصاري سماك بن خرشة وأمير المؤمنين عليه السلام، فكلما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلهم فيدفعهم عن رسول الله ويقتلهم، حتى انقطع سيفه .

وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله نسيبة بنت كعب وكانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه فقالت: يا بني إلى أين تفر عن الله وعن رسوله؟! فردته فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف ابنها فحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بارك الله عليك يا نسيبة، وكانت تقي رسول الله صلى الله عليه وآله بصدرها وثدييها ويديها، حتى أصابتها جراحات كثيرة !

وحمل ابن قميئة على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أروني محمداً لانجوتُ إن نجا ! فضربه على حبل عاتقه، ونادى قتلت محمداً واللات والعزى !

ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل من المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة فناداه: يا صاحب الترس ألق ترسك، ومُرَّ إلى النار ! فرمى بترسه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا نسيبة خذي الترس فأخذت الترس، وكانت تقاتل المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لَمَقَامُ نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان !

فلما انقطع سيف أمير المؤمنين عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الرجل يقاتل بالسلاح وقد انقطع سيفي ! فدفع إليه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه ذا الفقار فقال: قاتل بهذا ، ولم يكن يحمل على رسول الله صلى الله عليه وآله أحد إلا يستقبله أمير المؤمنين عليه السلام ، فإذا رأوه رجعوا ! فانحاز رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ناحية أحُد فوقف.

وكان القتال من وجه واحد وقد انهزم أصحابه صلى الله عليه وآله فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة فتحاموه ! وسمعوا منادياً ينادي من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هذه والله المواساة يا محمد ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأني منه وهو مني ، وقال جبرئيل: وأنا منكما...

وتراجعت الناس فصارت قريش على الجبل ، فقال أبو سفيان وهو على الجبل: أعلُ هبل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين قل له: الله أعلى وأجل. فقال: يا علي إنه قد أنعم علينا ! فقال علي عليه السلام: بل الله أنعم علينا، ثم قال أبو سفيان: يا علي أسألك باللات والعزى هل قتل محمد ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لعنك الله ولعن الله اللات والعزى معك ! والله ما قتل محمد صلى الله عليه وآله وهو يسمع كلامك ! فقال: أنت أصدق ، لعن الله ابن قميئه ، زعم أنه قتل محمداً ».

أقول: هذه الرواية تصور جوانب مهمة من يوم أحُد: منها: فضيحة المنهزمين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاتَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ.. وقد لحقهم عليٌّ عليه السلام ووبخهم بعد ذلك فلم ينفع معهم !

ومنها: بطولة علي عليه السلام التي تعجب منها جبرئيل ، وخاف منها الفارون ، وأرسل الله معه الملائكة فهزموا المشركين ، وسيطر عليهم الرعب حتى صارت الكتيبة آخر الأمر عندما ترى علياً مقبلاً تتحاماه وتتراجع !

ومنها: ثبات أبي دجانة ونسيبة رضي الله عنهما ، وتفضيلها على فلان وفلان !

ومنها: سيطرة النبي صلى الله عليه وآله على قيادة الموقف في أحلك الظروف ، ونداؤه في الفارين ليرجعوا ، وقوله لفلان ألق ترسك ومُرَّ الى النار ! وقتاله الشديد لرد الحملات كما تقدم ، وترخيصه لأبي دجانة وعلي عليه السلام أن يتركوه إن شاؤوا.

ومنها: أن قوله: «وتراجعت الناس فصارت قريش على الجبل فقال أبو سفيان وهو على الجبل: أعل هبل » ! يدل على أن الفارّين صعدوا على الجبل بعيداً ، كما تشير الآية: إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاتَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وأن النبي صلى الله عليه وآله بقي مكانه قرب المسجد الفعلي ، ولما كثرت حملاتهم عليه انحاز الى شرقي المسجد.

ولما يئس المشركون وانقطعت حملاتهم صعدوا بخيلهم من بطن الوادي في سفح الجبل قليلاً ، ونادى أبو سفيان باسم صنمه هبل ، فأجابه علي عليه السلام بأمر النبي صلى الله عليه وآله: الله أعلى وأجل. فأجابه أبو سفيان: لنا العزّى ولا عزى لكم ، فأجابه علي صلى الله عليه وآله بأمر النبي صلى الله عليه وآله: الله مولانا ولا مولى لكم ! ونادى أبو سفيان يسأله هل قتل النبي صلى الله عليه وآله؟ فأجابه إنه حيٌّ سالم يسمع صوتك !

٨- تركيز المشركين على قتل النبي صلى الله عليه وآله في أُحُد

« لما اشتد البلاء وعظم الخطب بفرار المسلمين ، أرهف المشركون لقتل رسول الله غرار عزمهم ، وأرصدوا لذلك جميع أهبهم ، فتعاقد خمسة من شياطينهم على ذلك ،

كانوا كالفدائية في هذا السبيل وهم: عبد الله بن شهاب الزهري ، وعتبة بن أبي وقاص وابن قميئة الليثي أبيٌ بن خلف ، وعبد الله بن حميد الأسدي القرشي لعنهم الله وأخزاهم ، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته الميمونة ، وأما عتبة فرماه - تبّت يداه- بأربعة أحجار فكسر رباعيته وشق شفته ، وأما ابن قميئة قاتله الله فكمٌ وجنته ودخل من خلف المغفر فيها ، وعلاه بالسيف - شُلّت يداه - فلم يطق أن يقطع فسقط صلى الله عليه وآله إلى الأرض. وأما أبيٌ بن خلف فشد عليه بحربته فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله منه وقتله بها ، وأما عبد الله بن حميد فقتله أبو دجانة الأنصاري شكر الله سعيه وأعلى في الجنان مقامه ، فإنه ممن أبلى يومئذ بلاء حسناً. ثم حمل ابن قميئة على مصعب بن عمير وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وآله فقتله ، ورجع إلى قريش يبشرهم بقتل محمد ، فجعل الناس يقولون: قتل محمد ، قتل محمد ! فانخلعت قلوب المسلمين جزعاً وكادت نفوسهم أن تزهق هلعاً ، وأوغلوا في الهرب مدلهين مدهوشين ، لايرتابون في قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سقط في أيديهم» (الفصول المهمة للسيد شرف الدين/١١٨).

وفي المناقب:١٦٦/١:« ورسول الله يدعوهم في أخراهم: يا أيها الناس إني رسول الله إن الله قد وعدني بالنصر ، فأين الفرار ! وكان النبي صلى الله عليه وآله يرمي ويقول: اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون ، فرماه ابن قمئة بقذافة فأصاب كفه ، ورماه عبد الله بن شهاب بقلاعة فأصاب مرفقه ، وضربه عتبة بن أبي وقاص أخو سعد على وجهه ، فشج رأسه فنزل عن فرسه ، ونهبه ابن قمئة ، وقد ضربه على جنبه » !

وروى ابن هشام: ٥٩٧/٣ ، نحو ما تقدم ، وذكر أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن

شهاب الزهري (والد الزهري المعروف) شجه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله (ص) في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لايعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيده. « فلما انتهى رسول الله (ص) إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته من المهراس، فجاء به إلى رسول الله (ص) ليشرب منه، فوجد له ريحاً فعافه، فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه ». وبعضه مناقب آل أبي طالب: ٩٦/١، و١٠٢، و١١٧، والخرائج: ٦٢/.

٩- أصعب اللحظات على علي عليه السلام

وصف علي أصعب اللحظات في أحُد، كما في الإرشاد: ٨٦/١، والمناقب: ٣١٥/٢، عن عكرمة قال: « سمعت علياً يقول: لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي، وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه فرجعت أطلبه فلم أره، فقلت: ما كان رسول الله ليفر وما رأيته في القتلى، وأظنه رفع من بيننا إلى السماء، فكسرت جفن سيفي وقلت في نفسي: لأقاتلن به عنه حتى أقتل، وحملت على القوم فأفرجوا فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله قد وقع على الأرض مغشياً عليه، فقمت على رأسه فنظر إليَّ وقال: ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله وولوا الدبر وأسلموك! فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي: رد عني يا علي هذه الكتيبة فحملت عليها بسيفي أضربها يميناً

وشمالاً حتى ولوا الأدبار. فقال لي النبي صلى الله عليه وآله: أما تسمع يا علي مديحك في السماء ، إن ملكاً يقال له رضوان ينادي: لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. فبكيت سروراً وحمدت الله سبحانه على نعمته ».

وتقدم من الإرشاد:٨٠/١ ، قوله:« وقد كان أغمي عليه صلى الله عليه وآله مما ناله » ! وقد يكون ذلك عندما جاءه جبرئيل وعلي عليه السلام، أو عندما أخذاه الى ظل الصخرة .

وفي المناقب لابن سليمان:٤٦٦/١ ، عن ابن أبي ليلى قال:« لم يمر على الناس يوم مثل يوم أحد أشد منه ! جرح النبي صلى الله عليه وآله وقتل حمزة ، وانكشف الناس عن النبي صلى الله عليه وآله فتركوه وهو يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب..الخ.».

١٠- غَضِبَ النبي صلى الله عليه وآله لفرار المسلمين فنزل جبرئيل عليه السلام

يفهم من حديث دعائم الإسلام:٣٧٤/١ ، عن الإمام الباقر عليه السلام أن جبرئيل عليه السلام بقي مع النبي صلى الله عليه وآله حتى انسحب المشركون ، قال:« لما كان يوم أحد وافترق الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وثبت معه علي عليه السلام وكان من أمر الناس ما كان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: إذهب يا علي ، فقال: كيف أذهب يا رسول الله وأدعك ؟! بل نفسي دون نفسك ودمي دون دمك فأثنى عليه خيراً .

ثم نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى كتيبة قد أقبلت فقال: إحمل عليها يا علي ، فحمل عليها ففرقها وقتل هشام بن أمية المخزومي ، ثم جاءت كتيبة أخرى فقال: إحمل عليها يا علي ، فحمل عليها ففرقها وقتل عمر بن عبد الله الجمحي ، ثم أقبلت

كتيبة أخرى قال: إحمل عليها يا علي. فحمل عليها ففرقها وقتل شيبة بن مالك أخا بني عامر بن لؤي ، وجبرئيل مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال جبرئيل: يا محمد إن هذه للمواساة ! فقال: يا جبرئيل ، إنه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا محمد».

وفي رواية: فقال النبي صلى الله عليه وآله:« وأنت منا» . (مناقب ابن سليمان: ٤٩٥/١).

١١- الصحابة المتسلقون على جبل أحد !

في سيرة ابن إسحاق:٣٠٩/٣ ، وغيره، أن أنس بن النضر:« انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم (انهاروا) فقال: ما يجلسكم؟! قالوا: قتل رسول الله ! قال: فما تظنون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ! ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل رحمه الله ».

وفي الطبري: ٢٠١/٢:« فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان ! يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ! قال أنس بن النضر: يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ! اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ! ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ».

وهذا يدل على أن ابن النضر كان من الفارين ورجع الى ساحة المعركة !

أما الصحابة (الأبطال) الباقون فظلوا على الجبل عند الصخرة ، وكانوا يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وآله قد قتل ، فكان همهم تدبير سلامتهم ، وأخذ الأمان من أبي سفيان ، ويدل قولهم فارجعوا الى قومكم أو الى دين قومكم ، أنهم قرشيون !

وذكر في الصحيح من السيرة (٢٠٣/٦) أنه رجع معه ابن السكن وخمسة من الأنصار فقاتلوا حتى قتلوا. وهذا يؤكد أنه لم يثبت مع النبي صلى الله عليه وآله ممن ادعوا لهم الثبات غير علي عليه السلام وأبو دجانة ونسيبة ، ثم جرحا فبقي علي عليه السلام وحده ، ثم جاءت الزهراء عليها السلام ! وكان النصر بثبات علي عليه السلام ونزول الملائكة .

وذكر رواة السلطة أن طلحة كان مع النبي صلى الله عليه وآله عندما سقط ، مع أنهم نصوا على أنه كان مع الفارين في الجبل عند الصخرة . وذكر ابن مسعود أنه كان من أول الراجعين ، لكن بعد انتهاء المعركة !

والأحاديث المتقدمة من مصادر الطرفين تكشف كذب رواة السلطة في ادعائهم حضور فلان وفلان بعد فرارهم ، وكذا الحوار الذي اخترعوه بين أبي سفيان وعمر وأبي بكر ! مع أنهم كانوا على الصخرة فوق جبل أحُد يتشاورون في إرسال أحد الى أبي سفيان ، أو الى ابن سلول ليتوسط لهم ! فلو كان أبو سفيان بحيث يسمع صوتهم لما احتاجوا الى رسول اليه ؟!

قال الطبري في تفسيره:١٩٣/٤:« خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران.. قال: لما كان يوم أحد.. ففررت حتى صعدت الجبل ، فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى ، والناس يقولون: قتل محمد» !

١٢- تسلسل أحداث معركة أحُد

وقع رواة السلطة في تهافت وتناقض مع سياق المعركة ومكانها وظروفها !

والصحيح في أحداثها: أن النبي صلى الله عليه وآله صف المسلمين وركّز الرماة في الثغرة التي على يسارهم ، وبدأ المشركون الحرب بالمبارزة الفردية ، فتقدم قائدهم طلحة بن أبي طلحة ودعا الى المبارزة مفتخراً ساخراً من الجنة التي يعد بها النبي صلى الله عليه وآله أتباعه ، فخاف منه المسلمون ، ولم يبرز اليه أحد حتى حمزة رحمه الله !

وبرز اليه علي عليه السلام فقتله فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: كبش الكتيبة ، أي الذي رآه في المنام ، وكبر المسلمون بتكبيره وقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ما منعك أن تجهز عليه؟ فقال ناشدني الله والرحم فاستحييت منه ، وفي رواية أنه وقع عن فرسه وكشف عورته ليعرض عنه علي عليه السلام ، فأعرض عنه لأنه استيقن موته !

وتقدم قائد آخر من بني عبد الدار ورفع اللواء عن الأرض وطلب المبارزة ، فبرز اليه علي عليه السلام وقتله ، وتقدم ثالث ورابع وخامس.. وصمد علي عليه السلام لأصحاب اللواء يقتلهم واحداً بعد الآخر ، حتى قتل تسعة أو أحد عشر ، فانذهل المشركون وبقي علمهم ملقىً على الأرض !

فأمر النبي صلى الله عليه وآله بالحملة فحمل المسلمون وفي مقدمتهم علي وحمزة وأبو دجانة والمقداد وحذيفة وعمار وغيرهم ، فلم يثبت المشركون ساعة حتى انهزموا ، وتبعهم المسلمون في وادي قباء يأسرون فيهم ، ويأخذون الغنائم .

وكانت خيل المشركين بقيادة خالد وعكرمة ، عند مكان مسجد الفتح اليوم ، فتقدم ضرار بن الخطاب وليس أخاً لعمر ، فرأى أن أكثر الرماة المسلمين تركوا مواقعهم ، فرجع وأخبرهم فحملوا عليهم وقتلوا من ثبت منهم وكسروا خط دفاع المسلمين ، وهاجموهم من ورائهم وهم مشغولون بالغنائم والأسر فاضطرب المسلمون ، ورجع المشركون الفارُّون ، فأطبقوا على المسلمين من الجهتين ، فوقعت الهزيمة والفرار ، وتركوا غنائم وأسراهم ، وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله ! وهرب قسم منهم باتجاه المدينة ، وقسم باتجاه جبل أحد . وثبت النبي صلى الله عليه وآله في مكانه في وادي قباء على يسار جبل الرماة ، وثبت معه قسم من المسلمين ، وقاتلوا بشدة فقتل منهم سبعون ، منهم حمزة ومصعب وحنظلة .

واستكلب المشركون لقتل النبي صلى الله عليه وآله وثبت معه بضعة أشخاص ، ثم بقي معه أبو دجانة ونسيبة المازنية فجرحا ، فبقي معه علي عليه السلام وحده ، فقاتل النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وردا حملات المشركين ، حتى جاء جبرئيل وأمر النبي صلى الله عليه وآله أن ينحاز الى صخرة عند عين المهراس ، وقد جرح جراحات .

وكان علي عليه السلام يقصد قائد الكتيبة ويقتله فتنهزم ، فتأتي كتيبة أخرى.. حتى أنزل الله الملائكة ، فساعدوا علياً عليه السلام وقاتلوا معه ، فقذف الرعب في قلوب المشركين وقرروا الإنسحاب ، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وحده وراءهم ، ليتأكد من أنهم لايقصدون المدينة .

وفي ذلك الجو الرهيب حضرت فاطمة عليها السلام وغسلت جراح النبي صلى الله عليه وآله وضمدتها .

وروي أن النبي ﷺ صلى صلاة الظهر من جلوس لشدة جراحه، ثم رجع بعض المسلمين فصلى النبي ﷺ على حمزة والشهداء ودفنهم، وعاد الى المدينة.

١٣- لماذا انسحبت قريش ولم تهاجم المدينة ؟!

فكر المشركون بالهجوم على المدينة لكنهم خافوا النتيجة، فأعرضوا عنه، وكان أبو سفيان مذعوراً من علي والملائكة عليهم السلام فاتخذ قرار العودة الى مكة!

ولم يذكر الرواة سبباً مقنعاً لانسحاب المشركين وعدم مهاجمتهم المدينة بعد أن انتصروا في الجولة الثانية. ولاتفسير له إلا قتال الملائكة مع علي عليه السلام، كما تقدم عن الإمام الصادق عليه السلام.

ومن العجائب أن النبي ﷺ أرسل علياً عليه السلام وحده خلفهم، فذهب غير هيَّاب، بل كانوا خائفين منه لأنه فعل فيهم الأفاعيل، ولأنهم رأوا معه جبرئيل على فرس أشقر، ولما فاجأهم أمامهم صاح أبو سفيان بأنهم منسحبون فلماذا يتبعهم ؟!

١٤- كيف حضرت فاطمة عليها السلام الى قلب المعركة ؟

في تفسير القمي:١٢٤/١: «وخرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تعدو على قدميها حتى وافت رسول الله ﷺ وقعدت بين يديه، فكان إذا بكى رسول الله ﷺ بكت لبكائه وإذا انتحب انتحبت»! وكان بكاء النبي ﷺ حباً وشكراً لفاطمة عليها السلام، وبكاؤها تأثراً لوحدة النبي ﷺ وجراحه!

وفي المناقب:١/١٦٦: «وصاح إبليس من جبل أحد: ألا أن محمداً قد قتل! فصاحت فاطمة ووضعت يدها على رأسها، وخرجت تصرخ»!

وفي إعلام الورى:١/١٧٧: «وذهبت صيحة إبليس حتى دخلت بيوت المدينة فصاحت فاطمة عليها السلام، ولم تبق هاشمية ولا قرشية إلا وضعت يدها على رأسها، وخرجت فاطمة عليها السلام تصرخ! قال الإمام الصادق عليه السلام: فلما دنت فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وآله ورأته قد شج في وجهه وأدمي فوهُ إدماءً، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله! وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شئ! قال الصادق عليه السلام: والله لو سقط منه شئ على الأرض لنزل العذاب!

قال أبان بن عثمان: حدثني بذلك عنه الصباح بن سيابة قال قلت: كسرت رباعيته كما يقوله هؤلاء؟ قال عليه السلام: لا والله ما قبضه الله إلا سليماً ولكنه شج في وجهه. قلت: فالغار في أحد الذي يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله صار إليه؟ قال: والله ما برح مكانه، وقيل له صلى الله عليه وآله: ألا تدعو عليهم؟ قال: اللهم اهد قومي». انتهى.

أقول: يشير ذلك الى أن فاطمة عليها السلام حضرت عندما جاء علي وجبرئيل عليهما السلام بالنبي صلى الله عليه وآله الى ظل الصخرة، بعد أن أحاط به المشركون ووقع في حفرة. فجاء بها الله تعالى لتغسل جراحه وتكون الى جنبه!

وقد طمس رواة السلطة دور علي وفاطمة صلى الله عليهما وآلهما في أحُد، فنقصوا من دور علي في الدفاع عنه صلى الله عليه وآله، وجعلوا معه طلحة وآخرين من الفارّين!

ولم يشيدوا بمجيء فاطمة عليها السلام إلى المعركة والناس فارُّون ! وغاية ما رووه أنها وعلياً عليه السلام غسلا جرح النبي صلى الله عليه وآله ! قال بخاري في صحيحه:٢٢٧/٣:« لما كسرت بيضة النبي (ص)على رأسه وأدميَ وجهه وكسرت رباعيته ، كان عليٌّ يختلف بالماء في المجن وكانت فاطمة عليها السلام تغسله، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة عمدت إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرحه يعني رمادها ، فرقأ الدم».

ولم يكتف رواة قريش بتنقيص علي عليه السلام حقه حتى ذموه فقالوا إنه أعطى سيفه لفاطمة عليها السلام لتغسله ، وافتخر فقال:« خذيه فلقد أحسنت به القتال» ! فوبخه النبي صلى الله عليه وآله وقال له:« إن كنت قد أحسنت القتال اليوم ، فلقد أحسن سهل بن حنيف وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وأبو دجانة» (الحاكم:٤٠٩/٣، والحلبية:٥٤٧/٢).

١٥- في أول الفرار ردَّ عليٌّ عليه السلام حملة المشركين ووبخ الفارين !

في تفسير القمي:١١٤/١:« وروي عن أبي واثلة شقيق بن سلمة قال: كنت أماشي فلاناً (عمر) إذ سمعت منه همهمة فقلت له مه ، ماذا يا فلان؟ قال ويحك أما ترى الهزير القضم ابن القضم.. فالتفتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب ، فقلت له: يا هذا هو علي بن أبي طالب ! فقال: أدن مني أحدثك عن شجاعته وبطولته ، بايعنا النبي يوم أحد على أن لا نفر ومن فر منا فهو ضال ، ومن قتل منا فهو شهيد والنبي زعيمه ، إذ حمل علينا مائة صنديد تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون فأزعجونا عن طحوننا ، فرأيت علياً كالليث يتقي الدر ، وإذ قد حمل كفاً من حصى فرمى به

في وجوهنا ثم قال: شاهت الوجوه وقطَّت وبطَّت ولطَّت ، إلى أين تفرون ، إلى النار ؟! فلم نرجع ، ثم كر علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت فقال: بايعتم ثم نكثتم ؟ فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل ! فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان ناراً ، أو كالقدحين المملوين دماً ، فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا ، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت: يا أبا الحسن الله الله ، فإن العرب تكر وتفر وإن الكرة تنفي الفرة ، فكأنه استحيا فولى بوجهه عني ، فما زلت أسكن روعة فؤادي ! فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة » !

١٦- علي عليه السلام بطل أُحُد وصاحب انتصاراتها

قال ابن هشام: ٦٥٥/٣: « أنشدني أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمي ، يمدح علي بن أبي طالب ، ويذكر قتله طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، صاحب لواء المشركين يوم أحد:

لله أيِ مذبِّبٍ عن حرمة ... أعني ابن فاطمةَ المُعِمَّ المُخْولا
سبقت يداك له بعاجل طعنة ... تركتْ طليحة للجبين مجدَّلا
وشددت شدةَ باسلٍ فكشفتهم ... بالسفح إذ يَهْوُون أخولَ أخولا
وعللت سيفك بالدماء ولم يكن ... لتردَّه ظمآنَ حتى ينهلا »

والإرشاد: ٩٠/١ ، ورسائل المرتضى: ١٢٥/٤ ، والنهاية: ٣٧٢/٧.

وقال المفيد في الإرشاد: ٩٠/١: « ذكر أهل السير قتلى أحُد من المشركين ، فكان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السلام فروى عبد الملك بن هشام قال... كان صاحب

لواء قريش يوم أحُد طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، وقتل ابنه أبا سعيد بن طلحة ، وقتل أخاه كلدة بن أبي طلحة ، وقتل عبد الله بن حميد بن زهرة بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، وقتل أبا الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي ، وقتل الوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وقتل أخاه أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وقتل أرطاة بن شرحبيل ، وقتل هشام بن أمية ، وعمرو بن عبد الله الجمحي ، وبشر بن مالك ، وقتل صوابا مولى بني عبد الدار ، فكان الفتح له ، ورجوع الناس من هزيمتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله بمقامه يذب عنه دونهم ! وتوجه العتاب من الله تعالى إلى كافتهم لهزيمتهم يومئذ سواه ومن ثبت معه من رجال الأنصار ، وكانوا ثمانية نفر وقيل: أربعة أو خمسة».

وقال العلامة في كشف اليقين/١٣١: «وكان جمهور قتلى أحد مقتولين بسيف أمير المؤمنين عليه السلام وكان الفتح ورجوع الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله بثبات أمير المؤمنين عليه السلام».

وفي الثاقب في المناقب/٦٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يوم أحد أربعة عشر رجلاً ، وقتل سائر الناس سبعة ، وأصابه يومئذ ثمانون جراحة ، فمسحها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلم ينفح منها شئ ».

وفي المناقب:٣٨٥/١ و: ٧٨/٢: « عن أبان بن عثمان ، أنه أصاب علياً يوم أحد ستون جراحة ، وأصاب علياً يوم أحد ستة عشر ضربة ، وهو بين يدي رسول الله يذب عنه في كل ضربة يسقط إلى الأرض ، فإذا سقط رفعه جبرئيل..

أصابني يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهن فأتاني رجل حسن الوجه حسن اللمة طيب الريح فأخذ بضبعي فأقامني ، ثم قال: أقبل عليهم فإنك في طاعة الله وطاعة رسول الله وهما عنك راضيان ، قال علي عليه السلام: فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال: ياعلي أقر الله عينك ذاك جبرئيل».

وفي المناقب:٨٥/٣ ، عن زيد بن علي قال:« كسرت زند علي يوم أحد وفي يده لواء رسول الله صلى الله عليه وآله فسقط اللواء من يده ، فتحاماه المسلمون أن يأخذوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فضعوه في يده الشمال فإنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة . وفي رواية غيره: فرفعه المقداد وأعطاه علياً». ومبسوط السرخسي:٧٣/١.

وفي تحفة الفقهاء للسمرقندي:٩٠/١ ، أنه كسر زنداه يومئذ ! ولم يذكروا متى كسرت ، ولعله في الجولة الأولى بعد قتله أصحاب الألوية ، وقد واصل جهاده وكأنه لم يصبه شئ ، فقد مسح النبي صلى الله عليه وآله جراحه !

وفي تفسير فرات/٩٣ ، عن حذيفة:« وعلي لا يبارز فارساً ولا راجلاً إلا قتله الله على يديه حتى انقطع سيفه ، فلما انقطع سيفه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله انقطع سيفي ولا سيف لي ، فخلع رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه ذا الفقار فقلده علياً ومشى إلى جمع المشركين فكان لا يبرز إليه أحد إلا قتله ، فلم يزل على ذلك حتى وهت دراعته ، فرقَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك ، فنظر رسول الله إلى السماء وقال: اللهم إن محمداً عبدك ورسولك جعلت لكل نبي وزيراً من أهله لتشد به عضده وتشركه في أمره ، وجعلت لي وزيراً من أهلي ، علي بن أبي طالب أخي ،

فنعم الأخ ونعم الوزير ، اللهم وعدتني أن تمدني بأربعة آلاف من الملائكة مردفين ، اللهم وعدك وعدك إنك لا تخلف الميعاد ، وعدتني أن تظهر دينك على الدين كله ولو كره المشركون .

قال: فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو ربه ويتضرع إليه إذ سمع دوياً من الناس فرفع رأسه فإذا جبرئيل على كرسي من ذهب ومعه أربعة آلاف من الملائكة مردفين وهو يقول: لا فتى إلا علي ولاسيف إلا ذو الفقار ، فهبط جبرئيل على الصخرة وحفت الملائكة برسول الله صلى الله عليه وآله فسلموا عليه فقال جبرئيل: يا رسول الله والذي أكرمك بالهدى لقد عجبت الملائكة المقربون لمواساة هذا الرجل لك بنفسه. فقال: يا جبرئيل ما يمنعه يواسيني بنفسه وهو مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما حتى قالها ثلاثاً. ثم حمل علي وحمل جبرئيل والملائكة. ثم إن الله تعالى هزم جمع المشركين وتشتت أمرهم» .

وفي المناقب:١/٣٤١:« المعروفون بالجهاد: علي ، وحمزة ، وجعفر ، وعبيدة بن الحارث ، والزبير ، وطلحة ، وأبو دجانة ، وسعد بن أبي وقاص ، والبراء بن عازب وسعد بن معاذ ، ومحمد بن مسلمة. وقد أجمعت الأمة على أن هؤلاء لا يقاسون بعلي عليه السلام في شوكته وكثرة جهاده. فأما أبو بكر وعمر فقد تصفحنا كتب المغازي فما وجدنا لهما فيه أثراً البتة .

وقد أجمعت الأمة على أن علياً عليه السلام كان المجاهد في سبيل الله والكاشف الكروب عن وجه رسول الله ، المقدم في ساير الغزوات إذا لم يحضر النبي صلى الله عليه وآله

وإذا حضر فهو تاليه وصاحب الراية واللواء معاً ، وما كان قط تحت لواء أحد ، ولا فر من زحف ! وإنهما فرَّا في غير موضع ، وكانا تحت لواء جماعة».

أقول: يظهر أن النبي صلى الله عليه وآله أعطى ذا الفقار يومها الى علي صلى الله عليه وآله، وقد نزل اليه في بدر كما تقدم فأعطاه علياً عليه السلام في بدر وقاتل به ، أما يوم أحد فأعطاه إياه عندما تقطع سيفه فصار له ، ونادى جبرئيل في أحُد بندائه يوم بدر .

١٧- شهادة حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله

في تفسير القمي:١١٧/١: « وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر ، فكلما انهزم رجل من قريش رفعت إليه ميلاً ومكحلة وقالت: إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا ، وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم ، فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له واحد. وكانت هند بنت عتبة قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطيتك رضاك. وكان وحشي عبداً لجبير بن مطعم، حبشياً ، فقال وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الإلتفات فلم أطمع فيه.

قال: فكمنت لحمزة فرأيته يهدُّ الناس هدّاً فمر بي فوطأ على جرف نهر فسقط ، فأخذت حربتي فهززتها ورميته فوقعت في خاصرته وخرجت من مثانته مغمسة بالدم ، فسقط ، فأتيته فشققت بطنه وأخذت كبده وأتيت بها إلى هند فقلت لها: هذه كبد حمزة ! فأخذتها في فيها فلاكتها فجعلها الله في فيها مثل الداغصة فلفظتها ورمت بها ! فبعث الله ملكاً فحملها وردها إلى موضعها !

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يأبى الله أن يدخل شيئاً من بدن حمزة النار ، فجاءت إليه هند فقطعت مذاكيره وقطعت أذنيه وجعلتهما خرصين وشدتهما في عنقها ، وقطعت يديه ورجليه » ! ونحوه الإرشاد: ٨٣/١

وفي مناقب آل أبي طالب:١٦٦/١:« قال الصادق عليه السلام: فزرقه وحشي فوق الثدي فسقط وشدوا عليه فقتلوه، فأخذ وحشي الكبد فشد بها إلى هند فأخذتها فطرحتها في فيها فصارت مثل الداغصة فلفظتها !

ورأى الحليس بن علقمة أبا سفيان وهو يشد الرمح في شدق حمزة فقال: أنظروا إلى من يزعم أنه سيد قريش ما يصنع بعمه الذي صار لحماً ؟! وأبو سفيان يقول: ذق يا عقق. وأتت هند وجذعت أنفه وأذنه وجعلت في مخنقتها بالذريرة مدة» .

وفي رسائل المرتضى: ١٢٥/٤، أن هنداً نذرت يوم بدر أن تأكل كبد حمزة رضي الله عنه.

وفي شرح الأخبار: ٢٦٨/١: « قال وحشي: رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسفيه هداً ما يقوم له أحد ، فاستترت بشجرة أو قال بحجر منه ليدنو إلي فأرميه بالحربة من حيث لا يراني ، إذ لم أكن أقدر على مواجهته ، فإني على ذلك إذ بسباع بن عبد العزى قد سبقني إليه يريد نزاله.. ثم حمل عليه حمزة حملة أسد فضربه بالسيف ، فكأنما أخطى رأسه ووقف عليه وقد خر ميتاً وهو لا يراني ، وأرسلت الحربة إليه ، فأصبته في مقتل فسقط ميتاً ! يخبر وحشي بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقد جاء مسلماً وسأله عن ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا وحشي غيب عني وجهك ، فلا أراك» !

وفي تفسير القمي: ١٢٣/١: «فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقف عليه فلما رأى ما فعل به بكى ثم قال: والله ما وقفت موقفاً قط أغْيَظَ عليَّ من هذا المكان! لئن أمكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين رجلاً منهم! فنزل عليه جبرئيل فقال: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل أصبر... فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة بردة كانت عليه فكانت إذا مدها على رأسه بدت رجلاه وإذا مدها على رجليه بدا رأسه، فمدها على رأسه وألقى على رجليه الحشيش وقال: لولا أني أحذر نساء بني عبد المطلب لتركته للعادية والسباع حتى يحشر يوم القيامة من بطون السباع والطير! وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالقتلى فجمعوا فصلى عليهم ودفنهم في مضاجعهم، وكبر على حمزة سبعين تكبيرة». وذخائر العقبى/١٨٤.

وفي اليعقوبي: ٤٩/٢: «فجزع عليه رسول الله جزعاً شديداً وقال: لن أصاب بمثلك وكبَّر عليه خمساً وسبعين تكبيرة».

وقال ابن هشام: ٦٠٧/٣: «أمر رسول الله (ص) بحمزة فسجيّ ببردة، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة. قال ابن إسحاق: وقد أقبلت فيما بلغني صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه وكان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله (ص) لابنها الزبير بن العوام: إلقها فارجعها لا ترى ما بأخيها فقال لها: يا أمه، إن رسول الله (ص) يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مُثِّل بأخي وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

فلما جاء الزبير إلى رسول الله فأخبره بذلك ، قال: خل سبيلها ، فأتته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له ، ثم أمر به رسول الله (ص) فدفن».

« عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد قتل من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة ». (مسند أحمد: ١٣٥/٥).

وروي أن ﷺ قال:«أشهد أنكم أحياء عند الله ، فزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفس محمد بيده لايسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة».(مجمع الزوائد: ٦٠/٣).

وفي كشف الغمة: ١٨٩/١ ، أن أمير المؤمنين عليه السلام سئل على منبر الكوفة عن قوله تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ.. فقال: اللهم غفراً ، هذه الآية نزلت فيَّ وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر ، وأما عمي حمزة فإنه قضى نحبه شهيداً يوم أحد ، وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه ، وأومى بيده إلى لحيته ورأسه ، عهدٌ عهده إلى حبيبي أبو القاسم ﷺ»!

وفي شرح الأخبار:٢٨٢/١:« ثم انصرف ﷺ راجعاً إلى المدينة وانصرف الناس معه ، فلما دخل المدينة مر على دور الأنصار وهم يبكون قتلاهم ، فذرفت عيناه ﷺ فبكى ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له ! فأمر الأنصار نساءهم أن يبكين عليه ، ففعلن ، فخرج رسول الله ﷺ وهن يبكين حمزة على باب المسجد فقال: إرجعن رحمكن الله ، فقد آسيتن بأنفسكن ، ونهاهن عن النوح وقال: كل نادبة كاذبة إلا نادبة حمزة ». وقد روت ذلك مصادرهم ، كمسند أحمد: ٤٦٣/١ ، وفتح الباري: ٢٧٢/٧.

وفي الطرائف/٥٠٣: «قيل لعبد الله بن يحيى: هل تصلي مع معاوية ؟ قال: لا والله لا أجد فرقاً بين الصلاة خلفه وبين الصلاة خلف امرأة يهودية حائض ، ولذا لو صليت خلفه تقية أعدتها ! وسئل شريك عن فضائل معاوية فقال: إن أباه قاتلَ النبي صلى الله عليه وآله، وهو قاتلَ وصي النبي صلى الله عليه وآله، وأمه أكلت كبد حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله ، وابنه قتل سبط النبي صلى الله عليه وآله. وهو ابن زنا ! فهل تريد له منقبة بعد ذلك» !.

١٨- جهاد أبي دجانة الأنصاري رحمه الله

في شرح الأخبار: ٢٧٣/١: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله سيفاً بيده فهزه ، وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقال الزبير بن العوام: أنا يا رسول الله، فأعرض عنه رسول الله وقال: من يأخذ بحقه؟ فقام إليه أبو دجانة الأنصاري وكان من أبطال الأنصار فقال: وما حقه يا رسول الله ؟ قال: ألا يقف به في الكبول يعني أواخر الصفوف ، وأن يضرب به في العدو حتى ينحني. فقال: أنا آخذه يا رسول الله فدفعه إليه ، فأخذه أبو دجانة وهو مالك بن حرشة أخو بني سعدة من الأنصار ، ثم أخرج عصابة معه حمراء فتعصب بها فقالت الأنصار: تعصب أبو دجانة عصابته قد نزل الموت ، وكان ذلك من فعله. ثم خرج يتبختر بين الصفين ويقول:

إني امرؤٌ عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكبول أضرب بسيف الله والرسول

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنها مشية يبغضها الله عز وجل إلا في مثل هذا المقام. قال الزبير: فقلت: منعني رسول الله السيف وأعطاه أبا دجانة ، والله لأتبعنه حتى لأنظر

ما يصنع ، فاتبعته حتى هجم في المشركين فجعل لا يلقى منهم أحداً إلا قتله ، فقلت: الله ورسوله أعلم !

قال: وكان في المشركين رجل قد أبلى ولم يدع منا جريحاً إلا دق عليه أي قتله فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا واختلفا بضربتين فضرب المشرك أبا دجانة ضربة بسيفه فاتقاها أبو دجانة بدرقته فعضب السيف ، وضربه أبو دجانة فرمى برأسه !

ثم رأيته حمل السيف على مفرق رأس هند ابنة عتبة ثم عدله عنها ! فقيل: لأبي دجانة في ذلك ! فقال: رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً يعني يحركهم القتال فصدرت إليه يعني قصدته فلما حملت السيف على رأسه لأضربه وَلْوَلَ ، فإذا به امرأة فأكرمت سيف رسول الله من أن أضرب به امرأة» ! ورواه مسلم: ١٥١/٧.

وفي علل الشرائع: ٧/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « لما كان يوم أحد انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لم يبق معه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وأبو دجانة سماك بن خرشة ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا أبا دجانة أما ترى قومك؟ قال: بلى. قال: إلحق بقومك قال: ما على هذا بايعت الله ورسوله ! قال: أنت في حل. قال: والله لا تتحدث قريش بأني خذلتك وفررت حتى أذوق ما تذوق ! فجزَّاه النبي خيراً ، وكان علي كلما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلهم وردهم حتى أكثر فيهم القتل والجراحات حتى انكسر سيفه ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الرجل يقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي ، فأعطاه عليه السلام سيفه ذا الفقار ، فما زال

يدفع به عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أثَّر وانكسر ، فنزل عليه جبرئيل وقال: يا محمد ، إن هذه لهي المواساة من عليٍّ لك ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنه مني وأنا منه ، فقال جبرئيل: وأنا منكما. وسمعوا دوياً من السماء: لاسيف إلا ذو الفقار ولافتى إلا علي.

قال: مصنف هذا الكتاب رحمه الله: قول جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما تمنٍّ منه لأن يكون منهما، فلو كان أفضل منهما لم يقل ذلك ولم يتمن أن ينحط عن درجته إلى أن يكون ممن دونه، وإنما قال: وأنا منكما، ليصير ممن هو أفضل منه فيزداد محلاً إلى محله وفضلاً إلى فضله ».

ورواه فرات في تفسيره/٩٣ ، عن حذيفة وفيه:« فلما سمع رسول الله كلامه ورغبته في الجهاد إنتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى صخرة فاستتر بها ليتقي بها من السهام سهام المشركين ، فلم يلبث أبو دجانة إلا يسيراً حتى أثخن جراحة فتحامل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس إلى جنبه مثخناً لاحراك به ».

وفي الإرشاد: ٣٨٦/٢، عن المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يُخرج القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً ، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون ، وسبعة من أهل الكهف ، ويوشع بن نون ، وسلمان ، وأبا دجانة الأنصاري ، والمقداد ، ومالكاً الأشتر ، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً». والعياشي: ٣٢/٢ ، وروضة الواعظين/٢٦٥ ، ومعجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١٢٢/٥.

١٩- شهادة حنظلة غسيل الملائكة رحمه الله

في شرح الأخبار: ٢٦٩/١: « وبارز يومئذ أبو سفيان حنظلة بن أبي عامر الغسيل من الأنصار ، فصرع حنظلة أبا سفيان وعلاه ليقتله ، فرآه شداد بن الأسود فجاءه من خلفه فضربه فقتله ، وقام أبو سفيان من تحته ، وقال: حنظلة بحنظلة ! يعني ابنه حنظلة المقتول ببدر ، الذي ذكر أن علياً عليه السلام قتله يومئذ.

ولما انهزم المشركون عن أحد وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قتلى المسلمين ، وأمر بدفنهم في مصارعهم ، ورد من حمل منهم فدفن هناك ، وأمر بدفنهم في ثيابهم وبدمائهم من غير أن يغسلوا كما يفعل بالشهداء ، فرأى الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر الأنصاري. فلما قدم المدينة قال: سلوا عنه امرأته. فقالت: فلما سمع بخروج رسول الله صلى الله عليه وآله خرج مبادراً وهو جنب من قبل أن يغتسل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فلذلك ما رأيت من غسل الملائكة إياه ». ونحوه ابن هشام: ٥٩٢/٣.

وفي تفسير القمي: ١١٢/١: « وكان حنظلة بن أبي عامر رجل من الخزرج ، قد تزوج في تلك الليلة التي كان في صبيحتها حرب أحد ، بنت عبد الله بن أبي سلول ودخل بها في تلك الليلة ، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقيم عندها فأنزل الله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله.

فهذه الآية في سورة النور، وأخبار أحُد في سورة آل عمران، فهذا دليل على أن التأليف على خلاف ما أنزله الله، فدخل حنظلة بأهله وواقعها فأصبح وخرج وهو جنب، فحضر القتال فبعثت امرأته إلى أربعة نفر من الأنصار لما أراد حنظلة أن يخرج من عندها وأشهدت عليه أنه قد واقعها، فقيل لها: لم فعلت ذلك؟ قالت رأيت في هذه الليلة في نومي كأن السماء قد انفرجت فوقع فيها حنظلة ثم انضمت، فعلمت أنها الشهادة، فكرهت أن لا أشهد عليه فحملت منه.

فلما حضر القتال نظر حنظلة إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكرين فحمل عليه فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس وسقط أبو سفيان إلى الأرض وصاح: يا معشر قريش أنا أبو سفيان، وهذا حنظلة يريد قتلي، وعدا أبو سفيان ومر حنظلة في طلبه، فعرض له رجل من المشركين فطعنه، فمشى المشرك في طعنته فضربه فقتله، وسقط حنظلة إلى الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبد الله بن حزام وجماعة من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت الملائكة يغسلون حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف من ذهب، فكان يسمى غسيل الملائكة».

وفي الفقيه: ١٥٩/١: «واستشهد حنظلة بن أبا عامر الراهب بأحُد فلم يأمر النبي صلى الله عليه وآله بغسله، وقال: رأيت الملائكة بين السماء والأرض تغسل حنظلة بماء المزن في صحاف من فضة، وكان يسمى غسيل الملائكة».

٢٠- شهادة الحاخام مخيريق أفضل بني إسرائيل

في مناقب آل أبي طالب: ١٤٦/١: «أسلم وقاتل مع رسول الله ﷺ وأوصى بماله لرسول الله ﷺ وهو سبع حوائط وهي: الميثب، والصايفه، والحسنى، ويرقد، والعواف، والكلاء، ومشربة أم إبراهيم». وقد تقدم ذكره في اليهود بعد بدر.

وفي سيرة ابن هشام: ٣٦٢/٢: «وكان من حديث مخيريق وكان حبراً عالماً، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله (ص) بصفته وما يجد في علمه، وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك، حتى إذا كان يوم أحُد وكان يوم أحُد يوم السبت قال: يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون إن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله (ص) بأحد، وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما أراه الله، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل، فكان رسول الله (ص) فيما بلغني يقول: مخيريق خير يهود. وقبض رسول الله أمواله فعامة صدقات رسول الله (ص) بالمدينة منها».

٢١- جهاد نسيبة بنت عمارة المازنية

في تفسير القمي: ١١٥/١: «وبقيت مع رسول الله ﷺ نسيبة بنت كعب المازنية، وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها فأراد أن ينهزم ويتراجع فحملت عليه فقالت: يا بني إلى أين تفر عن الله وعن

رسوله؟! فردته فحمل عليه رجل فقتله ، فأخذت سيف ابنها فحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بارك الله عليك يا نسيبة. وكانت تقي رسول الله صلى الله عليه وآله بصدرها ويديها حتى أصابتها جراحات كثيرة !

وحمل ابن قميئة على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أروني محمداً لا نجوت إن نجا ، فضربه على حبل عاتقه ، ونادى قتلت محمداً واللات والعزى.

ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل من المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة فناداه: يا صاحب الترس ألق ترسك ومُرَّ إلى النار ! فرمى بترسه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا نسيبة خذي الترس فأخذت الترس وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان ».

وفي الصحيح من السيرة: ٢٠٥/٦: « وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب... قال المعتزلي: ليت الراوي لم يكنِّ هذه الكناية وكان يذكرهما باسمهما ، حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهة. ومن أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئاً ، فما باله كتم اسم هذين الرجلين؟

ويرى المجلسي أن المراد بهما هنا أبو بكر وعمر إذ لا تقية في غيرهما ، لأن خلفاء سائر بني أمية وغيرهم من الخلفاء ما كانوا حاضرين في هذا المشهد ليكنى بذكرهم تقية من أولادهم وأتباعهم. وهذا أيضاً هو رأي محمد بن معد العلوي».

وقال ابن هشام: ٥٩٩/٣: « وقاتلت أم عمارة ، نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد. فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري: أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول:

دخلت على أم عمارة ، فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك ، فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله(ص) وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله(ص) ، فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليَّ ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة أقمأه الله ! لما ولى الناس عن رسول الله (ص) أقبل يقول: دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله فضربني هذه الضربة فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان ».

وفي قاموس الرجال:٣٤٧/١٢:« شهدت نسيبة العقبة مع زوجها ، وشهدت أحداً وشهدت اليمامة.. قاتلت حين كر المشركون فضربها ابن قميئة ضربة بالسيف على عاتقها ، وقاتلت نسيبة يوم اليمامة فقطعت يدها وهي تريد مسيلمة لتقتله ».

آيات معركة أحُد كشفت أكثرية الصحابة !

نزلت في معركة أحد أكثر من ستين آية ، فيها حقائق خطيرة ، وقد عملَ رواة الحكومات القرشية على إخفائها أو تحريفها ، لغرض تكبير بعض الصحابة والتغطية على ما فعلوه ، وسلب مناقب آخرين وإعطائها لهم !

ونورد فيما يلي نص الآيات ، ثم فهرساً لأهم موضوعاتها:

قال الله تعالى في سورة آل عمران: « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ هَمَّت طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ. لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ. وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرض يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ. وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأرض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأرض فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ. هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ.
وَلاتَهِنُوا وَلاتَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لايُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ. وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ.

وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ.

وبعدها آية الإنقلاب والكفر الذي حصل في الصحابة لخبر قتل النبي صلى الله عليه وآله! وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ!

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلا بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الأَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ.

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ الله وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَخَيْرُ النَّاصِرِينَ.

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ. وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إذا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمر وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الأَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاتَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْ لا

تَحزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأمر مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأمر كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لايُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمر شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأرض أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ. وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ.

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ. إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لايُظْلَمُونَ.

أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ. لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ.

أوَلَمَّا أصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِكُمْ إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمَا أصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ. وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أقْرَبُ مِنْهُمْ للإيمَانِ يَقُولُونَ بِأفْوَاهِهِمْ مَالَيْس فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ. الَّذِينَ قَالُوا لإخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءوا عَنْ أنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

وَلاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أمْوَاتًا بَلْ أحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ألا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأنَّ اللهَ لايُضِيعُ أجْرَ الْمُؤْمِنِينَ. الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ. إنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَلايَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللهُ ألا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ. وَلايَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ إنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أجْرٌ عَظِيمٌ.

وَلايَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلله مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ. ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ. الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ. لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمور. وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاتَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ.

لاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَلله مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاتُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاتُخْلِفُ الْمِيعَادَ. فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاأُضِيعُ

عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ. (آل عمران: ١٢١-١٩٥)

تعداد لموضوعات آيات أحد

١. ذكرت الآية الأولى ذهاب النبي ﷺ صباحاً ليختار مكاناً لمعسكر المسلمين في أحُد ، ثم ذكَّرهم الله تعالى بحركة النبي ﷺ بعد صلاة الجمعة الى أحد ، وكيف تخلف عنه المنافقون وهم ثلث الجيش بقيادة رئيسهم ابن سلول ، فهمت طائفتان من غيرهم أن تتخلفا ، وهم بنو سلمة من الخزرج ، وبنو حارثة من الأوس ، لكن الله عصمهم. (البحار: ١٧/٢٠)

٢. وجاءت الآيات السبع بعدها تذكيراً ببدر: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ.. الى قوله: غَفُورٌ رَحِيمٌ. فذكرهم بنصره إياهم وقد كانوا قلة ضعفاء ، وأخبرهم أنه عز وجل هو الذي يدير الصراع مع المشركين ، وفق المصلحة التي تهدف الى نصرة نبيه وتثبيت دينه ، والمغفرة لمن يشاء من عباده وتعذيب بعض من يستحق.

٣. وجاءت الآيات التسع بعدها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً.. الى قوله: وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ، توجيهات إقتصادية واجتماعية وتربوية للمسلمين.

٤. والآيات الثلاث بعدها: ولاتَهِنُوا وَلاتَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ.. الى قوله: يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ، توجيه للمسلمين أن لايضعفوا لما أصابهم في معركة أحد من قتل

وجراح وهزيمة ، وأخبرهم بأن الله تعالى أذن بذلك ليحقق أربعة أهداف: تمييز المؤمنين ، واتخاذ الشهداء منهم ، وتمحيص المؤمنين ، ومحق الكافرين.

٥. ثم نبهت الآية بعدها: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.. المسلمين أن لا يتصوروا أنهم يمكنهم أن يدخلوا الجنة بدون أن يثبتوا عملياً جهادهم وصبرهم !

٦. ثم وبختهم الآية: وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ.. بأنهم كانوا قبل أحُد يتمنون الموت في سبيل الله ، لكنهم عندما رأوا الموت والشهادة هرب أكثرهم !

٧. وبعدها آية الإنقلاب: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.. تحدثت عن انقلاب الصحابة عندما شاع خبر قتل النبي صلى الله عليه وآله! وقال بعضهم هم لو كان نبياً ما قتل ! وقال بعضهم إرجعوا الى دينكم الأول ! وقال بعضهم: من يذهب ويأخذ لنا أماناً من أبي سفيان !

٨. وقررت الآية بعدها: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ الله.. أن تعريض الإنسان نفسه للشهادة لايُقصِّر عمره ، لأن الموت حتى لو تمت شروطه الظاهرة لايتحقق إلا بإذن خاص من الله تعالى! وهو إذن يتبع قانون الثواب والعقاب ، وهو قانونٌ يتبع إرادة الإنسان ونيته !

٩. ثم مدح الله عز وجل في الآيات الثلاث التي بعدها من سماهم الرِّبِّيين: وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ.. وهم الذين ثبتوا في المعركة ولم يضعفوا ولم يستكينوا ، فهو نص بمدح علي وأبي دجانة ونسيبة ، ومن ثبت من الصحابة واستشهد في الجولة الثانية ، وأولهم حمزة.

١٠. ثم كشف عز وجل في الآيتين بعدها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا.. عن تأثير الكفار على بعض الصحابة لأنهم يتولونهم ! وحذرهم من أن موالاتهم تجرهم الى الإنقلاب على أعقابهم ، وأن عليهم أن يتولوا بدلهم الله تعالى ومن أمرهم بموالاته: بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَخَيْرُ النَّاصِرِينَ !

١١. وفي الخمس آيات التي تلتها: سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ.. الى قوله: إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ، تحدث سبحانه عن معركة أحد وانتصارهم فيها أولاً ، ثم انهيارهم وفرارهم المعيب ، وتركهم النبي صلى الله عليه وآله لهجوم المشركين وسيوفهم ، وهروبهم الى جبل أحُد وغيره ، والنبي صلى الله عليه وآله يناديهم فلا يرجعون !

ومع ذلك فقد وعدهم بأنه سيلقي الرعب في قلوب الكفار في المعركة القادمة وذكرهم بأنه صدقهم وعده في أحُد ، ولكنهم لما رأوا النصر والغنائم نسوا ربهم وأرادوا الدنيا فابتلاهم بالهزيمة ، وقلٌ منهم الربيون الذين ثبتوا وأرادوا الآخرة.

١٢. وفي الآيات الثلاث التي تلتها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا.. الى قوله: لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ، صحح الله عز وجل نظرتهم الى الموت ، ونهاهم عن نظرة الكفار التي ابتلاهم الله بها لتكون حسرة في قلوبهم. بينما النظرة الإسلامية للموت بأنه مجرد انتقال الى الأحسن ، وحشرٌ الى الله تعالى.

١٣. وفي الآيات الثلاث التي تلتها: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ.. الى قوله: وَهُمْ لايُظْلَمُونَ ، أخبر نبيه صلى الله عليه وآله بأن لينه مع المسلمين كان من أسباب نجاحه ، وإلا لنفروا منه وعنه ، وأوصاه أن يواصل هذا اللين ويطيب خاطرهم ويعفو عن

أخطائهم ويستغفر الله لهم ، ويشاورهم فيما يناسب من الأمور ، فإذا عزم حسب أمر ربه ، فليتوكل عليه ولا يهتم بمن خالفه.

ثم وبَّخ الذين اتهموه صلى الله عليه وآله في بدر بأنه غلَّ قطيفة من الغنائم ، واستعمل في ذلك أسلوباً غير مباشر ، بأن الغل لا وجود له عند الأنبياء عليهم السلام لأنهم يريدون الآخرة ، أما الذين يريدون الدنيا ويخونون المال العام ، فهم غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وخيار المؤمنين !

١٤. وفي السبع الأربع التي تلتها: أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ الى قوله: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ نبه المسلمين الى عدم الخلط في المقاييس ونوعيات الناس ، وأن لايجعلوا الذين اتبعوا رضوان الله كمن خانوا الله ورسوله والمسلمين ، فغلوا أو نقضوا بيعتهم وفروا من المعركة ! ونبههم الى أن درجات هؤلاء متفاوتة عند الله تعالى.

١٥ . وفي الآيات السبع التي تلتها: وَلاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا الى قوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، أخبر عز وجل عن حياة الشهداء عند ربهم ونعيمهم ، وأنهم يستبشرون بمن بقي منهم حياً من الربيين: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ.. وخرجوا في اليوم التالي لتعقب المشركين وإبلاغهم رسالة قوة. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ..

١٦. وفي الآيات الأربع: وَلايَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ...الى قوله: فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ، عزَّى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله عن خسارة الذين كانوا (مسلمين) فسارعوا بالكفر

واشتروه بالإيمان وكفروا بالكامل ، فهددهم بالعذاب الأليم وأخبرهم بأنه يملي لهم ويمهلهم الى مدة ، فلا يغتروا بذلك !

ثم بيَّن عز وجل أن (المؤمنين) من الصحابة وغيرهم فيهم الخبيث والطيب ، وأن القانون الإلهي يعمل فيهم لفرزهم: حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ، وأن هذا القانون وانطباقاته من غيب الله تعالى الذي لايطلع عليه المؤمنين !

١٧. ثم تحدث عز وجل في الآيات الخمس التي تلتها: وَلايَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ.. الى قوله: وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ، عن بخل بعض الأغنياء عن الإنفاق في سبيل الله ، وأشار الى منطق البخل عند جيرانهم اليهود الذين قالوا إن الله فقير يطلب منا الإنفاق ، وقالوا إن محمداًﷺلم يأتنا بالآية المكتوبة عندنا.

١٨. ثم بين تعالى في خمس آيات أن الدنيا كلها موقتة وعمر الإنسان فيها محدود: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ.. والجزاء على العمل يوم القيامة.

ونبه المسلمين الى أنهم تنتظرهم ابتلاءات وخسارات في الأنفس والأموال ، وأذى من أهل الكتاب والمشركين. ونبههم أن لايكونوا كأهل الكتاب الذين نبذوا الكتاب وحرفوه لأغراض دنيوية. ثم حذر الذين يفرحون بقدراتهم ويحبون أن تنسب اليهم مناقب كاذبة ، بأنهم سيصيبهم العذاب !

١٩. وختم عز وجل آياته عن معركة أحد بلوحة من خمس آيات: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض.. رسمت المؤمنين الربِّيين ، المهاجرين منهم خاصة ، في مستواهم الفكري الرفيع ومعرفتهم بالله تعالى ومفاهيمهم عنه ، وعبادتهم له

وتضرعهم اليه بأن يختم لهم مع الأبرار. فاستجاب لهم بأنه سيجزيهم رجالاً ونساءً ثواباً حسناً، لإيمانهم، وهجرتهم، وإخراجهم من ديارهم، وتحملهم الأذى، وقتالهم وشهادتهم في سبيله! وهذا لاينطبق إلا على قلة قليلة من المهاجرين، وعمدتهم عترة النبي صلى الله عليه وآله وأبرار بني هاشم.

٢٠- إشارة الى حقائق مهمة في آيات أحُد

في هذه الآيات أبحاث مهمة نشير الى أكثرها مساساً بأحُد وسيرة النبي صلى الله عليه وآله.

أ. قلنا إن النبي صلى الله عليه وآله ذهب صباح الجمعة أو الخميس سراً واستطلع معسكر قريش واختار مكان معسكره، بدليل قوله تعالى: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ.. وكتم ذلك كما كتمه الله تعالى وأشار له بخفاء. وهذا من الحكمة النبوية واللين بالمسلمين.

ب. نزلت آيات بدر ضمن آيات أحُد لتذكير المسلمين بنصر الله لهم، وبأن قانونه في ذلك لم يتغير وإنما تغير المسلمون بحبهم للغنيمة ثم تركوها وانهزموا! وقال لهم في سورة الأنفال وهي سورة بدر: ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. (الأنفال: ٥٣) فالتغيير الى الأسوأ بسلب النعمة الموجودة مشروط بتغيرالمسلمين الى الأسوأ. أما التغيير الى الأحسن وإعطاء النعمة، فلا يتوقف على تغيير الناس الى الأحسن!

ج. الأهداف المذكورة في قوله تعالى: وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لايُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ. إنما تتحقق بقانون مداولة الأيام بين خيار الناس وشرارهم ، وبقوانين صراع الهدى الإلهي والضلال البشري. والتدخلات الإلهية لمصلحة المؤمنين تحصل أحياناً بقوانين ، وستتحقق غلبة الخير على يد المهدي الموعود عليه السلام وقيام دولة العدل وانتهاء دولة الشر الى يوم القيامة ، وهي بقانون أيضاً .

د. يبدو من قوله تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ.. أن من شروط دخول المسلم الجنة الجهاد والصبر وعدم الفرار من المعركة ، أو الوصول الى هذا المستوى الإيماني ، وهو أمر صعب ، والمؤكد أنه شرط في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين عاصروه.

هـ دلت آية الإنقلاب على أن الإرتداد حصل من عدد من الصحابة يوم أحُد ! فقد قال بعضهم قتل محمد صلى الله عليه وآله ولو كان نبياً ما قتل ، إرجعوا الى دينكم الأول ، وبحثوا عمن يذهب الى ابن سلول ليأخذ لهم أماناً من أبي سفيان.الخ.

وقد بحثنا ذلك في كتاب جواهر التاريخ: ١/٢٨.

و. من المسائل المهمة في أحُد وغيرها حكم الفارين بعد بيعتهم النبي صلى الله عليه وآله على عدم الفرار ، وبعد نداء النبي صلى الله عليه وآله فيهم بالرجوع وإمعانهم في الإصعاد في الأرض والصعود على جبل أحُد ، كما وصفهم الله تعالى ! وقد نص القرآن على أن الفار من الزحف مأواه جهنم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ

الأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. (الأنفال: ١٦).

وفي علل الشرائع: ٢٠٣/١، أن عبد الله بن يزيد الأباضي قال لهشام بن الحكم: «من أين زعمت يا هشام أنه لابد أن يكون (الإمام) أعلم الخلق ؟ قال إن لم يكن عالماً لم يؤمن أن يقلب شرايعه وأحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من يجب عليه القطع ! وتصديق ذلك فوق الله عز وجل: أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ..قال له: فمن أين زعمت أنه لا بد أن يكون أشجع الخلق؟ قال لأنه قيمهم الذي يرجعون إليه في الحرب ، فإن هرب فقد باء بغضب من الله ، ولا يجوز أن يبوء الإمام بغضب من الله وذلك قوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ..الآية».

وعليه ، فكل من فرَّ فقد استحق غضب الله وجهنم ، إلا إذا ثبتت توبته.

قد يقال: إن الله تعالى عفا عنهم فقال: ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ.. وقال: إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ. فهذا العفو يعني غفران الله لذنبهم مهما كان عظيماً ، ومن عفا الله عن ذنبه فلا ذنب له.

والجواب: أن عثمان أجاب بذلك عبد الرحمن بن عوف عندما عيره بفراره يوم أحد فقال له: « وأما قولك فررت يوم أحد ولم أفر ، فإن الله تبارك وتعالى قال: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ.. فلم تعيرني بذنب قد عفا الله عنه! ». (مجمع الزوائد: ٩/ ٨٥ ، وحسنه).

لكن الصحابة قالوا إن هذا العفو في آيات أحُد خاص بالرماة ، أو بالذين رجعوا من هربهم ! ففي الحاكم: ٢٩٦/٢، والطبراني الكبير: ٣٠١/١٠: « وإنما عنى بهذا الرماة ».

بل فسره عدد من أئمتهم بأنه ليس عفواً عن ذنب بل عفوٌ تكويني بأنه لم يسمح باستئصالهم. ففي عمدة القاري: ١٤١/١٧: «قال ابن جريج: ولقد عفا عنكم بأن لم يستأصلكم ، وكذا قال محمد بن إسحاق ، رواه ابن جرير ».

وفي تفسير الطبري: ١٧٥/٤، أن الحسن البصري كان يستنكر تفسيرهم هذا العفو بالعفو عن ذنبهم: « قال الحسن وصفق بيديه: وكيف عفا عنهم وقد قتل منهم سبعون ، وقتل عم رسول الله (ص) وكسرت رباعيته وشج في وجهه؟! قال الله عز وجل: قد عفوت عنكم إذ عصيتموني أن لا أكون استأصلتكم ».

فالعفو في آيات أحد خاص بمن رجع من هروبه ، وهم قلة ، أو بالرماة وهم أقل أو هو عفو تكويني وليس عفواً عن الفرار وترك الرسول صلى الله عليه وآله.

ولو سلمنا أنه عفو عن ذنب مضى ، فقد كان بعده ذنب مثله ، وهو الفرار في غزوة الخندق وخيبر وحنين ! وقد يقال: إن الله تعالى رضي عن الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة بقوله: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيباً. (الفتح: ١٨).وهو يعني غفران ذنوبهم قبل بيعة الشجرة .

والجواب: أنه تعالى قال: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ، ولم يقل: رضي عن الذين يبايعونك ! فقيَّد الرضا بظرف وبالإيمان ، ولو سلمنا إطلاقه فقد

كان ذلك في الحديبية في السنة السابعة ، وقد بايعوا النبي صلى الله عليه وآله على أن لايفروا في معركة، ثم فروا بعدها بسنة في حنين فنقضوا بيعتهم ! فلا يشملهم العفو السابق.

ز. لم يقتصر أمر هؤلاء الصحابة على الفرار ، بل ارتدوا وصاحوا داعين إلى الردة والإستسلام ! ووقف أحدهم على تل يدعو المنهزمين للتسليم الى أبي سفيان ! وروى أتباع السلطة كل ذلك لكنهم أخفوا أبطال القصة فقالوا: نادى مناد: ألا إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى دينكم الأول ! وقال أناس: لو كان نبياً ما قتل !

قال السيوطي في الدر المنثور: ٨٠/٢: «وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد: ألا إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى دينكم الأول.. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي ، عن ابن عباس أن رسول الله اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة والناس يفرون ورجل قائم على الطريق يسألهم: ما فعل رسول الله؟ وجعل كلما مروا عليه يسألهم فيقولون: والله ما ندري ما فعل ! فقال: والذي نفسي بيده لئن كان قتل النبي لنعطينهم بأيدينا إنهم لعشائرنا وإخواننا وقالوا: لو أن محمداً كان نبياً لم يهزم ولكنه قد قتل ! فترخصوا في الفرار حينئذ ! وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن الربيع في الآية قال...وذكر لنا أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم ! وأخرج ابن جرير ، عن ابن جريج قال: قال أهل المرض والإرتياب

والنفاق حين فر الناس عن النبي: قد قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول! فنزلت هذه الآية: وما محمد إلا رسول..».

وقال الطبري في تفسيره:١٥١/٤:« ناس من أهل الإرتياب والمرض والنفاق ، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله (ص) وشُج فوق حاجبه وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول » !

وقال الفخر الرازي:٢٢/٩:«وذلك أن المنافقين قالوا لضعفة المسلمين: إن كان محمد قتل فالحقوا بدينكم ، فقال بعض الأنصار: إن كان محمد قتل فإن رب محمد لم يقتل». وهو أنس بن النضر (ابن هشام: ٦٠٠/٣) وكان حواره مع عمر وطلحة وأصحاب الصخرة ! ولم يرو أحدٌ أنهم جددوا إسلامهم !

ح. تدل آيات أحُد أن الصحابة كانوا أقساماً متعددة: فمنهم المجاهدون الثابتون المحسنون ، وهم الربيون الذين لايهنون ولا يحزنون. ومنهم المنافقون ، الذين تخلفوا عن المعركة بقيادة عبد الله بن سلول: الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا.. ومنهم: المؤمنون أصحاب الذنوب ، الذين استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فهربوا ! وهؤلاء طائفتان: فمنهم: مؤمنون ضعفوا وفروا فأصابهم الغم والندم وأنزل الله عليهم النعاس: ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ . ومنهم من لم ينزل عليه النعاس وبقيت عيونهم تبحلق !

ففي تفسير القمي:١٢٠/١:« وتراجع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المجروحون وغيرهم فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأحب الله يعرِّف رسوله الصادق منهم

والكاذب ، فأنزل الله عليهم النعاس في تلك الحالة حتى كانوا يسقطون إلى الأرض وكان المنافقون الذين يكذبون لايستقرون قد طارت عقولهم وهم يتكلمون بكلام لا يفهم». والأسوأ من الجميع: وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ولم يهممهم الرسول ولا المسلمون ولم ينزل الله عليهم النعاس ! وهؤلاء هم مرضى القلوب وأصحاب آية الإنقلاب ! وقد ذكر الله تعالى لهم خمس صفات خطيرة:

١-أنهم طائفة مقابل المؤمنين ، وإن اشتركوا مع الفارين منهم.

٢- أن ظنهم بالله جاهلي فهم كاليهود يتعاملون مع الله تعالى بميزان مادي كما يتعامل المشركون مع أصنامهم ! ولايعتقدون بحكمته تعالى في إدارته لرسوله صلى الله عليه وآله بل يرون أن قيادتهم أفضل ، ويحملون النبي صلى الله عليه وآله مسؤولية الهزيمة: يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمر شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا !

٣- أنهم يظهرون للنبي صلى الله عليه وآله أنهم مؤمنون به وهم كاذبون ، لأنهم يريدون القيادة بدله أو بالشراكة معه ! يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لايُبْدُونَ لَكَ، من رفضهم لقيادتك ! وهم يتكلمون باسم المسلمين لأن غرضهم قيادتهم بدل النبي صلى الله عليه وآله ! ويحاولون بهذا الكلام الخبيث تحريك المسلمين ضد النبي صلى الله عليه وآله ، فهم كابن سلول بل أشد خطراً منه .

٤- مشكلتهم ومرضهم عبادة ذواتهم بدل الله تعالى ، وإطاعة هواهم بدل النبي صلى الله عليه وآله ولذا كانت هذه الصفة أول صفاتهم: وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، أما أمر الإسلام كدين وأمر المسلمين كأمة ، فلا يهمهم إلا كأداة لخدمة ذواتهم !

ط- وبهذا تعرف عمق مشكلة النبي ﷺ مع هذه الطائفة من منافقي صحابته فهم في كمين ملاصق له ينتظرون فرصة ليطرحوا أنفسهم بديلاً عنه ﷺ لقيادة المسلمين ! فطمأنه الله مما يفعلونه وقال له: وَلايَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

ي- سمى القرآن سمى هذه الطائفة في مكة وفي بدر وفي الأحزاب «مرضى القلوب» وذكرهم في اثنتي عشرة آية ، ووصفهم في أحُد بأشد أوصافهم ولم يسمهم باسمهم الرسمي ، وكأن سبب ذلك أن مرض قلوبهم خرج الى العلن ، وصار كفراً وتحميلاً للنبي ﷺ مسؤولية الهزيمة ، وطرحوا أنفسهم بديلاً له لقيادة المسلمين !

وقد فسر الإمام الصادق عليه السلام مرض قلوبهم بأنه عداوة أهل البيت عليهم السلام لأن هدفهم دولة النبي ﷺ والحكم بعده ! قال عليه السلام: «والمرض والله عداوتنا». (غيبة النعماني/٢٦٧).

أخبار متفرقة من أحُد

كان النبي ﷺ يدعو الفارين بأسمائهم

في شرح النهج: ١٥/٢٤، عن محمد بن مسلمة قال: « سمعت أذناي وأبصرت عيناي رسول الله ﷺ يقول يوم أحد وقد انكشف الناس إلى الجبل وهو يدعوهم وهم لايلوون عليه ، سمعته يقول: إليَّ يا فلان ، إليَّ يا فلان ، أنا رسول الله ﷺ ! فما عرج عليه واحد منهما ومضيا ، فأشار ابن معد إليَّ أي إسمع ، فقلت: وما في هذا؟ قال: هذه كناية عنهما . فقلت: ويجوز أن لايكون عنهما ، لعله عن غيرهما . قال:

ليس في الصحابة من يحتشم من ذكره بالفرار وما شابهه من العيب فيضطر القائل إلى الكناية إلا هما . قلت له: هذا ممنوع. فقال: دعنا من جدلك ومنعك ، ثم حلف أنه ما عنى الواقدي غيرهما ، وأنه لو كان غيرهما لذكرهما صريحاً».

أشد الأيام على النبي صلى الله عليه وآله يوم أُحُد ويوم الحسين عليه السلام

« رويَ عن علي بن الحسين عليه السلام: أنه نظر يوماً إلى عبيد الله بن العباس بن علي فاستعبر ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحُد ، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب . ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام: ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة ،كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه ! وهو يذكرهم بالله فلا يتعظون ، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً»! (مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف/ ١٧٦).

من أدعية النبي صلى الله عليه وآله يوم أُحُد

«أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تلطف بي ، وأن تغلب لي ، وأن تمكر لي ، وأن تخدع لي ، وأن تكفيني مؤونة فلان بن فلان بلا مؤنة».(العروة الوثقى:٢/١٥٥).

وفي تفسير فرات/٩٣: « فخلع رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه ذا الفقار فقلده علياً عليه السلام ومشى إلى جمع المشركين فكان لا يبرز إليه أحد إلا قتله ، فلم يزل على ذلك حتى وهت دراعته ، فرقَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك له ، فنظر رسول الله إلى السماء وقال: اللهم إن محمداً عبدك ورسولك جعلت لكل نبي وزيراً من أهله لتشد به عضده وتشركه في

أمره ، وجعلت لي وزيراً من أهلي ، علي بن أبي طالب أخي ، فنعم الأخ ونعم الوزير. اللهم وعدتني أن تمدني بأربعة آلاف من الملائكة مردفين ، اللهم وعدك وعدك ، إنك لا تخلف الميعاد ».

قاتل النبي صلى الله عليه وآله أول الأمر ثم استظل بصخرة

في تفسير فرات/٩٣:«إنتهى رسول الله صلى الله عليه وآله لى صخرة فاستتر بها ، ليتقي بها من السهام سهام المشركين». وفي الخرائج:٩١٥/٢:«لما استتر من المشركين يوم أحد مال برأسه نحو الجبل حتى خرقه بمقدار رأسه ، وهو موضع معروف مقصود في شعب».

أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى !

في كشف اليقين/٥٩:« وأصحاب الفتوة يرجعون إليه عليه السلام ، لأن جبريل نزل يوم أحد من السماء وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فرحاً مسروراً وقال: أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى ! أما أنه الفتى فلأنه سيد العرب . وأما ابن الفتى فلأنه ابن إبراهيم خليل الرحمن الذي نزل في حقه: قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . وأما أنه أخو الفتى ، فلأنه أخو علي عليه السلام الذي قال جبريل عنه أنه: إنه لا فتى إلا علي».

قميص النبي صلى الله عليه وآله الذي أصيب به في أحد

في الكافي: ٢٣٦/١، عن الإمام الصادق عليه السلام من حديث ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما حضرته الوفاة علرض على عمه العباس أن يأخذ تراثه ويقضي دينه ومواعيده ، فاعتذر بانه

لايطيق ، فعرض ذلك على علي عليه السلام فقبله فأعطاه تراثه ، وفيه: والقميص الذي أسري به فيه ، والقميص الذي جرح فيه يوم أحد ».

وروى ابن عقدة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام/٨٨ ، أن الإمام المهدي عليه السلام عندما يظهر:« يكون عليه قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان عليه يوم أحد».

حب علي عليه السلام فريضة لا رخصة فيها

في الجواهر السنية/٣٠١ ، عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:« هبط جبرائيل يوم أحد وقد انهزم المسلمون ولم يبق غير علي عليه السلام، وقد قتل الله على يده يومئذ من المشركين من قتل فقال جبرئيل: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخبر علياً أني عنه راض ، وأني آليت على نفسي أن لا يحبه عبد إلا أحببته ، ومن أحببته لم أعذبه بناري ، ولا يبغضه عبد إلا أبغضته ، ومن أبغضته ما له في الجنة من نصيب !

قال: وهبط علي جبرئيل يوم الأحزاب لما قتل علي بن أبي طالب عمرواً فارسهم فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني افترضت الصلاة على عبادي فوضعتها عن العليل الذي لايستطيعها ، وافترضت الزكاة فوضعتها عن المقل ، وافترضت الصيام فوضعته عن المسافر ، وافترضت الحج فوضعته عن المعدم ومن لا يجد السبيل إليه ، وافترضت حب علي بن أبي طالب ومودته على أهل السماوات وأهل الأرض ، فلم أعذر فيه أحداً ! فمر أمتك بحبه ، فمن أحبه فبحبي وحبك أحبه ، ومن أبغضه فببغضي وبغضك أبغضه » !

دخل الجنة ولم يصلِّ ركعة

كان عمرو بن قيس قد تأخر إسلامه ، فلما بلغه أن رسول الله ﷺ في الحرب أخذ سيفه وترسه وأقبل كالليث العادي يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم خالط القوم فاستشهد ، فمر به رجل من الأنصار فرآه صريعاً بين القتلى فقال: يا عمرو أنت على دينك الأول ؟ فقال معاذ الله ، والله إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم مات ! فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله إن عمرو بن قيس قد أسلم فهو شهيد؟ فقال: إي والله إنه شهيد، ما رجل لم يصل لله ركعة دخل الجنة غيره».

قزمان مثلٌ لسوء التوفيق

في سيرة بن هشام:٣٦٨/٢ ، و٦٠٥:« قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: كان فينا رجل أتى لا يدرى ممن هو يقال له قزمان ، وكان رسول الله (ص) يقول إذا ذكر له: إنه لمن أهل النار ! قال: فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بني ظفر. قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر. قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت. قال: فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه»!

والفصول المختارة/ ١٤٥ ، والإقتصاد/٢٣٠.

النبي صلى الله عليه وآله يشفي عين قتادة من أجل عروسه

في كشف الغمة:١٨٧/١:«أصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، قال: فجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله إن تحتي امرأة شابة جميلة أحبها وتحبني ، وأنا أخشى أن تقذر مكان عيني ! فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله فردها فأبصرت وعادت كما كانت لم تؤلمه ساعة من ليل أو نهار ، فكان يقول: بعد أن أسن هي أقوى عينيَّ ، وكانت أحسنهما». ونحوه الإحتجاج: ٣٣٢/١ ، والثاقب في المناقب/٦٤.

عندما اضطرب المسلمون قتلوا والد حذيفة خطأً !

«عن محمود بن لبيد قال: اختلفت سيوف المسلمين على اليمان أبي حذيفة يوم أحد ولا يعرفونه ، فقتلوه ، فأراد رسول الله(ص) أن يَدِيَه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ». (مسند أحمد: ٤٢٩/٥).

لعن النبي صلى الله عليه وآله أبا سفيان يوم أُحُد

روى في الخصال/٣٩٧ ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن في كلهن لا يستطيع إلا أن يلعنه ، أولهن: يوم لعنه الله ورسوله وهو خارج من مكة إلى المدينة مهاجراً وأبو سفيان جائي من الشام ، فوقع فيه أبو سفيان يسبه ويوعده وهمَّ أن يبطش به فصرفه الله عن رسوله.

والثانية: يوم العير إذا طردها ليحرزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله فلعنه الله و رسوله.

والثالثة: يوم أحد قال أبو سفيان: أعل هبل ، فقال رسول الله ﷺ: الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان: لنا عزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ: الله مولانا ولا مولى لكم .

والرابعة: يوم الخندق يوم جاء أبو سفيان في جميع قريش فرد هم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وأنزل الله عز وجل في القرآن آيتين في سورة الأحزاب فسمى أبا سفيان وأصحابه كفاراً ، ومعاوية مشرك عدو لله ولرسوله.

والخامسة: يوم الحديبية والهدي معكوفاً أن يبلغ محله ، وصد مشركوا قريش رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام وصدوا بُدْنَهُ أن تبلغ المنحر ، فرجع رسول الله ﷺ لم يطف بالكعبة ولم يقض نسكه ، فلعنه الله ورسوله.

والسادسة: يوم الأحزاب يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش وعامر بن الطفيل بجمع هوازن وعيينة بن حصن بغطفان ، وواعد لهم قريظة والنضير أن يأتوهم فلعن رسول الله ﷺ القادة والأتباع وقال: أما الأتباع فلا تصيب اللعنة مؤمناً ، وأما القادة فليس فيهم مؤمن ولا نجيب ولا ناج.

والسابعة: يوم حملوا على رسول الله ﷺ في العقبة وهم اثنا عشر رجلاً من بني أمية وخمسة من سائر الناس فلعن رسول الله ﷺ من على العقبة غير النبي ﷺ وناقته وسائقه وقائده. قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: جاء هذا الخبر هكذا. والصحيح أن أصحاب العقبة كانوا أربعة عشر». والإحتجاج: ٤٠٨/١ ، وشرح الأخبار: ١٦٥/٢.

لماذا يحب مشركو قريش عمر بن الخطاب !

قال ابن هشام: ٢٨٢/٢: « وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد ، فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: أنج يا ابن الخطاب. لا أقتلك ! فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه» ! وقد عقد في الصحيح من السيرة (٢٣٥/٦) فصلاً لهذا الموضوع ، لمعرفة سبب قول ضرار بن الخطاب لعمر بن الخطاب الآخر: «والله ما كنت لأقتلك »! وكان ضرار بن الخطاب مقرباً من أبي سفيان ، وهو من فرسان قريش وشعرائها وكان يهجو النبي صلى الله عليه وآله !

لا أبالي إذا سلمتَ من عطب !

«عن أنس قال: «لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة فقالوا: قتل محمد ! حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة ، فخرجت امرأة من الأنصار متحزنة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها ، لا أدري أيهم استقبلت أولاً ، فلما مرت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك ! قالت: ما فعل النبي صلى الله عليه وآله؟ قالوا: أمامك ، فمشت حتى جاءت إليه فأخذت بناحية ثوبه وجعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لاأبالي إذا سلمت من عطب» (مسكن الفؤاد/٧٢).

بركة النبي صلى الله عليه وآله على تمر جابر الأنصاري

في الخرائج: ١٥٤/١، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: « استشهد والدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد وهو ابن مائتي سنة ، وكان عليه دين ، فلقيني رسول

الله صلى الله عليه وآله يوماً فقال: ما فعل دين أبيك ؟ قلت: على حاله. فقال: لمن هو؟ قلت: لفلان اليهودي. قال: متى حينه؟ قلت: وقت جفاف التمر. قال: إذا جففت التمر فلا تحدث فيه حتى تعلمني واجعل كل صنف من التمر على حدة. ففعلت ذلك وأخبرته صلى الله عليه وآله، فصار معي إلى التمر وأخذ من كل صنف قبضة بيده وردها فيه ، ثم قال: هات اليهودي. فدعوته فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إختر من هذا التمر أي صنف شئت ، فخذ دينك منه. فقال اليهودي: وأي مقدار لهذا التمر كله حتى آخذ صنفاً منه؟ ولعل كله لا يفي بديني ! فقال: إختر أي صنف شئت فابتدئ به ، فأومى إلى صنف الصيحاني فقال: أبتدئ به ؟ فقال: إفعل باسم الله ، فلم يزل يكيل منه حتى استوفى منه دينه كله ، والصنف على حاله ما نقص منه شئ ! ثم قال صلى الله عليه وآله: يا جابر هل بقي لأحد عليك شئ من دينه؟ قلت: لا. قال: فاحمل تمرك بارك الله لك فيه ، فحملته إلى منزلي وكفانا السنة كلها ، فكنا نبيع لنفقتنا ومؤونتنا ونأكل منه ، ونهب منه ونهدي ، إلى وقت التمر الحديث ، والتمر على حاله إلى أن جاءنا الجديد ».

عثمان يؤوي عمه المشرك القاتل !

كان معاوية بن المغيرة بن العاص الأموي ابن عم عثمان بن عفان ، وجدُّ عبد الملك بن مروان لأمه ، شديد العداء للنبي صلى الله عليه وآله حتى هدر دمه .

وكان مع أبي سفيان في جيش أحد ، ولما انهزم القرشيون أمام المسلمين في الجولة الأولى هرب ابن المغيرة فدخل المدينة وآوى الى بيت ابن عمه عثمان ، فتشفع فيه

عثمان وألح على النبي صلى الله عليه وآله فأمهله ثلاثاً على أن لايراه في المدينة ولا حولها ، ولعن من أعانه وجهزه ، فجهزه عثمان ، وتأخر في المدينة ليأخذ أخبار النبي صلى الله عليه وآله لقريش ! فنزل جبرئيل وأخبر النبي صلى الله عليه وآله بمكانه أيام حمراء الأسد ، فأرسل علياً وعماراً فقتلاه !

وقد حكى الإمام الصادق عليه السلام قصته كما في الكافي: ٣/٢٥١ ، قال: « إن الفاسق آوى عمه المغيرة بن أبي العاص وكان ممن هدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه ، فقال لابنة رسول الله: لا تخبري أباك بمكانه كأنه لا يوقن أن الوحي يأتي محمداً ! فقالت: ما كنت لأكتم رسول الله عدوه ! فجعله بين مشجب له ولحفه بقطيفة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله الوحي فأخبره بمكانه فبعث إليه علياً عليه السلام وقال: إشتمل على سيفك وائت بيت ابنة ابن عمك ، فإن ظفرت بمعاوية بن المغيرة فاقتله !

فأتى البيت فجال فيه فلم يظفر به فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره فقال: يا رسول الله لم أره ، فقال: إن الوحي قد أتاني فأخبرني أنه في المشجب ! ودخل عثمان بعد خروج علي فأخذ بيد عمه فأتى به النبي صلى الله عليه وآله فلما رآه أكب عليه ولم يلتفت إليه ! وكان نبي الله صلى الله عليه وآله حيياً كريماً فقال: يا رسول الله هذا عمي ، هذا المغيرة بن أبي العاص وقد والذي بعثك بالحق آمنته. قال أبو عبد الله عليه السلام: وكذب ، والذي بعثه بالحق ما آمنه ! فأعادها ثلاثاً أني آمنته ، وأعادها أبو عبد الله عليه السلام ثلاثاً ، إلا أنه يأتيه عن يمينه ثم يأتيه عن يساره، فلما كان في الرابعة رفع رأسه إليه فقال له: قد جعلته لك ثلاثاً فإن قدرتُ عليه بعد ثالثة قتلته ، فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم العن المغيرة بن أبي العاص ، والعن من يؤويه ، والعن

من يحمله ، والعن من يطعمه ، والعن من يسقيه ، والعن من يجهزه ، والعن من يعطيه سقاء أو حذاء أو رشاء أو وعاء ، وهو يعدهن بيمينه !

وانطلق به عثمان فآواه وأطعمه وسقاه وحمله وجهزه ، حتى فعل جميع ما لعن عليه النبي صلى الله عليه وآله من يفعله به ! ثم أخرجه في اليوم الرابع يسوقه فلم يخرج من أبيات المدينة حتى أعطب الله راحلته ونقب حذاه وورمت قدماه ، فاستعان بيديه وركبتيه وأثقله جهازه حتى وجس به ، فأتى شجرة فاستظل بها ، لو أتاها بعضكم ما أبهره ذلك ! فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله الوحي فأخبره بذلك فدعا علياً عليه السلام فقال: خذ سيفك وانطلق أنت وعمار وثالث لهم فأت المغيرة بن أبي العاص تحت شجرة كذا وكذا ، فأتاه علي فقتله.

فضرب عثمان بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أنت أخبرت أباك بمكانه ! فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تشكو ما لقيت ، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وآله إقني حياءك ، ما أقبح بالمرأة ذات حسب ودين في كل يوم تشكو زوجها ! فأرسلت إليه مرات كل ذلك يقول لها ذلك ، فلما كان في الرابعة دعا علياً عليه السلام وقال: خذ سيفك واشتمل عليه ثم ائت بيت ابنة ابن عمك فخذ بيدها ، فإن حال بينك وبينها أحد فاحطمه بالسيف ، وأقبل بها الى رسول الله !

فلما نظرت إليه رفعت صوتها بالبكاء واستعبر رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى ، ثم أدخلها منزله وكشفت عن ظهرها ، فلما أن رأى ما بظهرها قال: ثلاث مرات: ماله قتلك قتله الله ! وكان ذلك يوم الأحد ، وبات عثمان ملتحفاً بجاريتها فمكث الإثنين

والثلاثاء وماتت في اليوم الرابع ، فلما حضر أن يخرج بها أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فخرجت ونساء المؤمنين معها ، وخرج عثمان يشيع جنازتها ، فلما نظر إليه النبي صلى الله عليه وآله قال: من أطاف البارحة بأهله أو بفتاته ، فلا يتبعن جنازتها ! قال ذلك ثلاثاً ، فلم ينصرف فلما كان في الرابعة قال: لينصرفن أولأسمين باسمه ، فأقبل عثمان متوكئاً على مولى له ممسك ببطنه فقال: يا رسول الله إني اشتكى بطني ، فإن رأيت أن تأذن لي أنصرف ، قال: إنصرف. وخرجت فاطمة عليها السلام ونساء المؤمنين والمهاجرين فصلين على الجنازة ». راجع الصحيح من السيرة: ٢٠٦/٦ ، والخرائج: ٩٤/١، والدرر/١٥٨، وابن هشام: ٦١٧/٣.

٢١- مختارات من شعر أحُد

رووا كثيراً من الشعر في بدر وأحُد ، وقد اهتم ابن إسحاق بنقل الشعر ، ونكتفي بمختارات نقلها عنه ابن هشام (٦٣٩/٣). فقد قال عبد الله بن الزِّبَعْرَى في يوم أحد:

يا غرابَ البين أسمعتَ فقل ... إنما تنطق شيئاً قد فعل
أبلغن حسان عني آية ... فقريض الشعر يشفي ذا العلل
كم ترى بالجر من جمجمة ... وأكف قد أترَّت ورجل
كم قتلنا من كريم سيد ... ماجد الجدين مقداماً بطل
فسل المهراس من ساكنه ... بين أقحاف وهام كالحجل
ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكت بقباء بركها ... واستحر القتل في عبد الأشل
ثم خفوا عند ذاكم رُقَّصاً ... رقَصَ الحفَّان يعلو في الجبل

فقتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا مَيْلَ بدر فاعتدل

فأجابه حسان بن ثابت:

ذهبَتْ يا ابن الزِبَعْرى وقعةٌ كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحياناً دول
نضع الأسياف في أكتافكم حيث تهوي عللاً بعد نهل
إذ تولون على أعقابكم هرباً في الشعب أشباه الرَّسَل
إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل
برجال لستم أمثالهم أيدوا جبريل نصراً فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جحجاحٍ رفل
وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديثَ المثل
ورسول الله حقاً شاهد يوم بدر والتنابيل الهبل
نحن لا أمثالكم ولد استها نحضر البأس إذا البأس نزل

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة وقتلى المسلمين:

نشجتَ وهل لك من منشجٍ وكنتَ متى تذكرْ تلجَجِ
تذكر قوم أتاني لهم أحاديث في الزمن الأعوج
وقتلاهم في جنان النعيم كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء لواء الرسول بذي الأضوج
غداة أجابت بأسيافها جميعاً بنو الأوس والخزرج
وأشياع أحمد إذ شايعوا على الحق ذي النور والمنهج

فما برحوا يضربون الكماة ويمضون في القسطل المرهج
كذلك حتى دعاهم مليك إلى جنة دوحة المولج
فكلهم مات حر البلاء على ملة الله لم يُحرج
كحمزة لما وفى صادقاً بذي هبة صارم سلجج...
أولئك لا من ثوى منكم من النار في الدرك المرتج

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري فقال:

أيجزع كعب لأشياعه ويبكي من الزمن الأعوج
فقولا لكعب يثني البكا وللنيء من لحمه ينضج
فياليت عمراً وأشياعه وعتبة في جمعنا السورج
فيشفوا النفوس بأوتارها بقتلى أصيب من الخزرج
ومقتل حمزة تحت اللواء بمطرد مارن مخلج
وحيث انثنى مصعب ثاوياً بضربة ذي هبة سلجج
بأحد وأسيافنا فيهم تلهب كاللهب الموهج

وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة:

أسائلة أصحاب أحد مخافة بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجى ونرتجي لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا بكاء وحزناً محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مدرها يذود عن الإسلام كل كفور

فياليت شلوي عند ذاك وأعظمي لـدى أضـبع تعتـادني ونسـور
أقول وقد أعلى النعـي عشـيرتي جزى الله خيراً مـن أخ ونصـير

وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة:

بكت عيني وحق لهـا بكاهـا وما يغنـي البكـاء ولا العويـل
على أسـد الإلـه غـداة قـالوا أحمـزة ذاكـم الرجـل القتيـل
أصيب المسلمون بـه جميعـاً هناك وقد أصيب بـه الرسـول
أبا يعلى لك الأركـان هـدت وأنـت الماجـد البـر الوصـول
عليك سلام ربك فـي جنـان مخالطهـا نعـيم لا يـزول
ألا يـا هاشـم الأخيـار صـبراً فكـل فعـالكم حسـن جميـل
رسـول الله مصـطبر كـريم بـأمر الله ينطـق إذ يقـول
ألا مـن مبلـغ عنـي لؤيـاً فبعـد اليـوم دائلـة تـدول
وقبل اليوم ما عرفـوا وذاقـوا وقائعنـا بهـا يشـفى الغليـل
نسـيتم ضـربنا بقليـب بـدر غـداة أتـاكم المـوت العجيـل
غداة ثوى أبو جهـل صـريعاً عليـه الطيـر حائمـة تجـول
وعتبـة وابنـه خـرا جميعـاً وشيبة عضـه السـيف الصـقيل
ومتركنـا أميـة مجلعبـاً وفـي حيزومـه لـدن نبيـل
وهـام بنـي ربيعـة سـائلوها ففـي أسـيافنا منهـا فلـول
ألا يـا هنـد فـابكي لا تملـي فأنـت الوالـه العبـرى الهبـول
ألا يـا هنـد لا تبـدي شـماتاً بحمـزة إن عـزكم ذليـل

وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة:

أتعـرف الـدار عفـا رسـمها بعدك صوب المسبل الهاطـل

ساءلتها عن ذاك فاستعجمت لم تدر ما مرجوعة السائل ؟
دع عنك دارا قد عفا رسمها وابك على حمزة ذي النائل
المالئ الشيزى إذا أعصفت غبراء في ذي الشَبَم الماحل
والتارك القرن لدي لبدة يعثر في ذي الخرص الذابل
واللابس الخيل إذ أجحمت كالليث في غابته الباسل
أبيض في الذروة من هاشم لم يمر دون الحق بالباطل
مال شهيداً بين أسيافكم شلت يدا وحشي من قاتل
أظلمت الأرض لفقدانه واسود نور القمر الناصل
صلى الله عليه في جنة عالية مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة حرزاً لنا في كل أمر نابنا نازل
وكان في الإسلام ذا تدرأ يكفيك فقد القاعد الخاذل
لا تفرحي يا هند واستحلبي دمعا واذري عبرة الثاكل
وابكي على عتبة إذ قطه بالسيف تحت الرهج الجائل
إذ خرَّ في مشيخة منكم سمن كل عات قبله جاهل
أرداهم حمزة في أسرة يمشون تحت الحلق الفاضل
غداة جبريل وزير له نعم وزير الفارس الحامل

وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة:

يا ميُّ قومي فاندبنْ بسحيرة شجو النوائح
كالحاملات الوقر بالثقل الملحات الدوالح
المعولات الخامشات وجوه حرات صحائح
وكأن سيل دموعها الأنصاب تخضب بالذبائح

ينقضـن أشـعاراً لهـن هنـاك باديـة المسـائح
وكأنهـا أذنـاب خيـل بالضـحى شـمس روامـح
ولقـد أصـاب قلوبهـا مجـل لـه جلـب قـوارح
إذ أقصـد الحـدثان مـن كنـا نرجِّـي إذ نشـايح
أصـحاب أحْـد غـالهم دهـر ألـمَّ لـه جـوارح
مـن كـان فارسـنا وحامينـا إذا بعـث المسـالح
يـا حمـزُ لا والله لا أنسـاك مـا صـر اللقـائح
ذكرتنـي أسْـد الرسـول وذاك مـدرهنا المنـافح
يعلـو القمـاقم جهـرة سـبط اليـدين أغـر واضـح
لا طـائش رعـش ولا ذو علـة بالحمـل آنـح
بحـر فلـيس يغـب جـاراً منـه سـيب أو منـادح
لهفـي لشـبان رزئنـاهم كـأنهم المصـابح
شـم بطارقـة غطارفـة خضـارمة مسـامح
المشـترون الحمـد بـالأموال إن الحمـد رابـح
والجـامزون بلجمهـم يومـا إذا مـا صـاح صـائح
يـا حمـز قـد أوحـدتني كـالعود شـذبه الكـوافح
أشكو إليـك وفوقـك التـرب المكـور والصـفائح

وقال حسان يذكر قتل علي عليه السلام أصحاب اللواء يوم أحد:

منـع النـوم بالعشـاء الهمـوم وخيـال إذا تغـور النجـوم..
مـن حبيـب أضـاف قلبـك منـه سـقم فهـو داخـل مكتـوم
يا لقومي هـل يقتـل المـرء مثلـي واهـن الـبطش والعظـام سـؤوم

وأنا الصقرعند باب ابن سلمى يوم نعمان في الكبول؟؟
تلك أفعالنا وفعل الزبعرى خامل في صديقه مذموم
رب حلم أضاعه عدم المال وجهل غطى عليه النعيم
ما أبالي أنب بالحزن تيس أم لحاني بظهر غيب لئيم
ولي البأس منكم إذ رحلتم أسرة من بني قصي صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت في رعاع من القنا مخزوم
وأقاموا حتى أبيحوا جميعاً في مقام وكلهم مذموم
وقريش تفر منا لواذا أن يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمله العواتق منهم إنما يحمل اللواء النجوم

وقد اعتبرها ابن هشام أحسن ما قيل مع أنها ليست كذلك ! وقال:« قال حسان هذه القصيدة منع النوم بالعشاء الهموم ، ليلاً ، فدعا قومه فقال لهم: خشيت أن يدركني أجلي قبل أن أصبح فلا ترووها عني» .

ولعلها كانت أطول من ذلك فحذفوا منها مدحه لعلي عليه السلام! فقد روى ابن هشام: ٦٥٥/٣ مدح الحجاج السلمي لعليّ عليه السلام لقتله أصحاب الألوية ، قال:

لله أي مذبِّبٍ عن حرمة أعني ابن فاطمة المعمَّ المُخولا
سبقت يداك له بعاجل طعنة تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم بالجر إذ يهوون أخول أخولا

وقال عائذ بن عمران بن مخزوم:

ما بال همٍّ عميدٍ بات يطرقني بالود من هند إذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هند وتعذلني والحرب قد شغلت عني مواليها
سقناكنانة من أطراف ذي يمن عرض البلاد على ما كان يزجيها

قالت كنانة أنى تـذهبون بنـا ؟ قلنا: النخيل فأموهـا ومـن فيهـا
نحن لفوارس يوم الجـرمن أحـد هابت معـد فقلنـا نحـن نأتيهـا

فأجابه حسان بن ثابت:

سقتم كنانة جهلاً من سـفاهتكم إلى الرسـول فجنـد الله مخزيهـا
أوردتموها حيـاض المـوت ضـاحية فالنـار موعـدها والقتـل لاقيهـا
جمعتموها أحابيشاً بلا حسـب أئمـة الكفـر غـرتكم طواغيهـا
ألا اعتبرتم بخيـل الله إذ قتلـت أهل القليـب ومـن ألقينـه فيهـا
كم من أسير فككناه بـلا ثمـن وجـز ناصـية كنـا مواليهـا

وقال عبد الله بن الزبعرى يبكي قتلى المشركين:

ألا ذرفـت مـن مقلتيـك دمـوع وقد بان من حبل الشباب قطوع
وشط بمن تهـوى المـزار وفرقـت نوى الحي دار بالحبيب فجـوع
فذر ذا، ولكن هـل أتـى أم مالـك أحاديث قومي والحديث يشيع
عشـية سـرنا فـي لهـام يقودنـا ضرور الأعادي للصديق نفـوع
فلمـا رأونـا خـالطتهم مهابـة وعـاينهم أمـر هنـاك فظيـع
وودوا لو أن الأرض ينشق ظهرها بهم وصبور القـوم ثـم جـزوع
بأيماننـا نعلـو بهـا كـل هامـة ومنهـا سـمام للعـدو ذريـع
فغادرن قتلى الأوس عاصبة بهـم ضبـاع وطيـر يعتفـين وقـوع
وجمع بني النجار فـي كـل تلعـة بأبـدانهم مـن وقعهـن نجيـع
ولولا علو الشعب غـادرن أحمـداً ولكن علا والسـمهري شـروع

فأجابه حسان بن ثابت فقال:

أشـاقك مـن أم الوليـد ربـوع بلاقـع مـا مـن أهلهـن جميـع

عفاهن صيفيٌّ الرياح وواكف من الدلو رجّاف السحاب هموع
فلم يبق إلا موقد النار حوله رواكد أمثال الحمام كنوع...الخ
فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم وكان لهم ذكر هناك رفيع
وحامى بنو النجار فيه وصابروا وما كان منهم في اللقاء جزوع
أمام رسول الله لا يخذلونه لهم ناصر من ربهم وشفيع
وفوا إذ كفرتم يا سخين بربكم ولا يستوي عبد وفى ومضيع
بأيديهم بيض إذا حمش الوغى فلا بد أن يردى لهن صريع
أولئك قوم سادة من فروعكم وفي كل قوم سادة وفروع
بهن نعز الله حتى يعزنا وإن كان أمر ياسخين فظيع
فلا تذكروا قتلى وحمزة فيهم قتيل ثوى لله وهو مطيع
فإن جنان الخلد منزلة له وأمر الذي يقضي الأمور سريع
وقتلاكم في النار أفضل رزقهم حميم معاً في جوفها وضريع

وقال عمرو بن العاص في يوم أحد:

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق
تمنت بنو النجار جهلاً لقاءنا لدى جنب سلع والأماني تصدق
فما راعهم بالشر إلا فجاءة كراديس خيل في الأزقة تمرق
أرادوا لكيما يستبيحوا قبابنا ودون القباب اليوم ضرب محرق
كأن رؤوس الخزرجيين غدوة وأيمانهم بالمشرفية بروق

فأجابه كعب بن مالك:

ألا أبلغا فهراً على نأى دارها وعندهم من علمنا اليوم مصدق
بأنا غداة السفح من بطن يثرب صبرنا ورايات المنية تخفق

صبرنا لهم والصبر منا سجية ... إذا طارت الأبرام نسمو ونرتق
لنا حومةٌ لا تستطاع يقودها ... نبي أتى بالحق عفٌ مصدق
ألا هل أتى أفناء فهر بن مالك ... مقطع أطراف وهام مفلق

وقال ضرار بن الخطاب:

لما أتت من بني كعب مزينة ... والخزرجية فيها البيض تأتلق
وجردوا مشرفيات مهندة ... وراية كجناح النسر تختفق
فقلت يوم بأيام ومعركة ... تنبي لماخلفها ماهزهز الورق..الخ

وقال عمرو بن العاص:

لما رأيت الحرب ينزو ... شرها بالرضف نزوا
وتناولت شهباء تلحو ... الناس بالضراء لحوا...الخ.

فأجابهما كعب بن مالك:

أبلغ قريشاً وخير القول أصدقه ... والصدق عنه ذوي الألباب مقبول
أن قد قتلنا بقتلانا سراتكم ... أهل اللواء ففيما يكثر القيل
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد ... فيه مع النصر ميكال وجبريل
إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا ... والقتل في الحق عند الله تفضيل

وقال كعب أيضاً يبكي حمزة:

صفية قومي ولا تعجزي ... وبكي النساء على حمزة
ولا تسأمي أن تطيلي البكا ... على أسد الله في الهزة
فقد كان عزاً لأيتامنا ... وليث الملاحم في البزة
يريد بذاك رضا أحمد ... ورضوان ذي العرش والعزة
وإن تروا أمرنا في رأيكم سفهاً ... فرأى من خالف الإسلام تضليل..الخ

هذا، ورووا لكعب بن مالك قصائد في رثاء حمزة وشهداء أحُد، فمن مقطوعاته:

رقت همومك فالرقاد مسهد ... وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد
ولقد هددت لفقد حمزة هدة ... ظلت بنات الجوف منها ترعد
قرم تمكن في ذؤابة هاشم ... حيث النبوة والندى والسودد
والعاقر الكوم الجلاد إذ غدت ... ريح يكاد الماء منها يجمد
والتارك القرن الكمي مجدلاً ... يوم الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل في الحديد كأنه ... ذو لبدة شثن البراثن أربد
عم النبي محمد وصفيه ... ورد الحمام فطاب ذاك المورد
وأتى المنية معلماً في أسرة ... نصروا النبي ومنهم المستشهد
شتان من هو في جهنم ثاوياً ... أبداً ومن هو في الجنان مخلد

ومن مقطوعاته:

فإن تسألي ثم لاتُكذبي ... يخبرك من قد سألت اليقينا
بأنا ليالي ذات العظام ... كنا ثمالاً لمن يعترينا
تلوذ النجود بأذرائنا ... من الضر في أزمات السنينا
ويوم له رهج دائم ... شديد التهاول حامى الارينا
شهدنا فكنا أولى بأسه ... وتحت العماية والمعلمينا
وعلمنا الضرب آباؤنا ... وسوف نعلم أيضا بنينا
سألت بك ابن الزبعرى فلم ... أنبأك في القوم إلا هجينا
خبيثاً تطيف بك المنديات ... مقيماً على اللؤم حينا فحينا
تبجست تهجو رسول المليك ... قاتلك الله جلفا لعينا
تقول الخنا ثم ترمى به ... نقى الثياب تقيا أمينا

ومنها:

سائل قريشاً غداة السفح من أحد | ماذا لقينا وما لاقَوْا من الهرب
فكم تركنا بها من سيد بطل | حامي الذمار كريم الجد والحسب
فينا الرسول شهابٌ ثم يتبعه | نور مضيءٌ له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سيرته | فمن يجبه إليه ينجُ من تبب
يمضي ويذمرنا عن غير معصية | كأنه البدر لم يطبع على الكذب
بدا لنا فاتبعناه نصدقه | وكذبوه فكنا أسعد العرب
جالوا وجلنا فما فاءوا وما رجعوا | ونحن نثفنهم لم نأل في الطلب
ليس سواء وشتى بين أمرهما | حزب الاله وأهل الشرك والنصب

ومنها:

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم | من الأرض خرق سيره متنعنع
صحار وأعلام كأن قتامها | من البعد نقع هامد متقطع
مجالدنا عن ديننا كل فخمة | مذربة فيها القوانس تلمع
ولما ابتنوا بالعرض قال سراتنا | علامَ إذا لم نمنع العرض نزرع
وفينا رسول الله نتبع أمره | إذا قال فينا القول لا نتطلع
تدلى عليه الروح من عند ربه | ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصرنا | إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع
وقال رسول الله لما بدوا لنا | ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشرى الحياة تقرباً | إلى ملك يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا | على الله إن الأمر لله أجمع
فسرنا إليهم جهرة في رحالهم | ضحياً علينا البيض لا نتخشع

فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين إن كثرنا وأربع
فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى وليس لأمر حمسه الله مدفع
ضربناهم حتى تركنا سراتهم كأنهم بالقاع خشب مصرع
وراحوا سراعاً موجفين كأنهم جهام هراقت ماءه الريح مقلع
فنلنا ونال القوم منا، وربما فعلنا، ولكن ما لدى الله أوسع
ونحن أناس لا نرى القتل سبة على كل من يحمي الذمار ويمنع
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش ولا نحن من إظفارها نتوجع

راجع الملحق رقم (١٥) عن معركة أحد.

غزوة حمراء الأسد خاصة بجرحى بدر !

لماذا انسحب جيش قريش قبل تحقيق هدفه ؟!

لا نجد سبباً مادياً لانسحاب جيش قريش من معركة أحُد قبل أن يحقق هدفه في قتل النبي صلى الله عليه وآله واحتلال المدينة ، إلا التدخل الإلهي !

فقد بعث الله الملائكة فقاتلوا مع علي عليه السلام حتى انهزم المشركون ، وبعد انسحابهم بعث علياً عليه السلام لاعتراضهم ليتأكد من أن وجهتهم مكة وليست المدينة !

ففي تفسير فرات/٩٣: «ثم حمل علي عليه السلام وحمل جبرئيل والملائكة عليهم السلام ، ثم إن الله تعالى هزم جمع المشركين وتشتت أمرهم ».

وتقدم قول الإمام الصادق عليه السلام (الكافي: ٣١٨/٨): « ولما رأى النبي صلى الله عليه وآله اختلاج ساقيه من كثرة القتال ، رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي وقال: يا رب وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يُعْيك . فأقبل علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أسمع دوياً شديداً وأسمع أقدم حيزوم ، وما أهمُّ أضرب أحداً إلا سقط ميتاً قبل أن أضربه ! فقال هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة... ثم انهزم الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي إمض بسيفك حتى تعارضهم ، فإن رأيتهم قد ركبوا القلاص (الإبل) وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة ، وإن رأيتهم قد ركبوا

الخيل وهم يجنبون القلاص فإنهم يريدون المدينة ، فأتاهم علي عليه السلام فكانوا على القلاص ، فقال أبو سفيان لعلي: يا علي ما تريد ! هو ذا نحن ذاهبون إلى مكة فانصرف إلى صاحبك !

فأتبعهم جبرئيل فكلما سمعوا وقع حافر فرسه جدوا في السير ! وكان يتلوهم ، فإذا ارتحلوا قالوا: هو ذا عسكر محمد قد أقبل ! فدخل أبو سفيان مكة فأخبرهم الخبر ، وجاء الرعاة والحطابون فدخلوا مكة فقالوا: رأينا عسكر محمد كلما رحل أبو سفيان نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم» !

وهذه حادثة غريبة في تاريخ المعارك ! حيث يطارد رجلٌ واحد جيشاً منتصراً من ثلاثة آلاف مقاتل فيقول له قائده: إرجع لا نريد قتالك ، وها نحن منسحبون !

قال في المناقب:١/١٠٩:« لما ارتحل أبو سفيان والمشركين يوم أحد متوجهين إلى مكة قالوا: ما صنعنا ؟! قتلناهم حتى لم يبق منهم إلا الشريد وتركناهم إذ هم ! وقالوا: إرجعوا فاستأصلوهم ، فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا» . «ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا فقالوا: لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم » ! (مجمع البيان: ٢/٤٤٦).

غزوة حمراء الأسد خاصة بالمجروحين في أحُد

قال القمي في تفسيره:١٢٤/١:« فلما دخل رسول الله المدينة نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ، ولايخرج معك إلا من به جراحة ! فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي يا معشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج ، ومن لم يكن به جراحة فليقم ، فأقبلوا يضمدون جراحاتهم ويداوونها ! فأنزل الله على نبيه: وَلاتَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَألَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَألَمُونَ كَمَا تَألَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لايَرْجُونَ. فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح ، فلما بلغ رسول الله بحمراء الأسد وقريش قد نزلت الروحاء ، قال عكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام ، وعمرو بن عاص ، وخالد بن الوليد: نرجع فنغير على المدينة فقد قتلنا سراتهم وكبشهم يعني حمزة ، فوافاهم رجل خرج من المدينة فسألوه الخبر فقال: تركت محمداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جد الطلب ، فقال أبو سفيان: هذا النكد والبغي قد ظفرنا بالقوم وبغينا ! والله ما أفلح قوم قط بغوا». أي يكفينا انتصارنا ، ورجوعنا الى المدينة بغيٌ وبطر .

وفي شرح الأخبار:٢٨٢/١:«وخرجوا معه ﷺ من غد يوم الإثنين حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ، ومر به معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عَيْبَة نصح لرسول الله ﷺ بتهامة لايخفون عنه شيئاً بها ، ومعبد يومئذ مشرك ،

فقال: يا محمد والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عز وجل عافاك فيهم ، ثم مضى يريد مكة ورسول الله بحمراء الأسد . فلقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجتمعوا للرجوع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وذلك أنهم اجتمعوا هنالك وقالوا: والله ما صنعنا شيئاً ، أصبنا جل القوم وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم !

فلما رأى أبو سفيان معبداً قال له: ما وراءك يا معبد؟قال: محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً ، وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ذلك وندموا على ما صنعوا ، وبهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط ! قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترحل حتى نرى نواصي الخيل ! قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم حتى نستأصل بقيتهم . قال: فإني أنهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملني ما رأيت أن قلت أبياتاً أردت أن أبعث بها إليك ثم جئت بنفسي . قال: وما قلت ؟ قال:

كادت تهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردي بأسد كرام لا تنابلةٍ عند اللقاء ولا ميلٍ معازيل
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول
وقلت ويلٌ ابن حرب من لقائكم إذا تغطمطت البطحاء بالجيل
إني نذير لأهل الحزم ضاحية لكل ذي إربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا أحصي قنابله وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فساء ذلك أبا سفيان ومن معه ! وقال لهم صفوان بن أمية بن خلف: إن القوم قد حزبوا أي غضبوا ، وقد خشيت إن عاودتموهم أن يكون لهم قتال غير الذي كان وقد أصبتم ما أصبتم فارجعوا ! فرجعوا .

ولقي أبو سفيان ركباً من عبد القيس يريدون المدينة يمتارون منها ، فقال: هل تبلغون عني محمداً رسالة وأنا أحمل لكم جمالكم إذا انصرفتم زبيباً بعكاظ ؟ قالوا: نعم. قال: تخبروه أنا أزمعنا الرجوع إليه وإلى أصحابه لنستأصل شأفتهم ، فمروا برسول الله صلى الله عليه وآله وهو بحمراء الأسد فقالوا ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كالأمس الذاهب ! وانصرف إلى المدينة» . ونحوه البحار:٢٠/١١٠ ، عن تفسير النعماني .

أقول: أخذ النبي صلى الله عليه وآله معه دليلاً وأرسل أمامه ثلاثة رجال لاستطلاع العدو ، فأمسك المشركون اثنين وقتلوهم فدفنهم النبي صلى الله عليه وآله لما وصل اليهم ونجا الثالث .

كما استعمل النبي صلى الله عليه وآله إيقاد النيران المتعددة العالية لنشر خبر مسيره وتخويف المشركين ، وروي أنهم أشعلوا خمس مئة نار ، مع أنهم كانوا نحو سبعين ! وهذا يكشف عدد الثابتين مع النبي صلى الله عليه وآله وبضمنهم الذين رجعوا من الفرار وشاركوا في دفن شهداء أحُد ، وهم عشر السبع مئة الذين ذهبوا الى أحُد .

هذا ، وقد ذكر رواة السلطة أسماء صحابة في حمراء الأسد مع أنهم كانوا في الفارين ، ولم يكونوا من الجرحى ، فحذفوا شرط الجراح منها ! راجع: الصحيح من السيرة: ٣٠٢/٦ ، ومناقب آل أبي طالب: ١٦٧/١ والطبقات: ٤٩/٢ ، وعيون الأثر: ٧/٢.

وفي هذه الغزوة نزل قوله تعالى: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ. إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ». (آل عمران: ١٧٢-١٧٥).

○ ○

الفصل الرابع والأربعون

أهم الأحداث بين غزوة أحُد وغزوة الأحزاب

١- سرية جبل قَطَن

جبل قطن في نجد في ديار بني أسد وعبس (معجم البلدان: ٣٧٥/٤) ويقع:«غرب القصيم على بعد١٧٠ كم من مدينة بريدة». موقع:http://www.harb-tribe.net/showtopic.asp?id=٧٩

قال في الصحيح من السيرة: ١٤٣/٧، ملخصاً:«كان بين أحد والخندق عدد من السرايا والغزوات وكان لها نتائج إيجابيه على الصعيد السياسي والإجتماعي والعسكري. وكثير منها يحتاج إلى بحث وتمحيص ، وهي حسب الترتيب الزمني: سرية أبي سلمة إلى قطن في أول محرم بعد أحُد وكانت أحُد في شوال ، وكان مع أبي سلمة مئة وخمسون رجلاً من الأنصار والمهاجرين ، منهم أبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وأسيد بن خضير ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وغيرهم .

وسببها أن رجلاً من طئ قدم المدينة فأخبر صهره أن طليحة وسلمة ابني خويلد سارا في قومهما ومن أطاعهما وقالوا: نسير إلى محمد في عقر داره ونصيب من أطرافه ، ونخرج على متون الخيل والنجائب المخبورة ، فإن أصبنا نهباً لم ندرك وإن لاقينا جمعهم كنا قد أخذنا للحرب عدتها ، معنا خيل ولاخيل معهم ، والقوم منكوبون قد أوقعت بهم قريش .

فقال رجل منهم اسمه قيس بن الحارث: يا قوم ، إن دارنا لبعيدة من يثرب ، وقد مكثت قريش دهراً تسيِّر في العرب تستنصرها ولهم وتر يطلبونه ، وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل سوى أتباعهم وإنما جهدكم أن تخرجوا في ثلاث مئة رجل ، فلا آمن أن تكون

الدائر عليكم. فقال النبي صلى الله عليه وآله لأبي سلمة: سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغر عليهم قبل أن تلاقى عليك جموعهم . فخرج وكان الطائي دليلاً خريتاً أي ماهراً ، فأغذ السير فسار بهم أربعاً إلى قطن وسلك بهم غير الطريق وسار بهم ليلاً ونهاراً ، فأغار أبو سلمة على سرحهم ودوابهم وأصابوا ثلاثة أعبد كانوا رعاة ، وهرب الباقون وأخبروا بمجئ أبي سلمة فخافوا وهربوا عن منازلهم في كل وجه ، فجمعوا ما قدروا عليه من الأموال ورجعوا إلى المدينة».

٢- سرية يوم الرجيع

الرجيع وبئر معونة: إسمان لمكانين بين مكة والمدينة ، وبئر معونة أقرب الى المدينة (البكري: ٦٤١/٢و: ١٢٤٦/٤، وعمدة القاري: ١٦٣/١٧).

وقد روت مصادر السيرة أنه وقعت فيهما غزوتان ، وفي رواياتهم تعارض وتهافت ، ولم يصلنا فيهما شئ يذكر عن أهل البيت عليهم السلام ، والمرجح أنهما حادثتان صغيرتان ضخموهما لمدح شخص أو جماعة .

قال ابن هشام: ٦٦٧/٣:«يوم الرجيع في سنة ثلاث» وسماه ابن سعد في الطبقات: ٥٥/٢: «سرية مرثد بن أبي مرثد». وخلاصة ماذكراه: أنه قدم على رسول الله (ص) بعد أحد رهط من قبيلتي عضل والقارة وقالوا له: يا رسول الله إن فينا إسلاماً ، فابعث نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين فبعث نفراً ستة هم: مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البكير الليثي ، حليف بني عدى بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أخو بني عمرو بن عوف من الأوس ،

وخبيب بن عدي من الأوس أيضاً ، وزيد بن الدثنة من بني بياضة من الخزرج ، وعبد الله بن طارق حليف الأوس ، وأميرهم مرثد ، حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز غدرت بهم هذيل وقالوا لهم ما نريد قتلكم ولكن نبيعكم الى قريش ! فقاتلهم خمسة فقتلوا وهم عاصم ومرثد وخالد ومعتب وعبد الله بن طارق ، واستأسر زيد وخبيب فأخذوهم وباعوهما الى أهل مكة فقتلوهما ، وأرادوا أن يأخذوا رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد زوجة طلحة بن أبي طلحة وكانت معه في أحد ، وقالوا إن عاصماً قتل زوجها وأبناءها فنذرت أن تشرب برأسه خمراً ! ولما أرادوا قطع رأسه جاءت الزنابير وحمته منهم ، وجاء سيل في الليل فأخذ جثته.

واستقرب صاحب الصحيح من السيرة: ١٦٧/٧، أن يكون النبي ﷺ أرسل هؤلاء أو بعضهم عيوناً على قريش ، فأمسكوا منهم زيداً وخبيباً وقتلوهما .

قال:« وما عدا ذلك فهو مشكوك فيه ، إن لم نقل إن فيه الكثير مما نقطع بأنه مكذوب وموضوع أو محرف عن عمد ، أو عن غير عمد».

٣- سرية بئر معونة

وهي تشبه غزوة الرجيع وغزوة بني لحيان ، وسماها ابن هشام(٦٧٧/٣): حديث بئر معونة في صفر سنة أربع . ونقل عن ابن إسحاق أن الزعيم النجدي أبا براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، جاء الى النبي ﷺ وطلب منه أن يبعث رجالاً من أصحابه الى أهل نجد يدعونهم الى الإسلام ، فقال له النبي ﷺ: إني أخشى

عليهم أهل نجد ، قال أبو براء: أنا لهم جار ، فبعث أربعين رجلاً ، وأمَّر عليهم المنذر بن عمرو من بني ساعدة ، ومنهم الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، في رجال من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة ، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي صلى الله عليه وآله الى عامر بن الطفيل ، فقتله عامر واستعان بقبائل من بني سليم هم: عصية ورعل وذكوان ، فقصدوهم وقتلوهم عن آخرهم . وقالوا إن عمرو بن أمية الضمري أراد الثأر لهم فقتل رجلين من قوم متحالفين مع النبي صلى الله عليه وآله فالتزم صلى الله عليه وآله بإعطاء ديتهما .

وقد أكثروا من رواية مناقب شهداء بئر معونة ، خاصة عامر بن فهيرة غلام أبي بكر وزعموا أنه رفع الى السماء ، وأنه نزل فيهم قرآن ونسخ !

فقد روى بخاري في صحيحه:٢٠٨/٢٠٤/٣ و:٣٥/٤ و:٤٢/٥ ، روايات في أنه نزلت آية: ألا بلغوا قومنا بأنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ! في شهداء بئر معونة الذين غدر بهم أهل نجد من قبائل رعل وذكوان وعصية من بني لحيان، وأن المسلمين قرؤوا هذه الآية !
ورواها مسلم:١٣٥/٢ وأحمد بعدة روايات:١٠٩/٣ و٢١٠ و٢١٥ و٢٥٥ و٢٨٩ ، والبيهقي:١٩٩/٢، وغيرهم .

وذكروا في أكثرها أنها نسخت بعد ذلك ، أو رفعت ! وكله غير صحيح !

وقال ابن سعد في الطبقات: ٥٣/٢:«وجاء رسول الله (ص) خبر أهل بئر معونة وجاءه تلك الليلة أيضاً مصاب خبيب بن عدي ، ومرثد بن أبي مرثد ، وبعث محمد بن مسلمة فقال رسول الله (ص) هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً .

ودعا رسول الله على قتلتهم بعد الركعة من الصبح فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم سنين كسني يوسف . اللهم عليك ببني لحيان ، وعضل ، والقارة وزغب ، ورعل ، وذكوان ، وعصية ، فإنهم عصوا الله ورسوله...

وأقبل عمرو بن أمية سار أربعاً على رجليه ، فلما كان بصدور قناة لقي رجلين من بني كلاب قد كان لهما من رسول الله (ص) أمان فقتلهما وهو لا يعلم ذلك ، ثم قدم على رسول الله(ص) فأخبره بمقتل أصحاب بئر معونة فقال رسول الله (ص) أبْتَ من بينهم. وأخبر النبي(ص) بقتل العامريين فقال: بئس ما صنعت ، قد كان لهما مني أمان وجوار ، لأدينهما ، فبعث بديتهما إلى قومهما». وإعلام الورى: ١٨٦/١، والمناقب: ١٦٨/١. راجع أيضاً غزوة بني لحيان:١٨٨/١، و:١٧٠/١ ، فيبدو أنهما متحدتان .

٤- غزوة بدر الموعد

وتسمى بدر الصغرى ، وبدر الصفراء ، وبدر الثانية ، وبدر الآخرة ، وكانت في شوال بعد أحد بسنة ، لأن أبا سفيان قال في أحُد: موعدنا معكم العام القادم في بدر الصفراء ، فقبل النبيﷺ ، وبدر الصفراء قرية قرب ينبع بين مكة والمدينة ، وفيها سوق سنوي للعرب. (سبل الهدى: ٢٨٢/٤).

قال المحامي أحمد حسين يعقوب في: المواجهة مع رسول اللهﷺ/٢٤١:«عممت قريش موعد اللقاء وأخذت تستعدي على النبيﷺوتجمع الأموال استعداداً للخروج ، وفرضت ضريبة على سكان مكة ولأول مرة في تاريخها ، ولم يترك أحد إلا وينبغي

أن يدفع مالاً لايقل عن (أوقية) مساهمة بالمجهود الحربي ، فجمعوا الأموال العظيمة ورصدوها لحرب محمد وآله ومن والاهم .

ومع اقتراب الموعد كره أبو سفيان قائد تحالف البطون هذا الخروج ، وندم على قوله وتحديده الموعد ، وتعرض لملامة الكثير من قومه ، وتمنى عدم خروج الرسول للموعد لأن العام جدب:« والأرض مثل ظهر الترس ليس فيها لبعير شئ» ولكن البطون كرهت أن يخرج محمد ولايخرجون فيجترئ عليها فأحبت أن يكون الخلف من قبله .

وفي غمرة حيرتها قدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكة ، فاتفقوا معه على أن يعطوه عشرين ناقة ، مقابل أن يُخَذِّل أصحاب محمد !

ورجع الرجل وأخذ يشيع بأن أبا سفيان قد جمع الجموع وأجلب العرب وجاء محمد وأصحابه بما لا قبل لهم به ! وأشار على أهل المدينة أن يبقوا في المدينة ولايخرجوا ، لأنهم إن خرجوا فلن يفلت منهم أحد هذه المرة !

ونجح الرجل بغرس كراهية الخروج في قلوب الكثير من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله! وفرح المنافقون واليهود وتصوروا أن محمداً لن يفلت من هذه الجموع التي يصفها نعيم بن مسعود ! ونجح نعيم بتثبيط بعض الصحابة وإلقاء الرعب في قلوبهم ! قال عثمان بن عفان يصف حالته وأمثاله ممن أصغوا لنعيم: لقد رأيتنا وقد قذف الرعب في قلوبنا فما أرى أحداً له نية في الخروج».(راجع مغازي الواقدي:١/٣٨٧).

كان الرسول يرصد آثار دعاية نعيم فجمع الناس وحثهم على الخروج ، ثم قال: والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد ! عندئذ تشجع من وَهَنَ من المسلمين وخرج مع النبي ١٥٠٠ مقاتل ومعهم عشرة أفراس ، فأعطى النبي صلى الله عليه وآله رايته لعلي بن أبي طالب عليه السلام. وغاية المسلمين من الخروج كانت ملاقاة البطون على

الموعد ، ومع هذا تزودوا ببضائع ، وأقاموا في بدر الصفراء ثمانية أيام ورجعوا بخير وفضل من الله ، وربح الدينار ديناراً .

أما أبو سفيان فقد أطلع قريش على الخطة التي رسمها لنعيم ، وبيَّن لهم أن العام عام جدب ، واقترح عليهم أن يسيروا يومين فيرجعوا ، فخرجت البطون وهم ألفان ، ومعهم خمسون فرساً ، وانتهوا إلى مجنة فشربوا السويق وعادوا ، بعد أن بلغهم خروج النبي صلى الله عليه وآله. وقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم، وقد اجترؤوا علينا ورأوا أنا قد أخلفناهم وإنما خلفنا الضعف عنهم! وأخذوا يعدون العدة لغزو النبي صلى الله عليه وآله فيما بعد». (راجع مغازي للواقدي: ٣٨٤/١).

أقول: كان نعيم بن مسعود يسكن في المدينة ، ولا بد أن يكون تثبيطه للصحابة استغرق أياماً فعمل النبي صلى الله عليه وآله لإحباطه ، حيث ورد في نصوصه:« وصار يطوف فيهم حتى قذف الرعب في قلوب المسلمين ولم يبق لهم نية في الخروج واستبشر المنافقون واليهود» . (الصحيح من السيرة: ٣٧٢/٨). لكن رواة السلطة لا يذكرون ذلك ، لأنه يكف الصحابة الذين جبنوا وجبنوا المسلمين ! وقد ذكروا طرفاً منه في تفسير قوله تعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ.. راجع: الصحيح من السيرة: ٣٦٢/٨ ، وابن هشام: ٦٩٧/٣، والطبقات: ٥٩/٢ ، واليعقوبي: ٦٧/٢، وتفسير الطبري:٢٣٠/٢، وتفسير مقاتل: ٢٠٤/١، وتفسير الثعلبي: ٢٠٩/٣، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر: ٧٩٣/٢.

وروى ابن هشام: ٦٩٨/٣، قصيدة لحسان بن ثابت ، وقصيدة لكعب بن مالك ، وفيها:

وعدنا أبا سفيان بدراً ، فلم نجد ... لميعاده صدقاً ، وما كان وافيا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا ... لأبت ذميماً وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه ... وعمراً أبا جهل تركناه ثاويا

عصيتم رسول الله ، أفٍّ لـديـنكم وأمركم السئ الذي كان غاويـا
فـإني وإن عنفتمـوني لقائـل فدى لرسـول الله أهلـي وماليـا
أطعنـاه لـم نعدلـه فينـا بغيـره شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا» .

٥- غزوة دومة الجندل

دُومة الجندل بضم الدال وبفتحه ، هي مدينة الجوف ، والآن محافظة في شمال المملكة السعودية. قال ابن هشام: ٦٩٩/٣: « ثم غزا رسول الله (ص) دومة الجندل في شهر ربيع الأول.. قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله(ص) قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً فأقام بالمدينة بقية سنته ». وهذا اختصار مخل لأن الرواة الآخرون رووا أن الأكيدر ملك دومة الجندل وحاكمها من قبل هرقل الروم كان يجمع الجيش لغزو المدينة وكان يظلم (الضافطة) أي التجار جالبي البضائع ، وأن النبي صلى الله عليه وآله باغتهم فكان يسير بجيشه ليلاً ويكمن نهاراً ووصل الى دومة الجندل ، فهرب الأكيدر ومن جمعهم ولم يقابلوه ، وغنم من مواشيهم وأموالهم ، ورجع سالماً .

وأهم أهداف غزوة دومة الجندل: ردع الذين يتصورون أن قريشاً هزمت المسلمين في أحُد فصار بإمكانهم غزوهم . وردع الروم عن التفكير بحشد جيش لحاكم دومة الجندل ليغزو المدينة . وتقوية قلوب المسلمين وإفهامهم أن هزيمتهم في أحُد كانت نشازاً ، وأن وعد الله تعالى لهم بالنصر والتمكين مازال قائماً ، وسيأخذون بلاد كسرى وقيصر لامحالة ! وسيأتي ذكرها في غزوة تبوك . راجع الصحيح من السيرة: (٣٨٧/٣).

٦- غزوة ذات الرقاع

في الصحيح من السيرة: ٢٦٥/٨، ملخصاً:« بلغ النبي صلى الله عليه وآله أن أنماراً وثعلبة وغطفاناً قد جمعوا جموعاً بقصد غزو المسلمين ، فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربع مئة وقيل في سبع مئة ، حتى أتى وادي الشقرة من أرض غطفان من نجد فأقام بها يوماً ، وبث السرايا فرجعوا إليه مع الليل وأخبروه أنهم لم يروا أحداً ، فسار حتى أتى محالهم فلما عاينوا عسكره هربوا الى الجبال والأودية ، ولم يكن قتال . ورجع صلى الله عليه وآله الى المدينة فوصل الى صرار يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم . وهو بئر جاهلية على ثلاثة أميال من المدينة في طريق العراق . وكانت غيبته صلى الله عليه وآله خمس عشرة ليلة ، وتسمى هذه الغزوة أيضاً بغزوة الأعاجيب لما وقع فيها من أمور عجيبة ، وتسمى أيضاً بغزوة محارب ، وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار . وقيل إنها في السنة الرابعة في شهر ربيع الآخر بعد غزوة بني النضير بشهرين وعشرين يوماً ، وقيل في محرم ، وقيل كانت في سنة خمس».

وفي إعلام الورى:١٨٨/١، والمناقب: ١٧٠/١:« لقي بها جمعاً من غطفان ولم يكن بينهما حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الخوف ثم انصرف بالناس... وقيل إنما سميت بذلك لأن أقدامهم نقبت فيها ، فكانوا يلفون على أرجلهم الخرق».

وفي الكافي: ١٢٧/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد ، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه ، فرآه رجل

من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل ، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمداً ! فجاء وشد على رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف ثم قال: من ينجيك مني يا محمد؟ فقال: ربي وربك ! فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه فسقط على ظهره ! فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ السيف وجلس على صدره ، وقال: من ينجيك مني يا غورث؟ فقال جودك وكرمك يا محمد ! فتركه فقام وهو يقول: والله لأنت خير مني وأكرم » .

وفي الكافي: ٤٥٦/٣، عن الإمام الصادق عليه السلام: «صلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه في غزوة ذات الرقاع صلاة الخوف ففرق أصحابه فرقتين ، أقام فرقة بإزاء العدو وفرقة خلفه فكبر وكبروا ، فقرأ وأنصتوا وركع فركعوا وسجد فسجدوا ، ثم استتم رسول الله قائماً وصلوا لأنفسهم ركعة ثم سلم بعضهم على بعض ، ثم خرجوا إلى أصحابهم فقاموا بإزاء العدو. وجاء أصحابهم فقاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى بهم ركعة ثم تشهد وسلم عليهم فقاموا فصلوا لأنفسهم ركعة ثم سلم بعضهم على بعض».

وفي بصائر الدرجات/٣٧٠: «عن جابر بن بن عبد الله قال: لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة ذات الرقاع وهي غزوة بني ثعلبه عطفان ، حتى إذا كان قريباً من المدينة إذا بعير حل يرقل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فوضع جرانه على الأرض ثم خرخر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هل تدرون ما يقول هذا البعير؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنه أخبرني أن صاحب عمل عليه حتى إذا أكبره وأدبره وأهزله أراد أن ينحره ويبيع لحمه ! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جابر إذهب به إلى صاحبه فأتني به. فقلت:

لا أعرف صاحبه. قال: هو يدلك. قال: فخرجت معه حتى انتهيت إلى بني واقف فدخل في زقاق فإذا بمجلس فقالوا: يا جابر كيف تركت رسول الله وكيف تركت المسلمين؟ قلت صالحون ، ولكن أيكم صاحب هذا البعير؟ قال بعضهم: أنا ، فقلت أجب رسول الله. قال: مالي ؟ قلت: استعدى عليك بعيرك ! قال: فجئت أنا وهو والبعير إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بعيرك أخبرني أنك عملت عليه حتى إذا أكبرته وأدبرته وأهزلته أردت نحره وبيع لحمه .

قال الرجل: قد كان ذلك يا رسول الله. قال: بعه مني. قال: بل هو لك يا رسول الله. قال: بل بعه مني ، فاشتراه رسول الله ﷺ ثم ضرب على صفحته فتركه يرعى في ضواحي المدينة ، فكان الرجل منا إذا أراد الروحة والغدوة منحه رسول الله ﷺ. فقال جابر: رأيته وقد ذهب عنه دبره وصلح» !

وروى ابن هشام (٦٩٢/٣) هذه الغزوة بنحو ما تقدم ، وروى عن ابن إسحاق قصة جمل جابر بن عبدالله الأنصاري قال:« خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف ، فلما قفل رسول الله قال: جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال: مالك يا جابر ؟ قال قلت: يا رسول الله ، أبطأ بي جملي هذا ، قال: أنخه ، قال: فأنخته ، وأناخ رسول الله ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك أو اقطع لي عصاً من شجرة ، قال: ففعلت . قال: فأخذها رسول الله فنخسه بها نخسات ، ثم قال: إركب ، فركبت ، فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة . قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي: أتبيعني جملك هذا يا جابر؟ قال قلت: يا رسول الله ، بل أهبه لك ، قال: لا ، ولكن بعنيه . قال قلت: فسُمنيه

قال: قد أخذته بدرهم ، قال قلت: لا ، إذن تغبنني يا رسول الله ، قال: فبدرهمين، قال قلت: لا ، قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بلغ الأوقية ، قال فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله؟ قال: نعم ، قلت: فهو لك ، قال: قد أخذته ، قال ثم قال: يا جابر تزوجت بعد ؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله ، قال: أثيباً أم بكراً ؟ قال: قلت: لا بل ثيباً قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ! قال قلت: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً ، فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن ، قال: أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعتْ بنا فنفضت نمارقها. قال: قلت: والله يا رسول الله مالنا من نمارق ، قال: إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً ، قال: فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله دخل ودخلنا ، قال: فحدثت المرأة الحديث ، وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: فدونك فسمع وطاعة. قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله قال: ثم جلست في المسجد قريباً منه ، قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فرأى الجمل ، فقال: ما هذا ؟ قالوا: يا رسول الله ، هذا جمل جاء به جابر ، قال: فأين جابر ؟ قال: فدعيت له ، قال: فقال: يا بن أخي خذ برأس جملك ، فهو لك ، ودعا بلالاً فقال له: إذهب بجابر فأعطه أوقية . قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً. قال فوالله ما زال ينمى عندي ويرى مكانه من بيتنا ، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا ، يعني يوم الحرة».

غزوة الأحزاب أو الخندق

١- تحالف أحزاب العرب واليهود ضد النبي صلى الله عليه وآله

سماها الله تعالى حرب الأحزاب ، لأن أحزاب العرب واليهود تحالفوا فيها على غزو المدينة ، لقتل النبي صلى الله عليه وآله، واستئصال بني عبد المطلب !

كان ذلك في شهر شوال من السنة الرابعة ، كما اختاره عدد من المؤرخين ومنهم صاحب الصحيح ، وهو الأقرب ، والمشهور أنها في السنة الخامسة .

ويظهر أنها كانت في أواخر شوال ، لأن محاصرة بني قريظة التي كان بعدها مباشرة لمدة أسبوعين ، كانت في أواخر ذي القعدة وأوائل ذي الحجة .

وكانوا يحفرون الخندق من شهر رمضان ، فقد كان خوات بن جبير صائماً وأغمي عليه وهو يعمل في الخندق ، فنزلت فيه الآية: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ.. وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ . (تفسير العياشي: ٨٣/١، والكافي:٩٨/٤).

وكان عدد جيش الأحزاب عشرة آلاف على أقل تقدير ، وروي بضعاً وعشرين ألفاً ، وكانوا عدة فرق: جيش قريش ، وجيش هوازن ، وبني سُلَيْم ، وبني مرة ، وبني أشجع ، وبني أسد ، ثم يهود قريظة في شرقي المدينة .

وكان عدد المسلمين المدافعين عن المدينة تسع مئة ، الى ألف مقاتل .

واستمر الحصار نحو شهر ، حتى استطاع بعض فرسان بقيادة عمرو بن ود العامري أن يعبروا الخندق ، فبرز اليه علي عليه السلام وقتله وقتل بعض من عبر معه ، وهرب الباقون . ثم أرسل الله عليهم ريحاً فاضطرب عسكرهم وانهزموا ورحلوا !

واتفقت المصادر على أن تجميع الأحزاب ضد النبي صلى الله عليه وآله فكرة يهودية ، فبعد معركة بدر وأُحُد ، وإجلاء النبي صلى الله عليه وآله لبني النضير لنقضهم ميثاق التعايش ، ذهب حاخامات اليهود وزعماؤهم وفداً إلى مكة برئاسة الحاخام كعب بن أسد ، وكان هو الذي وقع عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله. «فطافوا على وجوه قريش ودعوهم إلى حرب النبي... فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمداً... قال أبو سفيان: هذا الذي أقدمكم ونازعكم؟ قالوا: نعم جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله . قال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً ، أحبُّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد . زاد في نص آخر قوله: ولكن لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ، ففعلوا ! قال النفر: فأخرج خمسين رجلاً من بطون قريش كلها أنت فيهم ، وندخل نحن وأنت بين أستار الكعبة حتى نلصق أكبادنا بها ، ثم نحلف بالله جميعاً: لايخذل بعضنا بعضاً ، ولتكونن كلمتنا واحدة على هذا الرجل ، ما بقي منا رجل ! ففعلوا ، فتحالفوا على ذلك وتعاقدوا ، فاتعدوا لوقت وقَّتوه...

فقال أبو سفيان: يا معشر اليهود أنتم أهل الكتاب الأول والعلم ، أخبرونا عما أصبحنا فيه نحن ومحمد ، ديننا خير أم دين محمد؟ فنحن عُمار البيت وننحر الكوم (الناقة السمينة) ونسقي الحجيج ونعبد الأصنام ؟

قالوا: اللهم أنتم أولى بالحق ، إنكم لتعظمون هذا البيت ، وتقومون على السقاية وتنحرون البدن ، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم ، فأنتم أولى بالحق منه . فأنزل الله في ذلك: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً.(النساء: ٥١).

فلما قالوا ذلك لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله... فخرجت اليهود حتى أتت غطفان ، وقيس عيلان ، وأخذت قريش في الجهاز ، وسيرت في العرب تدعوهم إلى نصرها ، وألَّبوا أحابيشهم ومن تبعهم .

ثم خرجت اليهود حتى جاؤوا بني سليم ، فوعدوهم يخرجون معهم إذا سارت قريش . ثم ساروا في غطفان فجعلوا لهم تمر خيبر سنة وينصرونهم ويسيرون مع قريش إلى محمد إذا ساروا ، فأنعمت بذلك غطفان . ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينة بن حصن... وذكر البعض أن كنانة بن أبي الحقيق جعل نصف تمر خيبر لغطفان في كل عام» ! (الصحيح من السيرة:٢٥/٩).

وفي سيرة ابن هشام:٤٠٢/٢:« قال ابن إسحاق: وكان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة: حيى بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق أبو عمار ، ووحوح بن عامر ، وهوذة بن قيس».

أقول: لاحظ أن جولتهم شملت قبائل تهامة ونجد ، وأنهم أعطوا للنجديين موسم ثمار خيبر أجرة على حربهم ،كما تعهدوا أن يشاركوهم في المعركة .

وعندما وصل أبو سفيان بجيش الأحزاب إلى المدينة وحاصرها ، تحرك اليهود في حصونهم ، فقام كعب بنقض عهده مع النبي صلى الله عليه وآله ومزق صحيفته ، وجمع رؤساء قومه

وهم: الزبير بن باطا ، وشاس بن قيس ، وعزال بن ميمون ، وعقبة بن زيد ، وأعلمهم بما صنع من نقض العهد ! (الصحيح من السيرة: ٤١/٨) لكنهم جبنوا عن الخروج ، فتصور أبو سفيان أنهم غدروا به ، فساعد ذلك على هزيمته !

٢- كانت قريش تجمع الأحزاب والنبي صلى الله عليه وآله يحفر الخندق

روى الجميع أن سلمان الفارسي رحمه الله اقترح على النبي صلى الله عليه وآله أن يحفروا خندقاً حول المدينة لمنع الأحزاب من دخولها ، فنزل جبرئيل عليه السلام وأمر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فخطَّ مكان الخندق ، وأمر المسلمين بحفره . ففي رسائل المرتضى: ١١٧/٤: « أمر النبي صلى الله عليه وآله بحفر الخندق وكان قد أشار بحفره سلمان الفارسي ، فلما رأته العرب قالوا: هذه مكيدة فارسية. واسم الموضع الذي حفر فيه الخندق المذاد ».

ورجح صاحب الصحيح من السيرة (٧٩/٩) قول الواقدي بأن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي أشار بحفر الخندق ، فاختلفوا فيه المسلمون ، فتكلم سلمان عن الحكمة فيه ، وأن الفرس يخندقون على مدنهم لصد هجوم العدو ، فاقتنعوا بحفر الخندق .

ويؤيده ما رواه شرح الأخبار(٢٨٧/٢) عن علي عليه السلام أن جبرئيل أمر النبي صلى الله عليه وآله بحفره .

٣- خطَّ النبي صلى الله عليه وآله مكان الخندق وقسَّم العمل فيه

قال في الصحيح من السيرة: ٨٨/٩ ، ملخصاً: إن النبي صلى الله عليه وآله ركب فرساً وخطَّ لهم موضع الخندق ، ما بين جبل بني عبيد خَرْبَى إلى راتج ، حسب قول الواقدي ،

وعند القمي: الخندق طولاً من أعلى وادي بطحان غربي الوادي مع الحرة إلى غربي مصلى العيد، ثم إلى مسجد الفتح، ثم إلى الجبلين الصغيرين اللذين في غربي الوادي. وكان طوله نحواً من خمسة آلاف ذراع وعرضه تسعة أذرع، وعمقه سبعة أذرع. وجعل له رسول الله ﷺ ثمانية أبواب، على كل باب رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار مع جماعة، يحفظونه من تسلل العدو.

وكان الخندق من الجهة الغربية الشمالية للمدينة، أما بقية الجهات فكان فيها حواجز طبيعية، تضاريس أو بيوت، يسهل منع العدو من النفوذ منها.

وجعل النبي ﷺ معسكره مقابل الخندق تحت جبل سلع، فكان الجبل إلى يساره وخلفه، وعن يساره حرة الوبرة الوعرة، وعن يمينه حرة واقم الوعرة.

وتفاوتت الرواية في مدة الحفر، ويبدو أنه استغرق نحو شهر، وعمل فيه المسلمون بسرعة ليتم قبل قدوم الأحزاب، وفرغوا منه قبل وصولهم بثلاثة أيام.

وقسَّم النبي ﷺ العمل، فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذباب، والأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل بني عبيد، وجعل لكل قبيلة حداً، وجعل كل أربعين ذراعاً بين عشرة، وبدأ ﷺ بنفسه في حفر الخندق فأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين، وعلي عليه السلام ينقل التراب، حتى عرق النبي ﷺ وهو يقول:

لا عيشَ إلا عيش الآخرة. اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين.

فلما نظر الناس إلى رسول الله ﷺ يحفر، اجتهدوا في الحفر ونقلوا التراب، فلما كان في اليوم الثاني بكَّروا إلى الحفر، وكان ﷺ يحمل التراب على ظهره

أو على عاتقه ، ثم يجلس حتى يستريح ، وجعل أصحابه يقولون: يا رسول الله نحن نكفيك فيقول: أريد مشاركتكم في الأجر . قال أبو واقد: ولقد رأيته يوماً بلغ منه فجلس ، ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر .

وكان المسلمون في فقر شديد أيام حفر الخندق ، حتى كان النبي صلى الله عليه وآله يشد على بطنه حجراً من الجوع . وفي عيون أخبار الرضا:٤٣/١ ، عن علي عليه السلام قال:«كنا مع النبي صلى الله عليه وآله في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة عليها السلام ومعها كسرة خبز ، فدفعتها إلى النبي فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما هذه الكسرة؟قالت: قرصاً خبزتها للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسرة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث» !

٤- محاصرة الأحزاب للمدينة

أ. قال الله تعالى يصف جيش الأحزاب: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا. (سورة الأحزاب: ٩-١١).

في مناقب آل أبي طالب:١٧٠/١« إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ: أي من قبل المشرق . وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ: أي من المغرب.. فخرج إليه أبو سفيان بقريش ، والحارث بن عوف في بني مرة ، ووبرة بن طريف ومسعود بن جبلة في أشجع ، وطليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد ، وعيينة بن حصن الفزاري في غطفان وبني فزارة ، وقيس بن غيلان وأبو الأعور السلمي في بني سُليم . ومن اليهود حي بن أخطب ، وكنانة

بن الربيع ، وسلام بن أبي الحقيق ، وهوذة بن قيس الوالي في رجالهم ، فكانوا ثمانية عشر ألف رجل ، والمسلمون في ثلاثة آلاف... وكان الكفار على الخمر والغناء والمدد والشوكة ، والمسلمون كأن على رؤسهم الطير لمكان عمرو !

والنبي جاثٍ على ركبتيه باسط يديه باكية عيناه ينادي بأشجى صوت: يا صريخ المكروبين يا مجيب دعوة المضطرين، إكشف همي وكربي فقد ترى حالي ».

« فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ، ومسعر بن رخيلة.. فيمن تابعه من قومه أشجع».(ابن هشام: ٧٠١/٣).

وفي الصحيح من السيرة:١٧٨/٩:« ذكر ابن سعد أنه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرساً.. قيل كان المسلمون سبع مئة ، وهو قول ابن إسحاق.. وقيل كانوا ألفاً أو نحوها ، وهو صريح رواية البخاري ومسلم عن جابر ، وصرح به قتادة أيضاً. وقيل تسع مئة.. ونرجح قول ابن إسحاق وإن حكم عليه البعض كالحلبي وغيره بأنهم قد وهم أو غلط.. وذلك للأمور التالية:

١ - ما تقدم في قصة إطعام جابر لأهل الخندق جميعاً وكانوا سبع مئة رجل أو ثمان مئة ، أو ألف رجل.

٢ - روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه صلى الله عليه وآله شهد الخندق في تسع مئة رجل ، ويحتمل أن تكون كلمة تسع تصحيفاً لكلمة سبع.

٣- روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: أكتبوا لي من تلفظ بالإسلام فكتب حذيفة بن اليمان له ألفاً وخمس مئة رجل... قيل كان هذا عام الحديبية.. وما جرى في الخندق يوضح أن عدد سكان المدينة لايصل إلى الخمس آلاف نسمة .

ووافى المشركون المدينة وأحاطوا بها من جميع جهاتها ، واشتد الحصار على المسلمين. وقد اختلفت الأقوال في عدد المشركين... قال المسعودي: سارت إليه قريش وغطفان وسليم وأسد وأشجع وقريظة ونضير ، وغيرهم من اليهود ، فكان عدة الجميع أربعة وعشرين ألفاً ، منها قريش وأتباعها أربعة آلاف. وقال ابن شهرآشوب: كانوا ثمانية عشر ألف رجل.. وقال المسعودي إنه كان معهم ثلاث مئة فرس وألف وأربع مئة بعير ، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب . وذكر آخرون أنه كان معهم ألف وخمس مئة بعير ، وثلاث مئة فرس ».

ب. قال في شرح الأخبار:٢٩٢/١« ونظر المشركون إلى الخندق فتهيبوا القدوم عليه ولم يكونوا قبل ذلك رأوا مثله ، وقالوا إن هذه لمكيدة ماكانت العرب تعرفها ! فجعلوا يدورون حوله بعساكرهم وخيلهم ورجلهم ويدعون المسلمين: ألا هلم للقتال والمبارزة ، فلا يجيبهم أحد إلى ذلك ولا يرد عليهم فيه شيئاً . ولزموا مواضعهم كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله قد عسكروا في الخندق ، وأظهروا العدة ولبسوا السلاح ووقفوا في مواقفهم ، وتهيب المشركون أن يلجوا الخندق عليهم».

وجعلوا معسكراتهم بعيدة عن الخندق نسبياً حتى لايكونوا في مرمى المسلمين.

«أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد». (البحار: ١٩٩/٢٠).

« وكان المشركون يتناوبون بينهم فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً ، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً ، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً ، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوماً ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ، ويتفرقون مرة ويجتمعون مرة أخرى ، ويناوشون المسلمين ويقدمون رماتهم فيرمون ، وإذْ أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق يطلب مضيقاً من الخندق ، فرماهم المسلمون حتى رجعوا.. وكان أسيد بن حضير يحرس في جماعة ، فإذا عمرو بن العاص في نحو المائة يريدون العبور من الخندق فرماهم حتى ولوا ، وكان المسلمون يتناوبون الحراسة وكانوا في قر شديد وجوع .

وكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيراً ما يطلبان غرة ومضيقاً من الخندق يقتحمانه ، فكانت للمسلمين معهما وقائع في تلك الليالي...

وكان النبي صلى الله عليه وآله يشارك في دفع المشركين عندما يقصدون الخندق ، ويوجه المسلمين الى رميهم بالسهام أو الحجارة فيرجعون . وكان رماة المسلمين على أبواب الخندق وفي نقاط مناسبة ، وعمدة سلاحهم الحجارة ، وقد جمعوها أيام حفر الخندق:« ويخرج المهاجرون والأنصار في نقل التراب وعلى رؤوسهم

المكاتل ، ويرجعون بها بعد إلقاء التراب منها ، وقد ملأوها حجارة من جبل سلع، وهي أعظم سلاحهم يرمون بها». (إمتاع الأسماع: ٢٢٥/١).

« ومضى على الفريقين قريب من شهر ، لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة ، حتى أنزل الله النصر ». (سعد السعود لابن طاووس/١٣٨).

ج. وقع حدثان في أيام الحصار أثرا على معنويات المسلمين: الأول: نقض بني قريظة لعهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله وانضمامهم عملياً الى قريش. والثاني: إصابة سعد بن معاذ بسهم من المشركين إصابة شديدة !

فقد كانت قريش ومن معها من الأحزاب يحاصرون المدينة من غربيها ، وكان بنو قريظة يسكنون شرقي المدينة (حَرَّة بني قريظة) فهم يشكلون مع الأحزاب طوقاً شبه كامل عليها ، ولذلك كان خطر بني قريظة يعادل خطر بقية الأحزاب !

قالت أم سلمة رضي الله عنها: « شهدت معه مشاهد فيها قتال وخوف: المريسيع وخيبر ، وكنا بالحديبية وفي الفتح وحنين ولم يكن من ذلك أتعب لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا أخوف عندنا من الخندق ! وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة (الطوق) وأن قريظة لا نأمنها على الذراري ، فالمدينة تحرس حتى الصباح ، نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا». (إمتاع الأسماع: ٢٣٥/١).

لذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله بتجميع النساء والأطفال في(الآطام) أي المباني المحصنة المرتفعة ، قال في الصحيح: ٢٦٩/٩: «وكانت حراستهم تتركز على الأمور الرئيسية وهي: ١- مركز قيادة النبي صلى الله عليه وآله . ٢ – العسكر. ٣- الخندق. ٤ – المدينة. ٥- الرصد لتحركات العدو. ٦- النساء والذراري وتعاهدهم في الآطام. ٧ – أبواب الخندق...

قال النويري وغيره: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة. وكان عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله صلى الله عليه وآله مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة. وكانت المدينة تحرس حتى الصباح يسمع فيها التكبير حتى يصبحوا ». والطبقات: ٦٧/٢.

وكان مسؤول الحراسة والعسكر كله علي عليه السلام ، ففي تفسير القمي:١٨٦/٢:« وكان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله ، بالليل يحرسهم ، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم » .

وعندما نقض بنو قريظة عهدهم ومزقوا نسخته وأعلنوا الحرب على المسلمين: «كان الخوف على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من الخوف من قريش وغطفان... وهمت بنو قريظة أن يغيروا على المدينة ليلاً ، وبعث حيي بن أخطب إلى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل ومن غطفان ألف ، فيغيروا بهم فجاء الخبر بذلك إلى رسول الله (ص) فعظم البلاء ». (الإمتاع: ٢٣٣/١).

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله إليهم« سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وخوات بن جبير ، وعبد الله بن رواحة يستخبرون الأمر ، فوجدوهم مكاشفين بالغدر والنيل من رسول الله صلى الله عليه وآله ! فشاتمهم سعد بن معاذ وكانوا أحلافه ، وانصرفوا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرهم إن وجدوا الغدر حقاً أن يخبروه تعريضاً ، لئلا يَفُتّوا في أعضاد الناس». (الصحيح من السيرة: ١٩٧/٩).

ورفض ثلاثة أشخاص من بني قريظة نقض العهد وخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلموا وكانوا معه ، وهم (بنو سَعْنة): أسد وأسيد وثعلبة. (الصحيح من السيرة: ١٣٨/٨).

« وأرسلت قريظة إلى أبي سفيان ومن معه من الأحزاب يوم الخندق ، أن أثبتوا فإنا سنغير على بيضة المسلمين من ورائهم». (اللمع للسيوطي/٩٣).

وفي الإمتاع:٢٤١/١، أن أبا سفيان ذهب الى بني قريظة يحثهم على مهاجمة المدينة ، فأبوا أن يقاتلوا حتى يأخذوا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهاناً !

وأرسل النبي صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة في ثلاث مئة ، وأسلم بن حريش في مئتين تتقدمهم خيل المسلمين وأمرهم أن يظهروا التكبير ، وشدد على حراسة المدينة من جهة قريظة ، وكان يرسل مجموعات الإستطلاع والكمائن ، فخافت قريظة !

ورووا قصة صفية عمة النبي صلى الله عليه وآله عندما كانت النساء والذراري في الآطام ، قالت:« فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون في نحور عدوهم لايستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت ، قالت فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه فأنزل إليه فاقتله ، قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! قالت:فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت: فلما فرغت منه

رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان إنزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. قال: مالي بسلبه من حاجة».(ابن هشام:٧١١/٣ ، وأمالي الطوسي/٢٦١).

د. وقد أثرت إصابة سعد في المسلمين ، فهو رئيس الأوس بل رئيس الأنصار، وهو المسلم القوي الفدائي لرسول الله ﷺ ، الذي أجابه عندما استشارهم في المضي الى معركة بدر ، فقال:« بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنا قد آمنا بك وصدقناك.. والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك» ! (تفسير القمي: ٢٥٩/١).

وكان سعد رحمه الله طويلاً جميلاً ، وعاش سبعاً وثلاثين سنة فقط . (الطبقات: ٤٣٣/٣).

وصلى عليه النبي ﷺ وقال: « لقد وافى من الملائكة سبعون ألفاً وفيهم جبرئيل يصلون عليه ، فقلت له: يا جبرئيل بما يستحق صلاتكم عليه؟ فقال: بقراءته قل هو الله أحد قائماً وقاعداً ، وراكباً وماشياً ، وذاهباً وجائياً» ! (الكافي: ٦٢٢/٢).

وكان سعد محباً للنبي ﷺ وعترته عليهم السلام، بصيراً بخطط قريش ضدهم ، ولذا قال فيه النبي ﷺ:« يرحمك الله يا سعد فلقد كنت شجى في حلوق الكافرين ! لو بقيت لكففت العجل الذي يراد نصبه في بيضة المسلمين كعجل قوم موسى ! قالوا: يا رسول الله أو عجلٌ يراد أن يتخذ في مدينتك هذه ! قال: بلى والله يراد ! ولو كان سعد فيهم حياً لما استمر تدبيرهم ، ويستمرون ببعض تدبيرهم ثم الله تعالى يبطله . قالوا: أخبرنا كيف يكون ذلك؟ قال: دعوا ذلك لما يريد الله أن يدبره».(تفسير الإمام العسكري/٤٨).

وبسبب هذه المكانة الخاصة لسعد رحمه الله ، لا نستبعد أن يكونوا رموه بسهم عبر الخندق بمساعدة منافقين حوله يراقبونه ويشيرون الى القرشيين ، ليرموه !

هـ- كان الوقت يعمل لصالح المسلمين بسبب فقدان الأحزاب مصدر تموين جيشهم

وعلف خيلهم وإبلهم ، وبسبب تعدد قياداتهم واختلاف أمزجتهم .

فقد كان الوقت آخر الصيف وأول الخريف ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله أهل المدينة أن يجمعوا غلالهم ، ولا يتركوا شيئاً خارج المدينة.

قال في إمتاع الأسماع:١/٢٢٣:«خرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها في أربعة آلاف ، وعقدوا اللواء في دار الندوة ، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وكان معهم ألف بعير وخمسمائة بعير .

ولاقتهم سليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس وهو أبو أبي الأعور السلمي ، الذي كان مع معاوية بن أبي سفيان بصفين.. وخرجت بنو أسد وقائدها طليحة بن خويلد الأسدي . وخرجت بنو فزارة في ألف يقودهم عيينة بن حصن . وخرجت أشجع في أربعمائة يقودهم مسعود بن رحيلة.. وخرجت بنو مرة في أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف...

وأقبلت قريش في أحابيشها ومن تبعها من بني كنانة حتى نزلت وادي العقيق ، ونزلت غطفان بجانب أحد ومعها ثلاثمائة فرس ، فسرحت قريش ركابها في عضاة وادي العقيق ، ولم تجد لخيلها هناك شيئاً إلا ما حملت من علفها وهو الذرة ، وسرحت غطفان إبلها إلى الغابة في أثلها وطرفائها . وكان الناس قد حصدوا زرعهم قبل ذلك بشهر ، وأدخلوا حصادهم وأتبانهم . وكادت خيل غطفان وإبلها تهلك من الهزل ، وكانت المدينة إذ ذاك جديبة».

و. قد قويت معنويات الأحزاب بنقض بني قريظة عهدهم وإصابة سعد ، فكانوا ينتظرون حملة بني قريظة من الشرق ، ويطمعون بعبور الخندق من الغرب ، فيطبقوا على المسلمين ويستأصلوا النبي صلى الله عليه وآله كما زعموا ! وقد أرسل النبي صلى الله عليه وآله نصف جيشه أو أكثر ، لحراسة المدينة من بني قريظة ، وبقي في من معه يحرسون الخندق الذي يبلغ طوله نحو ثلاث كيلو مترات ، ويصدوا محاولات الأحزاب لعبوره . وكان بعضهم ضعافاً وبعضهم ينامون ، ولذا كان النبي صلى الله عليه وآله يشارك بنفسه في حراسة الخندق .(الصحيح:١٥/٩). وفي ليلة رد محاولة للمشركين ثم رجع ونام:« وإذا بضرار بن الخطاب وعيينة بن حصن في عدة ، فركب صلى الله عليه وآله بسلاحه ثانياً فرماهم المسلمون حتى ولوا وفيهم جراحات». (الإمتاع:٢٣٣/١).

٥- فرَّ أكثر المسلمين في حرب الخندق !

خاطب الله المسلمين في آيات الأحزاب بـ« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» ثم وبخهم لخوفهم حتى الرعب ونقص إيمانهم ويقينهم ، ومحاولاتهم الفرار ، وهدد الذين فروا منهم ونقضوا عهدهم مع الله بأن لايفروا ! ثم تحدث عن مرضى القلوب (المنافقين السياسيين) وسخر منهم لأنهم سخروا من وعد الله بالنصر فقالوا: مَاوَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا ! وتحدث في آخر الآيات عن المؤمنين الصادقين المقتدين بالنبي صلى الله عليه وآله الذين لم ترتجف قلوبهم ، لأنهم على يقين بالنصر: قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ .

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا. وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا. وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلا يَسِيرًا. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً. قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلاً. قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا .

قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً. أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا .

يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلاً.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا. وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ

مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيمًا. (الأحزاب: ٩-٢٤).

لقد تجمعت عدة عوامل على المسلمين:

منها كثرة جيش الأحزاب ، ومحاولاتهم المستمرة للنفوذ من الخندق .

وانضمام بني قريظة لهم ، وتهديدهم بالهجوم على المدينة .

والأزمة الإقتصادية الشديدة على المسلمين . وإصابة سعد بن معاذ رحمه الله.. وفعالية قريش واليهود داخل مجتمع المسلمين .

وأكثر ما أضعف المسلمين أن بعضهم أخذ يستأذنون النبي صلى الله عليه وآله ليتفقدوا بيوتهم فيذهبون ولايعودون ! وبعضهم يطلب الإذن لحماية بيته بحجة أنه قريب من قريظة ! وبعضهم هرب بدون استئذان !

هذه هي الصورة الصحيحة للصحابة في غزوة الأحزاب ، لكن رواة قريش أخفوا الصحابة مرضى القلوب والفارين ، الذين عصوا النبي صلى الله عليه وآله وكذبوا عليه في سبب الإستئذان ، أو تأخروا عن المدة المجازة ، وهو فرار مخفي لكنه فرار كامل جامع للشروط الشرعية، وقد فضحه بقوله: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً . فسماه بأشد أسماء الفرار ! وفضحته أحاديثهم الصحيحة:

أولها: حديث ابن عمر في اللحاف ، قال:« بعثني خالي عثمان بن مظعون لآتيه بلحاف فأتيت النبي فاستأذنته وهو بالخندق فأذن لي وقال: من لقيت فقل لهم إن رسول الله يأمركم أن ترجعوا ، وكان ذلك في برد شديد فخرجت ولقيت الناس فقلت لهم إن رسول الله يأمركم أن ترجعوا. قال:فلا والله ما عطف عليَّ منهم اثنان أو واحد». (رواه الطبراني في الأوسط(٢٧٥/٥) ورجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد: ١٣٥/٦).

وثانيها: حديث حذيفة، رواه الحاكم (٣١/٣) وصححه، ووثقه مجمع الزوائد (١٣٦/٦):«إن الناس تفرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الأحزاب فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأتاني رسول الله وأنا جاثم من البرد، وقال: يا ابن اليمان قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب فانظر إلى حالهم. قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما قمت إليك إلا حياء منك من البرد..».

وثالثها: حديث عائشة الذي رواه أحمد(١٤١/٦)ومصادر السيرة والزوائد (١٣٨/٦) وحسَّنه، وقد وصفت فيه اختباء جماعة من الصحابة في حديقة، منهم عمر وطلحة، وذكرت أن عمر كان يتخوف من الهزيمة والفرار العام!

قالت عائشة:« خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، قالت فسمعت وئيد الأرض ورائي يعني حس الأرض، قالت فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحرث بن أوس يحمل مجنه، قالت فجلست إلى الأرض فمر سعدٌ وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد، قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، قالت: فمر وهو يرتجز ويقول:

ليت قليلاً يدرك الهيجا حمل   ما أحسن الموت إذا حان الأجل!

قالت: فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه سبغة له يعني مغفراً فقال عمر: ما جاء بك لعمري والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون بلاء (هزيمة) أو يكون تَحَوُّز (فرار عام)!

قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لـي ساعتئذ فـدخلت فيهـا. قالت فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله فقال: يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل » !

فحديث ابن عمر يقول إنهم عصوا أمر النبيﷺوظلوا في المدينة إلا مـن نـدر ! وحديث حذيفة يقول إنهم تفرقوا عن رسول اللهﷺولم يبق معه إلا اثنا عشر !

وحديث عائشة يقول إنها خرجت من الحصن الذي كان فيه النساء وهو حصن بني حارثة في المدينة (ابن هشام:٧١٠/٣) وهو في جهة العـوالي ولـيس فـي جهـة الخنـدق (الحاكم:٥٠/٤) فمشت باتجاه الخندق فرأت سعداً ذاهباً مـع جماعتـه الـى الخنـدق ، فحادت عن الطريق ودخلت في بستان هناك ، فوجدت جماعة فـيهم عمـر وطلحـة مختبئين ! وكان عمر يتحدث عن احتمال الهزيمة العامة وفـرار المسـلمين ! فيجيبـه طلحة: أكثرت الكلام عن الفرار ، ونحن لسنا هاربين بل متحيزون الى الله !

وينبغي التذكير بأن آية المتسللين: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِـوَاذًا فَلْيَحْـذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . (النور: ٦٣) نزلـت فـي الفارين من حفر الخندق أو المرابطة عنده ، أو هي شاملة لهم .

قال ابن عبد البر في الدرر/١٧٠:«وعمل المسلمون في الخنـدق مجتهـدين ونكـص المنافقون وجعلوا يتسللون لواذاً فنزلت فيهم آيات من القـرآن ذكرهـا ابـن إسـحاق وغيره». والكشاف: ٧٩/٣، وجوامع الجامع: ٦٣٦/٢، وتفسير البغوي: ٣٥٩/٣، وأحكام القرآن: ٤٢٨/٣ .

ويضاف الى ما تقدم ، شهادة البيهقي في سننه:٣١/٩:« فلمـا اشـتد الـبلاء علـى النبـي وأصحابه نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح ، فلمـا رأى رسـول الله (ص) مـا فيـه

الناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول: والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة والبلاء ، فإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله عز وجل مفاتح الكعبة وليهلكن الله كسرى وقيصر ، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله ! فقال رجل ممن معه لأصحابه: ألاتعجبون من محمد يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق وأن يغنيهم كنوز فارس والروم ، ونحن ههنا لا يأمن أحدنا أن يذهب إلى الغائط ! والله لما يعدنا إلا غرواً ! وقال آخرون ممن معه: إئذن لنا فإن بيوتنا عورة وقال آخرون: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا . وسمى ابن إسحاق القائل الأول: معتب بن قشير ، والقائل الثاني: أوس بن قيظي» ! وهي تسمية سياسية للتغطية على القائل الحقيقي !

ويضاف الى ما تقدم شهادة القمي في تفسيره:١٨٦/٢، قال:« فلما طال على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر واشتد عليهم الحصار وكانوا في وقت برد شديد وأصابتهم مجاعة ، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً ، تكلم المنافقون بما حكى الله عنهم . ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا نافق إلا القليل ! وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أصحابه أن العرب تتحزب ويجيئون من فوق وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل ، وأنه ليصيبهم جهد شديد ولكن تكون العاقبة لي عليهم ، فلما جاءت قريش وغدرت اليهود قال المنافقون: مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً ، وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة فقالوا يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا فإنها في أطراف المدينة وهي عورة ونخاف اليهود أن يغيروا عليها. وقال قوم: هلموا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب ، فإن الذي كان يعدنا محمد كان باطلاً كله» .

٦- مرضى القلوب يتآمرون على النبي ﷺ مع الأحزاب

مع فرار أكثر المسلمين في الأيام الأخيرة من الحصار ، كان مرضى القلوب الـذين حمَّلوا النبي ﷺ مسؤولية الهزيمة يوم أحُد لأنه لم يشركهم في القيادة وقالوا: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمر شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ! كانوا يأتمرون لحل القضية بزعمهم:

١- فأشاعوا فكرة المصالحة مع النجـديين بإعطـائهم ثلـث ثمـار المدينـة سـنوياً لينصرفوا ، وقد أحبطها النبي ﷺ باستشارة الزعيمين سعد بن معاذ وسعد بـن عبـادة وهو يعرف أنهما يرفضانها ، فرفضاها وانتهت .

وذكر بعضهم أن زعيمي النجديين عيينة والحارث جاءا الى النبي ﷺ وطلبـا منـه ذلك (ابن شيبة: ٥٠١/٨) وذكر بعضهم أن النبي ﷺ هو الذي بعث لهما ! (الطبري: ٢٣٨/٢).

واتهم رواة السلطة النبي ﷺ بأنه كتب عهداً بذلك لعيينة بن حصن رئيس هـوازن ثم تراجع عنه ! ورده ذلك في الصحيح من السيرة (٢٤٢/٩).

٢- طرح بعضهم تسليم النبي ﷺ لقريش ، فقال: « والله إن ندفع محمداً إليهم برمته نسلم من ذلك» ! (كتاب سليم/٢٤٩) لكن ذلك لم يكن ممكناً لهم والحمد لله !

٣- تدل المؤشرات على أن مرضى القلوب كانوا على صلة بأبي سفيان وغيره مـن زعماء الأحزاب ، وأنهم طلبوا منهم أن يأخـذوا نقطـة ضـعيفة مـن الخنـدق بحجـة حراستها ويسهلوا عبورهم منها ، فإذا عبروا استغلوا الإضطراب في جيش النبـي ﷺ وردموا الثغرة ليعبر جيش الأحزاب ، ويقضوا على النبي ﷺ !

ومن المؤشرات على ذلك أن عمرو بن ود وجماعته ، أمروا جنـودهم أن يتهيـؤوا للقتال غداً قبل محاولتهم عبور الخندق ، فقد كانوا واثقين من نجاح عبورهم !

«مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيؤوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم». (الإرشاد:٧/١٩ ، وابن هشام: ٧٠٥/٣) .

ويدل عليه أنه بمجرد أن عبر فرسانهم ركز النبي صلى الله عليه وآله اهتمامه على الثغرة ! فأمر علياً عليه السلام أن يبادر بسرعة فيأخذها ، فإن اعترضهم أحد من (المسلمين) فليقتلوه !

قال القاضي النعمان في شرح الأخبار:٢٩٤/١:«وتسلل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر أهل المدينة فدخلوا بيوتهم كالملقين بأيديهم ، فاقتحم عمرو بن عبد ود وأصحابه الخندق على المسلمين وهم على هذه الحال ، فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك وأن خيلهم جالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وقربوا من مناخ رسول الله ، تخوف أن يمدهم سائر المشركين فيقتحموا الخندق فدعى علياً عليه السلام فقال: يا علي إمض بمن خفَّ معك من المسلمين فخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها ، فمن قاتلكم عليها فاقتلوه ! فمضى علي عليه السلام في نفر جمعوا معه يريدون الثغرة ، وقد كان المشركون هموا أن يلجوها ، فلما رأوهم وهم أقل من الذين اقتحموها منهم توقفوا لينظروا ما يكون من أمر أصحابهم معهم ، وعطف عليهم عمرو بن عبد ود بمن كان معه تعنق بهم خيلهم ، حتى قربوا منهم». انتهى.

كان مسؤول المنطقة التي فيها الثغرة أسيد بن حضير الذي صار فيما بعد من أبطال السقيفة ، فقد روى الواقدي أن الأحزاب حاولوا العبور منها وأن سلمان نظر اليها وقال لأسيد:« إن هذا مكان من الخندق متقارب ، ونحن نخاف أن تطفره خيلهم ، وكان الناس عجلوا في حفره ، وبادروا فباتوا يوسعونه حتى صار كهيئة الخندق». (الصحيح: ٢٧٩/٩).

وعندما نعرف أن عرض الخندق كان تسعة أذرع وعمقه سبعة أذرع ، والذراع يساوي نصف متر أو أكثر (الأوزان والمقادير/٥٦) فيكون عرضه نحو خمسة أمتار وعمقه ثلاثة أمتار ونصفاً . ومن الصعب أن يقفز الفرس هذه المسافة ، فيحتمل أن يكون أحدٌ ردم جانب الخندق ، من هذه الجهةأو تلك ، ولا يكون ذلك إلا بغياب الحراسة أو تواطؤ الحراس !

فالثغرة كانت خطة لعبور الأحزاب نجحوا في مرحلة منها ، فبادر النبي ﷺ وأحبطها ،وأمر علياً بقتل من يعترض عمله فيها ! ولو كان قصده المشركين لقال: فخذ الثغرة وامنع الكفار أن ينفذوا منها .

ومما يشير الى المؤامرة أيضاً أن العبور كان بعد إصابة سعد بن معاذ ﵁ مباشرة !

٧- يقين النبي ﷺ بالنصر في غزوة الأحزاب وغيرها

فعندما ضرب النبي ﷺ الصخرة في الخندق فخرج منها ثلاث برقات ، قال: «لقد فتح الله عليَّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر ! فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا بكنوز كسرى وقيصر وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلى». (الكافي: ٨/٢١٦).

وعندما بلغه أن قريظة نقضوا العهد وأعلنوا الحرب قال:« الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين ، أو قال: أبشروا بنصر الله وعونه ». (الصحيح من السيرة: ٩/١٩٩).

وورد في تفسير قوله تعالى: وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَـذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ.. أن النبي ﷺ كان أخبرهم أنه سيتظاهر عليهم الأحزاب ووعدهم الظفر بهم ، فلما رأوهم تبين لهم مصداق قوله ، وكان ذلك معجزاً له ﷺ. (البحار: ٢٠/١٩٥).

ومع ثقة النبي صلى الله عليه وآله بوعد ربه ونصره كان يعمل بالأسباب الطبيعية ، ويقوم بما ينبغي من التخطيط والحسابات المادية. ثم يدعو ربه ويتضرع كأنه لايملك شيئاً !

ففي الكافي:٥٦١/٢ ، ٢، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« كان دعاء النبي صلى الله عليه وآله ليلة الأحزاب: يا صريخ المكروبين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، ويا كاشف غمي اكشف عني غمي وهمي وكربي ، فإنك تعلم حالي وحال أصحابي ، واكفني هول عدوي ، فإنه لايكشف ذلك غيرك ». ورويت له أدعية أخرى.

وفي مستدرك الوسائل:٢٨١/٥:« دعا النبي صلى الله عليه وآله على الأحزاب يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ، واستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر ، فعرف السرور في وجهه قال جابر: فما نزل بي أمر غائض وتوجهت تلك الساعة إلا عرفت الإجابة».

٨- من معجزات النبي صلى الله عليه وآله في غزوة الأحزاب

أ- منها: أن سلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وجماعة ، كانوا يعملون في أربعين ذراعاً ، فخرجت عليهم صخرة كسَّرت معاولهم:« فصعد سلمان الى النبي صلى الله عليه وآله وكان في قبة تركية ، فأخبره فهبط معه وبطنه معصوب بحجر من الجوع ، ورأى شدة المكان فأخذ المعول وضربها ضربة فصدعها ، وبرق منها برق أضاء بين لابتي المدينة ، فكبَّر تكبيرة وكبر المسلمون ، ثم ضربها ثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك ، فصدعها. فأخذ بيد سليمان ورقى فسألوه فقال: إنه بالبرقة الأولى أضاءت له قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة

عليها ، وفي الثانية أضاءت له القصور الحمر من أرض الروم ، وأخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة عليها ، وفي الثالثة أضاءت له قصور صنعاء وأخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة عليها ! فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق ! فقال المنافقون: ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل وأنتم تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون أن تبرزوا !

وعن الإمام الصادق عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله ضرب ضربة واحدة ، فتفرقت الصخرة بثلاث فرق فقال صلى الله عليه وآله: لقد فتح الله عليَّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر ! فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا كنوز كسرى وقيصر ، وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلى! وصرح القمي بأن هذه القضية كانت في اليوم الثاني من بدء حفرالخندق».
(الصحيح: ٩/١٣٩، والكافي: ٨/ ٢١٦).

ورواه الصدوق في الخصال/٣٩٠ ، وفيه:«فلما رآها صلى الله عليه وآله وضع ثوبه وأخذ المعول وقال: بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة ! ثم ضرب الثانية فقال: بسم الله ففلق ثلثاً آخر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض! ثم ضرب الثالثة ففلق بقية الحجر وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا ! ».

ب- ومنها: وليمة جابر الأنصاري للمسلمين ، وقد رويت بعدة صيغ وخلاصتها: قال جابر: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يحفر ورأيته خميصاً ، فاستأذنته وذهبت الى بيتي واتفقت مع زوجتي سهيلة بنت مسعود الأنصارية ، أن تصلح ما عندهما وهو مد

من شعير وشاة غير سمينة ، ثم ندعو النبي صلى الله عليه وآله الى الطعام ، فسأله النبي صلى الله عليه وآله عما عنده فأخبره. فقال صلى الله عليه وآله كثير طيب ، ثم دعا أهل الخندق جميعاً وقال لهم: إن جابراً قد صنع لهم سوراً فأقبلوا معه !

قال جابر: فقلت: والله إنها الفضيحة ! فأتيت المرأة فقلت لها قد جاءك رسول الله وأصحابه أجمعون ! فقالت: أنت دعوتهم أو هو دعاهم ؟ فقلت: بل هو دعاهم قالت: دعهم هو أعلم ! وروي أنهم كانوا ألفاً !

فأقبل صلى الله عليه وآله وأمر أصحابه عشرة عشرة قال: إغرفوا وغطوا البرمة ، وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه ، ففعلوا فجعلوا يغرفون ثم يغطون البرمة ، ثم يفتحونها فلا يرون أنها نقصت شيئاً ، ويخرجون الخبز من التنور ، ثم يغطونه فما يرونه ينقص شيئاً ! فأكل الجميع حتى شبعوا وقال صلى الله عليه وآله: كلوا واهدوا فإن الناس أصابتهم مجاعة شديدة ، فأكلنا وأهدينا فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذهب ذلك». (الصحيح:١٤٨/٩).

ج- ومنها: عن جابر بن عبد الله قال:« اشتد علينا في حفر الخندق كدانة (صخرة) فشكونا إلى النبي صلى الله عليه وآله فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ، ثم نضح الماء على تلك الكدانة فعادت كالكندر(صارت لينة)». (المناقب: ١٠٣/١.

د- ومنها: أن ابنة بشير بن سعد جاءت بحفنة تمر إلى أبيها وخالها عبد الله بن رواحة ، فرآها النبي صلى الله عليه وآله وهي تلتمس أباها وخالها ، فأخذها منها في كفه فما ملأتها، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ، ثم أمر جعال

بن سراقة فصرخ في أهل الخندق أن هلمَّ إلى الغداء . فاجتمعوا فجعلوا يأكلون منها حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب ! (البحار: ٢٤٧/٢٠).

هـ- ومنها: أن أم متعب الأنصارية أرسلت الى النبي صلى الله عليه وآله بقعبة فيها حيْس ، وهو في قبته مع أم سلمة فأكلت حاجتها ، ثم خرج بالقعبة فنادى مناديه: هلمَّ إلى عشائه ، فأكل أهل الخندق حتى نهلوا ، وهي كما هي ! (الصحيح: ١٥١/٩).

و- ومنها: أن أبا طلحة بعث الى النبي صلى الله عليه وآله لما رأى فيه أثر الجوع بأقراص من شعير ، فأمر أن يُفَتَّ ويوضع عليه السمن ، ثم وضع يده على رأس الثريد ، وكان يدعو بعشرة عشرة فأكلوا حتى شبعوا وكانوا سبعين أو ثمانين رجلاً. (البحار:٣٦/١٨).

ز- ومنها:«لما نزلت الأحزاب على المدينة عبأ أبو سفيان سبعة آلاف رامٍ كوكبة واحدة ، ثم قال: إرموهم رشقاً واحداً ، فوقع في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سهام كثيرة فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله فلوح إلى السهام بكمه ، ودعا بدعوات فهبت ريح عاصفة فردت السهام إلى القوم ، فكل من رمى سهماً عاد السهم إليه ، فوقع فيه وجرحه ». (البحار: ٦٤/١٨).

ح- ومنها: إخباره بأن عماراً ستقتله الفئة الباغية ، وتقدم في بناء المسجد النبوي وروى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وآله رأى عماراً يحفر في الخندق فجعل يمسح رأسه ويقول: بؤس ابن سمية ، تقتلك الفئة الباغية ».

ط- ومنها: أنهم كانوا يحفرون ويقولون شعراً إلا سلمان رحمه الله لأنه لايجيد العربية فدعا له النبي صلى الله عليه وآله: « اللهم أطلق لسان سلمان» فأطلق لسانه وقال:

مـــالي لســـان فـــأقول شـــعرا أســـأل ربـــي قـــوة ونصـــرا
على عـدوي وعـدو الطهـرا... محمد المختـار حـاز الفخـرا

فضج المسلمون ، وجعلت كل قبيلة تقول: سلمان منا ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: سلمان منا أهل البيت ». (المناقب: ٧٥/١ ، وابن هشام: ٧٠٨/٣).

ي. ومنها: أن الملائكة ساعدت المسلمين في حفر الخندق ونقل ترابه ، قال جابر الأنصاري: « خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى المسلمين وقال: جدوا في الحفر ، فجدوا واجتهدوا ولم يزالوا يحفرون حتى فرغ الحفر ، والتراب حول الخندق تل عال فأخبرته بذلك فقال: لا تفزع يا جابر فسوف ترى عجباً ، قال وأقبل الليل ووجدت عند التراب جلبة وضجة عظيمة ، وقائل يقول:

انتســفوا التــراب والصــعيدا واســتودعوه بلــداً بعيــدا
وعــاونوا محمــد الرشــيدا قــد جعــل الله لــه عميــدا
أخاه وابن عمه الصنديدا

فلما أصبحت لم أجد من التراب كفاً واحداً». (مناقب آل أبي طالب: ١١٥/١).

٩- جهاد علي عليه السلام في غزوة الأحزاب

جاء في خطبة الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله تخاطب الصحابة: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم ، وأني ابنته دون نسائكم ، وأخوه ابن عمي دون رجالكم... وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، نهزة الطامع ،

ومذقة الشارب ، وقبسة العجلان ، وموطأ الأقدام ، تشربون الطرق ، وتقتاتون القد أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، حتى استنقذكم الله برسوله بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مُنِيَ بِبُهْم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين ، قذف أخاه في لهواتها ، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ، ويطفئ عادية لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، وأنتم في رفاهية فكهون آمنون وادعون ، حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه أطلع الشيطان رأسه فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين..» ! (الطرائف/٢٦٤) .

فقد كان علي عليه السلام عضد النبي صلى الله عليه وآله في الشدائد ، حتى إذا جاء الرخاء وجدته مشغولاً في مهام النبي صلى الله عليه وآله ، فهو أبرز الفعالين حول النبي صلى الله عليه وآله ، ومعه نفر قليل من الصحابة ، أما غيرهم فكان هانئاً في ثمار جهودهم وجهادهم !

وفي غزوة الأحزاب كان علي عليه السلام حامل راية النبي صلى الله عليه وآله أي المسؤول عن كل جيشه فكان ينفذ خطته في حفر الخندق ، ويجمع أدوات الحفر من المدينة ، ويستعير عدداً منها من يهود قريظة ! (الصحيح: ٩/١٠٣) .

وكان يُسَرِّعَهم في الحفر ليكتمل الخندق قبل وصول جيوش الأحزاب ، ولا بد أنه عليه السلام كان يعمل في الحفر بقدر عشرة عمال أقوياء وأكثر ، لأنهم رووا أن سلمان رضي الله عنه كان يعمل بقدر عشرة أشخاص فأصابوه بالعين !

وعند وصول جيوش الأحزاب ، باشر علي عليه السلام مهمته في حراسة الأبواب الثمانية للخندق ، وتفقد نقاط الضعف التي يمكن أن يطمع العدو بالعبور منها ، وأعد رماة السهام والأحجار لمواجهة أي مجموعة من العدو تقترب من الخندق ، وكان يشارك في رد محاولاتهم عندما يكون في جبهة الخندق .

وفي نفس الوقت كان يدير الجبهة الشرقية على المدينة ، جبهة بني قريظة ، بعد أن نقضوا عهدهم وهددوا المدينة !

ولا بد أنه عاش مس الجوع في تلك الأيام وكتمه ،كما عاشه النبي صلى الله عليه وآله وكتمه ثلاثة أيام حتى شد على بطنه حجر المجاعة ! ولا بد أن علياً عليه السلام فرح ودمعت عيناه عندما عرف أن فاطمة عليها السلام جاءت للنبي صلى الله عليه وآله بنصف قرص شعير (عيون أخبار الرضا: ٤٣/١). ولا نعلم هل أكل علي عليه السلام منها عندما عرض عليه النبي صلى الله عليه وآله، أم بقي طاوياً ؟! لكن المؤكد أنه كالنبي صلى الله عليه وآله يعينه الله تعالى على جوعه وجهده !

١٠- عبور فرسان الأحزاب من ثغرة في الخندق

بعد شهر أو نحوه من محاصرة الأحزاب للمدينة ، وبعد مقتل قائد الأنصار القوي سعد بن معاذ رحمه الله، قال الرواة إن الأحزاب وجدوا ثغرة ، ونرجح أنهم اتفقوا مع منافقين على تسهيل عبورهم من نقطة بعيدة عن مكان تواجد علي عليه السلام حيث كان طول الخندق نحو ثلاث كيلو مترات ، فتفاجأ المسلمون بعمرو بن عبد ود ومعه بضعة فرسان وقد عبروا الخندق ، وهم: عمرو بن عبد ود العامري ، وابنه

حسيل ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وثلاثتهم من بني مخزوم ، وضرار بن الخطاب ، ومرداس ، وهما فهريان.

وكان ابن عبد ود فارس قريش والعرب ويعد بألف فارس ، ويسمى فارس يَلْيَل لأنه أقبل في ركب من قريش فعرضت لهم بنو بكر في عدد في واد قريب من بدر ، فقال لأصحابه: إمضوا ، فقام وحده في وجهم ومنعهم من أن يصلوا إليه !

عَبَرَ ابن عبد ودّ ورفقاؤه وأخذوا يجولون بخيولهم ويستعرضون قوتهم ، في السبخة التي تحت جبل سلع ، مقابل الربوة التي اتخذها النبي صلى الله عليه وآله خيمة قيادته ، وهي الآن مسجد الفتح ، وقد فر المسلمون الذين أمامهم وأخلوا لهم المنطقة !

فلم يهتم النبي صلى الله عليه وآله لهم بقدر ما اهتم لسد الثغرة التي عبروا منها ، فنادى علياً أو بعث اليه ، وأمره أن يسرع بمن خف معه ويحموها ، فأسرع علي عليه السلام بمن معه باتجاه الثغرة ، وقد يكون مرَّ قريباً من عمرو بن عبد ود وهو يطلب المبارزة وخلفه جماعته ، فقال له إصبر حتى أستأذن النبي في مبارزتك ، أو يختار لك من يبارزك ، ومضى علي عليه السلام الى مهمته فأكملها بسرعة وعاد الى النبي صلى الله عليه وآله فوجده يحث المسلمين على مبارزة عمرو ويضمن لمن بارزه الجنة ، وهم سكوت كأنما على رؤوسهم الطير !

فقال علي عليه السلام: أنا له يارسول الله ، فأمره بالجلوس ، وواصل النبي صلى الله عليه وآله دعوته المسلمين ليتم الحجة عليهم ، فلم يجبه منهم أحد !

فقام علي عليه السلام ثانية وقال: أنا له يارسول الله ، فقال له: أجلس . ثم واصل دعوتهم وضمان الجنة لمن برز اليه ، فلم يقم أحد !

فقام علي عليه السلام فقال: أنا له يارسول الله ، فقال له حسب رواية ابن إسحاق: يا علي إنه عمرو ، فأجابه: وأنا علي يارسول الله ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أدن مني ، فدنا منه فألبسه عمامته وأعطاه سيفه ، ودعا له وأطلق كلماته الرسولية في حقه .

وتقدم علي عليه السلام مهرولاً نحو عمرو وهو يرتجز ، وذهب معه جابر الأنصاري مراقباً ، وتقدم النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون الى الأمام ليروا النتيجة ، وكان فيهم جمع من الصحابة ، منهم الزبير ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف .

وكان ابن ود يستعرض قوته ، مرةً بسيفه ومرة برمحه ، أو يركزه في الأرض ويدور بفرسه حوله ، ويقول: أبرز اليَّ يا محمد ، ثم يقول: إنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار؟ألا يحب أحدكم أن يُقْدِم على الجنة أو يبعث عدواً له إلى النار؟!

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع موقف الخصم المناجز
إني كذلك لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من كرم الغرائز

وكان عمرو بن عبد ود راكباً ، ومشى علي عليه السلام نحوه راجلاً ، وهو يقول:

لاتعجلنَّ فقد أتاك مجيب صوتك غيرُ عاجز
ذو نيةٍ وبصيرةٍ والصدق مُنجي كلٌ فائز
إني لأرجو أن تقوم عليك نائحةُ الجنائز
من طعنة نجلاء يبقى ذكرها بين الهزاهز

وجرى بينهما كلام طويل ، حتى غضب عمرو ونزل عن فرسه وأهوى بسيفه الى علي عليه السلام بضربة قوية ، فتلقاها علي عليه السلام بترسه ، فشقت الترس والخوذة والعمامة ،

ووصلت الى رأسه عليه السلام فجرحته في قرنه ، فانفجر الدم يجري على رأسه وكتفه ، ولم يتأخر علي عليه السلام فضربه ضربة حيدرية على ترقوته ، كما قال البيهقي وابن إسحاق ، فهوى عمرو صريعاً وكبَّر علي عليه السلام بصوته الجهوري ، فكبر النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون ، وتقدم ليحز رأسه فتفل عمرو في وجهه وشتم أمه ، فصبر ورجع خطوات ، قال: خشيت أن أضربه لحظ نفسي ، فتركته حتى سكن ما بي!

وجاء علي عليه السلام برأس عمرو الى النبي صلى الله عليه وآله فمسح النبي صلى الله عليه وآله الدم والغبار عن عينيه ، ومسح مكان الضربة في رأسه ، ورجع علي عليه السلام الى الثغرة ليقطع الطريق على جماعة عمرو ، فطلب منه حسل بن عمرو المبارزة ، فبرز اليه وقتله ولم يمهله ! وهرب عكرمة بن أبي جهل ، وضرار الخطاب ، ونوفل بن عبدالله المخزومي فلحقهم علي عليه السلام ، فأفلت عكرمة بعد أن ألقى درعه ، وأفلت ضرار ، وعلق نوفل في الخندق فلم تستطع فرسه الصعود من الطرف الآخر ، فأخذ المسلمون يرمونه بالحجارة فصاح بهم: قتلةٌ أجمل من هذه! ينزل إليَّ بعضكم أقاتله ! فنزل إليه علي عليه السلام، فضربه وقتله .

وفي الطرائف/٦٠، عن أبي هلال العسكري ، قال:« أول من قال: جعلت فداك ، عليٌّ ، لما دعا عمرو بن عبد ود إلى البراز يوم الخندق ولم يجبه أحد ، قال علي: جعلت فداك يا رسول الله أتأذن لي؟ قال: إنه عمرو بن عبد ود. قال: وأنا علي بن أبي طالب ، فخرج إليه فقتله».

وفي كنز الفوائد/ ١٣٧:« فتقدم إليه ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.. فلما هم أن يذبحه وهو يكبر الله ويحمده ، قال له عمرو: يا علي قد جلست مني مجلساً عظيماً فإذا قتلتني فلا تسلبني حلتي ! فقال له أمير المؤمنين: هي أهون عليَّ من ذلك ! وذبحه وأتى برأسه وهو يتبختر في مشيته فقال عمر: ألا ترى يا

رسول الله إلى علي كيف يتبه في مشيته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنها مشية لايمقتها الله في هذا المقام . ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام فتلقاه ومسح الغبار عن عينيه ».

وانتشر خبر قتل عمرو بن عبد ود في المسلمين كالبرق ، ففرحوا واستبشروا ، ووقع على الأحزاب كالصاعقة ، وكان ذلك قبل ظهر يوم الأربعاء .

وواصل النبي صلى الله عليه وآله دعاءه بعد صلاة الظهر ، فتغير الجو وجاءت الريح وعصفت بجيش الأحزاب فاضطربوا ، وأخذوا يفكرون جدياً بالإنسحاب ، وباتوا في ليلة ليلاء ، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله اليهم حذيفة متنكراً في الظلام ، فوصل الى خيمة أبي سفيان واستطلع خبرهم ، وفي اليوم التالي بادروا الى الرحيل: وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، بعلي عليه السلام، والملائكة ، والرياح.

وكان ابن مسعود يقرأ الآية: وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، بعلي ، وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا.

(الإرشاد: ١٠٦/١ ، والقمي: ١٨٢/٢، وكنز الفوائد/١٣٧، والصحيح: ٣٢٧/٩ ، والحاكم: ٣٢/٣، وابن هشام: ٧٠٨/٣).

ورجع النبي صلى الله عليه وآله صبيحتها الى المدينة ، وما أن صلى الظهر ووضع لباس حربه حتى جاءه جبرئيل وأمره بغزو بني قريظة ، فأرسل علياً عليه السلام أمامه ثم التحق بهم !

١١- علي عليه السلام يصف غزوة الأحزاب ومبارزته لعمرو

قال علي عليه السلام في جوابه لسؤال أحد أحبار اليهود كما في الخصال للصدوق/٣٦٩:

«وأما الخامسة يا أخا اليهود ، فإن قريشاً والعرب تجمعت وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وتقتلنا معه معاشر بني عبد

المطلب ، ثم أقبلت بحدها وحديدها حتى أناخت علينا بالمدينة ، واثقة بأنفسها فيما توجهت له ، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله ، فأنبأه بذلك فخندق على نفسه ومن معه من المهاجرين والأنصار .

فقدمت قريش فأقامت على الخندق محاصرة لنا ، ترى في أنفسها القوة وفينا الضعف ، ترعد وتبرق ! ورسول الله صلى الله عليه وآله يدعوها إلى الله عز وجل ويناشدها بالقرابة والرحم فتأبى ، ولا يزيدها ذلك إلا عتواً ! وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود ، يهدر كالبعير المغتلم ، يدعو إلى البراز ويرتجز ويخطر برمحه مرة وبسيفه مرة ، لا يقدم عليه مقدم ، ولا يطمع فيه طامع ، ولا حمية تهيجه ولا بصيرة تشجعه ، فأنهضني إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وعممني بيده وأعطاني سيفه هذا ، وضرب بيده إلى ذي الفقار ، فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواك إشفاقاً عليَّ من ابن عبد ود ! فقتله الله عز وجل بيدي ، والعرب لا تَعُدُّ لها فارساً غيره ، وضربني هذه الضربة ، وأومأ بيده إلى هامته ، فهزم الله قريشاً والعرب بذلك ، وبما كان مني فيهم من النكاية».

١٢- حذيفة رحمه الله يصف مبارزة علي عليه السلام لعمرو بن ود

روى محمد بن سليمان في مناقب علي عليه السلام :٢٢٢/١، بسنده عن ربيعة السعدي ، وروته مصادر الطرفين ، قال ربيعة:«أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إنا

نتحدث في علي وفي مناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنكم لتفرطون في علي وفي مناقبه ، فهل أنت تحدثني في علي بحديث؟

فقال حذيفة: يا ربيعة إنك لتسألني عن رجل والذي نفسي بيده لو وضع عمل جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله في كفة الميزان من يوم بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل علي يوماً واحداً في الكفة الأخرى لرجح عمله على جميع أعمالهم ! فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد !

فقال حذيفة: وكيف لا يُحتمل هذا يا ملكعان (يا أحمق) ! أين كان أبو بكر وعمر وحذيفة ثكلتك أمك ، وجميع أصحاب محمد يوم عمرو بن عبد ود ينادي للمبارزة ؟ فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً فقتله الله على يديه؟! والذي نفسي بيده لعمله ذلك اليوم أعظم عند الله من جميع أعمال أمة محمد إلى يوم القيامة».

وفي تفسير مجمع البيان: ٨/١٣١: «عن حذيفة قال: فألبسه رسول الله صلى الله عليه وآله درعه ذات الفضول ، وأعطاه سيفه ذا الفقار ، وعممه عمامته السحاب ، على رأسه تسعة أكوار ، ثم قال له: تقدم ، فقال لما ولى: اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوق رأسه ، ومن تحت قدميه .

قال ابن إسحاق: فمشى إليه وهو يقول: لاتعجلن فقد أتاك.. مجيب صوتك غير عاجز.. الى آخر الأبيات.. قال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي . قال: ابن عبد مناف؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك ، فإني أكره أن أهرق دمك !

فقال علي عليه السلام: لكني والله ما أكره أن أهرق دمك ! فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مغضباً ، فاستقبله علي بدرقته ، فضربه عمرو بالدرقة فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ! وضربه علي على حبل العاتق ، فسقط».

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ١٠/٢، بسنده عن حذيفة ، قال:« لما كان يوم الخندق عبر عمرو بن عبد ود ، حتى جاء فوقع على عسكر النبي صلى الله عليه وآله فنادى البراز فقال رسول الله: أيكم يقوم إلى عمرو؟ فلم يقم أحد إلا علي بن أبي طالب فإنه قام فقال له النبي: أجلس ، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: أيكم يقوم إلى عمرو ؟ فلم يقم أحد ، فقام إليه علي فقال: أنا له. فقال النبي: أجلس ، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه: أيكم يقوم إلى عمرو ؟ فلم يقم أحد ، فقام علي فقال: أنا له. فدعاه النبي صلى الله عليه وآله فقال: إنه عمرو بن عبد ود. قال: وأنا علي بن أبي طالب ، فألبسه درعه ذات الفضول وأعطاه سيفه ذا الفقار وعممه بعمامته السحاب على رأسه تسعة أكوار ، ثم قال له: تقدم ، فقال النبي صلى الله عليه وآله لما ولى: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه.

فجاء حتى وقف على عمرو فقال: من أنت ؟ فقال عمرو: ما ظننت أني أقف موقفا أجهل فيه ، أنا عمرو بن عبد ود ؟ فمن أنت ؟ قال: أنا علي بن أبي طالب فقال: الغلام الذي كنت أراك في حجر أبي طالب ؟ قال: نعم. قال: إن أباك كان لي صديقاً وأنا أكره أن أقتلك ! فقال له علي: لكني لا أكره أن أقتلك ، بلغني أنك

تعلقت بأستار الكعبة وعاهدت الله عز وجل أن لا يخيرك رجل بين ثلاث خلال إلا اخترت منها خلة ؟ قال: صدقوا.

قال: إما أن ترجع من حيث جئت. قال: لا تحدث بها قريش. قال: أو تدخل في ديننا فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا. قال: ولا هذه. فقال له علي: فأنت فارس وأنا راجل ! فنزل عن فرسه وقال: ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا الغلام ! ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت ثم أقبل إلى علي وكان رجلاً طويلاً يداوي دبر البعيرة ، وهو قائم وكان علي عليه السلام في تراب دق لا يثبت قدماه عليه ، فجعل علي ينكص إلى ورائه يطلب جلداً من الأرض يثبت قدميه ، ويعلوه عمرو بالسيف وكان في درع عمرو قصر فلما تشاك بالضربة تلقاها علي بالترس فلحق ذباب السيف في رأس علي عليه السلام حتى قطعت تسعة أكوار حتى خط السيف في رأس علي وتسيَّف عليٌّ رجليه بالسيف من أسفل فوقع على قفاه ، فثارت بينهما عجاجة فسمع علي عليه السلام يكبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قتله والذي نفسي بيده !

فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب ، فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو فكبر عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله قتله ! فحز عليٌّ رأسه ثم أقبل يخطر في مشيته ، فقال له رسول الله: يا علي إن هذه مشية يكرهها الله عز وجل إلا في هذا الموضع. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: ما منعك من سلبه فقد كان ذا سلب؟ فقال: يا رسول الله: إنه تلقاني بعورته .

فقال النبي صلى الله عليه وآله: أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم وذلك إنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو» . والصحيح من السيرة: ٣٣٣/٩، وبعضه المناقب: ٣٢٤/٢).

١٣- رواية تفسير القمي لمبارزة علي لعمرو

قال علي بن إبراهيم القمي رحمه الله في تفسيره:١٨٢/٢:«وركز عمرو بن عبد ود رمحه في الأرض وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول: ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز...الأبيات.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أنا له يا رسول الله ، فقال: يا علي هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل ! قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أدن مني فدنا منه فعممه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار فقال له: إذهب وقاتل بهذا ، وقال: اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوقه ، ومن تحته. فمر أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيه وهو يقول: لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز...الأبيات.. فقال له عمرو من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وختنه فقال: والله إن أباك كان لي صديقاً قديماً وإني أكره أن أقتلك ! ما أمن ابن عمك حين بعثك إليَّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حيٌّ ولا ميت ؟!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار ، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة !

فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي؟ تلك إذا قسمة ضيزى !

قال علي عليه السلام: دع هذا يا عمر ، وإني سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول لا يعرضن علي أحد في الحرب ثلاث خصال إلا أجبته إلى واحدة منها ، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال ، فأجبني إلى واحدة ! قال: هات يا علي ! قال: أحدها تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قال: نحِّ عني هذه ، فاسأل الثانية ، فقال: أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره. فقال: إذاً تتحدث نساء قريش بذلك ، وتنشد الشعراء في أشعارها أني جبنت ورجعت على عقبي من الحرب ، وخذلت قوماً رأسوني عليهم !

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فالثالثة أن تنزل إليَّ فإنك راكب وأنا راجل حتى أنابذك ، فوثب عن فرسه وعرقبه وقال: هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني عليها ، ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف على رأسه فاتقاه أمير المؤمنين بدرقته فقطعها وثبت السيف على رأسه.

فقال له علي عليه السلام: يا عمرو أما كفاك أني بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت عليَّ بظهير ؟! فالتفت عمرو إلى خلفه فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه قطعهما جميعاً ، وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون قتل علي بن

أبي طالب ، ثم انكشف العجاجة فنظروا فإذا أمير المؤمنين على صدره قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه ، فذبحه ثم أخذ رأسه وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو ، وسيفه يقطر منه الدم ، وهو يقول والرأس بيده:

أنا عليٌّ وابن عبد المطلبْ الموت خيرٌ للفتى من الهربْ

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليُّ ماكرتَهُ ؟ قال: نعم يا رسول الله ، الحرب خُدعة . وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الزبير إلى هبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلق هامته. وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب ، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً فقال ضرار: ويحك يا ابن صهاك أترميني في مبارزة؟! والله لئن رميتني لا تركتُ عدوياً بمكة إلا قتلته ! فانهزم عنه عمر ومرَّ نحوه ضرار وضربه على رأسه بالقناة ثم قال: إحفظها يا عمر ؟ فاني آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت عليه ، فكان عمر يحفظ له ذلك بعدما وليَ فولاه » !

أقول: هذه الرواية تشبه رواية حذيفة ، وروى الواقدي وابن إسحاق وغيرهما أن علياً عليه السلام ضربه على ترقوته فوصل السيف الى خاصرته ، ويبدو أن ذلك عندما خدعه فالتفت عمرو ليرى الظهير ! ولعله ثنى له بضربة على ساقيه فسقط !

وفي تفسير القمي: ٤٢٢/٢ ، عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «يَقُولَ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً: قال: «هو عمرو بن عبد ود حين عرض عليه علي بن أبي طالب عليه السلام الإسلام يوم الخندق قال: فأين ما أنفقت فيكم مالاً لبداً ؟ وكان أنفق مالاً في الصد عن

سبيل الله. وروي أنهم وجدوا جمجمة عمرو بن ود فكيلت بها كيلجة فاستوعبتها ! (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا/٦٩) والكيلجة صاع إلا يسيراً (المحلى: ٥٢٤٥).

ويبدو أن المشركين دفنوه ، لأنهم أرادوا أن يشتروا جثته من النبي صلى الله عليه وآله بعشرة آلاف فقال: هو لكم ، لانأكل ثمن الموتى ! (مناقب آل أبي طالب: ١٧١/١).

١٤- أخ عمرو بن ود واجه علياً عليه السلام في مكة!

أرسل النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر ليبلغ سورة براءة الى المشركين ، فنزل جبرئيل بأمر الله تعالى: لايؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ! (أحمد:١٥١/١، وفتح الباري: ٢٤١/٨، والخصال/٣٦٩). فأمر بإرجاع أبي بكر فأرجعوه من الطريق ، وأرسل بها علياً عليه السلام، فدخل عليٌّ مكة وكان تحدياً كبيراً لقريش ، ووقف في الموسم يقرأ عليهم سورة براءة. قال الإمام الباقر عليه السلام إنه لما قرأ قوله تعالى: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي الأرض أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.. قام خداش وسعيد أخوا عمرو بن ود فقال: وما يسرُّنا على أربعة أشهر ، بل برئنا منك ومن ابن عمك فليس بيننا وبين ابن عمك إلا السيف والرمح ، وإن شئت بدأنا بك ! فقال علي عليه السلام: أجل أجل ، إن شئت ، هلموا ! ثم واصل عليه السلام تلاوته: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ. (المناقب:٣٩٢/١، وإقبال الأعمال: ٤١/٢).

١٥- شَبَّه الإمام الصادق عليه السلام يوم الأحزاب عليهم بيوم القيامة !

روى في الكافي: ٨/ ٢٧٨ ، بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « قام رسول الله صلى الله عليه وآله على التل الذي عليه مسجد الفتح في غزوة الأحزاب في ليلة ظلماء قَرَّة (باردة) فقال: من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة فلم يقم أحد ، ثم أعادها فلم يقم أحد ! فقال أبو عبد الله عليه السلام بيده: وما أراد القوم ؟! أرادوا أفضل من الجنة ؟!

ثم قال: من هذا؟ فقال: حذيفة. فقال: أما تسمع كلامي منذ الليلة ، ولا تَكَلَّم ، أقُبِرت ؟ فقام حذيفة و هو يقول: القَرُّ والضُّرُّ ، جعلني الله فداك منعني أن أجيبك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنطلق حتى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم !

فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى ترده ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حذيفة لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ، فأخذ سيفه وقوسه وحجفته . قال حذيفة: فخرجت وما بي من ضر ولا قر فمررت على باب الخندق ، وقد اعتراه المؤمنون والكفار .

فلما توجه حذيفة قام رسول الله صلى الله عليه وآله ونادى: يا صريخ المكروبين ، ويا مجيب المضطرين ، إكشف همي وغمي وكربي ، قد ترى حالي وحال أصحابي.

فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله ، إن الله عز ذكره قد سمع مقالتك ودعاءك ، وقد أجابك وكفاك هول عدوك ، فجثى رسول الله صلى الله عليه وآله على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه ، ثم قال: شكراً شكراً ، كما رحمتني ورحمت أصحابي.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد بعث الله عز وجل عليهم ريحاً من السماء الدنيا فيها حصى ، وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل .

قال حذيفة: فخرجت فإذا أنا بنيران القوم ، وأقبل جند الله الأول ريح فيها حصى فما تركت لهم ناراً إلا أذرتها ، ولا خباءً إلا طرحته ، ولا رمحاً إلا ألقته ! حتى جعلوا يتترسون من الحصى ! فجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة ، فجلس حذيفة بين رجلين من المشركين ، فقام إبليس في صورة رجل مطاع في المشركين فقال: أيها الناس إنكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذاب ، ألا وإنه لن يفوتكم من أمره شئ ، فإنه ليس سنة مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فارجعوا ولينظر كل رجل منكم من جليسه !

قال حذيفة: فنظرت عن يميني فضربت بيدي فقلت: من أنت؟ فقال: معاوية ، فقلت للذي عن يساري: من أنت؟ فقال سهيل بن عمرو !

قال حذيفة: وأقبل جند الله الأعظم ، فقام أبو سفيان إلى راحلته ، ثم صاح في قريش: النجاء النجاء ! وقال طلحة الأزدي: لقد زادكم محمد بشر ، ثم قام إلى راحلته وصاح في بني أشجع: النجاء النجاء ! وفعل عيينة بن حصن مثلها ، ثم فعل الحرث بن عوف المزني مثلها ! ثم فعل الأقرع بن حابس مثلها !

وذهب الأحزاب ورجع حذيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر ! وقال أبو عبد الله عليه السلام: إنه كان ليشبه يوم القيامة » !

وفي تفسير القمي: ١٨٧/٢: « ثم قال أبو سفيان لخالد بن الوليد: يا أبا سليمان ، لابد من أن أقيم أنا وأنت على ضعفاء الناس . ثم قال: إرتحلوا إنا مرتحلون ، ففروا منهزمين ! فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: لاتبرحوا . فلما طلعت الشمس دخلوا المدينة ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله في نفر يسير .

وكان ابن فرقد الكناني رمى سعد بن معاذ رحمه الله بسهم في الخندق فقطع أكحله ، فنزفه الدم فقبض سعد على أكحله بيده ثم قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فلا أجد أحب إلي محاربتهم من قوم حادوا الله ورسوله ، وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قريش فاجعلها لي شهادة ، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة ، فأمسك الدم وتورمت يده ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وآله له في المسجد خيمة ، وكان يتعاهده بنفسه فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً. إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ . يعني بني قريظة حين غدروا وخافهم أصحاب رسول الله .

وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا.. الى قوله: إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَاراً: وهم الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: تأذن لنا نرجع إلى منازلنا فإنها في أطراف المدينة ونخاف اليهود عليها ، فأنزل الله فيهم: وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لامُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَاراً..الى قوله: وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً: ونزلت هذه الآية في فلان لما قال لابن عوف: هلم ندفع محمداً إلى قريش ونلحق نحن بقومنا !

ثم وصف الله المؤمنين المصدقين بما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وما يصيبهم في الخندق من الجهد فقال: وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَازَادَهُمْ إلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا. يعني ذلك البلاء والجهد والخوف.

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ: أي لا يفروا أبداً ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، أي أجله ، وهو حمزة وجعفر بن أبي طالب. وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ، أجله يعني علياً عليه السلام».

١٦- ضربة علي عليه السلام غيّرت ميزان القوى !

فرح النبي صلى الله عليه وآله بقتل علي عليه السلام لعمرو بن ود ، وأخبر بأن ميزان القوى قد تغير ! فكان الأمر كما أخبر . قال جابر بن عبد الله الأنصاري:« فما شبهت قتل علي عمراً إلا بما قال الله تعالى من قصة داود وجالوت ، حيث يقول: فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتله: الآن نغزوهم ولايغزوننا». (إعلام الورى: ٣٨٢/١ ، والإرشاد: ١٠٢/١، وكنز الفوائد/١٣٨، وبعض مصادرهم كالحاكم: ٣٤/٣ ، وسبل الهدى: ٣٧٩/٤، والخوارزمي/١٧١ ، عن يحيى بن آدم ، ولا بد أنه عن جابر .

وفي الإرشاد:١٠٦/١، والمناقب:٩٥/١، أن النبي صلى الله عليه وآله قال عندما قتل علي عليه السلام عمرو بن ود:« الآن نغزوهم ولا يغزوننا». لكن بخاري جعل قوله هذا حين أجلى الأحزاب (٤٨/٥) ، وجعله أحمد (٦٢/٤) عند انصرافه من الخندق !

وفي شرح النهج: ٦٢/١٩: « وفي الحديث المرفوع أن رسول الله ﷺ قال يوم قتل عمرو: ذهبت ريحهم ، ولا يغزوننا بعد اليوم ، ونحن نغزوهم إن شاء الله ». ونحوها المناقب: /٩٥ ، ومسند أحمد:٢٦٢/٤ ، وتاريخ الطبري:٢٥٣/٢، والصحيح من السيرة:٣٨١/٩.

وأدرك رؤساء القبائل أن موجة الإسلام قادمة لامحالة ، فأخذوا يفكرون بالتقرب الى النبي ﷺ وإعلان إسلامهم ، ليتجنبوا الخسارة أو يكسبوا موقعاً !

وأخذت شخصيات قرشية تفكر بالإنضمام الى النبي ﷺ، لتأخذ موقعاً في دولته الجديدة المتوثبة ، فقال عمرو بن العاص لخالد بن الوليد:« والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكراً » ! (تاريخ الطبري: ٣١٣/٢). ووافقه خالد على ذلك ، وبعد مدة قليلة جاءا مسلمين بعد الحديبية .

١٧- رسالة أبي سفيان قبل هروبه بجيش الأحزاب !

عندما قرر الأحزاب الإنسحاب كتب أبو سفيان رسالة الى النبي ﷺ تدل على كبريائه ، وهذا نصها: « لقد سرت إليك في جمعنا وإنا نريد ألا نعود إليك أبداً حتى نستأصلك ! فرأيتك قد كرهت لقاءنا وجعلت مضايق وخنادق ، فليت شعري من علمك هذا ؟ فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد تبقر فيه النساء» !

وبعث بها مع أبي أسامة الجشمي ، فقرأها له أبيُّ بن كعب ، فكتب إليه ﷺ: «أما بعد فقديماً غرك بالله الغرور ، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم ، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر الله يحول بينك وبينه ، ويجعل

لنا العاقبة حتى لاتذكر اللات والعزى ! وأما قولك: من علمك الذي صنعنا من الخندق فإن الله تعالى ألهمني ذلك ، لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك. وليأتين عليك يوم تدافعني بالراح ! وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأساف ونائلة ، وهبل حتى أذكرك ذلك ». (الصحيح من السيرة: ٤٤٠/٩، والإمتاع: ٢٤٢/١).

١٨- إشادات النبي صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام يوم الأحزاب

روى المسلمون أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في الإشادة بعلي عليه السلام يوم الخندق وشهاداته بحقه: فمنها: أنه ألبسه درعه وأعطاه سيفه ذا الفقار وعممه بعمامته . ولما برز الى عمرو ومشى دعا له: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه .

ومنها: أنه رفع عمامته ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحرث يوم بدر ، وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد ، وهذا أخي علي بن أبي طالب ، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين .

ومنها: أنه علمه دعاء هو: اللهم بك أصول ، وبك أجول ، وبك أدرأ في نحره .

ومنها: عندما برز اليه قال صلى الله عليه وآله: برز الإيمان كله الى الشرك كله .

ومنها: عندما انتصر عليه وقتله أو بعد ذلك بمدة في مناسبات أخرى ، قال صلى الله عليه وآله: ضربة علي يوم الخندق تعدل عمل أمتي الى يوم القيامة . ضربة علي تعدل عند الله عمل الثقلين . ضربة علي أفضل عند الله من عمل الثقلين !

وأشهرها الحديثان الأخيران ، ولا يتسع الكتاب لبحثهما . راجع: الصحيح:٣٣٣/٩ و٣٤٠.

١٩- معنى قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: وإنك لذو قرنيها

روي أن ذا القرنين:« بعثه الله إلى قومه فضُرب على قرنه الأيمن فأماته الله خمس مائة عام ، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فأماته الله خمس مائة عام ، ثم بعثه الله إليهم بعد ذلك فملكه مشارق الأرض ومغاربها من حيث تطلع الشمس إلى حيث تغرب ». وروي عن علي عليه السلام أنه ذكره فقال: وإن فيكم مثله ».
(الإيقاظ/١٤٥، والدر المنثور: ٢٤١/٤، وفتح القدير:٣٠٩/٣).

وفي غريب الحديث لابن سلام:٨٠/٣:«ذكر ذا القرنين فقال: دعا قومه إلى عبادة الله فضربوه على قرنيه ضربتين ، وفيكم مثله. فنرى أنه أراد بقوله هذا نفسه ، يعني أني أدعو إلى الحق حتى أضرب على رأسي ضربتين يكون فيها قتلي ».

وفسره في القاموس:٢٥٨/٤، بأنه عليه السلام:« ذو شجتين في قرني رأسه ، إحداهما من عمر بن ود والثانية من ابن ملجم ».

وفي الحدائق: ٢٣٩/١٧:« إشارة إلى ضربة عمرو بن عبد ود في قضية الخندق ، ثم ضربة ابن ملجم لعنه الله».

وهذا يؤكد أن ضربة عمرو كانت على قرن رأسه عليه السلام. وفي رواية أن ضربة ابن ملجم وقعت على ضربة عمرو . (مناقب آل أبي طالب:٣٢٧/٢).

وفي لسان العرب: ٣٣٢/١٣ ، أن أبا عبيد اللغوي قال:«وأنا أختار هذا التفسير الأخير على الأول لحديث يروى عن علي رضي الله عنه، وذلك أنه ذكر ذا القرنين فقال: دعا قومه إلى عبادة الله فضربوه على قرنيه ضربتين وفيكم مثله ، فنرى أنه أراد

نفسه يعني أدعو إلى الحق حتى يضرب رأسي ضربتين يكون فيهما قتلي لأنه ضرب على رأسه ضربتين: إحداهما يوم الخندق والأخرى ضربة ابن ملجم».

وقد فسر بعضهم بذلك قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: « يا علي ، لك كنز في الجنة وأنت ذو قرنيها ، وشيعتك تعرف بحزب الله عز وجل ». (أمالي الصدوق/٦٥٦).

قال الراغب في المفردات/٤٠١: « وذو القرنين معروف ، وقوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: إن لك بيتاً في الجنة وإنك لذو قرنيها: يعني ذو قرني الأمة ، أي أنت فيهم كذي القرنين».

لكن ذكر الصدوق رحمه الله في معاني الأخبار/٢٠٦ ، أن معناه أنه والد الحسنين عليهما السلام لأنهما قرنا الجنة بمعنى قرطيها وزينتها . وفسره رحمه الله بوجه آخر: إنك صاحب الحجة على شرق الدنيا وغربها ، وآخذ بقرنيها. وهو مشكل.

كما تردد الشريف الرضي في المجازات النبوية/٨٧ ، في تفسيره بين معان ، فذكر قرني الجنة بطرفيها ، لأنه يبلغ غايات المشابين فيها ، أو بمعنى قرني الأمة بمعنى طرفيها فأنت في أولها والمهدي في آخرها ، أو بمعنى صاحب العلم الظاهر والباطن ، أو بمعنى أنك رأس الأمة لأن الرأس فيه القرنان ، أو المضروب مثله على قرنيه. وكلها لا تخلو من إشكال ، وإن كان الأخير أقلها إشكالاً.

وفسره السيد ابن طاووس في سعد السعود/٦٥، والحر العاملي في الإيقاظ/١٤٥، بأنه يقصد رجعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد موته كما رجع ذو القرنين بعد موته . وهو

مشكل كسابقه لأن ضربة ابن ملجم كانت على ضربة ابن ود ، وليست على قرنه الآخر ، ولم يغب بينهما ، ولأنه عليه السلام بعد الرجعة لايضرب على قرنه الآخر .

٢٠- النبي صلى الله عليه وآله يكشف علاقة عمر بقادة الأحزاب

لم أجد ذكراً لأبي بكر في غزوة الخندق ، لكن ورد ذكر عمر في أربع قضايا:

أولها: حديث عائشة المتقدم وأنه هرب من الخندق مع طلحة واختبآ في بستان وكان عمر يتخوف هزيمة الباقين وطلحة يقول لسنا هاربين بل متحيزون الى الله !

وثانيها: عندما عبر الخندق عمرو بن عبد ود وجماعته ، فأمر النبي صلى الله عليه وآله عمر أن يبرز لضرار بن الخطاب الفهري ، وكان أحد الذين عبروا مع ابن ود. ومن الغريب أن كُتَّاب السيرة وأغلب رواتها يحاولون تغطية مبارزته لضرار بن الخطاب وعفو ضرار عنه ، مع أن ذلك حدث مرتين في أحُد ثم في الخندق ! وقد روته مصادرنا ورواه الواقدي وابن هشام وابن عساكر وغيرهم ! بل رووا أن خالد بن الوليد عفا عن عمر في أحد ولم يقتله ! قال ابن هشام: ٢٨٢/٢: « وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: أنج يا بن الخطاب ، لا أقتلك ، فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه ».

وفي تاريخ دمشق: ٣٩٢/٢٤ و٣٩٦: « فكان (ضرار) يقاتل أشد القتال ويحرض المشركين بشعره ، وهو قتل عمرو بن معاذ أخا سعد بن معاذ يوم أحد ، وقال حين قتله لاتُعْدَمَنَّ رجلاً زوَّجك من الحور العين ! وكان يقول زوجت عشرة من

أصحاب محمد ! وأدرك عمر بن الخطاب فضربه بالقناة ثم رفعها عنه فقال: يا ابن الخطاب إنها نعمة مشكورة ، والله ما كنت لأقتلك ».

فما هو السبب في إخفاء أتباعه لذلك ؟ وما هو السبب في حب قادة قريش لابن الخطاب ، وهم الذين استماتوا لقتل النبي صلى الله عليه وآله وعترته ، وشخصيات أصحابه ؟!

ثم لماذا أمر النبي صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب العدوي أن يبرز الى ضرار بن الخطاب الفهري ، وهو يعلم أن ضراراً يحب عمر ، فقد ظفر به في أحُد وعمر هارب فضربه على ظهره بعرض رمحه وقال له: والله لا أقتلك ! فما معنى أمر النبي صلى الله عليه وآله له يوم الخندق أن يبرز الى ضرار ، فبرز اليه شكلياً فوضع ضرار رمحه على رأس عمر وقال له: والله لا أقتلك ! وسكت النبي صلى الله عليه وآله ولم يعلق بشئ !

بحث هذا الموضوع في الصحيح من السيرة (٢٣٥/٦) بعنوان: عمر في قفص الإتهام ! وذكر فيه قول ضرار حسب رواية الواقدي: « يا ابن الخطاب إنها نعمة مشكورة ، والله ما كنت لأقتلك ». ثم تساءل: لماذا ما كان ليقتله؟ أليس هو الذي أذل قريشاً كما يدعون وعز به الإسلام كما يزعمون؟

كما كان خالد بن الوليد يحدث وهو بالشام فيقول: لقد رأيتُني ورأيت عمر بن الخطاب حين جالوا وانهزموا يوم أحد وما معه أحد ، وإني لفي كتيبة خشناء فما عرفه منهم أحد غيري ، فنكبت عنه وخشيت إن أغريت به من معي أن يصمدوا له ، فنظرت إليه متوجهاً إلى الشعب !

فلماذا هذه المراعاة من خالد لعمر ومحافظته عليه ؟ ولماذا يهنئ أبو سفيان عمر بالنصر الذي أحرزوه على المسلمين ، ويقول له: أنعمت عيناً قتلى بقتلى بدر !

وما معنى قول أبي سفيان له: إنها قد أنعمت يا ابن الخطاب ! فأجابه عمر بقوله: إنها. فما هو الذي أيده فيه ووافقه عليه يا ترى ؟

وذكر صاحب الصحيح (٣٧٩/٩) قول الواقدي وابن أبي الحديد: «وناوش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو ، فحمل عليه ضرار حتى إذا وجد مس الرمح رفعه عنه وقال: إنها لنعمة مشكورة فاحفظها يا ابن الخطاب ، إني كنت آليت أن لا تمكنني يداي من قتل قرشي فأقتله.

لكن القمي ذكر للرواية نصاً آخر ، فقال: أمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب ، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً ، فقال ضرار: ويحك يا بن صهاك أترميني في مبارزة ! والله لئن رميتني لا تركت عدوياً بمكة إلا قتلته ! فانهزم عنه عمر ومر نحوه ضرار وضربه على رأسه بالقناة ، ثم قال إحفظها يا عمر فإنني آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت عليه ! فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولي ، فولاه ».

والقضية الثالثة: التي ذكر فيها عمر في الخندق ، أنه أخبر النبي ﷺ بنقض بني قريظة عهدهم ، فمن أين عرف ذلك ؟ راجع: الصحيح من السيرة: ٢٧٠/٩.

والقضية الرابعة: عندما غاب بعد قتل عمرو بن ود ، وكان الوقت ظهراً ، فغاب حتى المغرب ، وجاء من جهة الخندق وقال إنه كان يسب قريشاً الى المغرب وكادت تفوته الصلاة ! وروى البخاري ذلك بعدة روايات ، وتقدم زعمهم أن النبي ﷺ فاتته الصلاة كعمر !

والجواب على التساؤلات في الموضوع: أن النبي صلى الله عليه وآله كان يعلم بعلاقة عمر مع زعماء الأحزاب والمحبة بينهم ، ولكنه أراد أن يفهم المسلمون ذلك !

ومن الغريب أن عمر كان قبل يوم فاراً مع طلحة في الحديقة التي آوت اليها عائشة وفيها نساء وأطفال ، وأن سعداً مر في ذلك اليوم ، ولما وصل الى الخندق أصيب . وفي اليوم التالي لإصابة سعد كان عمر عند الخندق عندما عبره ابن ود وجماعته ، ولعله رجع من الحديقة التي رأته فيها عائشة وبقي طلحة هناك .

وقد ورد أن عمر كان يحب ضراراً فولاه في العراق والشام ، وشكاه أبو عبيدة بأنه يشرب الخمر فلم يعزله !

وكان عمر يحب شعر ضرار ويأمر المغني في طريق الحج أن يغنيه به ، فقال ابن عوف لرباح المغني: « غننا ، فقال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب » ! (الإصابة: ٣٩٢/٣).

ويظهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله أمر عمر بمبارزة ضرار بعد أن دعاه عمرو بن ود باسمه للمبارزة ، فارتعب وتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ! فأراد أن ينفس عنه لأنه يعرف أن ضراراً لا يقتله !

قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في كتاب سليم بن قيس/٢٤٧: « وقد علموا يقيناً أني أعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه وأفقههم وأقرأهم لكتاب الله ، وأقضاهم بحكم الله ، وأنه ليس رجل من الثلاثة له سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عناء معه في جميع مشاهده ، فلا رمى بسهم ولا طعن برمح ولا ضرب بسيف ، جبناً ولؤماً ، ورغبة في البقاء .

وقد علموا أن رسول الله ﷺ قاتل بنفسه فقتل أبي بن خلف ، وقتل مسجع بن عوف وكان من أشجع الناس وأشدهم لقاء وأحقهم بذلك.

وقد علموا يقيناً أنه لم يكن فيهم أحد يقوم مقامي، ولا يبارز الأبطال ، ولا يفتح الحصون غيري ، ولا نزلت برسول الله ﷺ شديدة قط ولا كربةُ أمرٌ ولا ضيق ومستصعب من الأمر إلا قال: أين أخي علي ، أين سيفي ، أين رمحي ، أين المفرج غمي عن وجهي ، فيقدمني فأتقدم فأفديه بنفسي ، ويكشف الله بيدي الكرب عن وجهه. ولله عز وجل ولرسوله بذلك المن والطول حيث خصني بذلك ووفقني له. وإن بعض من سميت ما كان ذا بلاء ولا سابقة ولا مبارزة قرن ، ولا فتح ولا نصر ، غير مرة واحدة ، ثم فر ومنح عدوه دبره ، ورجع يجبن أصحابه ويجبنونه ، وقد فر مراراً فإذا كان عند الرخاء والغنيمة تكلم وتغير ، وأمر ونهى.

ولقد نادى ابن عبد ود يوم الخندق باسمه ، فحاد عنه ولاذ بأصحابه حتى تبسم رسول الله ﷺ مما رآى به من الرعب وقال ﷺ: أين حبيبي علي؟ تقدم يا حبيبي يا علي... والله يحكم بيننا وبين من ظلمنا حقنا ، وحمل الناس على رقابنا ».

أقول: ذكر عليه السلام أن النبي ﷺ قتل شخصين بيده ، وهما أبي بن خلف ، وهو المعروف بابن قميئة ، حمل في أحُد على النبي ﷺ ليقتله فطعنه النبي ﷺ بحربة في عنقه فمات منها في مكة . أما مسجع بن عوف فلم نجده فيما لدينا من مصادر.

٢١- طعنوا بالنبي صلى الله عليه وآله بأنه فاتته أربع صلوات !

زعموا أن النبي صلى الله عليه وآله انشغل عن الصلاة في معركة الأحزاب حتى ذهب وقتها ! فقد روى البخاري:١٤٧/١: «أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس ، فجعل يسب كفار قريش ! قال: يا رسول الله ماكدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب؟ قال النبي(ص): والله ما صليتها ، فقمنا إلى بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب» !

أقول: معنى ذلك أن الحادثة كانت في يوم قتل علي لعمرو بن ود وهبوب الريح عليهم وكانت يوم أربعاء ! وأن النبي صلى الله عليه وآله لم يصل ذلك اليوم العصر، أو فاتته أربع صلوات كما زعمت بعض رواياتهم !

وأن عمر ذهب الى الخندق قبل صلاة العصر ، وكان مقابله قرشيون فكان يسبهم ويسبهم الى قريب المغرب ، ولم يضرب أحد منهم الآخر بسهم كما ضربوا سعد بن معاذ ، ولا بحجر كما هو دأبهم ودأب المسلمين الذين يواجهونهم ! ثم رجع عمر سالماً غانماً وأدرك صلاة العصر على حافة الوقت ، فحكى ذلك للنبي صلى الله عليه وآله فقال له أنت خير مني لأني لم أصلها أبداً !

فرجعوا الى المدينة مساء ذلك اليوم والمسافة من الخندق الى المدينة نحو ساعة فوصلوا الى بطحان وهو واد متصل بالمدينة (فتح الباري: ٣٤٧/٢) فانتظروا النبي صلى الله عليه وآله حتى صلى العصر التي فاتته وصلوا المغرب معه !

وهذه القصة والمنقبة التي رواها عمر لنفسه لاتصح ، لأن رجوعهم الى المدينة كان في الصباح ووصلوا قبل الظهر أو معه ، فنزل جبرئيل وأمرهم بحرب بني قريظة ، فقال النبي ﷺ لاتصلوا الظهر إلا في بني قريظة.

ولا تصح أيضاً ، لأن النبي ﷺ كان في خيمته بعد قتل عمرو ، وواصل دعاءه حتى هبت الريح على الأحزاب ، وفي تلك الليلة بعث حذيفة واستطلع خبرهم .

ولا تصح أيضاً ، لأنها تنافي العصمة ، وصفات النبي ﷺ وعبوديته الكاملة لربه.

ولأن النبي ﷺ لو انشغل عن صلاته لانشغل الذين كانوا معه ، فكيف فاتته من دونهم ،كما فاتت عمر دونهم ، لأنه ذهب الى نقطة من الخندق !

والذي يصح أن عمر ذهب بعد قتل عمرو والتقى ببعض المشركين وتحدث معهم في نقطة من الخندق، وما سبهم ولا سبوه ، ففاتته الصلاة ، وأراد أن يخفف عن نفسه أو يبرر ذلك لمن لامه ، فقال إن النبي ﷺ فاتته الصلاة مثله ! وأنه هو صلاها قرب مغيب الشمس ، بينما لم يصلها النبي ﷺ حتى غابت !

قال المحقق البحراني قدس سره في الحدائق الناضرة: ٣٧٣/٧: « الرواية عن النبي ﷺ وأنه شغل عن أربع صلوات يوم الخندق ، إنما هي من طرق المخالفين وليس في أخبارنا لها أثر ولا توافق أصولنا ». راجع: ألف سؤال وإشكال: ١٧١/١، فصل: قرشيات البخاري في الطعن بنبينا ﷺ، أسوأ من الإسرائيليات !

٢٢- من شعر غزوة الأحزاب ومبارزة علي عليه السلام لعمرو بن ود

روى ابن إسحاق وابن هشام (٧٢٣/٣) وغيرهما كثيراً من شعر حرب الخندق ، ومبارزة علي عليه السلام لابن ود ، وأورد بعضها في الصحيح (٣٨٢/٩) .

قال ضرار بن الخطاب الفهري:

ومشــفقة تظــن بنــا الظنونــا وقــد قــدنا عرندســة طحونــا
كــأن زهاءهــا أحــد إذا مــا بــدت أركانــه للناظرينــا
ترى الأبدان فيها مسبغات ، على الأبطــال واليلــب الحصــينا
وجــرداً كالقــداح مســوماتٍ نــؤم بهــا الغــواة الخاطئينــا
كــأنهم إذا صــالوا وصــلنا بباب الخنــدقين مصــافحونا
أناس لا نرى فيهم رشيداً وقد قــالوا: ألســنا راشــدينا
فأحجرنــاهم شــهراً كريتــاً وكنــا فــوقهم كالقاهرينــا
نــراوحهم ونغــدو كــل يــوم علــيهم فــي الســلاح مــدججينا
بأيــدينا صــوارم مرهفــات نقــد بهــا المفــارق والشــئونا
كــأن وميضــهن معريــات إذا لاحــت بأيــدي مصــلتينا
ومــيضُ عقيقــة لمعــت بليــلٍ تــرى فيهــا العقــائق مســتبينا
فلــولا خنــدق كــانوا لديــه لــدمرنا علــيهم أجمعينــا
ولكــن حــال دونهــم وكــانوا بــه مــن خوفنــا متعوذينــا
فــإن نرحــل فإنــا قــد تركنــا لــدى أبيــاتكم ســعداً رهينــا
إذا جن الظــلام ســمعت نــوحى علــى ســعد يــرجعن الحنينــا
وســوف نــزوركم عمــا قريــب كمــا زرنــا كــم متوازرينــا
بجمــع مــن كنانــة غيــر عــزل كأسد الغاب قد حمــت العرينــا

فأجابه كعب بن مالك الأنصار:

وســائلة تســائل مــا لقينــا ولــو شــهدت رأتنــا صــابرينا

صبرنا لا نرى لله عدلاً ... على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبي وزير صدق ... به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشراً ظلموا وعقوا ... وكانوا بالعداوة مرصدينا
ترانا في فضافض سابغات ... كغدران الملا متسربلينا
وفي أيماننا بيض خفاف ... بها نشفي مراح الشاغبينا
بباب الخندقين كأن أسداً ... شوابكهن يحمين العرينا
فوارسنا إذا بكروا وراحوا ... على الأعداء شوساً معلمينا
لننصر أحمداً والله حتى ... نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا ... وأحزاب أتوا متحزبينا
بأن الله ليس له شريك ... وأن الله مولى المؤمنينا
فإما تقتلوا سعداً سفاهاً ... فإن الله خير القادرينا
سيدخله جناناً طيبات ... تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريداً ... بغيظكم خزايا خائبينا

وقال مسافع الجمحي يبكي عمرو بن عبد ود:

عمرو بن عبد كان أول فارسٍ ... جزع المذاد وكان فارس يليلِ
سمحُ الخلائق ماجدٌ ذو مرة ... يبغي القتال بشكة لم ينكل
ولقد علمتم حين ولوا عنكم ... أن ابن عبد فيهم لم يعجل
حتى تكنفه الكماة وكلهم ... يبغي مقاتله وليس بمؤتلي
ولقد تكنفت الأسنة فارساً ... بجنوب سلع غير نكس أميل
تسل النزال عليٌّ فارس غالب ... بجنوب سلع ليته لم ينزل
فاذهب عليٌّ فما ظفرت بمثله ... فخراً ولا لاقيت مثل المعضل

نفسي الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت لم يتحلحل

ومن شعر المتأخرين للشيخ كاظم الأزري رحمه الله من قصيدته الأزرية/١٢٤:

ظهرت منه في الوغى سطواتٌ ما أتى القوم كلهم ما أتاها

يوم غصت بجيش عمرو بن ود لهوات الفلا وضاق فضاها

وتخطى إلى المدينة فرداً بسرايا عزائمٍ ساراها

فدعاهم وهو ألوفٌ ولكن ينظرون الذي يشبُّ لظاها

أين أنتم عن قسورٍ عامريٍّ تتقي الأسد بأسه في شراها

فابتدى المصطفى يحدث عما تؤجر الصابرون في أخراها

قائلاً ان للجليل جناناً ليس غير المجاهدين يراها

أين من نفسه تتوق إلى الجنات أو يورد الجحيم عداها

من لعمرو وقد ضمنت على الله له من جنانه أعلاها

فالتووا عن جوابه كسوام لا تراها مجيبة من دعاها

وإذا هم بفارس قرشي ترجف الأرض خيفةً إذ يطاها

قائلاً مالها سواي كفيل هذه ذمة علي وفاها

ومشى يطلب الصفوف كما تمشي خماص الحشا إلى مرعاها

فانتضى مشرفيه فتلقى ساق عمرو بضربة فبراها

والى الحشر رنة السيف منه يملأ الخافقين رجع صداها

يا لها ضربة حوت مكرمات لم يزن ثقل أجرها ثقلاها

هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها ».

غزوة بني قريظة

١- بنو قريظة آخر من أجلاهم النبي صلى الله عليه وآله من يهود المدينة

كان بنو قينقاع أول اليهود الذين نقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، فأجلاهم عن المدينة ، وكانوا صاغة ولهم سوق الذهب قرب المدينة . وكان بنو قريظة ملاصقين للمدينة شرقي قباء (حرة قريظة) وبساتينهم في وادي مهزور ، وبساتين النضير في وادي بطحان ، وهما أخصب أودية المدينة. (معجم البلدان: ٤٤٦/١).

وكانت قريظة والنضير أبناء عم لأنهم من ذرية هارون عليه السلام ، لذا أخذ الحاخام حي بن أخطب رئيس بني النضير يلح عليهم أن ينقضوا عهدهم مع النبي حتى نقضوه وأعلنوا تحالفهم مع الأحزاب الذين كانوا يحاصرون المدينة.

وكانت الخطة أن تهاجم قريظة المدينة من شرقها ، والأحزاب من غربها فيحتلوها ! لكن قريظة طلبت من الأحزاب رهائن ، حتى لاينسحبوا ويتركوهم وحدهم في مواجهة النبي صلى الله عليه وآله ، فلم يعطوهم ، حتى كانت هزيمة الأحزاب !

وما أن رجع النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة ، حتى نزل جبرئيل وأمره بغزو بني قريظة .

٢- بعث النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أمامه فحاصر بني قريظة

كانت غزوة قريظة في أواخر سنة أربع للهجرة ، بعد هزيمة الأحزاب مباشرة ، وروي أن النبي صلى الله عليه وآله خرج لغزوة قريظة يوم السبت لأيام مضت من ذي القعدة وحاصرهم خمساً وعشرين يوماً. (المحبر/١١٣، و البلاذري: ٣٧٤/١).

وروى في قرب الإسناد/١٥٧، عن الإمام الباقر عليه السلام: « أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث علياً يوم بني قريظة بالراية وكانت سوداء تدعى العقاب ، وكان لواؤه أبيض ».

وفي بصائر الدرجات/٣٤٢، عن ابن أبي يعفور قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنا نقول إن علياً كان ينكت في قلبه أو صدره أو في أذنه. فقال: إن علياً عليه السلام كان محدَّثاً. قلت: فيكم مثله؟ قال: إن علياً عليه السلام كان محدثاً ، فلما أن كررت عليه قال: إن علياً يوم بني قريظة والنضير كان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره يحدثانه» !

وفي المناقب:١/١٧٢: « فلما رأوا علياً قالوا: أقبل عليكم قاتل عمرو ! فقال علي: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك ، فحاصرهم النبي خمساً وعشرين ليلة فقال كعب بن أسد: يا معشر اليهود نبايع هذا الرجل وقد تبين أنه نبي مرسل ، قالوا: لا ، قال: فنقتل أبناءنا ونساءنا وتخرج إليه مُصْلِتين ، قالوا: لا ، قال: فنثب عليه وهو يأمن علينا لأنها ليلة السبت ، قالوا: لا.

فاتفقوا على أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، وكان سعد أصاب أكحله نبلة في الأحزاب فقال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقني لحربهم ، وإن كنت دفعتها فاجعلها لي شهادة و، لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة. قال الصادق عليه السلام: فحكم فيهم يعني سعداً بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء وقسمة الأموال ، وأن يجعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبعة أرقعة... فقتل منهم أربعمائة وخمسين رجلاً ، وقسم الأموال واسترق الذراري».

وقال ابن هشام (٧٢٠/٣): « حدثني من أثق به من أهل العلم أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان ! وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة ، أو لأفتحن حصنهم ، فقالوا: يامحمد ننزل على حكم سعد».

وفي الصحيح من السيرة: ٧١/١١ ، ما حاصله:«أن النبي صلى الله عليه وآله نزل على بئر من آبارهم في أول أرض بني قريظة عند بئر يقال لها: (أنا) وربط دابته بالسدرة التي في أرض مريم ابنة عثمان ، وضرب قبته هناك ، وشرب من البئر ، وصلى في المسجد الذي هناك ، وتلاحق به الناس. وحصلت لرسول الله صلى الله عليه وآله كرامة حيث لم يكن للمسلمين معسكر ينزلون فيه فقال: ما لكم لا تنزلون ؟! فقالوا: ما لنا مكان ننزل به من اشتباك النخل ، فوقف في طريق بين النخل فأشار بيده يمنة ثم يسرة ، فانضم النخل بعضه إلى بعض ، واتسع لهم الموضع فنزلوا ».

وقال في إعلام الورى:١٩٤/١:« وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله (بعد الخندق) بالمسلمين حتى دخل المدينة ، فضربت ابنته فاطمة عليها السلام غسولاً حتى تغسل رأسه ، إذ أتاه جبرئيل على بغلة معتجراً بعمامة بيضاء، عليه قطيفة من استبرق ، معلق عليها الدر والياقوت عليه الغبار ، فقام رسول صلى الله عليه وآله فمسح الغبار عن وجهه ، فقال له جبرئيل: رحمك ربك وضعت السلاح ولم يضعه أهل السماء ! ما زلت أتبعهم حتى بلغتُ الروحاء ! ثم قال جبرئيل: إنهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب ، فوالله لأدقنهم دق البيضة على الصخرة ! فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فقال: قدم راية المهاجرين إلى بني

قريظة وقال: عزمت عليكم أن لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة. فأقبل علي عليه السلام ومعه المهاجرون وبنو عبد الأشهل وبنو النجار كلها لم يتخلف عنه منهم أحد ، وجعل النبي صلى الله عليه وآله يُسَرِّب إليه الرجال ، فما صلى بعضهم العصر إلا بعد العشاء ، فأشرفوا عليه وسبُّوه ، وقالوا: فعل الله بك وبابن عمك ، وهو واقف لايجيبهم ، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون حوله تلقاه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لا تأتهم يا رسول الله جعلني الله فداك ، فإن الله سيجزيهم ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم قد شتموه ، فقال: أما إنهم لو رأوني ما قالوا شيئاً مما سمعت ! وأقبل ثم قال: يا إخوة القردة ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ! ياعباد الطاغوت إخسؤوا ، أخساكم الله ! فصاحوا يميناً وشمالاً: يا أبا القاسم ما كنت (سباباً) فما بدا لك؟ قال الصادق عليه السلام: فسقطت العنزة من يده ، وسقط رداءه من خلفه ، ورجع يمشي إلى ورائه حياء مما قال لهم ! فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ».

وفي الإرشاد: ١٠٩/١: « ولما انهزم الأحزاب وولوا عن المسلمين الدبر ، عمل رسول الله صلى الله عليه وآله على قصد بني قريظة ، وأنفذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج ، فقال له: أنظر بني قريظة هل تركوا حصونهم؟ فلما شارف سورهم سمع منهم الهجر ، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره ، فقال: دعهم فإن الله سيمكن منهم ، إن الذي أمكنك من عمرو بن عبد ود لايخذلك ، فقف حتى يجتمع الناس إليك وأبشر بنصر الله ، فإن الله قد نصرني بالرعب بين يدي مسيرة

شهر. قال علي عليه السلام: فاجتمع الناس إلي وسرت حتى دنوت من سورهم ، فأشرفوا علي فحين رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو ، وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو ، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك ، وألقى الله في قلوبهم الرعب ، وسمعت راجزاً يرجز:

قتل عليٌّ عمراً صاد علي صقراً.. قصم علي ظهراً أبرم علي أمراً هتك علي ستراً !

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك .

وكان النبي صلى الله عليه وآله قال لي حين توجهت إلى بني قريظة: سر على بركة الله ، فإن الله قد وعدك أرضهم وديارهم. فسرت مستيقناً لنصر الله عز وجل ، حتى ركزت الراية في أصل الحصن... وأقام النبي صلى الله عليه وآله محاصراً لبني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتى سألوه النزول على حكم سعد بن معاذ ، فحكم فيهم سعد بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء ، وقسمة الأموال. فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة».

وستعرف أنه حكم بقتل المقاتلين والمحرضين على النبي صلى الله عليه وآله فقط .

٣- نموذج من التفكير اليهودي الجهنمي !

كان بنو قريظة يعرفون جدية النبي صلى الله عليه وآله في محاصرته لهم ، فأرسلوا أحد زعمائهم وهو شأس (نباش) بن قيس لمفاوضته « فكلم رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة وقال: يا محمد ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير ، لك الأموال والحلقة (السلاح) وتحقن دماءنا ، ونخرج

من بلادكم بالنساء والذراري ولنا ما حملت الإبل إلا الحلقة. فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالوا: فتحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا. إلا أن تنزلوا على حكمي.

فرجع نباش إلى أصحابه بمقالة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال كعب بن أسد: يا معشر بني قريظة: والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي الله وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب ، حيث لم يكن نبياً من بني إسرائيل ، فهو حيث جعله الله !

ولقد كنت كارهاً لنقض العهد والعقد ، ولكن البلاء وشؤم هذا الجالس يعني حيي بن أخطب علينا وعلى قومه ، وقومه كانوا أسوأ منا ! لايستبقي محمد رجلاً واحداً إلا من تبعه ، أتذكرون ما قال لكم ابن حواس حين قدم عليكم فقال: تركت الخمر والخمير والتأمير ، وجئت إلى السقاء والتمر والشعير؟! قالوا: وما ذلك؟ قال: يخرج من هذه القرية نبي ، فإن خرج وأنا حي اتبعته ونصرته ، وإن خرج بعدي فإياكم أن تخدعوا عنه ، فاتبعوه وكونوا أنصاره وأولياءه ، وقد آمنتم بالكتابين كليهما الأول والآخر. قال كعب: فتعالوا فلنتابعه ولنصدقه ولنؤمن به ، فنأمن على دمائنا ونسائنا وأموالنا ، فنكون بمنزلة من معه.

قالوا: لا نكون تبعاً لغيرنا ، نحن أهل الكتاب والنبوة ونكون تبعاً لغيرنا ؟!

فجعل كعب يرد عليهم الكلام بالنصيحة لهم. قالوا: لا نفارق التوراة ولا ندع ما كنا عليه من أمر موسى . قال: فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج في أيدينا السيوف إلى محمد وأصحابه فإن قتلنا قتلنا وما وراءنا أمر نهتم به ، وإن ظفرنا فلعمري لنتخذن النساء والأبناء ! فتضاحك حيي بن أخطب ثم قال: ما ذنب هؤلاء المساكين؟! وقالت رؤساء اليهود: الزبير بن باطا وذووه: ما في العيش خير بعد هؤلاء.

قال: فواحدة قد بقيت من الرأي لم يبق غيرها ، فإن لم تقبلوها فـأنتم بنـو إسـتها. قالوا: وما هي ؟ قال: الليلة السبت ، وبالحري أن يكون محمد وأصحابه آمنين لنا فيها أن نقاتله ، فنخرج فلعلنا أن نصيب منهم غرة. قالوا: نفسد سبتنا ، وقـد عرفـت مـا أصابنا فيه ! قال حي: قد دعوتك إلى هذا وقريش وغطفان حضور فأبيـت أن تكسـر السبت ، فإن أطاعتني اليهود فعلوا. فصاحت اليهود: لا نكسر السبت !

قال نباش بن قيس: وكيف نصيب منهم غرة ، وأنت ترى أن أمرهم كل يوم يشتد ! كانوا أول ما يحاصروننا إنما يقاتلون بالنهار ويرجعون الليل فكان هذا لك قـولاً لـو بيتناهم. فهم الآن يبيتون الليل ويظلون النهار ، فأي غرة نصيب منهم ؟! هـي ملحمـة وبلاء كتب علينا ! فاختلفوا وسقط في أيديهم وندموا على مـا صـنعوا ورقـوا علـى النساء والصبيان. وذلك أن النساء والصبيان لما رأوا أنفسهم هلكـوا ، فبكـى النسـاء والصبيان ، فرقوا عليهم ». (الواقدي:٥٠١/٢ ، والصحيح من السيرة: ١١٠/١١).

وروى علي بن إبراهيم في تفسيره (١٧٦/٢) تفاصيل مجئ حي بن أخطب مع جيـوش الأحزاب ، وجهوده الحثيثة لإقناع كعب بن أسد رئيس بنـي قريظـة علـى نقـض عهدهم والإنضمام الى الأحزاب ، حتى أقنعه بذلك. وفيه:« جاء حـي بـن أخطـب إلى بني قريظة في جوف الليل ، وكانوا في حصنهم قد تمسكوا بعهد رسول الله ، فدق باب الحصن ، فسمع كعب بن أسد قرع الباب فقـال لأهلـه: هـذا أخـوك قـد شأم قومه وجاء الآن يشأمنا ويهلكنا ويأمرنا بنقض العهد بيننـا وبـين محمـد ! وقـد وفى لنا محمد وأحسن جوارنا. فنزل إليه من غرفته فقال له: من أنـت ؟ قـال: حـي بن أخطب قد جئتك بعز الدهر ! فقال كعب: بل جئتني بذل الدهر ! فقال: يا كعب

هذه قريش في قادتها وسادتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائهم من كنانة ، وهذه فزارة مع قادتها وسادتها قد نزلت الرغابة ، وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان ، ولا يفلت محمد وأصحابه من هذا الجمع أبداً ، فافتح الباب ، وانقض العهد الذي بينك وبين محمد ! فقال كعب: لست بفاتح لك الباب ! إرجع من حيث جئت» ! لكن بن أخطب احتال على كعب بن أسد حتى فتح له الباب فقال له:« لعنك الله قد دخلت عليَّ من باب دقيق... واجتمع كل من كان في الحصن من رؤساء اليهود مثل غزال بن شمول ، وياسر بن قيس ، ورفاعة بن زيد ، والزبير بن باطا ، فقال لهم كعب: ما ترون؟ قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا وأنت صاحب عهدنا ، فإن نقضت نقضنا وإن أقمت أقمنا معك وإن خرجت خرجنا معك. فقال الزبير بن باطا وكان شيخاً كبيراً مجرباً قد ذهب بصره: قد قرأت التوراة التي أنزلها الله في سفرنا بأنه يبعث نبياً في آخر الزمان يكون مخرجه بمكة ومهاجرته بالمدينة إلى البحيرة ، يركب الحمار العري ويلبس الشملة ، ويجتزئ بالكسيرات والتميرات ، وهو الضحوك القتال ، في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة ، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقاه ، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر ، فإن كان هذا هو فلا يهولنه هؤلاء وجمعهم ، ولو ناوأته هذه الجبال الرواسي لغلبها !

فقال حي: ليس هذا ذلك ، وذلك النبي من بني إسرائيل وهذا من العرب من ولد إسماعيل ، ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً ، لأن الله قد فضلهم على الناس جميعاً ، وجعل منهم النبوة والملك ، وقد عهد الينا موسى ألا نؤمن

لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، وليس مع محمد آية ، وإنما جمعهم جمعاً وسحرهم ويريد أن يغلبهم بذلك ! فلم يزل يقلبهم عن رأيهم حتى أجابوه فقال لهم: أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمد ، فأخرجوه فأخذه حي بن أخطب ومزقه وقال: قد وقع الأمر ، فتجهزوا وتهيؤوا للقتال » !

وبلغ رسول الله ﷺ ذلك فأرسل لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حصين ، وكانا من الأوس وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس ، فشتموهما وأعلنوا أنهم نقضوا العهد !

وروى القمي كغيره دور نعيم بن مسعود الأشجعي في الإيقاع بين بني قريظة وأبي سفيان فطلبوا منه ضمانة أن لايتركوهم وينسحبوا ، قال له حي بن أخطب « يسألون الرهن ، قال أبو سفيان: هذا والله أول الغدر ! قد صدق نعيم بن مسعود: لا حاجة لنا في إخوان القرود والخنازير» ! وقد أخذ أبو سفيان هذا التعبير من القرآن ولعله كان مستعملاً عند من يكره اليهود من العرب .

ثم ذكر القمي أن النبي ﷺ دعا علياً عليه السلام: «فقال له: ناد في الناس لايصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فنادى فيهم فخرج الناس فبادروا إلى بني قريظة ، وخرج رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام بين يديه مع الراية العظمى... وكان حول الحصن نخل كثير ، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده فتباعد عنه وتفرق في المفازة ، وأنزل رسول الله ﷺ العسكر حول حصنهم فحاصرهم ثلاثة أيام فلم يطلع أحد منهم رأسه ، فلما كان بعد ثلاثة أيام نزل إليه غزال بن شمول فقال: يا محمد ! تعطينا ما أعطيت إخواننا من بني النضير ، أحقن دماءنا ونخلي لك البلاد وما فيها ولا نكتمك شيئاً. فقال: لا ، أو تنزلون على حكمي؟

فرجع ، وبقوا أياماً فبكت النساء والصبيان إليهم وجزعوا جزعاً شديداً ، فلما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأمر بالرجال فكتفوا وكانوا سبعمائة وأمر بالنساء فعزلن ، وقامت الأوس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله حلفاءنا وموالينا من دون الناس ، نصرونا على الخزرج في المواطن كلها ، وقد وهبت لعبد الله بن أبيّ سبع مائة ذراع وثلاثمائة حاسر في صحيفة واحدة ، ولسنا نحن بأقل من عبد الله بن أبيّ .

فلما أكثروا على رسول الله صلى الله عليه وآله قال لهم: أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم؟ فقالوا: بلى فمن هو ؟ قال: سعد بن معاذ. قالوا: قد رضينا بحكمه ، فأتوا به في محفة ، واجتمعت الأوس حوله يقولون له: يا أبا عمرو إتق الله وأحسن في حلفائك ومواليك ، فقد نصرونا ببغاث والحدايق والمواطن كلها ، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا يأخذه في الله لومة لائم ، فقالت الأوس: واقوماه ذهبت والله بنو قريظة ! وبكت النساء والصبيان إلى سعد ، فلما سكتوا قال لهم سعد: يا معشر اليهود أرضيتم بحكمي فيكم ؟ فقالوا: بلى قد رضينا بحكمك ، وقد رجونا نصفك ومعروفك وحسن نظرك ، فعاد عليهم القول فقالوا: بلى يا أبا عمرو !

فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إجلالاً له فقال: ما ترى بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: أحكم فيهم يا سعد ! فقد رضيت بحكمك فيهم ، فقال: قد حكمت يا رسول الله أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم وتقسم غنائمهم وأموالهم بين المهاجرين والأنصار. فقام رسول الله فقال قد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ! ثم انفجر جرح سعد بن معاذ فما زال ينزف الدم حتى قضى !

وساقوا الأسارى إلى المدينة ، وأمر رسول الله ﷺ بأخدود فحفرت بالبقيع فلما أمسى أمر بإخراج رجل رجل فكان يضرب عنقه ، فقال حي بن أخطب لكعب بن أسيد: ما ترى ما يصنع محمد ﷺ بهم ؟ فقال له: ما يسوؤك ! أما ترى الداعي لا يقلع والذي يذهب لا يرجع ، فعليكم بالصبر والثبات على دينكم ، فأخرج كعب بن أسيد مجموعةً يداه إلى عنقه وكان جميلاً وسيماً ، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال له: ياكعب أما نفعتك وصية ابن الحواس الحبر الزكي الذي قدم عليكم من الشام فقال: تركت الخمر والخنزير وجئت إلى البؤس والتمور ، لنبي يبعث ، مخرجه بمكة ومهاجره في هذه البحيرة ، يجتزي بالكسيرات والتميرات ويركب الحمار العري ، في عينيه حمرة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى منكم ، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر !

فقال: قد كان ذلك يا محمد ! ولولا أن اليهود يعيروني أني جزعت عند القتل لآمنت بك وصدقتك ، ولكني على دين اليهود عليه أحيا وعليه أموت ! فقال رسول الله: قدموه فاضربوا عنقه ، فضربت .

ثم قدم حي بن أخطب فقال له رسول الله ﷺ: يا فاسق كيف رأيت صنع الله بك؟ فقال: والله يا محمد ! ما ألوم نفسي في عداوتك ، ولقد قلقلت كل مقلقل وجهدت كل الجهد ، ولكن من يخذل الله يخذل ! ثم قال حين قدم للقتل:

لعمرك ما لامَ ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يُخذلِ

فقدم وضرب عنقه ، فقتلهم رسول الله في البردين بالغداة والعشي في ثلاثة أيام وكان يقول: أسقوهم العذب ، وأطعموهم الطيب ، وأحسنوا إلى أساراهم ، حتى قتلهم كلهم ، وأنزل الله على رسوله:﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ

الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا.وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا.وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا». (الأحزاب: ٢٥-٢٧).

وفي الصحيح من السيرة:١٠/١١:« وجاؤوا بالأسرى إلى المدينة وجعلوهم في دار أسامة بن زيد ودار بنت الحارث... وكان عدد السبي من الذراري والنساء سبع مئة وخمسين ، وقيل كانوا تسع مئة...ويظهر من النصوص أن بني قريظة لم يقتلوا كلهم ، بل قتل منهم خصوص من حزَّبَ على النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين...

ثم جمعت أمتعتهم وأخرج الخمس منها ، ثم قسمت للفارس سهمان وللرجل سهم واحد ، وكانت خيل المسلمين ستة وثلاثين فرساً ، أو ثمانية وثلاثين .

أما السبي فبيع في من يزيد ، ثم قسم ثمنه في المسلمين المشاركين في هذه الغزوة ، وبعث صلى الله عليه وآله ببعض السبي إلى نجد أو الشام فبيع هناك واشتري سلاح وخيل ، وقسم ذلك بين المسلمين ».

وقال اليعقوبي:٥٢/٢:« فانصرف رسول الله واصطفى منهم ست عشرة جارية فقسمها على فقراء بني هاشم ، وأخذ لنفسه منهن واحدة يقال لها ريحانة. وقسمت أموال بني قريظة ونساؤهم ، فكان الفارس يأخذ سهمين والراجل سهماً ، وكان أول مغنم أعلم فيه سهم الفارس ، وكانت الخيل ثمانية وثلاثين فرساً».

والظاهر أن الشهيد الوحيد في غزوة بني قريظة خلاد بن مسلم الأنصاري ، ألقت عليه امرأة يهودية رحىً من الحصن فقتلته ! (الصحيح: ١٦٩/١١ ، وابن هشام: ٧٣٢/٣).

«وبعد أن انتهى أمر بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ ودام نزفه حتى مات رحمه الله شهيداً ، فكرمه الرسول صلى الله عليه وآله مزيد تكريم». (الصحيح من السيرة:١١/١٠).

ختاماً، رووا أن النبي صلى الله عليه وآله قال:« اهتز العرش لموت سعد بن معاذ» (صحيح بخاري: ٤/٢٢٧). وروينا أن الإمام الصادق عليه السلام سئل:«إن الناس يقولون: إن العرش اهتزَّ لموت سعد بن معاذ؟ فقال: إنما هو السرير الذي كان عليه». (معاني الأخبار/٢٨٨ ، ومعجم السيد الخوئي: ٩/٩٤).

٤- قطف علي عليه السلام النصر فأشاد به النبي صلى الله عليه وآله ونص على خلافته

في الصحيح من السيرة:١١/٩٠، ملخصاً:« نجد الزبير بن بكار يذكر لنا في كتاب المفاخرات نصاً يفيد أن النبي صلى الله عليه وآله قد بعث إلى بني قريظة أكابر أصحابه فهزموا ، فبعث علياً عليه السلام فكان الفتح على يديه ، تماماً كالذي جرى في خيبر ! فقد روى الزبير بن بكار مناظرة بين الإمام الحسن عليه السلام وبين عمرو بن العاص والوليد بن عقبة ، وعتبة بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، عند معاوية ، فكان مما قاله لهم الإمام الحسن عليه السلام: وأنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث علياً عليه السلام بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله. وفعل في خيبر مثلها؟!

وقال القاضي النعمان مشيراً إلى جهاد علي عليه السلام في بني قريظة: وانصرف رسول الله على بني قريظة فقتلهم وسبى ذراريهم ، وكان ذلك بصنع الله لرسوله صلى الله عليه وآله وللمسلمين وبما أجراه الله على يدي وليه علي عليه السلام، وكان مقامه ذلك من أشهر المقامات

وأفضلها. ولما تباطأ اليهود في التسليم والنزول على حكم النبي صلى الله عليه وآله صاح علي بن أبي طالب قائلاً: يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو اقتحم حصنهم ! فخافوا ، وقالوا: ننزل على حكم سعد. ونقول: ليلاحظ القاري حشر اسم الزبير في هذا المقام » !

أقول: ومما يدل على دور علي عليه السلام في قطف النصر في غزوة قريظة ما روته مصادرنا بسند صحيح مستفيض وأن اثني عشر صحابياً من المهاجرين والأنصار خطبوا في المسجد واحتجوا على أبي بكر (الإحتجاج:٩٧/١)«فأول من تكلم خالد بن سعيد بن العاص(الأموي) ثم باقي المهاجرين ، ثم بعدهم الأنصار... فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: إتق الله يا أبا بكر ، فقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ونحن محتوشوه يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر ، وقد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم: يا معاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها ومودعكم أمراً فاحفظوه: ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي. ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه ، اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم ووليكم شراركم !

ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر أمتي من بعدي .

اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي ، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي ، يدركون به نور الآخرة. اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي ، فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض ! فقال له عمر بن الخطاب: أسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ، ولا ممن يقتدى برأيه !

فقال له خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب ، فإنك تنطق على لسان غيرك ! وأيم الله لقد علمت قريش أنك من ألأمها حسباً وأدناها منصباً ، وأخسها قدراً وأخملها ذكراً ، وأقلهم غناءً عن الله ورسوله ، وإنك لجبان في الحروب ، بخيل بالمال ، لئيم العنصر ، مالك في قريش من فخر ، ولا في الحروب من ذكر... فأبلس عمر ! وجلس خالد بن سعيد. ثم قام أبو ذر...».

أقول: لاحظ قول خالد بن سعيد:« وقد قتل علي بن أبي طالبعليه السلام يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم» ، فهو يدل على أن نخبة فرسان قريظة خرجوا من حصنهم بعد اليوم الثالث وبارزوا ، فبرز اليهم عليعليه السلام وقتلهم ! ولكن رواة السلطة لم يذكروا ذلك ، وما رواه أتباع أهل البيتعليهم السلام من ذلك أبادته السلطة فيما أبادت من الأحاديث ولم يصل الينا !

٥- المسلمون الأربعة من بني قريظة

نزل أربعة أشخاص من حصون بني قريظة والتحقوا بالنبيصلى الله عليه وآله وأسلموا ، وهم ثلاثة إخوة: أسيد وأسد وثعلبة ، أبناء سعية ، وعمهم أسد بن عبيد. وقالوا لقريظة في أيام حصار النبيصلى الله عليه وآله لهم: « يا معشر بني قريظة ، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وإن صفته عندنا حدثنا بها علماؤنا وعلماء بني النضير ، هذا أولهم يعني حيي بن أخطب مع جبير بن الهيبان ، أصدق الناس عندنا ، هو خبَّرنا بصفته عند موته. قالوا: لا نفارق التوراة. فلما رأي هؤلاء النفر إباءهم ، نزلوا في الليلة التي نزلت قريظة فأسلموا ، فأمنوا على أنفسهم ، وأهلهم ، وأموالهم.. و لم يكونوا من بني

قريظة ولا النضير بل كانوا فوق ذلك. وهم نفر من هدل من بني عم قريظة، وليس من هذيل كما في بعض المصادر.. وكان سبب إسلامهم أن ابن الهيبان من يهود الشام قدم على بني قريظة فأقام عندهم، وكان يستسقي لهم أيام القحط فيسقون فحضرته الوفاة، فأخبرهم أن سبب خروجه إلى يثرب هو أنه يتوقع خروج نبي قد أظل زمانه، مهاجره المدينة ليتبعه، ثم أوصاهم باتباعه ».

(الصحيح من السيرة: ١٠١/١١، وشكك في خبرهم ولم ينفه، والظاهر أنه صحيح، ذكره ابن إسحاق: ٦٤/٢، وابن هشام: ١٣٨/١، و: ٧١٩/٣، والطبري: ٢٤٨/٢، والدرر/١٧٩، وغيرها).

٦- أبو لبابة يخون النبي صلى الله عليه وآله ثم يتوب

أبو لبابة بن عبد المنذر، أنصاري أوسي كان طرف التحالف مع بني قريظة، وكان بيته قربهم وكانوا يحبونه، فلما حاصرهم النبي صلى الله عليه وآله وأخذ يفاوضهم طلبوا أن يرسله اليهم ليستشيروه، فأرسله فحذرهم من القبول بحكم سعد!

وروى المفسرون أن قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ... وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.. خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. (الأنفال: ٢٧، و١٠٢-١٠٣).

« نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لما حاصر بني قريظة قالوا له إبعث الينا أبا لبابة نستشيره في أمرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا لبابة إئت حلفاءك ومواليك فأتاهم فقالوا له: يا أبا لبابة ما ترى تنزل على حكم محمد؟

فقال إنزلوا واعلموا أن حكمه فيكم هو الذبح وأشار إلى حلقه ، ثم ندم على ذلك فقال خنت الله ورسوله ! ونزل من حصنهم ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ ومر إلى المسجد وشد في عنقه حبلاً ثم شده إلى الأسطوانة التي تسمى أسطوانة التوبة ، وقال لا أحله حتى أموت أو يتوب الله عليَّ ، فبلغ رسول الله ﷺ فقال: أما لو أتانا لاستغفرنا الله له ، فأما إذا قصد إلى ربه فالله أولى به.

وكان أبو لبابة يصوم النهار ويأكل بالليل ما يمسك به رمقه ، فكانت ابنته تأتيه بعشائه وتحله عند قضاء الحاجة ، فلما كان بعد ذلك ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة نزلت توبته فقال يا أم سلمة ، قد تاب الله على أبي لبابة ، فقالت يا رسول الله أفأوذنه بذلك ؟ فقال لتفعلن ، فأخرجت رأسها من الحجرة فقالت: يا أبا لبابة أبشر لقد تاب الله عليك ، فقال الحمد لله فوثب المسلمون ليحلوه فقال: لا والله حتى يحلني رسول الله ! فجاء رسول الله فقال يا أبا لبابة قد تاب الله عليك توبة لو ولدت من أمك يومك هذا لكفاك ، فقال يا رسول الله أفأتصدق بمالي كله؟ قال: لا ، قال: فبثلثيه؟ قال: لا ، قال فبنصفه؟ قال: لا ، قال: فبثلثه؟ قال نعم. فأنزل الله: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ..». (تفسير القمي: ٣٠٣/١، وابن هشام: ٧١٨/٣).

وفي من لايحضره الفقيه:٥٧٠/٢:« إن كان لك بالمدينة مقام ثلاثة أيام، صمت يوم الأربعاء وصليت ليلة الأربعاء عند أسطوانة التوبة ، وهي أسطوانة أبي لبابة التي ربط نفسه إليها ، وتقعد عندها يوم الأربعاء ثم تأتي ليلة الخميس الأسطوانة التي تليها مما يلي مقام النبي فتقعد عندها ليلتك ويومك وتصوم يوم الخميس، ثم

تأتي الأسطوانة التي تلي مقام النبي صلى الله عليه وآله ومصلاه ليلة الجمعة فتصلي عندها ليلتك ويومك وتصوم يوم الجمعة. وإن استطعت أن لا تتكلم بشئ هذه الأيام إلا بما لابد منه ، ولا تخرج من المسجد إلا لحاجة ، ولاتنام في ليل ولانهار إلا القليل، فافعل ». ونحوه كامل الزيارات/٦٦.

وفي تفسير أبي حمزة الثمالي/١٩٢:« بلغنا أنهم ثلاثة نفر من الأنصار: أبو لبابة بن عبد المنذر ، وثعلبة بن وديعة ، وأوس بن حزام ، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله عند مخرجه إلى تبوك فلما بلغهم ما أنزل الله فيمن تخلف عن نبيه ، أيقنوا بالهلاك وأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد ، فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلون أنفسهم حتى يكون رسول الله يحلهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأنا أقسم لا أكون أول من حلهم إلا أن أؤمر فيهم بأمر ، فلما نزل: عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، عمد رسول الله إليهم فحلهم فانطلقوا فجاءوا بأموالهم إلى رسول الله فقالوا: هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا قال صلى الله عليه وآله: ماأمرت فيها فنزل: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا..الآيات».

وفي تفسير العياشي: ١١٦/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام، أن أبا لبابة كان أحد الثلاثة الذين خلفوا. وفي تفسير الثعالبي: ٢١٠/٣: «وقالت فرقة عظيمة: بل نزلت هذه الآية في شأن المخلفين عن غزوة تبوك ».

وقد توقف في الصحيح من السيرة:١٠/١١ ، في قصة أبي لبابة . ويبدو أن القصة حدثت مرة لأبي لبابة وحده ، ثم كررها مع من تخلفوا معه عن غزوة تبوك ، وكانوا حسب الآية ثلاثة ، وفي راوية أنهم كانوا بضعة عشر شخصاً .

٧- دراسة عمر عند بني قريظة وعلاقته الوطيدة معهم

كان بيت عمر بعيداً عن مسجد النبي صلى الله عليه وآله فقد سكن في العوالي قرب بني قريظة وبسبب بعد المسافة كان يذهب بين يوم وآخر !

قال عمر كما في البخاري: ٣١/١: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله (ص) ينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم..».

وكان يحضر دروس بني قريظة في كنيسهم ، قال« إني كنت أغشى اليهود يوم دراستهم ، فقالوا: ما من أصحابك أحد أكرم علينا منك ، لأنك تأتينا» ! (الدر المنثور: ٩٠/١، وأخرج ابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه في مسنده وابن جرير وابن أبي حاتم ».

وطمع اليهود بعمر فعرَّبوا توراتهم وكلفوه أن يأخذها الى النبي صلى الله عليه وآله ليعترف بها !

قال عمر:«يا رسول الله إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال فتغير وجه رسول الله.. الحديث ، وفيه: والذي نفس محمد بيده لو أصبح موسى فيكم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم». (فتح الباري: ٤٣٨/١٣).

لكن اليهود أصروا وبعثوا عمر ثانية الى النبي صلى الله عليه وآله فقال:« يا رسول الله جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق! فتغير وجه رسول الله(ص) فقال عبدالله بن زيد

الذي أري الأذان: أمَسَخَ الله عقلك؟ ألاترى الذي بوجه رسول الله ! فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً» ! (مجمع الزوائد: ١٧٤/١).

ثم بعثوا عمر ثالثة ، قال:«انطلقت في حياة النبي(ص) حتى أتيت خيبر فوجدت يهودياً يقول قولاً فأعجبني فقلت: هل أنت مكتبي بما تقول؟ قال: نعم ، فأتيته بأديم فأخذ يملي علي فلما رجعت قلت: يا رسول الله إني لقيت يهودياً يقول قولاً لم أسمع مثله بعدك ! فقال: لعلك كتبت منه ؟ قلت: نعم قال: إئتني به ، فانطلقت فلما أتيته قال: أجلس إقراه فقرأت ساعة ونظرت إلى وجهه فإذا هو يتلون فصرت من الفرق لا أجيز حرفاً منه ، ثم رفعته اليه ثم جعل يتبعه رسماً رسماً يمحوه بريقه وهو يقول: لاتتبعوا هؤلاء فإنهم قد تهوكوا حتى محا آخر حرف» ! (كنز العمال: ٣٧٠/١).

وفي مرة رابعة:«أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي(ص) فغضب وقال أمتهوكون فيها يابن الخطاب ؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ! لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به ! والذي نفسي بيده لو أن موسى كان فيكم حياً ما وسعه إلا أن يتبعني...وعن جابر أيضاً قال نسخ عمر كتاباً من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبي».(مجمع الزوائد:١٧٤/١).

وفي مرة خامسة:« مر برجل يقرأ كتاباً فاستمعه ساعة فاستحسنه فقال للرجل أكتب لي من هذا الكتاب قال نعم فاشترى أديماً فهيأه ثم جاء به إليه فنسخ له في ظهره وبطنه ثم أتى النبي».(الدارمي: ١١٥/١، والدر المنثور: ٤٨/٢ ، و: ١٤٨/٥، وأسد الغابة: ١٢٦/٣).

ومرة سادسة حاول عمر أن يجيزه النبي صلى الله عليه وآله في أن يدرس التوراة عند اليهود فقال له: « لاتتعلمها وآمن بها وتعلموا ما أنزل اليكم وآمنوابه ». (الدر المنثور: ١٤٨/٥).

وفي مرة سابعة قال عمر:«يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا وقد هممنا أن نكتبها ! فقال: يا ابن الخطاب أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولكني أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً» ! (الدر المنثور: ٥/ ١٤٨).

وفي مرة ثامنة ساعدت حفصة أباها:« أن حفصة جاءت إلى النبي بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرؤه عليه والنبي يتلون وجهه فقال: والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم». (عبد الرزاق: ١١/١١٠).

ومع ذلك استمر عمر مع مجموعته بالحضور عند اليهود ، حتى رآه النبي ﷺ يوماً يحمل كتاباً فقال له:« ما هذا في يدك يا عمر ؟! فقلت: يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا ! فغضب رسول الله (ص) حتى أحمرت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة ، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم ، السلاح السلاح ! فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله (ص) فقال: يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه ، واختصر لي اختصاراً ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ، ولا يغرنكم المتهوكون ! قال عمر: فقمت فقلت رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبك رسولاً».

(الزوائد: ١/ ١٧٣. راجع تدوين القرآن للمؤلف/٤١٦).

أقول: هذه العلاقة الوثيقة مع اليهود جعلت عمر يعرف قبل الجميع بأنهم نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ! فأخبره بذلك (الصحيح من السيرة: ٩/٢١٦) !

وعندما اتفق النبي ﷺ مع عروة بن مسعود على دفع بني قريظة لطلب رهائن من قريش كشرط لهجومهم لم يوافق عمر وقال له:« يا رسول الله ، أمر بني قريظة

أهون من أن يؤثر عنك شئ من أجل صنيعهم ! فقال: الحرب خدعة يا عمر ! فكانت تلك الكلمة سبب تفرقهم وتفرق كلمتهم وانهزامهم».(السير الكبير:١/١٢١).

وعندما اتفق معهم النبي صلى الله عليه وآله على أن ينزلوا على حكم سعد ، وأرسل من يأتي بسعد كان عمر حاضراً ، وكان يسمع تحرق سعد للإنتقام منهم ، فأرسل لهم عمر إشارة أن لايقبلوا بحكم سعد ، لكنهم لم يفهموا إشارته لأنه كانوا مرعوبين !

قال أحمد بن حنبل في مسنده: ٦/١٤٢: «وبعث رسول الله (ص)إلى سعد بن معاذ فأُتيَ به على حمار عليه أكاف من ليف ، قد حُمل عليه وحَف به قومه.. فلما طلع على رسول الله قال: قوموا إلى سيدكم فأنزلوه، فقال عمر: سيدنا الله عز وجل! قال: أنزلوه فأنزلوه ، قال رسول الله (ص): أحكم فيهم. قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم. فقال رسول الله لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله». وصحيح ابن حبان:١٥/٥٠٠ ، والطبقات: ٣/٤٢٣.

وفي أخبار الدولة العباسية/٢١٤:« قوموا إلى سيدكم ، فقال عمر بن الخطاب: الله سيدنا ورسوله ، فقال رسول الله (ص): وسعد سيدك يا عمر» !

أقول: يظهر أن عمر لم يستطع إيصال نصيحته لبني قريظة بأن لايقبلوا بحكم سيدهم أي حليفهم سعد بن معاذ رحمه الله، فرأى نفسه مضطراً أن يواجه النبي صلى الله عليه وآله عندما دعاهم أن يقوموا الى استقبال سعد الذي رضوا بحكمه ، والجلوس معه ليصدر حكمه فيهم. فقال لهم عمر لاتقوموا ولا تقبلوا وقولوا نريد حكم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه هو سيدنا وليس سعداً ! فزجره النبي صلى الله عليه وآله وقال له إن سعد سيدك أنت أيضاً يا عمر فسكت ! وفي قول النبي صلى الله عليه وآله إشارة الى أن عمر منهم !

غزوة بني المصطلق أو المرَيسيع

١. خلاصة الغزوة

بنو المُصْطَلِق بن سعد: بطن من خزاعة أقرب الى الحضريين ، وكانت خزاعة تغلبت على مكة ، حتى أخرجهم قصي جد النبي ﷺ. (الكافي: ٢١٩/٤).

والمُرَيْسِيع: إسم ماء لهم ، قرب الفرع بناحية بدر وقديد ، من ساحل البحر الأحمر. (معجم البلدان: ١١٨/٥، ومعجم قبائل العرب: ٥/١ ، و٣٣٨).

وكانت خزاعة حليفة لعبد المطلب وبني هاشم ، وكان بنو المصطلق وبنو الهون من خزاعة ، حلفاء بني أمية . (معجم البلدان: ٢٧٨/٦).

وقد شاركوا في حرب الأحزاب بقيادة يزيد بن الحليس. (تفسير مقاتل:٤١/٣).

ولا يبعد أن يكون أبو سفيان حرّكهم لغزو المدينة فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فغزاهم وفاجأهم قبل أن يستكملوا استعدادهم لحربه !

ففي إعلام الورى:١٩٦/١: «ثم كانت غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ورأسهم الحارث بن أبي الضرار ، وقد تهيؤوا للمسير إلى رسول الله ﷺ ، وهي غزوة المريسيع وهو ماء ، وقعت في شعبان سنة خمس».

«وكان سيدهم الحارث بن أبي ضرار ، دعا قومه ومن قدر عليه من العرب ، إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وتجمعوا ، وابتاعوا خيلاً وسلاحاً ، وتهيؤوا للحرب والمسير معه ، فبلغ رسول الله ﷺ فأرسل بريدة بن الحصيب الأسلمي ليتحقق

ذلك ، فأتاهم ولقي الحارث وكلمه مظهراً أنه منهم ، وقد سمع بجمعهم ويريد الإنضمام بقومه ومن أطاعه إليهم ، وعرف منهم صدق ما بلغهم عنهم ، فرجع إلى رسول الله فأخبره بأنهم يريدون الحرب. فلما أخبر بريدة النبي صلى الله عليه وآله بصحة ما بلغه دعا الناس فأسرعوا الخروج ، فخرج معه سبع مئة ومعهم ثلاثون فرساً ، منها عشرة للمهاجرين وعشرون للأنصار» .

«وكان شعار المسلمين يومئذ: يا منصور أمت أمت... فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله أصحابه فحملوا على الكفار حملة واحدة ، فقتل منهم عشرة ، وأسر الباقون ولم يفلت منهم أحد ، وسبوا الرجال والنساء والذراري ، وأخذوا الشاء والنعم ، وكانت الإبل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف ، والسبي مائتي أهل بيت.

قال الحلبي: واستعمل على الغنائم شقران ، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد. وبعث صلى الله عليه وآله أبا نضلة أو أبا ثعلبة أو أبا نملة الطائي ، بشيراً إلى المدينة بفتح المريسيع. ولما رجع المسلمون بالسبي قدم أهاليهم فافتدوهم ».

«وكانت غيبته صلى الله عليه وآله في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوماً . وقدم المدينة لهلال شهر رمضان المبارك . وكانت هذه الغزوة ضربة موفقة لقريش..: أسفرت عن نتائج حاسمة...في منطقة كانت إلى الأمس القريب تقع في نطاق النفوذ المكي».

(الصحيح من السيرة: ٢٨٤/١١، و٢٨٧ ، و٢٩٠، و٢٩١).

وروى في مناقب آل أبي طالب:٩٢/١:«كان يتفجر الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وآله لما وضع يده فيها حتى شرب الماء الجيش العظيم ، وسقوا وتزودوا في غزوة بني

المصطلق . وفي رواية علقمة بن عبد الله أنه وضع يده في الإناء فجعل الماء يفور من بين أصابعه فقال: حي على الوضوء والبركة من الله ، فتوضأ القوم كلهم .

وفي حديث أبي ليلى: شكونا إلى النبي صلى الله عليه وآله من العطش ، فأمر بحفرة فحفرت فوضع عليها نطعاً ووضع يده على النطع ، وقال: هل من ماء ؟ فقال لصاحب الإداوة: صب الماء على كفي واذكر اسم الله ففعل ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى روى القوم ، وسقوا ركابهم».

٢. علي عليه السلام صاحب الراية وصاحب الفتح

قال المفيد في الإرشاد: ١١٨/١: « ثم كان من بلائه عليه السلام ببني المصطلق ما اشتهر عند العلماء ، وكان الفتح له عليه السلام في هذه الغزاة ، بعد أن أصيب يومئذ ناس من بني عبد المصطلق ، فقتل أمير المؤمنين عليه السلام رجلين من القوم وهما مالك وابنه وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله منهم سبياً كثيراً فقسمه في المسلمين. وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار.. وكان الذي سبا جويرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فجاء بها إلى النبي فاصطفاها ، فجاء أبوها إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد إسلام بقية القوم فقال: يا رسول الله إن ابنتي لاتسبى ، إنها امرأة كريمة . قال: إذهب فخيرها ، قال: أحسنت وأجملت ، وجاء إليها أبوها فقال: يا بنية لاتفضحي قومك ! فقالت له: قد اخترت الله ورسوله. فقال لها أبوها: فعل الله بك وفعل ، فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلها في جملة أزواجه ».

«فلما سمع القوم ذلك ، أرسلوا ما كان في أيديهم من بنى المصطلق ، فما علم امرأة أعظم بركة على قومها منها ». (مناقب آل أبي طالب: ١/١٧٣).

« قال ابن إسحاق: وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس كثير ، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين مالكاً وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له أحمر أو أحيمر. وكان رسول الله (ص) قد أصاب منهم سبياً كثيراً فقسمه في المسلمين ». (ابن هشام: ٣/٧٦١، والطبري: ٢/٢٦٣).

وفي دعائم الإسلام:١/٣٧٠ ، عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:« لا يغزى قوم حتى يُدْعَوْا ، وإن أكدت الحجة عليهم بالدعاء فحسن ، وإن قوتلوا قبل أن يُدْعَوْا إذا كانت الدعوة قد بلغتهم فلا حرج. وقد أغار رسول الله صلى الله عليه وآله على بني المصطلق وهم غارُّون ، يعنى غافلون ، فقتل مقاتلتهم وسبا ذراريهم ولم يدعهم في الوقت. قال علي صلوات الله عليه: قد علم الناس اليوم ما يُدْعَوْنَ إليه ».

٣. أرسله النبي صلى الله عليه وآله لقتال الجن

في منهاج الكرامة/١٧١:« ما رواه الجمهور من أن النبي صلى الله عليه وآله لما خرج إلى بني المصطلق جَنَبَ عن الطريق وأدركه الليل ، فنزل بقرب واد وعر ، فهبط جبرئيل آخر الليل وأخبره أن طائفة من كفار الجن قد استبطنوا الوادي يريدون كيده وإيقاع الشر بأصحابه ، فدعا بعلي عليه السلام وعوذه ، وأمره بنزول الوادي فقتلهم عليه السلام».

وفي الإرشاد: ١/٣٣٩:« فدعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقال له: إذهب إلى هذا الوادي ، فسيعرض لك من أعداء الله الجن من يريدك ، فادفعه بالقوة التي

أعطاك الله عز وجل، وتحصن منه بأسماء الله التي خصك بعلمها. وأنفذ معه مائة رجل من أخلاط الناس وقال لهم: كونوا معه وامتثلوا أمره. فتوجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الوادي فلما قارب شفيره أمر المائة الذين صحبوه أن يقفوا بقرب الشفير، ولا يحدثوا شيئاً حتى يأذن لهم.

ثم تقدم فوقف على شفير الوادي، وتعوذ بالله من أعدائه، وسمى الله عز وجل وأومأ إلى القوم الذين تبعوه أن يقربوا منه فقربوا، فكان بينهم وبينه فرجة مسافتها غلوة، ثم رام الهبوط إلى الوادي فاعترضته ريح عاصف كاد أن يقع القوم على وجوههم لشدتها، ولم تثبت أقدامهم على الأرض من هول ما لحقهم! فصاح أمير المؤمنين: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وصيُّ رسول الله وابن عمه، أثبتوا إن شئتم! فظهر للقوم أشخاص على صورة الزط تخيل في أيديهم شعل النار قد اطمأنوا بجنبات الوادي، فتوغل أمير المؤمنين عليه السلام بطن الوادي وهو يتلو القرآن ويومئ بسيفه يميناً وشمالاً، فما لبث الأشخاص حتى صارت كالدخان الأسود، وكبَّر أمير المؤمنين عليه السلام ثم صعد من حيث انهبط، فقام مع القوم الذين اتبعوه حتى أسفر الموضع عما اعتراه. فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما لقيت يا أبا الحسن؟ فلقد كدنا أن نهلك خوفاً وإشفاقاً عليك أكثر مما لحقنا.

فقال لهم: إنه لما تراءى لي العدو جهرت فيهم بأسماء الله عز وجل فتضاءلوا، وعلمت ما حل بهم من الجزع فتوغلت الوادي غير خائف منهم، ولو بقوا على

هيئاتهم لأتيت على آخرهم وقد كفى الله كيدهم وكفى المسلمين شرهم ، وسبقني بقيتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله يؤمنون به.

وانصرف أمير المؤمنين بمن تبعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر ، فسري عنه ودعا له بخير ، وقال له: قد سبقك يا علي إلي من أخافه الله ، فأسلم وقبلت إسلامه. ثم ارتحل بجماعة المسلمين حتى قطعوا الوادي آمنين غير خائفين !

ثم قال المفيد: «وهذا الحديث قد روته العامة كما روته الخاصة ولم يتناكروا شيئاً منه... ولا أزال أجد الجاهل من الناصبة والمعاند يظهر العجب من الخبر بملاقاة أمير المؤمنين عليه السلام الجن وكفه شرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ، ويتضاحك لذلك ، وينسب الرواية له إلى الخرافات الباطلة ، ويصنع مثل ذلك في الأخبار الواردة بسوى ذلك من معجزاته عليه السلام ويقول: إنها من موضوعات الشيعة ، وتخرص من افتراه منهم للتكسب بذلك أو التعصب.

وهذا بعينه مقال الزنادقة وكافة أعداء الإسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجن وإسلامهم...فلينظر القوم ما جنوه على الإسلام بعداوتهم أمير المؤمنين عليه السلام واعتمادهم في دفع فضائله ومناقبه وآياته على ما ضاهوا به أصناف الزنادقة والكفار ، مما يخرج عن طريق الحجاج إلى أبواب الشغب والمسافهات ».

والخرائج: ١/١٠٢و٢٠٣ ، وإعلام الورى: ١/٣٥٢، ومناقب آل أبي طالب: ١/٣٥٨، وفيه أنه بعث علياً عليه السلام فحارب الجن الذين كانوا يمنعونهم من الإستقاء من البئر، واستقى المسلمون.

٤- زواج النبي صلى الله عليه وآله من جويرية بنت الحارث

قال العلامة الحلي في كشف اليقين/١٣٦:« وفي غزاة بني المصطلق: كان الفتح له. وقتل أمير المؤمنين عليه السلام مالكاً وابنه ، وسبى جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار فاصطفاها النبي صلى الله عليه وآله لنفسه ، فجاء أبوها بعد ذلك وقال: يا رسول الله إن ابنتي لا تسبى ، إنها امرأة كريمة. قال: إذهب وخيِّرها. قال: لقد أحسنت وأجملت. فاختارت الله ورسوله فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجعلها في جملة أزواجه ».

وفي إعلام الورى:١٩٦/١:« قالت جويرية بنت الحارث زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله: أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن على المريسيع ، فأسمع أبي وهو يقول: أتانا ما لا قبل لنا به ! قالت: وكنت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة ، فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله ورجعنا جعلت أظهر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى ، فعرفت أنه رعب من الله عز وجل يلقيه في قلوب المشركين. قالت: ورأيت قبل قدوم النبي صلى الله عليه وآله بثلاث ليال كان القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري ، فكرهت أن أخبر بها أحداً من الناس ، فلما سبينا رجوت الرؤيا فأعتقني رسول الله صلى الله عليه وآله وتزوجني ».

وفي سيرة ابن إسحاق: ٢٤٥/٥:« فلما دخلت عليه قالت: يا رسول الله أنا جويرية ابنة الحارث سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي. فقال رسول الله(ص): أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت: نعم ، ففعل رسول الله (ص) فبلغ الناس أن رسول الله

تزوجها ، فقالوا أصهار رسول الله (ص) فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة على أهل بيت منها... كانت جويرية من ملك يمين رسول الله (ص) فأعتقها واستنكحها وجعل مهرها عتق كل مملوك من بني المصطلق ».

٥- تنظيم مالية الخمس لبني هاشم ، والصدقات والفئ للمسلمين

في الصحيح من السيرة: ٢٨٩/١١، عن الواقدي والبلاذري:«أخرج رسول الله (ص) الخمس من جميع المغنم ، وجعل على خمس المسلمين محمية بن جزء الزبيدي وكان يجمع الأخماس . وكانت الصدقات على حدتها ، أهل الفئ بمعزل عن الصدقة ، وأهل الصدقة بمعزل عن الفئ. وكان يعطي الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف ، فإذا احتلم اليتيم نقل إلى الفئ ، وأخرج من الصدقة ووجب عليه الجهاد ، فإن كره الجهاد وأباه لم يعط من الصدقة شيئاً ، وخلوا بينه وبين أن يكتسب لنفسه... وقسم رسول الله (ص) الغنائم وأخذ صفيه قبل القسم ، ثم جزأ الغنائم خمسة أجزاء ، ثم أقرع عليها ، ولم يتخير ، فأخرج الخمس وأخذ سهمه مع المسلمين لنفسه وفرسه ، وكان له (ص) صفي من المغنم حضر أو غاب ، قبل الخمس: عبد ، أو أمة ، أو سيف ، أو درع».

٦- فتنة ابن سلول ونزول سورة المنافقين !

في تفسير القمي: ٣٦٨/٢: « إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ... نزلت في غزوة المريسع وهي غزوة

بني المصطلق في سنة خمس من الهجرة ، وكان رسول الله ﷺ خرج إليها فلما رجع منها نزل على بئر ، وكان الماء قليلاً فيها ، وكان أنس بن سيار حليف الأنصار ، وكان جهجاه بن سعيد الغفاري أجيراً لعمر بن الخطاب ، فاجتمعوا على البئر فتعلق دلو ابن سيار بدلو جهجاه ، فقال سيار دلوي وقال جهجاه دلوي ، فضرب جهجاه يده على وجه ابن سيار فسال منه الدم ، فنادى سيار بالخزرج ونادى جهجاه بقريش ، وأخذ الناس السلام وكاد أن تقع الفتنة ، فسمع عبد الله بن أبيّ النداء فقال: ما هذا ؟ فأخبروه بالخبر فغضب غضباً شديداً ثم قال: قد كنت كارهاً لهذا المسير ، إني لأذل العرب ، ما ظننت أني أبقى إلى أن أسمع مثل هذا ، فلا يكون عندي تغيير ! ثم أقبل على أصحابه فقال: هذا عملكم أنزلتموهم منازلكم وواسيتموهم بأموالكم ، ووقيتموهم بأنفسكم وأبرزتم نحوركم للقتل ، فأرمل نساءكم وأيتم صبيانكم ، ولو أخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم !

ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ! وكان في القوم زيد بن أرقم وكان غلاماً قد راهق وكان رسول الله ﷺ في ظل شجرة في وقت الهاجرة وعنده قوم من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فجاء زيد فأخبره بما قال عبد الله ابن أبيّ ، فقال رسول الله ﷺ: لعلك وهمت يا غلام ؟ فقال: لا ، والله ما وهمت ! فقال: لعلك غضبت عليه؟ قال: لا ما غضبت عليه ! قال: فلعله سفه عليك؟ فقال: لا والله ! فقال رسول الله ﷺ لشقران مولاه: أخرج ، فأخرج أحدج راحلته وركب ، وتسامع الناس بذلك فقالوا: ما كان رسول الله ﷺ ليرحل في مثل هذا

الوقت! فرحل الناس ولحقه سعد بن عبادة فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته! فقال: وعليك السلام! فقال: ما كنت لترحل في هذا الوقت؟ فقال: أوما سمعت قولاً قاله صاحبكم؟ قالوا: وأي صاحب لنا غيرك يا رسول الله؟ قال عبد الله بن أبي زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل! فقال: يا رسول الله، فأنت وأصحابك الأعز وهو وأصحابه الأذل، فسار رسول الله صلى الله عليه وآله يومه كله لا يكلمه أحد، فأقبلت الخزرج على عبد الله بن أُبيّ يعذلونه فحلف عبد الله أنه لم يقل شيئاً من ذلك، فقالوا: فقم بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نعتذر إليه، فلوى عنقه! فلما جن الليل سار رسول الله صلى الله عليه وآله ليله كله والنهار، فلم ينزلوا إلا للصلاة، فلما كان من الغد نزل رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل أصحابه، وقد أمهدهم الأرض من السهر الذي أصابهم.

فجاء عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فحلف عبد الله أنه لم يقل ذلك، وأنه ليشهد أنه لا إله إلا الله وأنك لرسول الله وأن زيداً قد كذب عليّ! فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله منه، وأقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يشتمونه ويقولون له كذبت على عبد الله سيدنا! فلما رحل رسول الله صلى الله عليه وآله كان زيد معه يقول: اللهم إنك لتعلم أني لم أكذب على عبد الله بن أبي، فما سار إلا قليلاً حتى أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحي عليه، فثقل حتى كادت ناقته أن تبرك من ثقل الوحي، فسريَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يسكب العرق عن جبهته، ثم أخذ بأذن زيد بن أرقم فرفعه من الرحل ثم قال: يا غلام صدق قولك

ووعى قلبك وأنزل الله فيما قلت قرآناً ! فلما نزل جمع أصحابه وقرأ عليهم سورة المنافقين: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ..الى قوله: وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لايَعْلَمُونَ. ففضح الله عبد الله بن أبيّ !

عن أبان بن عثمان قال: سار رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً وليلة ومن الغد حتى ارتفع الضحى ، فنزل ونزل الناس فرموا بأنفسهم نياماً ، وإنما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكف الناس عن الكلام . قال: وإن ولد عبد الله بن أبي أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله إن كنت عزمت على قتله فمرني أكون أنا الذي أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الأوس والخزرج أني أبرهم ولداً بوالديَّ ، فإني أخاف أن تأمر غيري فيقتله فلاتطيب نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل نحسن صحبته ما دام معنا !

وفي مجمع البيان:١٠/٢٣: «وكان عبد الله بن أبيّ بقرب المدينة ، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبيّ حتى أناخ على مجامع طرق المدينة ، فقال: مالك ويلك ! قال: والله لا تدخلها إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولتعلمن اليوم من الأعز من الأذل ! فشكا عبد الله ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأرسل إليه أن خلِّ عنه يدخل. فقال: أما إذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فنعم. فدخل فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات ! فلما نزلت هذه الآيات وبان كذب عبد الله قيل له: نزل فيك آي شداد ، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر لك. فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فقد آمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت ، فما

بقي إلا أن أسجد لمحمد ! فنـزل: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا.. الى قوله: وَلَكِـنَّ الْمُنَـافِقِينَ لايَعْلَمُونَ». وأسباب النزول/٢٨٨.

وفي تفسير القمي: ٣٧١/٢:« في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: كَـأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ: يقول لايسمعون ولا يعقلون. قوله: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ: يعني كل صوت. هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ: فلما نعتهم الله لرسوله وعرَّفهم ، مشت إليهم عشائرهم فقالوا لهم: قد افتضحتم ويلكم ، فأتوا نبي الله يستغفر لكم ! فلووا رؤسهم وزهدوا في الإستغفار يقول الله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَوْا رُؤُوسَهُمْ !

وقال علي بن إبراهيم في قوله: وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ: يعني بقوله أصدق أي أحج. وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ: يعني عند الموت ، فرد الله عليه فقال: وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .

أخبرنا أحمد بن إدريس.. عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا، قال: إن عند الله كتباً مرقومة يقدم منها ما يشاء ويؤخر مايشاء ، فإذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كل شئ يكون إلى ليلة مثلها ، فذلك قوله: وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، إذا أنزله وكتبه كتاب السماوات وهو الذي لايؤخره».

٧- هبت ريح عند موت يهودي

في رجوع النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين من غزوة المصطلق ، وصلوا الى وادي النقيع وهو أرض معشبة على أربعة فراسخ من المدينة (البكري: ١٣٢٢/٤) ، وقد حماه النبي صلى الله عليه وآله لخيل المسلمين (الكافي: ٢٧٧/٥). هناك هاجت ريحٌ قوية آذت المسلمين فخافوا منها ، وسألوا النبي صلى الله عليه وآله عنها فقال: لاتخافوها ، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار ! فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت وهو من يهود بني قينقاع ، قد مات ذلك يوم هبت الريح. وكان كهفاً أي مرجعاً للمنافقين !

وقال ابن هشام (٣٧٠/٢) مات معه رجلان من اليهود هما: « سلسلة بن برهام ، وكنانة بن صورياء ».

وفي الخرائج:١٠٢/١:« عن الصادق عليه السلام: أصابت رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة المصطلق ريح شديدة ، فَتَّتْ الرحال وكادت تدقها (قلبت محاملهم وهوادجهم وكادت تكسرها) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إنها موت منافق. قالوا: فقدمنا المدينة فوجدنا رفاعة بن زيد مات في ذلك اليوم ، وكان عظيم النفاق وكان أصله من اليهود».

أقول: يلاحظ أنه صلى الله عليه وآله فسر تلك الريح بموت أحد كبار الكفار ، وورد تفسير الناس لخسوف الشمس بموت ولده إبراهيم فصعد المنبر وقال: « يا أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، يجريان بأمره ، مطيعان لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإن انكسفتا أو واحدة منهما فصلوا. ثم نزل عن المنبر فصلى بالناس صلاة الكسوف ، فلما سلم قال: يا علي قم فجهز ابني..». (الكافي: ٢٠٨/٣).

٨- ضاعت ناقة النبي صلى الله عليه وآله فأرجف المنافقون

في الصحيح من السيرة: ٩/١٤، وتاريخ الطبري: ٢٦٢/٢ ، أنه في عودة النبي صلى الله عليه وآله من غزوة المصطلق هبت الريح في أول النهار وسكنت في آخره ، فجمع الناس ظهرهم وفقدت راحلة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فسعى الرجال لها يلتمسونها فقال رجل من المنافقين هو زيد بن اللصيت أحد بني قينقاع: كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ، ألايخبره الذي يأتيه بالوحي؟! فأراد الذين سمعوا منه ذلك أن يقتلوه فهرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله متعوذاً به ، فأتى النبي صلى الله عليه وآله جبرئيل فأخبره بقول المنافق ومكان ناقته ، وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه وذلك الرجل يسمع ، وقال: ما أزعم أني أعلم الغيب وما أعلمه ، ولكن الله أخبرني بقول المنافق ومكان ناقتي ، هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة. فخرجوا يسعون قِبَلَ الشعب ، فإذا هي كما قال فجاؤوا بها ! وآمن ذلك المنافق ».

وفي الخرائج: ١٠٢/١: « فضلَّتْ ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الريح ، فزعم يزيد بن الأصيب ، وكان في منزل عمارة بن حزم: كيف يقول إنه يعلم الغيب ولا يدري أين ناقته؟ فقالوا: بئس ما قلت ! والله ما يقول هو أنه يعلم الغيب وهو صادق فأخبر النبي بذلك فقال: لا يعلم الغيب إلا الله ، وإن الله أخبرني أن ناقتي في هذا الشعب تعلق زمامها بشجرة ، فوجدوها كذلك ولم يبرح أحد من ذلك الموضع فأخرج عمارة بن الأصيب من منزله ». ونحوه قصص الأنبياء للراوندي/٣٠٧ ، عن الإمام الصادق عليه السلام.

٩. شَبَّه النبي صلى الله عليه وآله علياً بعيسى بن مريم عليه السلام

وفي شرح الأخبار: ٤٦٦/٢: «عن سلمان الفارسي أنه قال: لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة بني المصطلق تقدم في مقدمة الناس، وأمر علياً عليه السلام أن يكون في ساقتهم يحفظهم، فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة أتى إلى باب المسجد فجلس ينتظر علياً عليه السلام لم يدخل منزله، فرأيته يمسح العرق من وجهه، ثم قال: يأتيكم الساعة من هذه الشعبة، وأشار بيده إلى بعض الشعاب رجل أشبه الناس بالمسيح، وهو أفضل الناس بعدي يوم القيامة، وأول من يدخل الجنة!

فجعلنا ننظر إلى الشعب فكان أول من طلع منه علي بن أبي طالب عليه السلام! فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قام إليه فاعتنقه وقبل بين عينيه ودخلا فقال قوم من المنافقين: يشبِّه ابن عمه بالمسيح ويمثله به، أفآلهتنا التي كنا نعبدها خير أم علي؟ فأنزل الله عز وجل فيهم: وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ». (الزخرف: ٥٧-٥٨).

أقول: روت هذا الحديث مصادرنا مستفيضاً، وأن النبي صلى الله عليه وآله قاله في أكثر من مناسبة (الكافي: ٥٧/٨) وروته بعض مصادرهم. ولا بد أن يكون نزول هذه الآيات مرة ثانية بعد نزولها في مكة، وقد ثبت أن بعض الآيات نزلت مرات. وفي بعضها أن جبرئيل قال للنبي صلى الله عليه وآله: يا محمد إقرأ قول الله تعالى كذا..لآيةٍ نزلت سابقاً.

١٠- الوليد بن عقبة الفاسق بشهادة القرآن !

بعد معركة النبي صلى الله عليه وآله مع بني المصطلق دخلوا في الإسلام ، ولعل ذلك هو السبب في إطلاق أسراهم وسباياهم.

وعند موسم زكاتهم أرسل النبي صلى الله عليه وآله الوليد بن عقبة بن أبي معيط ليقبضها ، فخرجوا لاستقباله فخاف ورجع الى النبي صلى الله عليه وآله وقال له إنهم رفضوا أداء زكاتهم !

وفي سيرة ابن هشام: ٧٦٣/٣: « فرجع إلى رسول الله فأخبره أن القوم قد هموا بقتله... فبينما هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله(ص) فقالوا يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعاً ! فبلغنا أنه زعم لرسول الله أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ما جئنا لذلك. فأنزل الله تعالى فيه وفيهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ».

وفي تفسير الطبري: ١٦٠/٢٦: « فقال: إن بني المصطلق جمعت لتقاتلك... قد منعوا صدقاتهم ، فغضب رسول الله(ص) والمسلمون قال: فبلغ القوم رجوعه قال: فأتوا رسول الله (ص) فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلاً مصدقاً فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ، ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله ومن رسوله ، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال وأذن بصلاة العصر ، قال: ونزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ..». ونحوه شرح الأخبار: ١٢٠/٢ ، وخلاصة العبقات: ٢٧٠/٣ ، والبيهقي: ٥٥/٩ ، والإستيعاب: ١٥٥٣/٤ ، والسقيفة وفدك للجوهري/١٢٨ ، وتفسير الصنعاني: ٢٣١/٣ ، وأسباب النزول/٢٦١ ، واليعقوبي: ٥٣/٢.

١١- أرسل النبي صلى الله عليه وآله خالداً فأفسد ، فأرسل علياً عليه السلام فأصلح

في أمالي الصدوق/٢٣٧ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى حي يقال لهم بنو المصطلق من بني جذيمة ، وكان بينهم وبين بني مخزوم إحنة في الجاهلية ، فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذوا منه كتاباً ، فلما ورد عليهم خالد أمر منادياً فنادى بالصلاة فصلى وصلوا ، فلما كانت صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلى وصلوا ، ثم أمر الخيل فشنوا فيهم الغارة فقتل وأصاب فطلبوا كتابهم فوجدوه ، فأتوا به النبي صلى الله عليه وآله وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد ، فاستقبل القبلة ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ! قال: ثم قدم على رسول الله تبر ومتاع فقال لعلي عليه السلام: يا علي ، أئت بني جذيمة من بني المصطلق ، فأرضهم مما صنع خالد.

ثم رفع صلى الله عليه وآله قدمه فقال: يا علي ، إجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك. فأتاهم علي عليه السلام فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله ، فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي، أخبرني بما صنعت. فقال: يا رسول الله ، عمدت فأعطيت لكل دم دية ولكل جنين غرة ، ولكل مال مالاً ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما لايعلمون ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: يا علي ، أعطيتهم ليرضوا عني رضي الله عنك يا علي ، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا

أنه لا نبي بعدي». وعلل الشرائع: ٤٧٣/٢ ، وأمال الطوسي: ٤٩٨ ، وفيه: «أرضيتني رضي الله عنك ، يا علي أنت هادي أمتي، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك وأخذ بطريقتك ، ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك ورغب عن طريقك إلى يوم القيامة ».

أقول: كان ذلك بعد مدة من غزوة بني المصطلق ، ولا بد أنهم ماطلوا في أداء زكاتهم ، لأن إسلام خالد بن الوليد كان بعد غزوة بني المصطلق والحديبية.

١٢-كان بنو المصطلق يماطلون في دفع زكاتهم !

في نوادر الراوندي/١٥٢: « أهل الصفة وكانوا ضيفان رسول الله صلى الله عليه وآله، كانوا هاجروا من أهاليهم وأموالهم إلى المدينة ، فأسكنهم رسول الله صلى الله عليه وآله صُفَّة المسجد وهم أربعمائة رجل ،كان يسلم عليهم بالغدوة والعشي ، فأتاهم ذات يوم فمنهم من يخصف نعله ، ومنهم من يرقع ثوبه منهم من يتفلى ، وكان رسول الله يرزقهم مداً مداً من تمر في كل يوم ، فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله ! التمر الذي ترزقنا قد أحرق بطوننا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إني لو استطعت أن أطعمكم الدنيا لأطعمتكم ، ولكن من عاش منكم من بعدي فسيغدى عليه بالجفان ويراح عليه بالجفان ، ويغدو أحدكم في قميصة ويروح في أخرى ، وتنجدون بيوتكم كما تنجد الكعبة. فقام رجل فقال: يا رسول الله ! إنا على ذلك الزمان بالأشواق فمتى هو ؟ قال صلى الله عليه وآله: زمانكم هذا خير من ذلك الزمان ، إنكم إن ملأتم بطونكم من الحلال توشكون أن تملأوها من الحرام.

فقام سعد بن الأشج فقال: يا رسول الله ! ما يفعل بنا بعد الموت ؟ قال صلى الله عليه وآله: الحساب والقبر ، ثم ضيقه بعد ذلك أو سعته. فقال: يا رسول الله ! هل تخاف أنت ذلك ؟ فقال: لا ولكن أستحي من النعم المتظاهرة التي لا أجازيها ولا جزءً من سبعة. فقال سعد بن الأشج: إني أشهد الله وأشهد رسوله ومن حضرني أن نوم الليل عليَّ حرام ، والأكل بالنهار علي حرام ، ولباس الليل علي حرام ، ومخالطة الناس علي حرام ، وإتيان النساء علي حرام. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا سعد لم تصنع شيئاً ، كيف تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر إذا لم تخالط الناس؟ وسكون البرية بعد الحضر كفر للنعمة ! نم بالليل وكل بالنهار ، والبس ما لم يكن ذهباً أو حريراً أو معصفراً ، وائت النساء.

يا سعد ! إذهب إلى بني المصطلق فإنهم قد ردوا رسولي ، فذهب إليهم فجاء بصدقة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف رأيتهم؟ فقال: خير قوم ، ما رأيت قوماً قط أحسن أخلاقاً فيما بينهم من قوم بعثتني إليهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه لاينبغي لأولياء الله تعالى من أهل دار الخلود ، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم ، أن يكونوا أولياء الشيطان من أهل دار الغرور ، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم.

ثم قال: بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر. بئس القوم قوم يقذفون الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر . بئس القوم قوم لا يقومون لله تعالى بالقسط ، بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون الناس بالقسط في الناس.

بئس القوم قوم يكون الطلاق عندهم أوثق من عهد الله تعالى. بئس القوم قوم جعلوا طاعة أيمانهم دون طاعة الله. بئس القوم قوم يختارون الدنيا على الدين. بئس القوم قوم يستحلون المحارم والشهوات والشبهات.

قيل: يا رسول الله وأي المؤمنين أكيس ؟ قال: أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعداداً ، أولئك هم الأكياس ».

١٣- قصة تأخر عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله في غزوة بني المصطلق

خلاصة حديث الإفك أو قصة الإفك كما رواها ابن هشام عن عائشة (٧٦٤/٣): أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وآله في غزوة بني المصطلق ، وفي رجوعهم نزل النبي صلى الله عليه وآله منزلاً: « فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أني فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس. قالت: فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي .

قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف علي وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله (ص) ؟ وأنا متلففة في ثيابي: قال: ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت فما كلمته ثم قرب البعير فقال: اركبي واستأخر عني. قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، فارتعج العسكر ! ووالله ما أعلم بشئ من ذلك ، ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني من ذلك شئ ».

ثم ذكرت عائشة أنها تعالجت عند أمها ولم تعرف باتهامها حتى أخبرتها أم مسطح ، وقالت إنه حدثت في مرضها أحداث بسبب اتهامها ، وكاد الأوس والخزرج يقتتلون لأن المتهم كان ابن سلول الأوسي، وأن النبي صلى الله عليه وآله خطب وقال: « أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل ، والله ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي».

وذكرت عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله استشار أشخاصاً في أمرها منهم علي عليه السلام فقال: «يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسل الجارية ، فإنها ستصدقك. فدعا رسول الله بريرة ليسألها ، قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب

فضربها ضرباً شديداً وهو يقول: أصدقي رسول الله صلى الله عليه وآله فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً ، ودخل عليها النبي صلى الله عليه وآله وقال: «يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقي الله ، وإن كنت قد قارفت سوءا مما يقول الناس فتوبي إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ! قالت عائشة: فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني ! قالت: ثم التمست إسم يعقوب فما أذكره فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. قالت: فوالله ما برح رسول الله مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه.. فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك ، قالت: قلت: بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدهم».

أقول: في هذه الرواية مناقشات ، ولا يصح قولها إن آية براءة المتهمة من أزواج النبي صلى الله عليه وآله نزلت يوم ذلك .

١٤- نزلت آية براءة مارية فادعت عائشة أنها نزلت فيها !

وقعت قصة عائشة في غزوة بني المصطلق في شعبان سنة خمس ، (إعلام الورى: ١/١٩٦) ، وفي سنة ثمان نزلت آيات الإفك في سورة النور ، واتفقوا على أن سورة

النور نزلت دفعة واحدة ، فادعت عائشة أنها نزلت في براءتها ! والصحيح أنها نزلت في براءة مارية ، فقد كان اتهامهم لها في السنة الثامنة وقت نزول الآيات ! ومما يدل على أن البراءة لمارية أن الآية وصفت المتَّهمة بالغافلة ، وهو ينطبق على مارية لسذاجتها ولاينطبق على عائشة ! لاحظ الآيات:

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ. لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ .

وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ. وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ. يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَالْحَقُّ الْمُبِينُ. الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. (النور: ١١- ٢٦).

فكيف يصح ادعاء عائشة إن قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ.. نزلت فيها مع أن صفة الغافلة تنطبق على مارية التي كان فيها بساطة وسذاجة ، أما عائشة فلم يقل أحد إنها كانت ساذجة غافلة ، بل كانت ذكية متحركة ، فبعد أن قتل طلحة والزبير في حرب الجمل قادت المعركة وحدها لسبعة أيام !

وقد تنبهت عائشة الى أن صفة (الغافلة) لاتنطبق عليها فقالت: « رميتُ بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك ». (لباب النقول/١٥٧).

تقصد عائشة أنها غافلة عن التهمة ! وهذا لايصح لأن الغفلة في الآية مطلقة ولا يصح حصرها بالغفلة عن التهمة بدون قرينة ، بل هي عامة ترتبط بالفطنة والذكاء: «والمغفل: الذي لا فطنة له. والغفول من الإبل: البلهاء ». (لسان العرب: ٤٩٨/١١). « ورجل غفل: لم يجرب الأمور». (الصحاح: ١٧٨٣/٥).

وقد حاول بعضهم أن يجعل الغفلة بمعنى التي لاتخطر الفاحشة ببالها (الشوكاني: ١٧/٤، وعمدة القاري: ٢١٢/١٧)، لكنه لايصح أيضاً ، لأن المتبادر منها بدون قرينة:الساذجة .

وسيأتي مايثبت أن المبرأة مارية لا عائشة ، في فصل أزمة الخلافة بعد فتح مكة .

○ ○

الفصل الثامن والأربعون

من غزوة بني المصطلق الى عمرة الحديبية

١- ثلاث غزوات ، وأكثر من عشر سرايا ، وعدد من الأحداث !

يتعجب الإنسان من كثرة فعاليات النبي ﷺ وتنوعها ، ويتساءل: كيف تتسع أيامه وأسبوعه وشهره وسنته ﷺ ، لكل هذه النشاطات ؟!

ومن أمثلتها السنة الخامسة ، فقد كان فيها غزوة بني المصطلق أو المريسيع ، وحادثة ابن سلول رئيس المنافقين المدنيين ، وتخلف عائشة عن القافلة التي جعلتها حديث الإفك ، وضياع ناقة النبي ﷺ ، وطلاق زيد لزينب بنت جحش وزواج النبي ﷺ بها ، ورسائله الى بعض الحكام والملوك ، وغزوتان ذهب فيهما بنفسه: غزوة بني لحيان ، وغزوة الغابة . وقصة العرنيين الذين سرقوا إبل الصادقة ، وأكثر من عشر سرايا ، لرد لصوص أو غزاة للمدينة.

وكان منها السرية التي قبضت على ثمامة بن أثال سيد اليمامة ، ثم التهيؤ لأداء العمرة التي سميت غزوة الحديبية .

وخلال ذلك نزول سور من القرآن وآيات ، وأحداث صغيرة وكبيرة !

لكن لاعجب من رسول الله ﷺ الذي وهب وجوده لربه فباركه ، وكان يأتيه جبرئيل عليه السلام ويوجهه ويخبره بما يكون ، ويأمره بما يجب ويساعده عندما يلزم !

٢- تشجيع النبي صلى الله عليه وآله لسباق الخيل ، والإبل

«أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالسبق بين ما ضُمِّرَ من الخيل وما لم يُضَمَّر... فأرسلها من الحَفْيَا إلى ثنية الوداع ، وهو خمسة أميال أو ستة أو سبعة. وأجرى ما لم يضمَّر فأرسلها من ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق ، وهو ميلٌ أو نحوه... وسابق أبو سعيد الساعدي على فرس النبي صلى الله عليه وآله الذي يقال له: «الظَّرْب» فسبقت غيرها من الخيل ، وكساه النبي صلى الله عليه وآله برداً يمانياً ، بقيت بقية عند أحفاده إلى زمان الواقدي. وسبق أيضاً أبو أسيد الساعدي على فرس النبي صلى الله عليه وآله اسمه لزَّاز فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله حلة يمانية. وسابق صلى الله عليه وآله بين الخيل مرة وجلس على سلع ، فسبقت له ثلاثة أفراس: لزَّاز ، ثم الظَّرب ، ثم السَّكْب ». (الصحيح من السيرة: ١٢/١٤).

« وقد سابق رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة وأجرى الخيل ، فروي أن ناقة النبي صلى الله عليه وآله سُبقت فقال: إنها بغت وقالت: فوقي رسول الله ! وحقٌّ على الله عز وجل أن لايبغي شئ على شئ الا أذله الله ، ولو أن جبلاً بغى على جبل لهدَّ الله الباغي منهما». (الفقيه:٤٨/٣، و:٥٩/٤) .

أقول: تقدم أن المسلمين لم يكن عندهم في معركة بدر في السنة الثانية من للهجرة إلا فرس واحدة ، ثم كان عندهم في السنة الثالثة في أحُد بضعة أفراس ، فشجعهم النبي صلى الله عليه وآله على اقتناء الخيل واشترى هو فكان عندهم في السنة الرابعة عدد منها ، وفي السنة الخامسة كانت خيلهم بالعشرات ، وشجع النبي صلى الله عليه وآله اقتناءها وأجرى السباق بينها ، وكذا بين الإبل. وبذلك اتسع اهتمام المسلمين بالخيل.

ولا علاقة لهذا السباق الذي أجراه النبي صلى الله عليه وآله في السنة الرابعة والخامسة للهجرة وبين سقوطه هو عن فرسه ذات مرة ، فقد كان ذلك في السنة التاسعة .

فقد روى في الفقيه:٢٥٠/١،و٣٨١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«كان النبي صلى الله عليه وآله وقع عن فرس فشج شقه الأيمن فصلى بهم جالساً في غرفة أم إبراهيم».

وفي رواية: فسحج شقه الأيمن أي خدش جلده. ونحوه عمدة القاري: ١٠٥/٤.

٣- لم تقع في المدينة زلزلة في عهد النبي صلى الله عليه وآله

قال في الصحيح: ٢٤/١٤:«وزعموا: أنه في سنة خمس من الهجرة زلزلت المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل يستعتبكم فأعتبوه. ونقول: إن الله تعالى يقول: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ..».

أقول: لا أثر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام لوقوع زلزلة في عهد النبي صلى الله عليه وآله.

قال المقريزي في إمتاع الأسماع: ٣٩٠/١٢:« لم يأت عن النبي (ص) من وجه صحيح أن الزلزلة كانت في عصره ولا صحت عنه فيها سنة .

وأول زلزلة كانت في الإسلام في عهد عمر ، فأنكرها... ثم قال: ما أسرع ما أحدثتم ! والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم».

وزعموا أن عمر ضرب الأرض بسوطه فسكنت ! (الغدير: ٨٢/٨).

وزعموا أنه أخذ تميماً الداري فطارد نار بركان في المدينة بيديه ، حتى هربت ! (الدارمي: ١٣٢/١).

٤- قصة زواج النبي صلى الله عليه وآله من زينب بنت جحش

قال الله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً. وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً. مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً .

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً. مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ». (سورة الأحزاب: ٣٦-٤٠).

في تفسير القمي: ١٧٢/٢، بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:« كان سبب نزول ذلك (وَإِذْ تَقُولُ للذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ...) أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما تزوج بخديجة بنت خويلد خرج إلى سوق عكاظ في تجارة لها ، ورأي زيداً يباع ورآه غلاماً كيساً حصيفاً فاشتراه ، فلما نبئ رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الإسلام فأسلم وكان يدعى زيد مولى محمد صلى الله عليه وآله فلما بلغ حارثة بن شراحيل الكلبي خبر ولده زيد ، قدم مكة وكان رجلاً جليلاً ، فأتى أبا طالب فقال: يا أبا طالب إن ابني وقع عليه السبي، وبلغني أنه صار إلى ابن أخيك ، فسله إما أن يبيعه وإما أن يفاديه وإما أن يعتقه.

فكلم أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:هو حرٌّ فليذهب كيف يشاء

فقام حارثة فأخذ بيد زيد فقال له: يابني إلحق بشرفك وحسبك، فقال زيد: لست أفارق رسول الله ﷺ أبداً، فقال له أبوه: فتدع حسبك ونسبك وتكون عبداً لقريش؟ فقال زيد: لست أفارق رسول الله ﷺ ما دمت حياً، فغضب أبوه فقال: يا معشر قريش إشهدوا أني قد برئت منه وليس هو ابني!

فقال رسول الله ﷺ: إشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني، فكان يدعى زيد بن محمد، فكان رسول الله ﷺ يحبه وسماه زيد الحِبّ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة زوجه زينب بنت جحش، وأبطأ عنه يوماً فأتى رسول الله ﷺ منزله يسأل عنه فإذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهر، فنظر إليها وكانت جميلة حسنة، فقال: سبحان الله خالق النور وتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى منزله ووقعت زينب في قلبه موقعاً عجيباً، وجاء زيد إلى منزله فأخبرته زينب بما قال رسول الله ﷺ فقال لها زيد: هل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول الله فلعلك قد وقعت في قلبه؟ فقالت: أخشى أن تطلقني ولا يتزوجني رسول الله! فجاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أخبرتني زينب بكذا وكذا، فهل لك أن أطلقها حتى تتزوجها؟ فقال رسول الله: لا، إذهب فاتق الله وأمسك عليك زوجك، ثم حكى الله فقال: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَجْنَاكَهَا لِكَيْ لايَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً. فزوجه الله من فوق عرشه فقال المنافقون: يحرِّم علينا نسائنا ويتزوج امرأة ابنه زيد! فأنزل الله في هذا:

مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِـي تُظَـاهِرُونَ مِـنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَيَهْدِي السَّبِيلَ. ثم قال: ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَأَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ..».

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٧٢/٢، أنه عليه السلام قـال لابـن الجهـم:« وقـول الله عـز وجـل: وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، فإن الله عز وجل عرف نبيـه صلى الله عليه وآله أسـماء أزواجه فـي دار الـدنيا ، وأسـماء أزواجـه فـي دار الآخـرة وأنهن أمهات المؤمنين ، وإحدى من سمى له زينب بنت جحش ، وهـي يومئـذ تحت زيد بن حارثه ، فأخفى اسمها في نفسه ولـم يبـده ، لكـيلا يقـول أحـد مـن المنافقين أنه قـال فـي امرأة فـي بيت رجـل إنهـا إحـدى أزواجـه ، وخشـي قـول المنافقين فقال الله عز وجل: وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، يعني في نفسك !

وإن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقـه إلا تـزويج حـوا مـن آدم عليهما السلام وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا.. وفاطمـة مـن علي عليه السلام. قال: فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يـا ابـن رسـول الله أنـا تائـب إلى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومي إلا بما ذكرته ».

وفي تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى/١٥٥: «فإن قيل...فما تأويل قوله تعـالى: وَإِذْ تَقُـولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ..أوليس هـذا عتابـاً لـه صلى الله عليه وآله مـن حيـث أضمر ما كان ينبغي أن يظهره وراقب من لا يجب أن يراقبه، فما الوجه في ذلك؟

قلنا: وجه هذه الآية معروف وهو أن الله تعالى لما أراد نسخ ما كان عليه الجاهلية من تحريم نكاح زوجة الدعي ، والدعي هو الذي كان أحدهم يجتبيه ويربيه ويضيفه إلى نفسه على طريق البنوة ، وكان من عادتهم أن يحرموا على أنفسهم نكاح أزواج أدعيائهم كما يحرمون نكاح أزواج أبنائهم ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ أن زيد بن حارثة وهو دعي رسول الله ﷺ سيأتيه مطلقاً زوجته ، وأمره أن يتزوجها بعد فراق زيد لها ، ليكون ذلك ناسخاً لسنة الجاهلية التي تقدم ذكرها ، فلما حضر زيد مخاصماً زوجته عازماً على طلاقها ، أشفق الرسول من أن يمسك عن وعظه وتذكيره، لا سيما وقد كان يتصرف على أمره وتدبيره، فرجف المنافقون به إذا تزوج المرأة يقذفونه بما قد نزهه الله تعالى عنه».

وفي الصحيح من السيرة:٥١/١٤: «وكان من قصتها أن النبي ﷺ خطبها لزيد بن حارثة فظنت أنه يخطبها لنفسه فرضيت ، فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وترفعت عليه بنسبها وجمالها، وتابعها على ذلك أخوها عبد الله ، وقالت: «أنا ابنة عمتك! يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي أو فلم أكن لأفعل ! قال رسول الله ﷺ: إني قد رضيته لك ، فبينما هما يتحدثان أنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ.. فرضيت هي وأخوها بذلك وجعلت أمرها للنبي ﷺ ، فأنكحها زيداً ودخل بها ، وساق لها رسول الله ﷺ عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً ودرعاً وإزاراً وملحفة وخمسين مداً من طعام ، وثلاثين صاعاً من تمر.. فمكثت عند زيد ما شاء الله ، قريباً من سنة

أو فوقها ، ثم وقعت الكراهية بينهما ، فأتى زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: إني أريد أن أفارق صاحبتي. فقال: ما لك أرابك منها شئ؟

قال: لا والله يا رسول الله، ما رأيت منها إلا خيراً ، ولكنها تتعاظم عليَّ لشرفها وتؤذيني بلسانها. فقال له صلى الله عليه وآله: أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها...

وفي رواية: لما انقضت عدتها قال له: يا زيد ائت زينب فأخبرها أن الله سبحانه قد زوجنيها ، فانطلق زيد واستفتح الباب فقالت: من هذا؟ قال: زيد قالت: ما حاجة زيد إلي وقد طلقني؟! فقال: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله... فقد أبدلك الله خيراً مني ! قالت: من هو؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله فخرَّت ساجدة .

وذكر البلاذري: أن زينب لما بشرت بتزويج الله نبيه إياها ونزول الآية في ذلك جعلت على نفسها صوم شهرين شكراً لله ، وأعطت من بشَّرها حلياً كان عليها...

قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغني من جمالها ، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع الله لها زوَّجها الله من السماء ! وقلت: هي تفتخر علينا بهذا.. وكانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وآله تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله عز وجل من فوق سبع سموات. قالوا: وما أَوْلَمَ على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب ، أولمَ عليها بتمر وسويق وشاةٍ ذبحها ، وأطعم الناس الخبز واللحم ، فترادف الناس أفواجاً يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج ، حتى امتد النهار ، أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه».

وقال في الصحيح: ١٧٥/١٤: «ومن الأمور الجديرة بالتأمل هنا: هذا الود والمحبة بين عائشة وزينب بنت جحش، رغم أن زواج النبي صلى الله عليه وآله بزينب كان في بداية الأمر قد ثقل على عائشة ، وقد أقلقها وأهمها هذا الأمر وأخذها منه ما قرب وما بعد.. ولكن سرعان ما انقلبت الأمور ، وأصبحت زينب في موقع الحظوة لدى عائشة وصارت تمدحها بقولها: ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب ، وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم ، وأعظم أمانة وصدقة » !

ثم ذكر أنها كانت من نوع عائشة في الجرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت تقف معها ، قال:« الحقيقة هي أن عائشة هذه المرأة الجريئة والطموح ، والتي استطاعت أن تشن حرباً على أقدس وأعظم شخصية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.. والتي كانت مفتاحاً لجرأة معاوية وغيره على الوصي وأخي النبي وابن عمه ، حتى شنوا الحروب عليه ، إن عائشة قد وجدت في زينب بنت جحش بعض بغيتها ، فكانت النصير والمساعد لها على تمرير بعض مشاريعها في إثارة أجواء تخدم مصالحها المستقبلية والآنية على حد سواء...

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: أن زينب قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعدل وأنت رسول الله ؟! وقالت حفصة: إن طلقنا وجدنا أكفاءنا من قومنا ! فاحتبس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين يوماً ، فأنف الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله فأنزل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ..إلى قوله: أجْراً عَظِيماً.. قال: فاخترن الله ورسوله....

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن زينب بنت جحش قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعدل وأنت نبي؟! فقال لها: تربت يداك ! إذا لم أعدل فمن يعدل؟! قالت: دعوت الله يا رسول الله ليقطع يدي؟ فقال: لا، ولكن لتتربان. فقالت: إنك إن طلقتنا وجدنا في قومنا أكفاءنا » !

ومن طريف ما في سيرة زينب هذه أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي سمى أباها جحشاً !

قال القرطبي في تفسيره: ١٦٥/١٤: « وكان اسم جحش بن رئاب بُرَّة بضم الباء ، فقالت زينب لرسول الله: يا رسول الله غَيِّرْ إسم أبي فإن البُرة صغيرة ! (والبُرَّة: حلقة توضع في أنف البعير ويربط بها الحبل أو الخيط -لسان العرب: ١٧٤/١١) فقيل إن رسول الله قال لها: لو كان أبوك مسلماً لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت ولكني قد سميته جحشاً والجحش أكبر من البرة ! ذكر الحديث مسنداً في كتاب المؤتلف والمختلف أبو الحسن الدارقطني». ورواه القرطبي في أحكام القرآن/٣٥٣٤، والمعافري في الروض الأنف: ٢٩٢/٢ ،والحلبي في السيرة: ٤٨٣/٢ ، وتاريخ الخميس: ٥٠١/١ ، وتاج العروس: ٦٨/٩، وحياة الحيوان/٣٠٥.

٥- تشديد الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وآله

قال في الصحيح من السيرة: ١٢٩/١٤: «روى الرواة عن زينب بنت جحش أنها قالت: فيَّ نزلت آية الحجاب ، وذكروا أن ذلك كان في مناسبة تزويجها برسول الله صلى الله عليه وآله ، وذكروا أن السبب في ذلك هو عمر بن الخطاب وجعلوا ذلك من

فضائله حتى لقد رووا عن ابن مسعود أنه قال عن عمر: إنه فضّل على الناس بأربع وذكر منها أنه بذكره الحجاب أمِرَ نساء النبي صلى الله عليه وآله أن يحتجبن !

وروي أن عمر مرَّ على نساء النبي صلى الله عليه وآله وهن مع النساء في المسجد فقال: إحتجبن فإن لكن على النساء فضلاً ، كما أن لزوجكن على الرجال الفضل. فقالت له زينب: وإنك لتغار علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا ! فأنزل الله: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ.

وقد صرحوا أيضاً: بأن آية الحجاب التي نزلت في زينب بنت جحش هي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ..الآية. وكان وقت نزولها صبيحة عرس النبي صلى الله عليه وآله بزينب بنت جحش في ذي القعدة سنة خمس.وعن أنس: ما بقي أحد أعلم بالحجاب مني ، ولقد سألني أبي بن كعب فقلت نزل في زينب. وفي رواية أنه في قضية زينب بنت جحش أراد أن يدخل مع النبي صلى الله عليه وآله فألقى الستر بينه وبينه ونزل الحجاب ».

ثم ناقش صاحب الصحيح في فرض الحجاب كما صوروه لأنه موجود من الأصل ، وأورد رواياته في أحد عشر وجهاً فيها تناقض !

وقد كتبنا بحثاً في كتاب (ألف سؤال وإشكال: ٣٠٠/٢) في طعن البخاري وغيره من مصادر السلطة بالنبي صلى الله عليه وآله بأنه لم يكن يحجب نساءه ، حتى أمره عمر بذلك ونزل القرآن موافقاً لقول عمر !

وخلاصته: أنهم زعموا (البخاري: ٤٦/١) أن عمر كان يقول للنبي صلى الله عليه وآله: أحجب نساءك فلم يفعل النبي صلى الله عليه وآله فنزل الوحي موافقاً لرأي عمر ، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يحجب نساءه ! ويتخيل القارئ من كثرة رواياتهم أن نساء النبي صلى الله عليه وآله كنَّ غير محجبات وأنه صلى الله عليه وآله قصَّرَ أو تسامح في حجابهن ! مع أنهن كنَّ محجبات كغيرهن وكانت سورة النور قد نزلت وفيها آيات الحجاب وآداب الأسرة والإختلاط.

أما آية الحجاب في سورة الأحزاب فزادت في حجابهن بأن فرضت عليهنَّ أن لايكلمن الرجال الأجانب إلا من وراء ستر .

وهذه آيات الحجاب في سورة النور:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلايَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جميعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. (النور: ٣٠-٣١).

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَئْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيات وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

وإذا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَئْذِنُوا كَمَا اسْتَئْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.(النور: ٥٨ - ٦٠).

وهذه آيات تشديد الحجاب على نساء النبيﷺفي سورة الأحزاب:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً . وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا .

يَا نِسَاءَ النبي مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا. وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صالحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا .

يَا نِسَاءَ النبي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قولاً مَعْرُوفًا. وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَوةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إنما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لطيفاً خَبِيراً.(سورة الأحزاب: ٢٨ - ٣٤).

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النبي إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فإذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النبي فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ

مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ الله وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ الله عظيماً.

إِنْ تُبْدُوا شيئاً أَوْ تُخْفُوهُ فإن الله كَانَ بِكُلِّ شيْءٍ عَلِيمًا. لاجُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاأَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلاأَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلانِسَائِهِنَّ وَلامَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ الله إِنَّ الله كَانَ عَلَى كُلِّ شيْءٍ شَهِيدًا.

إِنَّ الله وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الله وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا. وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ الله غَفُوراً رَحِيمًا.

لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قليلاً. مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً. سُنَّةَ الله فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً. (سورة الأحزاب: ٥٣ - ٦٢).

وتدل الآيات على أن الله تعالى أراد منهن أن يتحلَّيْنَ بمتانة الشخصية ورصانة الكلام: فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ، ولايكثرن الرواح والمجئ ولايتصدَّيْنَ للأمور السياسية: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، وأن يكنَّ في مستوى مسؤولية كونهن زوجات النبي صلى الله عليه وآله ومستوى مقام أمهات المؤمنين الذي أعطاه الله لهن، وإلا.. فليتنحَّيْنَ من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله! ومن الواضح أن الظروف التي كانت تحيط بالنبي صلى الله عليه وآله كانت مؤذية له في نبوته وشخصه وأهل بيته ونسائه.

أما آية الحجاب التي طعنوا بسببها بالنبي ﷺ فهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النبي إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ... وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ الله وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ الله عظيماً. فهي آية واحدة فيها ثلاثة أحكام:

أدب الدخول إلى بيت النبي ﷺ وحرمة تكليمهن إلا من وراء حاب وستر، ولذا سميت آية الحجاب. وحرمة الزواج بهنَّ بعده ﷺ لأنهن أمهات المؤمنين.

لكنهم صوروا أن نساء النبي ﷺ لم يكنَّ قبلها محجبات! وأكثروا الكذب عن سبب نزولها، وتناقضت رواياتهم حسب غرض الراوي في مدح هذا وذاك! وكلها أحاديث صحيحة السند عندهم!

منها: أن عمر أمر النبي ﷺ فلم يفعل، فنزلت الآية موافقة لعمر!

ومنها: قول عائشة إنها كانت تأكل مع النبي ﷺ حيساً (تمر بالسمن والطحين) فمر عمر فأكل معهم باصابعه، فمست إصبعه إصبع عائشة، فنزلت الآية!

ومنها: أن إصبع شخص آخر أصابت إصبعها، فنزلت الآية!

ومنها: أن عمر تشاجر مع زينب بنت جحش، فنزلت الآية!

ومنها: أن سودة بنت زمعة خرجت ليلاً لتقضي حاجتها في جهة البقيع، فناداها عمر عرفناك ياسودة! فنزلت الآية!

ومنها: أن شباباً كانوا يجلسون بطريق نساء النبي ﷺ فيؤذونهن، فنزلت الآية!

ومنها: أنه ﷺ رأى رجالاً يتحدثون مع نسائه، فصعد المنبر غاضباً وتلا الآية!

ومنها: أن طلحة كان يؤذي النبي صلى الله عليه وآله في أمر نسائه ، وكان يتحدث مع عائشة ، فنهاه النبي صلى الله عليه وآله فأساء الأدب بحجة أنها ابنة عمه من بني تَيْم !

ففي الدر المنثور: ٢١٤/٥، أنها:«نزلت في طلحة بن عبيد الله ، لأنه قال: إذا توفي رسول الله تزوجْتُ عائشة ! وأخرج ابن أبي حاتم ، عن السدِّي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا ! لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده ! فنزلت هذه الآية !

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أن رجلاً أتى بعض أزواج النبي فكلمها وهو ابن عمها ، فقال النبي: لا تقومَنَّ هذا المقام بعد يومك هذا ! فقال: يا رسول الله إنها ابنة عمي ، والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي ! قال النبي: قد عرفت ذلك ، إنه ليس أحد أغْيَرُ من الله ، وإنه ليس أحد أغيرُ مني ! فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي ! لأتزوجنها من بعده ! فأنزل الله هذه الآية » !

ومنها: وهو ما نرجحه أن النبي صلى الله عليه وآله عندما تزوج بزينب بنت جحش ، أطعم الناس في حجرته التي هي(صالة بيته) وخرجوا وبقي رجلان ثقيلان فذهب النبي صلى الله عليه وآله يتمشى حتى وصل الى غرفة عائشة البعيدة نسبياً عن حجرته ، وعاد فوجد الثقيلين جالسين ولم يراعيا الأدب (البخاري: ٢٤/٦) فنزلت الآية ، وفيها: وَلَا مُسْتأنسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النبي فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لايَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ.

قال البخاري: ٢٥/٦، عن أنس: « فقلت: يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه. قال: إرفعوا طعامكم ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت... وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم

يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر... رأى رجلين جرى بهما الحديث ، فلما رآهما رجع عن بيته... وأنزلت آية الحجاب ».

وفي فتح الباري: ٤٠٧/٨: « فتهيأ للقيام ليفطنوا لمراده فيقوموا بقيامه... فخرجوا بخروجه إلا الثلاثة الذين لم يفطنوا لذلك لشدة شغل بالهم بما كانوا فيه من الحديث ، وفي غضون ذلك كان النبي(ص) يريد أن يقوموا من غير مواجهتهم بالأمر بالخروج لشدة حيائه ، فيطيل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام ».

وقال القرطبي: ٢٢٤/١٤: « قال ابن أبي عائشة في كتاب الثعلبي: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم » ! وأقول: حسبك من الثقلاء أنهم محترمون جداً عند السلطة القرشية ، لأنهم رؤساؤها ، فقد أمرت رواتها بالتغطية عليهم وكتم أسمائهم !

٦- غزوة بني لِحْيان

بعد بني قريظة ، غزا النبي ﷺ بني لِحْيَان وهم بطن من قبيلة هذيل ، فربما كانوا يتهيؤون لمهاجمته ، وكانوا غدروا ببعض المسلمين وقتلوهم ، أو باعوهم الى قريش ! فكان النبي ﷺ يدعو على قريش وعليهم ويلعنهم .

ففي الكافي: ٧٠/٨: « الإيمان يماني والحكمة يمانية ، ولولا الهجرة لكنت امرءً من أهل اليمن. الجفا والقسوة في الفدّادين أصحاب الوبر ربيعة ومضر ، من حيث يطلع قرن الشمس... لعن الله رعلاً وذكوان وعضلاً ولحيان والمجذمين من أسد

وغطفان ، وأبا سفيان بن حرب ، وشهبلاً ذا الأسنان ، وابني مليكة بن جذيم ، ومروان ، وهوذة ، وهونة ».

وروى مسلم: ١٣٤/٢، وغيره ، أنهم قتلوا قراء بعثهم النبي صلى الله عليه وآله الى نجد فدعا عليهم «اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان ، وعصية عصت الله ورسوله ».

وكانت غزوة مختصرة ، قال في المناقب:١٧٠/١:« في جمادى الأولى وكان بينهما الرمي بالحجارة وصلى فيها صلاة الخوف بعسفان، ويقال في ذات الرقاع».

وقال ابن هشام في روايته عن ابن إسحاق(٧٥٠/٣) إنها:« على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة... فسلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ،ثم على مخيض ، ثم على البتراء ، ثم صفق ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ، فأغذ السير سريعاً حتى نزل على غران ، وهي منازل بني لحيان وغران واد بين أمج وعسفان ، إلى بلد يقال له: ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال.. فخرج في مئتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان.. ثم كر وراح رسول الله (ص) قافلاً ، فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله(ص) يقول حين وجه راجعاً: آيبون تائبون إن شاء الله ، لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال ».

ونقد في الصحيح من السيرة (٢٣٥/١٤) رواياتهم في مدة سفر النبي صلى الله عليه وآله وعمله في هذه الغزوة ، وبحث أهم ما فيها وهو زيارة النبي صلى الله عليه وآله لقبر والدته آمنه عليها السلام.

وقد تقدمت أحاديث زيارته لقبر والده ووالدته صلى الله عليه وآله.

٧- غزوة الغابة أو ذي قِرَد

قال الإمام الصادق عليه السلام:«أتى أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني قد اجتويت المدينة (تأذيت من هوائها) أفتأذن لي أن أخرج أنا وابن أخي إلى مزينة فنكون بها؟ فقال: إني أخشى أن يغير عليك خيل من العرب فيقتل ابن أخيك فتأتيني شعثاً فتقوم بين يدي متكئاً على عصاك فتقول قتل ابن أخي وأخذ السرح! فقال: يا رسول الله ، بل لا يكون إلا خير إن شاء الله.

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج هو وابن أخيه وامرأته فلم يلبث هناك إلا يسيراً حتى غارت خيل لبني فزارة فيها عيينة بن حصن ، فأخذت السرج وقتل ابن أخيه وأخذت امرأته من بني غفار ، وأقبل أبو ذر يشتد حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وبه طعنة جائفة ، فاعتمد على عصاه وقال: صدق الله ورسوله ، أخذ السرح وقتل ابن أخي وقمت بين يديك على عصاي! فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين فخرجوا في الطلب فردوا السرح وقتلوا نفراً من المشركين ». (الكافي: ١٢٦/٨).

وقال في الصحيح من السيرة:٢٢٣/١٤ ، ملخصاً:« كانت غزوة الغابة ، وتعرف بذي قِرَد ، وهو ماء على بريد من المدينة من جهة الشام ، في يوم الأربعاء في شهر

ربيع الأول من سنة ست ، قبل الحديبية ، كما قال ابن عقبة وابن إسحاق ، وادَّعى البخاري وغيره أنها قبل خيبر بثلاثة أيام أو نحوها.

فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله من غزوة بني لحيان لم يقم صلى الله عليه وآله سوى أيام قلائل حتى أغار بنو فزارة بقيادة عيينة بن حصن في أربعين فارساً على لقاح النبي صلى الله عليه وآله التي كانت في الغابة فاستاقوها ، ونجا أبو ذر وبه طعنة جائفة ، وقتلوا ابنه وسبوا امرأته !

فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن ينادى في المدينة: الفزع الفزع ، أو: يا خيل الله اركبي ، وكان أول ما نودي بها ، وركب رسول الله صلى الله عليه وآله في خمس مائة . وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من الفرسان المقداد وجماعة فقال له: أخرج في طلب القوم حتى ألحقك بالناس ، فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا ، وكان أول فارس لحق بهم محرز بن نضلة فحمل عليه رجل منهم فقتله ، ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة بن حصن.

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين ، وقَتل عكاشة بن محصن أبانَ بن عمرو ، وأدرك أوباراً وابنه عمرواً وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً واستنقذوا بعض اللقاح ، قيل: عشرة منها وأفلت القوم بما بقي وهو عشر ، وهربوا الى نجد. وسار رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وأقام عليه يوماً وليلة ، ورجع إلى المدينة ، وقد غاب عنها خمس ليال.

وأفلتت امرأة أبي ذر على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قدمت المدينة فقالت للنبي صلى الله عليه وآله إنها نذرت أن تنحر الناقة التي نجت عليها ، وتأكل من سنامها

وكبدها ! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: بئسما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها ! إنه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقة من إبلي. إرجعي إلى أهلك على بركة الله. ورواها الطبراني في الأوسط(١٤/٢) برواية خلطت بينها وبين رواية ضياع ناقة النبي صلى الله عليه وآله.

٨- سرية علي عليه السلام لملاحقة اللصوص العرنيين

قال الإمام الصادق عليه السلام(الكافي:٢٤٥/٧):« قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله قوم من بني ضبة مرضى ، فقال لهم رسول الله: أقيموا عندي فإذا برئتم بعثتكم في سرية ، فقالوا: أخرجنا من المدينة ، فبعث بهم إلى إبل الصدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها ، فلما برئوا واشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كانوا في الإبل ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله فبعث إليهم علياً عليه السلام فهم في واد قد تحيروا ليس يقدرون أن يخرجوا منه قريباً من أرض اليمن ، فأسرهم وجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنزلت هذه الآية عليه: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرض فَسَاداً أن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأرض. فاختار رسول الله صلى الله عليه وآله القطع فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ». انتهى.

أقول: غيبت السيرة الحكومية إسم علي عليه السلام من هذه السرية وصار إسمها: سرية كرز بن جابر إلى العرنيين ! وحرفت روايتها للطعن بالنبي صلى الله عليه وآله وإثبات قسوته ، وأنه قتل العرنيين وسمل عيونهم وتركهم عطاشى حتى ماتوا ثم أحرقهم ! وذلك ليبرروا للحكام ما يرتكبونه من تعذيب ، بل يجعلهم أرحم من النبي صلى الله عليه وآله !

فقد رواها البخاري بروايات عديدة ! وكذب روايتهم الإمام الباقر عليه السلام فقال: (علل الشرائع: ٥٤١/٢):«إن أول ما استحل الأمراء العذاب لكذبة كذبها أنس بن مالك على رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سمر يد رجل إلى الحائط ومن ثم استحل الأمراء العذاب» !

وقال في الصحيح من السيرة:٣٢٤/١٤:« وفي جمادى الآخرة من سنة ست على قول ابن اسحاق ، أو في شوال على قول الواقدي وابن سعد وابن حبان ، أو في ذي القعدة بعد الحديبية ، كما في البخاري ، كانت سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين ، وهم حي من قضاعة وحي من بجيلة. لكن المراد هنا الثاني على ما ذكره ابن عقبة في مغازيه...ثم ناقش صاحب الصحيح فيما نسبوه الى النبي صلى الله عليه وآله ، وروى عن الإمام زين العابدين عليه السلام: « لا والله ، ما سمل رسول الله صلى الله عليه وآله عيناً ، ولا زاد أهل اللقاح على قطع أيديهم وأرجلهم ». (مسند الشافعي/٣٥١)

وقال:« الصحيح في نزول الآية أن هذه القضية بأسرها قد حرفت بصورة عمدية وصرفت عن مسارها الطبيعي ، وأن أميرها هو علي عليه السلام ، وأنها نزلت في نفر من بني ضبة ، وأنهم إنما قتلوا ثلاثة من رعاة اللقاح ، إلى غير ذلك من تفاصيل » ثم أورد رواية الإمام الصادق عليه السلام.

وقد كتبنا بحثاً في كتاب: ألف سؤال وإشكال:٤٣٥/٢ ، المسألة:١٦٤ ، استوفينا فيه رواياتهم وأقوال علمائهم وناقشناها. قال البخاري في صحيحه: ٦٤/١:« فلما صحُّوا قتلوا راعي النبي(ص) واستاقوا النعم فجاء الخبر في أول النهار فبعث في آثارهم ، فلما ارتفع النهار جئ بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم ، وألقوا في الحرة

يستسقون فلا يسقون. وقال في: ١٩/٨: « فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وما حسمهم ثم ألقوا في الحرة».

وفي عون المعبود: ١٥/١٢:« فكحلهم أي بتلك المسامير المحماة ، وما حسمهم: الحسم الكي بالنار لقطع الدم، أي لم يكو مواضع القطع لينقطع الدم ، بل تركهم».

وقال في:٢٢/٤:« فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها ، وطرحهم بالحرة يستسقون فما يسقون ، حتى ماتوا » !

وقال في: ٧٠/٥:« قال قتادة: بلغنا أن النبي (ص) بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة». أي تاب عن المثلة بعد ذلك ، وكان ينهى المسلمين عنها !

وقد بالغ رواتهم في نسبتة القسوة الى النبي صلى الله عليه وآله وطعنهم بإنسانيته الرفيعة ، فصوروه يعذب بدق المسامير بالأيدي إلى الحائط ، ويسمل العيون بمسامير الحديد المحماة ، ويقطع الأيدي والأرجل ويترك أصحابها ينزفون حتى يموتوا ، ثم يحرقهم بالنار !

بل زعموا أنه صلى الله عليه وآله لم يكن يبكي رحمة بأحد ، فقد بكى أبو بكر وعمر على سعد بن معاذ ، أما النبي صلى الله عليه وآله فلم يكن يبكي بل يشد بشعر لحيته كأنه ينتفه !

فقد روى أحمد:١٤١/٦:« قالت عائشة: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله عز وجل رحماء بينهم قال علقمة: قلت أي أمه ، فكيف كان رسول الله يصنع؟ قالت: كانت عينه لاتدمع على أحد ! ولكنه كان إذا وجد فإنما هو أخذ بلحيته» ! ووثقه مجمع الزوائد: ١٣/٦.

٩- ثمامة سيد اليمامة هدية من الله الى رسوله صلى الله عليه وآله

كان ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة الذين يسيطرون على اليمامة ، واليمامة هي سافلة نجد مما يلي البحرين ، وتبلغ ثلث ما يعرف اليوم بنجد:

http: //ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%85%D8%A9

في اللباب لابن الأثير:٣٩٦/١:«الحنفي.. هذه النسبة إلى حنيفة وهم قبيلة كثيرة من ربيعة بن نزار نزلوا اليمامة ، وهم حنيفة بن لجيم بن صعب... بن ربيعة بن نزار ، ينسب إليه خلق كثير ، منهم ثمامة بن أثال الحنفي له صحبة ، وخولة أم محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب».

وكان النبي صلى الله عليه وآله يحب أن يحاصر قريشاً ويمنع عنها التموين من جهة نجد والعراق ، كما منعه من جهة المدينة والشام ، لعلها تفكر وتخضع لربها وتسمع لرسوله صلى الله عليه وآله ، وقد يكون جبرئيل عليه السلام علمه أن يدعو الله تعالى أن يوقع ثمامة سيد اليمامة في قبضته ويهدي قلبه ، فكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة .

ففي الكافي: ٢٩٩/٨، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« إن ثمامة بن أثال أسرته خيل النبي صلى الله عليه وآله ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهم أمكني من ثمامة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخيرك واحدة من ثلاث: أقتلك ، قال: إذاً تقتل عظيماً ! أو أفاديك ، قال: إذا تجدني غالياً ! أو أمنُّ عليك ، قال: إذاً تجدني شاكراً ! قال: فإني قد مننت عليك. قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله ، وقد والله علمت أنك رسول الله حيث رأيتك ، وما كنت لأشهد بها وأنا في الوثاق » !

وفي الإستيعاب:٢١٤/١:«ثم أمر به فأطلق ، فذهب ثمامة إلى المصانع فغسل ثيابه واغتسل ، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم وشهد شهادة الحق ، وقال: يا رسول الله إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة ، فمر من يسيرني إلى الطريق ، فأمر من يسيره فخرج حتى إذا قدم مكة ، فلما سمع به المشركون جاؤوه فقالوا: يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك؟ قال: لا أدري ما تقولون إلا أني أقسمت برب هذه البينة ، لا يصل إليكم من اليمامة شئ مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمداً عن آخركم ! قال: وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة !

ثم خرج فحبس عنهم ما كان يأتيهم منها من ميرتهم ومنافعهم ، فلما أضرَّ بهم كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحض عليها ، وإن ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا ، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلي بيننا وبين ميرتنا فافعل ! فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله أن خل بين قومي وبين ميرتهم !

وكان ثمامة حين أسلم قال: يا رسول الله ، والله لقد قدمت عليك وما على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك ، ولا دين أبغض إلى من دينك ، ولا بلد أبغض إلى من بلدك ، وما أصبح على الأرض وجه أحب إلي من وجهك ، ولا دين أحب إلى من دينك ، ولا بلد أحب إلي من بلدك !

وقال محمد بن إسحاق: ارتد أهل اليمامة عن الإسلام غير ثمامة بن أثال ومن اتبعه من قومه ، فكان مقيماً باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه ، ويقول

إياكم وأمراً مظلماً لا نور فيه ، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم وبلاء على من لم يأخذ به منكم ، يا بني حنيفة !

فلما عصوه ورأى أنهم قد أصفقوا على اتباع مسيلمة عزم على مفارقتهم ، ومر العلاء بن الحضرمي ومن معه على جانب اليمامة (في البحرين) فلما بلغه ذلك قال لأصحابه من المسلمين: إني والله ما أرى أن أقيم مع هؤلاء مع ما قد أحدثوا ، وإن الله تعالى لضاربهم ببلية لا يقومون بها ولا يقعدون ، وما نرى أنت نتخلف عن هؤلاء وهم مسلمون ، وقد عرفنا الذي يريدون ، وقد مروا قريباً ولا أرى إلا الخروج إليهم ، فمن أراد الخروج منكم فليخرج ، فخرج ممداً للعلاء بن الحضرمي ومعه أصحابه من المسلمين ، فكان ذلك قد فتَّ في أعضاد عدوهم حين بلغهم مدد بني حنيفة ! وقال ثمامة بن أثال في ذلك:

دعانا إلى ترك الديانة والهدى ... مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجعُ

فيا عجباً من معشر قد تتابعوا ... له في سبيل الغي والغيُّ أشنعُ...».

١٠- السنوات العجاف على قريش

قال الواحدي في أسباب النزول/٢١١:« قال ابن عباس: لما أتى ثمامة بن أثال الحنفي إلى رسول الله (ص) فأسلم وهو أسير فخلى سبيله، فلحق باليمامة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من يمامة وأخذ الله تعالى قريشاً بسني الجدب حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان إلى النبي(ص) فقال: أنشدكم الله والرحم إنك تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ، قال: بلى، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية: وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ».

وسبق إسلام ثمامة دعاء النبي ﷺ على قريش بعد غزوة الأحزاب:« اللهم اشدد وطأتك على مضر ، وابعث عليهم سنين كسني يوسف ، فتتابعت عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين حتى أكلوا القد والعظام والعلهز ». (مختلف الحديث لابن قتيبة/٢٣٣).

ثم جاءهم قرار ثمامة بمنع وصول أي مادة غذائية لهم فاشتد الأمر عليهم ، لكنهم لم يخضعوا لربهم ولا دعوه ، ولا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو لهم ، بل كتبوا له إنك تأمر بصلة الرحم وإن ثمامة منع عنا الميرة (الوافي:١٤/١١) فكتب الى ثمامة ! ثم جاء أبو سفيان فقال:« يا محمد ننشدك الله والرحم لقد أكلنا العلهز يعني الوبر بالدم ، فأنزل الله تعالى: وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ! (أسباب النزول للواحدي/٢١١ ، والحاكم:٢ /٣٩٤ ، وابن حبان: ٣ /٢٤٧).

والسبب في عدم خضوعهم ودعائهم أن شخصياتهم مسكونة بالمادية والتكبر كاليهود أو أشد ! وقد قرروا أن لا يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله مهما رأوا من آياته.

وفي الكافي: ٤٨٠/٢ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الإستكانة هو الخضوع والتضرع هو رفع اليدين والتضرع بهما» . راجع في موضوع ثمامة: تفسير الثعلبي: ٥/ ١٢، والرازي: ١١٣/٢٣، والإصابة: ٥٢٥/١ ، و: ٤٧١/٣، وابن هشام: ١٠٢٦/٤، و١٠٥٣، وتاريخ المدينة: ٤٣٥/٢.

○ ○

الفصل التاسع والأربعون

غزوة الحديبية وتوقيع الهدنة مع قريش

١- هدف الحديبية فرض الأمر الواقع على قريش

بعد هزيمة الأحزاب وفشل حملتهم على المدينة ، غزا النبي صلى الله عليه وآله حلفاءهم بني قريظة وأجلاهم عن المدينة ، وغزا بني المصطلق الذين كانوا يجمعون للغارة على المدينة وكانوا قريبين من مكة ، وفرض سيطرته على شعاع واسع من محيط المدينة حتى وصل نفوذه الى نجد.

ثم أسلم ثمامة بن أثال وفرض الحصار على المواد التموينية لقريش ، ورافق ذلك الجدب وعدم المطر والضائقة الإقتصادية الشديدة على قريش ، لكنها بقيت على عنادها وكبريائها !

في ذلك الظرف أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يفرض على قريش أن تعترف بالإسلام كأمر واقع ، فقصد مكة معلناً أنه يريد العمرة ، ولا يريد حرب قريش !

٢- توجه النبي صلى الله عليه وآله بالمسلمين الى العمرة

في الكافي: ٣٢٢/٨ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة الحديبية خرج في ذي القعدة ، فلما انتهى إلى المكان الذي أحرم فيه ، أحرموا ولبسوا السلاح ، فلما بلغه أن المشركين قد أرسلوا إليه خالد بن الوليد ليرده قال:

إبغوني رجلاً يأخذني على غير هذا الطريق ، فأتيَ برجل من مزينة أو من جهينة ، فسأله فلم يوافقه فقال: أبغوني رجلاً غيره ، فأتيَ برجل آخر ، قال: فذكر له فأخذه معه حتى انتهى إلى العقبة فقال: من يصعدها حط الله عنه كما حط الله عن بني إسرائيل ، فقال لهم: أدخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم.. قال فابتدرها خيل الأنصار الأوس والخزرج ، قال: وكانوا ألفاً وثمانمائة [وأربع مائة] فلما هبطوا إلى الحديبية إذ امرأة معها ابنها على القليب فسعى ابنها هارباً ، فلما أثبتت أنه رسول الله صرخت به: هؤلاء الصابئون ، ليس عليك منهم بأس ، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وآله فأمرها فاستقت دلواً من ماء فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله فشرب وغسل وجهه فأخذت فضلته فأعادته في البئر ، فلم تبرح حتى الساعة . (أي نابعة مملوءة) !

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فأرسل إليه المشركون أبان بن سعيد في الخيل فكان بإزائه ، ثم أرسلوا الحليس فرأى البدن وهي تأكل بعضها أوبار بعض (علامة أنها هدي للكعبة) فرجع ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وآله ، وقال لأبي سفيان: يا أبا سفيان أما والله ما على هذا حالفناكم على أن تردوا الهدي عن محله ! فقال: أسكت فإنما أنت أعرابي ! فقال: أما والله لتخلين عن محمد وما أراد ، أو لأنفردن في الأحابيش ! فقال: أسكت حتى نأخذ من محمد وَلْثاً (عهداً) فأرسلوا إليه عروة بن مسعود وقد كان جاء إلى قريش في القوم الذين أصابهم المغيرة بن شعبة ، وكان خرج معهم من الطائف وكانوا تجاراً ، فقتلهم وجاء بأموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقبلها وقال: هذا غدر ولا حاجة لنا فيه !

فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هذا عروة بن مسعود ، قد أتاكم وهو يعظم البدن ، قال: فأقيموها فأقاموها. فقال: يا محمد مجئ من جئت ؟ قال: جئت أطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر هذه الإبل ، وأخلي عنكم عن لحمانها. قال: لا واللات والعزى فما رأيت مثلك رُدَّ عما جئت له ، إن قومك يذكرونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم ، وأن تقطع أرحامهم ، وأن تُجَرِّئ عليهم عدوهم . فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل حتى أدخلها .

قال وكان عروة بن مسعود حين كلم رسول الله ﷺ تناول لحيته ، والمغيرة قائم على رأسه فضرب بيده فقال: من هذا يا محمد ؟ فقال: هذا ابن أخيك المغيرة. فقال: يا غُدَر والله ما جئت إلا في غسل سلحتك (إعطاء الديات لأهل الذين غدر بهم).

قال: فرجع إليهم فقال لأبي سفيان وأصحابه: لا والله ما رأيت مثل محمد رد عما جاء له ، فأرسلوا إليه سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، فأمر رسول الله ﷺ فأثيرت في وجوههم البدن ، فقالا: مجئ من جئت؟ قال: جئت لأطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر البدن وأخلي بينكم وبين لحمانها. فقالا: إن قومك يناشدونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم وتقطع أرحامهم وتُجَرِّي عليهم عدوهم. قال: فأبى عليهما رسول الله إلا أن يدخلها ».

٣- استنفرت قريش وبعثت طليعةً لصد النبي ﷺ

في تفسير القمي:١٥٠/١:« خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية يريد مكة ، فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً ، ليستقبل رسول الله

صلى الله عليه وآله على الجبال ، فلما كان في بعض الطريق وحضرت صلاة الظهر فأذن بلال فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس ، فقال خالد بن الوليد لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة لأصبناهم فإنهم لايقطعون صلاتهم ! ولكن يجيء لهم الآن صلاة أخرى هي أحب إليهم من ضياء أبصارهم ، فإذا دخلوا فيها حملنا عليهم ! فنزل جبرئيل بصلاة الخوف بهذه الآية: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَاتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً . ففرق رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه فرقتين ، فوقف بعضهم تجاه العدو وقد أخذوا سلاحهم ، وفرقة صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قياماً ، ومروا فوقفوا مواقف أصحابهم ، وجاء أولئك الذين لم يصلوا فصلى بهم رسول الله الركعة الثانية ولهم الأولى ، وقعد وتشهد رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أصحابه وصلوا هم الركعة الثانية ، وسلم عليهم ».

وفي سيرة ابن هشام:٧٧٥/٣، أن النبي صلى الله عليه وآله قال:«يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ! فما تظن قريش! فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة . ثم قال: مَنْ رجلٌ يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها».

٤- عسكَرت قريش في بَلْدَح وعسكر النبيﷺفي الحديبية

عسكرت قريش في بلدح وهو واد قرب مكة عند التنعيم وفخ(معجم البكري: ٢٧٣/١) وفيه ماء كثير وأصنام . (طبقات ابن سعد: ٩٥/٢ ، والمناقب: ٩١/١). وكانوا يرسلون دورياتهم الى مداخل مكة والمناطق القريبة من الحديبية ، وكان قادة الخيل أبان بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطاب .

وفي المناقب:١٧٤/١:« قال الزهري: فلما صار بذي الحليفة قَلَّدَ النبيﷺالهدي وأشعره (جعل له علامة أنه هدي للكعبة) وأحرم بالعمرة ، فلما بلغ غدير الأشطاط عند عسفان أتاه عتبة الخزاعي فقال: إن كعب بن لؤي وعامر بن لؤي جمعوا لك الجموع ، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت ، فقالﷺ: روحوا فراحوا حتى إذا كان ببعض الطريق قالﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم طليعة فخذوا ذات اليمين وسار حتى إذا كان بالثنية بركت ناقته فقال: ما خلأت القصواء ولكن حبسها حابس الفيل ! ثم قال: والله لايسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ! قال فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد القَصَّة(٢٥كم عن مكة من جهة جدة) فأتاهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة ، وكان عَيْبَة نصح رسول اللهﷺ ، وقال كما قال الغير فقال النبيﷺ: إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ، في كلام له بين الصلح والحرب .

فقال بديل: سأبلغهم ما تقول ، فأتى قريشاً وقال: إن هذا الرجل يقول كذا وكذا فقال عروة بن مسعود الثقفي: إنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، فقالوا:

إئته ، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسمع منه مثل مقالته لبديل ورأى تعظيم الصحابة له صلى الله عليه وآله ، فلما رجع قال: أيْ قوم والله لقد وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ! يقتتلون على وضوئه ، ويتبادرون لأمره ، ويخفضون أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها !

فقال رجل من بني كنانة: إئته ، فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وآله: هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها ، فبعثت له واستقبله القوم يلبون ، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت الحرام .

ثم جاء مكرز بن حفص فجعل يكلم النبي إذ جاء سهيل بن عمرو فقال صلى الله عليه وآله: قد سهل عليكم أمركم ، فجلس وضرع إلى النبي صلى الله عليه وآله في الصلح ، ونزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك ».

وفي روضة الواعظين/٦٢: « ولقد كنا معه بالحديبية وإذا بقليب (بئر) جافة فأخرج سهماً من كنانته فناوله البراء بن عازب وقال له إذهب بهذا السهم إلى تلك القليب الجافة فاغرسه ، ففعل ذلك فتفجرت اثنتا عشرة عيناً من تحت السهم » !

وفي المناقب:٩١/١:« فجاءت قريش ومعهم سهيل بن عمرو فأشرفوا على القليب والعيون تنبع تحت السهم فقالت: ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد قليل ! فلما أمر الناس بالرحيل قال: خذوا حاجتكم من الماء ، ثم قال للبراء: إذهب فرد السهم ، فلما فرغوا وارتحلوا أخذ السهم فجف الماء كأنه لم يكن هناك ماء» !

« قال البراء: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فقدمناها وعليها خمسون شاة ما ترويها... فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء.. حتى جرت نهراً.. فارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفيرها . فقال سالم بن أبي الجعد: فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا ! كنا خمس عشرة مائة».

«وعلى الماء يومئذٍ نفر من المنافقين منهم عبد الله بن أُبيّ ، فقال أوس بن خولي: ويحك يا أبا الحباب ! أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه ، أبعد هذا شيء؟! فقال: إني قد رأيت مثل هذا ! فقال أوس: قبحك الله وقبح رأيك ! فأقبل ابن أُبيّ يريد رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا الحُبَاب: إني رأيت مثلما رأيت اليوم ! فقال: ما رأيت مثله قط ! قال: فلم قلته ؟ فقال ابن أُبي: يا رسول الله استغفر لي ، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: يا رسول الله استغفر له ، فاستغفر له. فقال عمر: ألم ينهك الله يا رسول الله أن تصلي عليهم أو تستغفر لهم؟! فأعرض عنه رسول الله ﷺ وأعاد عليه فقال له: ويلك إني خيِّرت فاخترت ، إن الله يقول: إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ الله لَهُمْ ». (الصحيح من السيرة: ٢٢٥/١٥).

٥- هدايا خزاعة الى النبي ﷺ

في الصحيح من السيرة: ٣٥٦/١٥:« وأهدى عمرو بن سالم وبسر بن سفيان الخزاعيان بالحديبية لرسول الله ﷺ غنماً وجزوراً ، وأهدى عمرو بن سالم لسعد بن عبادة جُزُراً وكان صديقاً له ، فجاء سعد بالجزر إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره

أن عَمْراً أهداها له ، فقال: وعمرو قد أهدى لنا ما ترى فبارك الله في عمرو. ثم أمر بالجزر أن تنحر وتقسم في أصحابه ، وفرق الغنم فيهم عن آخرها وشرك فيها فدخل على أم سلمة من لحم الجزور كنحو ما دخل على رجل من القوم... وأمر صلى الله عليه وآله للذي جاء بالهدية بكسوة» .

٦- ابتلى الله المسلمين بالصيد وهم محرمون

عن الإمام الصادق عليه السلام قال في قول الله عز وجل: لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ: «حشرت لرسول الله في عمرة الحديبية الوحوش حتى نالتها أيديهم ورماحهم. ليبلوهم الله به.. نزلت في غزاة الحديبية قد جمع الله عليهم الصيد فدخل بين رحائلهم ، ليبلوهم الله ، أي يختبرهم ». (الكافي: ٣٩٦/٤، وتفسير القمي: ١٨٢/١، وتفسير العياشي: ٢٤٣/١، والنوادر للأشعري/١٣٧).

٧- أرسل النبي صلى الله عليه وآله خراش بن أمية الخزاعي الى قريش

خراش بن أمية الخزاعي هو الذي حلق للنبي صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية (الفقيه: ٢٣٩/٢) فهو قريب من النبي صلى الله عليه وآله وكان أول من أرسله برسالته الى قريش أني جئت معتمراً لا مقاتلاً ، فاعترضه معسكرهم وعقر بعيره عكرمة بن أبي جهل وأراد قتله على خلاف ما اتفقت عليه أصول العرب وكافة الناس من عدم قتل الرسول فأنقذته منهم قبيلة الأحابيش ، وعاد الى النبي صلى الله عليه وآله ! (الطبري: ٢٧٨/٢، وابن هشام: ٧٧٩/٣).

٨- حاول مسلمون الذهاب الى مكة فأسرهم المشركون

« وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة بإذن رسول الله ﷺ، وهم: كرز بن جابر الفهري ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، وعبد الله بن حذافة السهمي ، وأبو الروم بن عمير العبدري ، وعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وعمير بن وهب الجمحي ، وحاطب بن أبي بلتعة ، وعبد الله بن أبي أمية... فعلم بهم فأخذوا ». (سبل الهدى:٤٨/٥).

أقول: هؤلاء مكيون كانوا مقطوعين عن أسرهم وأقاربهم ، ولا يبعد أن يكون عملهم فردياً ، وقد يكون بعضهم استأذن النبي ﷺ فقال لهم إن استطعتم فادخلوا وقيل إنهم دخلوا بأمان عثمان بن عفان ، ولا يصح ، لأنه هو دخل بأمان من ابن عمه أبان بن سعيد ، مع أنه كان مبعوث النبي ﷺ الى قريش .

٩- أمر النبي ﷺ عمر بالذهاب فرفض ، فأرسل عثمان

«وكان رسول الله ﷺ أراد أن يبعث عمر فقال: يا رسول الله إن عشيرتي قليل وإني فيهم على ما تعلم ، ولكني أدلك على عثمان بن عفان ، فأرسل إليه رسول الله فقال: إنطلق إلى قومك من المؤمنين فبشرهم بما وعدني ربي من فتح مكة ، فلما انطلق عثمان لقي أبان بن سعيد فتأخر عن السرج فحمل عثمان بين يديه ودخل عثمان فأعلمهم وكانت المناوشة ، فجلس سهيل بن عمرو عند رسول الله ﷺ وجلس عثمان في عسكر المشركين وبايع رسول الله ﷺ المسلمين وضرب

بإحدى يديه على الأخرى لعثمان. وقال المسلمون: طوبى لعثمان قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كان ليفعل فلما جاء عثمان قال له رسول الله صلى الله عليه وآله أطفت بالبيت؟ فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله لم يطف به. ثم ذكر القضية وماكان فيها ». (الكافي:٣٢٦/٨).

وفي الدر المنثور: ٧٤/٦ ، عن البيهقي:« فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إليهم فقال: يا رسول الله إني لا آمن وليس بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أوذيت ! فأرسل عثمان بن عفان فإن عشيرته بها ، وإنه يبلغ لك ما أردت».

وفي الصحيح من السيرة:٢٩٧/١٥، ما حاصله:« وليت شعري لو أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد أمر عمر بن الخطاب بالمبيت في مكانه ليلة الهجرة فهل كان سيمتثل أمره؟! أم كان سيعتذر بأن قريشاً سوف تقتله وليس هناك من يدفع عنه من بني عدي ، أو من غيرهم؟! وفي الحديبية لم يطلب منه رسول الله صلى الله عليه وآله ما يصل إلى حد ما طلبه من أمير المؤمنين عليه السلام ليلة الهجرة من حيث درجة الخطورة على حياته.. بل طلب منه أن يكون رسولاً يتمتع بحصانة الرسل الذين يعتبر الإعتداء عليهم عاراً وعيباً عند العرب وعند سائر الأمم ، وكان أرسل غيره في هذه المهمة وعاد سالماً ، ومنع المشركون سفهاءهم من الإعتداء عليه ، لأن الرسل لا تقتل !

ولكن عمر بن الخطاب يرفض طلب رسول الله صلى الله عليه وآله هذا ، ويعتذر بأمر شخصي بحت ليس له منشأ يقبله العقلاء الذين يعيشون أجواء التضحية في سبيل مبادئهم ، بل لا يقبله حتى عقلاء أهل الشرك والكفر !

فكيف يدَّعون أن الإسلام عزّ بإسلام عمر ، وأنه قد كانت له بطولات عظيمة ومواجهات مع المشركين قبل الهجرة كسرت شوكتهم !

ونقول: إن عداوة قريش لعمر كعداوتها لأي فرد من المسلمين ، بل هي الأقل والأضعف كما أظهرته وقائع في حرب أحد ، حيث طفت على السطح أمارات عديدة تشير إلى أن ثمة عطفاً من قادة قريش على عمر ومحبة منهم ، وسعياً منهم لحفظه ، فقد قال له ضرار بن الخطاب بعد أن ضربه بالقناة: والله ما كنت لأقتلك !

يضاف إلى ذلك أن خالد بن الوليد لقي عمر بن الخطاب في أحُد وما معه أحد فنكب عنه وخشي أن يؤذيه أحد ممن كان معه ، فأشار إليه بأن يتوجه إلى الشعب لينجو منهم. وقد هنأه أبو سفيان على ما اعتبره نصراً له في الجولة الأولى، حيث قال له: أنعمت عيناً بقتلى بدر.. قد أنعمت يابن الخطاب! فقال: إنها»! (الأوائل: ١/١٨٤).

أقول: كان أبان بن سعيد بن العاص قائد خيل المشركين مع خالد وعكرمة وضرار ، وكان مكلفاً أن يكونوا بإزاء جيش النبي ﷺ، وهو أخ خالد بن سعيد المؤمن المهاجر الى الحبشة والموجود مع النبي ﷺ ، وأبوهما أبو أحيحة الأموي الثري المشهور وله مكانة في قريش ، فأعطى الأمان لعثمان ، فلم يكن أي خطر عليه ، بل أركبه فرسه ودخل معه الى مكة ، فبلغ رسالة النبي ﷺ.

١٠- مبعوثوا قريش الى النبي صلى الله عليه وآله

جاء بديل بن وقاء الخزاعي رئيس خزاعة الى النبي صلى الله عليه وآله فأرسله الى قريش وكلمهم بحضور عروة بن مسعود الثقفي رئيس ثقيف ، فأيد كلامه ، وطلب منهم عروة أن يرسلوه فأرسلوه ، فجاء الى النبي صلى الله عليه وآله ورجع الى قريش فحثهم على السماح له بأداء العمرة فلم يقبلوا ! (القمي:٣١٠/٢، والطبري:٢٧٥/٢، وابن شيبة:٥١٤/٨ .

ثم أرسلوا الحليس رئيس قبيلة الأحابيش كما تقدم من الكافي ، ويبدو أنه هو رغب بذلك ، فرجع وكلمهم أن يتركوا النبي صلى الله عليه وآله ليؤدي عمرته ، فلم يقبلوا.

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص فلما جاء سهيل ورآه النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: سهل أمركم.

وكانت مفاوضات النبي صلى الله عليه وآله معه صعبة ومثمرة ، وقد احتاج فيها سهيل أن يرجع الى قريش لأخذ موافقتهم على بند حرية المسلمين في مكة ، فوافقوا.

١١- بيعة الرضوان بحضور مفاوض قريش

استمرت مفاوضات النبي صلى الله عليه وآله مع سهيل بن عمرو يومين ، وكانت في بعض مراحلها متوترة وفيها تهديد ! قال الطبري:٢٨٠/٢:«فلما انتهى سهيل إلى رسول الله تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا». وفي فتح الباري: ٢٥٣/٥:« فلما لانَ بعضهم لبعض في الصلح ، وهم على ذلك إذ رمى رجل من الفريقين رجلاً من الفريق الآخر فتصايح الفريقان ، وارتهن كل من الفريقين من عندهم ، فارتهن المشركون

عثمان ومن أتاهم من المسلمين وارتهن المسلمون سهيل بن عمرو ومن معه ، ودعا رسول الله إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن لا يفروا ، وبلغ ذلك المشركين فأرعبهم الله ، فأرسلوا من كان مرتهناً ، ودعوا إلى الموادعة ».

وفي اليوم الثاني بقي النبي ﷺ مصراً على شرط حرية المسلمين في مكة ، فرجع سهيل الى مكة للتشاور مع زعماء قريش بشأنه ، ثم عاد الى النبي ﷺ.

وقد أخذ النبي ﷺ بحضور سهيل بيعة الرضوان من أصحابه على القتال وعدم الفرار ، وعلى أن لاينازعوا الأمر أهله .

فقد كانت بيعة الرضوان إذن لإرهاب قريش وإثبات جدية النبي ﷺ في فرض الأمر الواقع عليها ، وقال الواقدي (٦٠٢/٢) إن النبي ﷺ قال لهم:« إن الله تعالى أمرني بالبيعة ، فتداك الناس يبايعونه ، بايعهم على أن لايفروا ».

وفي شرح مسلم: ٢/١٣: « في حديث ابن عمر وعبادة: بايعنا على السمع والطاعة وأن لا ننازع الأمر أهله». وفي مسند أحمد: ٣٢١/٥ ، عن عبادة:«قال رسول الله (ص): عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك ، ولا تنازع الأمر أهله ». وسيأتي تفسير السلطة لسورة الفتح ، وآية بيعة الرضوا ن.

١٢- الإشتباكات مع قريش ودور علي عليه السلام فيها

١- نقرأ في سورة الفتح وصف مواجهة المسلمين لقريش في الحديبية ، في قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. (الفتح: ٢٤-٢٥).

فنرى ظفراً عسكرياً واضحاً للمسلمين حتى اعتبر الفقهاء مكة مفتوحة عنوة ، قال في الخلاف: ٥/٥٢٨ ، عن الآية: « وهذا صريح في الفتح».

لكن رواة السلطة القرشية أخفوا علائم الظفر العسكرية ، لأن بطلها علي عليه السلام صاحب راية النبي صلى الله عليه وآله ، أو نسبوها الى محمد بن مسلمة ، أو ابن الأكوع ، بل الى خالد بن الوليد ، مع أنه كان قائداً في جيش المشركين !

وغرضهم هنا أن يخفوا وحشية قريش وسوء أخلاقهم في صد النبي صلى الله عليه وآله عن العمرة ، ويخفوا بطولة علي عليه السلام في مواجهة قريش ! ويمدحوا أشخاصاً مقربين من السلطة وينسبوا اليهم أدوار غيرهم ، وخاصة خالد بن الوليد الذي قال الله تعالى فيه: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا !

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد: ١١٩/١: «ثم تلا بني المصطلق الحديبية ، وكان اللواء يومئذ إلى أمير المؤمنين عليه السلام كما كان إليه في المشاهد قبلها ، وكان من بلائه في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب للقتال ما ظهر خبره واستفاض ذكره».

أقول: رحم الله المفيد فقد ظهر ذلك واستفاض الى عصره في القرن الرابع ، لكنه طُمس بعد ذلك وأخفي ، ولم يصلنا إلا محرفاً مبتوراً !

قال رواة السلطة كالطبري(٢٧٨/٢):«إن قريشاً بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً ، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ليصيبوا لهم من أصحابه ، فأخذوا أخذاً ، فأتي رسول الله(ص)فعفا عنهم وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله (ص) بالحجارة والنبل». وفي رواية ابن عبد البر أنهم كانوا ثمانين.

فمن الذي قاد هذه العملية النظيفة ، وهاجم هؤلاء الفرسان ، وتمكن من أسرهم جميعاً بدون سفك دم ؟ لقد نسبوه إلى محمد بن مسلمة ، وكأن علياً عليه السلام كان نائماً ، وهو صاحب اللواء وقائد الجيش ، الذي يُعَيِّن الحراسات ويسير الدوريات ويسهر على سير الأمور ! لكنهم يحبون ابن مسلمة ، لأنه شارك في تأسيس النظام القرشي ، وكان من المهاجمين لبيت فاطمة وعلي عليهما السلام !

٢- ثم رووا أن سهيل بن عمرو قال في مفاوضته للنبي صلى الله عليه وآله:« يا محمد ! إن هذا الذي كان من حبس أصحابك ، وما كان من قتال من قاتلك ، لم يكن من رأي ذوي رأينا بل كنا له كارهين حين بلغنا ، ولم نعلم به وكان من سفهائنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة ، والذين أسرت آخر مرة . قال: إني

غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي . قال: أنصفتنا . فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بالشتيم بن عبد مناف التيمي فبعثوا بمن كان عندهم ، وهم: عثمان وعشرة من المهاجرين وأرسل رسول الله أصحابهم الذين أسروا». (الإمتاع: ٢٨٩/١، وغيره).

فقد أسَرَ النبي صلى الله عليه وآله إذن مجموعة من المشركين وأطلقهم ، ثم أسر مجموعتين واحتفظ بهم ! فمن قام بذلك ، وما هو دور علي عليه السلام قائد الجيش في أسرهم؟!

ثم رووا أن خيل النبي صلى الله عليه وآله وكانوا مئتي فارس ، قاتلوا فرسان قريش وهم خيل عكرمة بن أبي جهل ، وهزموهم حتى أدخلوهم حيطان مكة !

قال الزمخشري في الكشاف: ٥٤٧/٣ ، في تفسير قوله تعالى: مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ:« لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة ، فبعث رسول الله (ص) من هزمه وأدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثانية حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله: وَهُوَ الَّذِي كفَّ أيديهم»

فمن الذي بعثه النبي صلى الله عليه وآله وقاد هذه العملية النظيفة داخل الحرم ، وهزم القوة الضاربة في جيش قريش بدون سفك دم ، ومتى كان ذلك ؟

٣- ويأخذك العجب من وقاحة رواة قريش ونسبتهم ذلك الى خالد بن الوليد ، مع أنه كان قائد خيل المشركين واعترض النبي صلى الله عليه وآله في الطريق وأراد أن يهاجم المسلمين وهم في صلاتهم ، لكن النبي صلى الله عليه وآله تحاشى القتال لأنه يريد العمرة فغيَّرَ طريقه ، وسلكوا طريقاً آخر الى الحديبية ، فافتقدهم خالد .

لاحظ ما رواه الطبري في تفسيره:١٢٣/٢٦، والسيوطي في الدر المنثور:٧٨/٦، عن عدة مصادر في تفسير قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، قال:« لما خرج النبي (ص) بالهدي وانتهى إلى ذي الحليفة قال له عمر: يا نبي الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع ! قال فبعث إلى المدينة فلم يدع بها كراعاً ولا سلاحاً إلا حمله ، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل ، فسار حتى أتى منى ، فنزل بمنى ، فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج علينا في خمسمائة فقال لخالد بن الوليد: يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل ، فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله ، يا رسول الله إرم بي حيث شئت ، فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثالثة حتى أدخله حيطان مكة ! فأنزل الله: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ.. إلى قوله: عذاباً أليماً ». فهي رواية مكذوبة لمدح عمر بأنه أفقه من النبي صلى الله عليه وآله لأنه نبهه الى لزوم حمل السلاح في سفره ! ولمدح خالد وجعله سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وآله ، لأنه قاتل قريشاً في مكة وهزمهم !

بل هي رواية مفضوحة اضطر ابن كثير الناصبي اعترف بكذبها (تفسيره: ٢٠٧/٤) «لأن خالداً لم يكن أسلم ، بل كان حينئذ طليعة للمشركين كما ورد في الصحيح» ! لكن رواة السلطة تشبثوا بها وما زالوا يروونها في تفسير الآية ويعدونها من فضائل خالد ومناقبه ! لأنهم يريدون أن يكون إسم سيف الله وسيف رسوله لخالد ، ولا يريدونه لعلي عليه السلام!

٤- لقد واجه القرشيون النبي صلى الله عليه وآله بسوء خلق وشراسة وبغضاء ، مع أنه جاء معتمراً غير مقاتل ! وأرسلوا خيلهم بقيادة خالد بن الوليد لإرجاعه أو قتاله ، فتجنبها ونزل في الحديبية ، فأرسلوا خيلهم بقيادة أبان بن سعيد الى قربه ، واستفردوا رجلاً مسلماً يقال له رهم فقتلوه ! وأرسل اليهم النبي صلى الله عليه وآله رسولاً بكتابه فعقروا بعيره وأهانوه ! ثم قاموا بأسر مسلمين ذهبوا الى مكة . ثم أرسل اليهم النبي صلى الله عليه وآله عثمان بأمان أبان بن سعيد ، فحبسوا عثمان واعتبروه أسيراً مع العشرة !

في مقابل ذلك قام النبي صلى الله عليه وآله بأسر مجموعة من اثني عشر فارساً ، رداً على قتلهم المسلم الذي صعد الربوة مقابلهم:« يقال له رهم: اطلع الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه ، فبعث رسول الله خيلاً فأتوه باثني عشر فارساً من الكفار فقال لهم نبي الله: هل لكم علي عهد هل لكم علي ذمة ، قالوا: لا. فأرسلهم». (تفسير الطبري: ١٢٢/٢٦). ثم منَّ عليهم النبي صلى الله عليه وآله وأطلقهم .

ثم أسر النبي صلى الله عليه وآله مجموعة جاؤوا ليلاً للغارة على معسكره ، ولم يطلقهم .

ثم أسر أربعين أو خمسين فارساً ، وروي سبعين أو ثمانين (الدرر لابن عبد البر/١٩٤).

ثم رد هجوم خيلهم بقيادة عكرمة ، وهزمهم حتى أوصلهم الى حيطان مكة .

وكان الذي يقوم بالعمليات أو يشرف عليها علي عليه السلام، ولذا جاءت نظيفة بدون سفك دم رجل واحد في الحرم ! لكنهم لم يرووا له عملاً واحداً من هذه الأعمال ونسبوها الى أحبائهم وفيهم من قادة المشركين !

كما أخفوا سوء فعل القرشيين ، وكأنهم استقبلوا النبي صلى الله عليه وآله أحسن استقبال !

وقد أنتجت هذه العمليات والبيعة التي أخذها النبي صلى الله عليه وآله أثناء مفاوضاته مع سهيل ، أن قريشاً أحست بأن ميزان القوة لصالح النبي صلى الله عليه وآله ، فخففضت من كبريائها وقبلت بالمعاهدة ، خاصة بند حرية المسلمين في مكة !

قال السيد شرف الدين في النص والإجتهاد/١٦٦: « صده المشركون عن مكة صداً شكساً شرساً لئيماً ، فما استخفه بذلك غضب ولا روع حلمه رائع ، كان يأخذ الأمور مع أولئك الجفاة بالملاينة والإغماض ، وله في شأنهم كلمات متواضعة ، على أن فيها من الرفعة والعلاء ما يريهم إياه فوق الثرى ويريهم أنفسهم تحت الثرى! وفيها من النصح لهم والإشفاق عليهم ما لم يكن فيه ريب لأحد منهم ، ومن الحكمة الإلهية ما يأخذ بمجامع قلوبهم على قسوتها وغلظتها ، ومن الوعيد والتهديد باستئصال جذرتهم وبذرتهم ما يقطع نياط قلوبهم ».

٥- كما أخفوا إشادة النبي صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام ، لكن أفلت منهم أحاديث بليغة !

أولها: رواه الحافظ في ثلاثة مواضع من تاريخه (٣٧٧/٢،و: ١٨١/٣، و: ٤٤١/٤) عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال:« سمعت رسول الله (ص) وهو آخذ بضبع علي يوم الحديبية وهو يقول: هذا أمير البررة ، قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله . مد بها صوته».

فما هي المناسبة لهذه الإشادة من النبي صلى الله عليه وآله ليأخذ بعضد علي عليه السلام، ويمد صوته في مدحه؟ وهل كان بعد تحقيقه انتصاراً بأسر مجموعة من المشركين ، أو برد هجوم فرسانهم وفرارهم أمامه مسافة طويلة ، حتى أدخلهم حيطان مكة ؟

أم كانت بعد تفاقم حسد الحاسدين وكلامهم على علي عليه السلام؟

وقد تضمنت بعض روايات الحافظ قول النبي صلى الله عليه وآله: « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد البيت فليأت الباب » ! وتاريخ دمشق:٢٢٦/٤٢ ، و٢٨٢، وفتح الملك العلي لابن الصديق المغربي/٥٧ ، والحاكم: ١٢٩/٣، لكن الأخير لم يذكر أن مناسبته في الحديبية.

وقال الخطيب التبريزي في الإكمال/١١١: « هذا حديث حسن صحيح فقد حسنه ابن حجر والعلائي وجماعة ، وقد صححه ابن معين وابن جرير والحاكم والسيوطي والعلامة الهندي وجماعة من السلف. وله شاهد من حديث ابن عباس عنه الطبري والطبراني والحاكم والخطيب ، ومن حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عنه الترمذي وابن جرير ، وقد تكلم فيه جماعة من المتعنتين والمتعصبين في الجرح ، فلا يلتفت إليهم » !

ومن مصادرنا: المسترشد للطبري الشيعي/٦٢٢ ، عن محمد بن المنكدر ، وفيه أنه يوم الحديبية ، والطوسي في الأمالي/٤٨٣ .

وثانيها: في المناقب: ٢٤٤/٢، عن الترمذي أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم الحديبية لسهيل بن عمرو وقد سأله رد جماعة:«يا معشر قريش لتنتهوا أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم على الدين امتحن الله قلبه بالإيمان ! قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: هو خاصف النعل ، وكان أعطى علياً نعله يخصفها».

ويسمى حديث خاصف النعل ، وقد أوردنا مصادره في آيات الغدير/١٤٤، وأثبتنا أنه صدر أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله في المدينة بعد فتح مكة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله أخبرهم بأنهم لن ينتهوا عن معاداة الإسلام حتى يقاتلهم علي عليه السلام !

ويظهر أن سهيل بن عمرو طمع عندما قبل النبي صلى الله عليه وآله شرطهم بأن يُرجع اليهم من يأتيه منهم ، فطالب بمن أتاه قبل الحديبية !

وحديث ثالث رواه الجميع: لما رفض سهيل أن يكتبوا كلمة (رسول الله). ففي إعلام الورى:٣٧١/١: « فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك يا محمد ، فافتتحه بما نعرفه واكتب باسمك اللهم. فقال: أكتب باسمك اللهم وامح ما كتبت. فقال عليه السلام: لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت. فقال النبي صلى الله عليه وآله: أكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوة ، فامح هذا الإسم واكتب: محمد بن عبد الله. فقال له علي عليه السلام: إنه والله لرسول الله على رغم أنفك. فقال النبي صلى الله عليه وآله: أمحها يا علي. فقال له: يا رسول الله إن يدي لا تنطلق تمحو اسمك من النبوة ! قال: فضع يدي عليها فمحاها رسول الله بيده ، وقال لعلي: ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض ».

وفي تفسير القمي:٣١٣/٢: « ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إنك أبيت أن تمحو إسمي من النبوة ، فوالذي بعثني بالحق نبياً لتجيبن أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد ! فلما كان يوم صفين ورضوا بالحكمين كتب: هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، فقال عمرو بن العاص: لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما حاربناك ، ولكن أكتب: هذا ما اصطلح

عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وآله ، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك» !

وفي الكافي: ٣٢٦/٨ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« فقال لعلي عليه السلام: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: ما أدري ما الرحمن الرحيم ، إلا أني أظن هذا الذي باليمامة ! ولكن أكتب كما نكتب: بسمك اللهم. قال: وأكتب: هذا ما قاضى رسول الله سهيل بن عمرو. فقال: سهيل: فعلى ما نقاتلك يا محمد ؟! فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله. فقال الناس: أنت رسول الله. قال: أكتب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله. فقال الناس: أنت رسول الله .

وكان في القضية أن من كان منا أتى إليكم رددتموه إلينا ورسول الله غير مستكره عن دينه ، ومن جاء إلينا منكم لم نرده إليكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا حاجة لنا فيهم. وعلى أن يعبد الله فيكم علانية غير سر. وإن كانوا ليتهادون السيور من المدينة إلى مكة. وما كانت قضية أعظم بركة منها ، لقد كاد أن يستولي على أهل مكة الإسلام ».أي يتهادون ربطات الهدايا . والسيور: ما تربط به الهدية .

وفي النص والإجتهاد/١٧٤:« فضج المسلمون وقالوا: والله لا يكتب إلا ما أمر به رسول الله... وأبوا إلا أن يكتب رسول الله كل الإباء ، وكادت الفتنة أن تقع لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا محمد رسول الله وإن كذبتموني ، وأنا محمد بن عبد الله فاكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ».

وهذا الحديث دليل من عشرات الأدلة على شرعية خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

وحديث رابع في الحديبية: روته مصادرنا ، قال العلامة في كشف اليقين/١٣٦:« وله في هذه الغزاة فضيلتان ، إحداهما: إنه لما خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى غزاة الحديبية نزل الجحفة فلم يجد بها ماء فبعث سعد بن مالك بالروايا فغاب قريباً وعاد ، وقال: لم أقدر على المضي خوفاً من القوم ! فبعث آخر ففعل كذلك ، فبعث علياً عليه السلام بالروايا فورد واستسقى وجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وآله، فدعا له بخير. والثانية ، وذكر حديث تهديد النبي صلى الله عليه وآله لقريش بعلي عليه السلام وفيه: « وأومأ إلى علي عليه السلام فإنه يقاتل على التأويل إذا تركت سنتي ونبذت وحرف كتاب الله وتكلم في الدين من ليس له ذلك ، فيقاتلهم على إحياء دين الله ». ونحوه الإرشاد: ١٢١/١، ورواه في العقد النضيد/١٦٧.

١٣- بنود معاهدة الحديبية

أهم بنود معاهدة الحديبية خمسة:

١- الهدنة لمدة عشر سنين ، إلا إذا اعتدى أحد الطرفين أو أعان معتدياً .

٢ - حرية العرب في أن يختاروا من يتحالفون معه: النبي صلى الله عليه وآله أو قريش .

٣- حرية المسلمين في مكة ، فلا يؤذون ولا يمنعون من أداء شعائر الإسلام .

٤- يلتزم النبي صلى الله عليه وآله بإعادة من يأتيه مسلماً من قريش ، ولا تلتزم قريش بذلك .

٥- تُخْلي قريش مكة للنبي صلى الله عليه وآله في العام القادم ثلاثة أيام ، فيؤدي العمرة .

قال القمي في تفسيره:٢/٣١٠:« ورجع حفص بن الأحنف ، وسهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالا: يا محمد قد أجابت قريش إلى ما اشترطت عليهم من إظهار الإسلام وأن لا يكره أحدٌ على دينه. فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالكتب ودعا أمير المؤمنين

وقال له: أكتب... ثم كتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله والملأ من قريش وسهيل بن عمرو ، واصطلحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، على أن يكف بعض عن بعض ، وعلى أنه لا إسلال ، ولا إغلال ، وأن بيننا وبينهم عيبة مكفوفة ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل ، وأن من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل ، وأنه من أتى من قريش إلى أصحاب محمد بغير إذن وليه يرده إليه ، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يرده إليه ، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة لا يكره أحد على دينه ولا يؤذى ولا يعيَّر ، وأن محمداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه ، ثم يدخل علينا في العام القابل مكة فيقيم فيها ثلاثة أيام ، ولا يدخل عليها بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القراب. وكتب علي بن أبي طالب ، وشهد على الكتاب المهاجرون والأنصار... قال: فلما كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت: نحن في عهد محمد رسول الله وعقده ، وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها .

وكتبوا نسختين نسخة عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونسخة عند سهيل بن عمرو ، ورجع سهيل بن عمرو وحفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: أنحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم ، فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة ؟!

فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ، وشكى ذلك إلى أم سلمة فقالت: يا رسول الله إنحر أنت واحلق ، فنحر رسول الله صلى الله عليه وآله وحلق ونحر القوم على حيث يقين وشك وارتياب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله تعظيماً للبدن: رحم الله المحلقين ، وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله والمقصرين ؟ لأن من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق ،

فقال رسول الله ﷺ ثانياً: رحم الله المحلقين الذين لم يسوقوا الهدي ، فقالوا يا رسول الله والمقصرين ؟ فقال رحم الله المقصرين».

وفي المناقب: ١٧٤/١: «فقال النبي ﷺ: من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه إليهم ، فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً.. إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أفاوضك عليه أن ترده ! فقال ﷺ: إنا لم نقض بالكتاب بعد ، قال: والله لا أصالحك على شئ أبداً ، فقال النبي ﷺ: فأجره لي ، قال: ما أنا بمجيره لك. قال مكرز: بلى أجرناه ، فقال النبي ﷺ: إنه ليس عليه بأس إنما يرجع إلى أبيه وأمه فإني أريد أن أتم لقريش شرطها ، فقال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت..الخ».

١٤- غضبَ عمر بسبب المعاهدة وانشق على النبي ﷺ!

في المسترشد للطبري الشيعي/٥٣٦: «وكتب بينه وبينهم على أن من خرج إليهم من قبله لم يردوه ، ومن خرج من أهل مكة ردوه إليهم ، فغضب الثاني وقال لصاحبه: يزعم أنه نبي وهو يرد الناس إلى المشركين ! ثم أتى النبي ﷺ فقال: ألست برسول الله حقاً؟ قال: بلى قال: ونحن المسلمون حقاً؟ قال: بلى ، قال: وهم الكافرون؟ قال: بلى ، قال: فعلى مَ نعطي الدنية في ديننا ؟!

فقال له النبي ﷺ: إنما أعمل بما يأمرني به الله ربي ، إنه من خرج منها إليهم راغباً فلا خير لنا في مقامه بين أظهرنا ومن رغب فينا منهم ، فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

فقال: والله ما شككت في الإسلام إلا حين سمعت رسول الله يقول ذلك! وقام من عند النبي صلى الله عليه وآله متسخطاً لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وآله غير راض بذلك، ثم أقبل يمشي في الناس ويؤلب على رسول الله صلى الله عليه وآله ويعرض به ويقول: وعدنا برؤياه التي زعم أنه رآها يدخل مكة، وقد صددنا عنها ومنعنا منها ثم ننصرف الآن، وقد أعطينا الدنية في ديننا! والله لو أن معي أعواناً ما أعطيت الدنية أبداً! ثم روى عن الواقدي: إني لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ جالساً متربعاً وإن عباد بن بشر، وسلمة بن أسلم بن حريش، مقنعان في الحديد قائمان على رأس رسول الله، إذ رفع سهيل بن عمرو صوته فقالا له: إخفض من صوتك عند رسول الله، وسهيل بارك على ركبتيه كأني أنظر إلى علم في شفته، إذ وثب الثاني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ألسنا بالمسلمين؟ فقال رسول الله: أنا عبد الله ورسوله لا أخالف أمره ولن يضيعني! فقال له: أعذرك الله؟ وجعل يردد الكلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال له أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول! تعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم واتهم رأيك!

وقال ابن عباس: قال لي في خلافته وذكر القضية: إرتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلى يومئذ، ولو وجدت شيعة أخرج معهم رغبة عن القضية لخرجت!

ثم روى عن أبي سعيد الخدري قال: جلست يوماً عند الثاني وذكر القضية فقال: لقد دخلني يومئذ الشك، وراجعت النبي صلى الله عليه وآله مراجعة ما راجعته مثلها، ولقد قلت في نفسي: لو كان رجل على مثل رأيي ما دخلنا فيها أبداً!

وقال: يا رسول الله ألم تك حدثتنا ستدخل المسجد الحرام وتأخذ مفتاح الكعبة وتعرف مع المعرفين ، وهذا هدينا لم يصل إلى البيت ولا نحن؟

فقال رسول الله ﷺ: أما إنكم ستدخلونه فآخذ مفتاح الكعبة وأحلق رأسي ورؤوسكم وأعرِّف مع المعرفين (أقف في عرفات) ثم أقبل على الثاني فقال: أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟! أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ؟! أنسيتم يوم كذا ، أنسيتم يوم كذا ، أنسيتم يوم كذا ؟! فلما كان الفتح ، وأخذ رسول الله المفتاح ، قال: أدعوا لي الثاني فجاء فقال: هذا الذي كنت قلت لكم » !

وفي كتاب سُليم/٢٣٩: « قال: أنعطي الدنية في ديننا؟ ثم جعل يطوف في عسكر رسول الله ﷺ يشككهم ويحضضهم ويقول: أنعطي الدنية في ديننا ؟ فقال رسول الله ﷺ: أفرجوا عني أتريدون أن أغدر بذمتي ، ولأفي لهم بما كتبت لهم ، خذ يا سهيل بيد أبي جندل ! فأخذه فشده وثاقاً في الحديد ، ثم جعل الله عاقبة أمر رسول الله ﷺ إلى الخير والرشد والهدى والعزة والفضل ». وفي رواية: « أخرجوه عني ! أتريد أن أخفر ذمتي ولا أفي لهم بما كتبت لهم ». (البحار: ٣١٤/٣٠).

وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في"أين سنة الرسول وماذا فعلوا بها/٢٧٣": «صلح الحديبية من أعظم الإنجازات الإسلامية على الإطلاق بل هو الثمرة المباركة لكافة المعارك التي خاضها رسول الله ، وقد وصف تعالى في كتاب

العزيز هذا الصلح بالفتح المبين والنصر العزيز ، لأن هذا الصلح قد حسم الموقف نهائياً لصالح الإسلام دون إراقة قطرة دم واحدة ! ولو تغاضينا عن هذه النتائج الباهرة فإن كل ما فعله الرسول كان بأمر ربه. لقد أعلن الرسول صلى الله عليه وآله أن روح القدس قد نزل عليه وأمره بالبيعة ، وقد فهم الجميع أن الصلح قد تم بتوجيه إلهي فقد قال الرسول للجميع: إني رسول الله ولست أعصيه. وقال أبو بكر مخاطباً عمر: أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره !

وبالرغم من كل ذلك ، فإن عمر بن الخطاب اعتبر الصلح الذي رضي به الله ورسوله "دنية في الدين" وأن ما فعله الرسول كان خاطئاً وغير صحيح !

وحاول عمر أن يقنع الحاضرين بأن الصلح الذي ارتضاه الله ورسوله دنية في الدين ، ليفرضوا على الرسول إلغاء الصلح والرجوع عنه !

ولما يئس من إقناعهم قال: لو وجدت أعواناً ما أعطيت الدنية في ديني ! والمثير أنهم رغم ذلك سجلوه شاهداً على صك صلح الحديبية !

وكما تعلم فإن سنة الرسول تعني: قول الرسول وفعله وتقريره ».

وقال في كتاب المواجهة مع رسول الله صلى الله عليه وآله/٣٦٩: « لقد اعتبر عمر هذه المعاهدة (دنية) وقال للرسول أمام المسلمين: فعلامَ نعطي الدنية في ديننا ! وظهر الرجل بمظهر من يزاود على الرسول صلى الله عليه وآله بالدين الذي علمه الرسول إياه !

وقبل يوم واحد فقط طلب رسول الله من عمر أن يذهب إلى بطون قريش ليقول لها: بأن رسول الله لم يأت لقتال أحد إنما جئنا زواراً لهذا البيت معظمين

لحرمته ، معنا الهدي ننحره وننصرف ، فرفض وقال: يا رسول الله إني أخاف قريش على نفسي وليس بها من بني عدي من يمنعني!(راجع المغازي للواقدي: ٦٠٠/٢).

وهو نفس عمر الذي اشترك في معركة بدر ! والذي لم يثبت أنه قتل مشركاً أو جرحه ! وهو نفسه الذي هرب من المعركة يوم أحد ! وقد ذكَّره الرسول بذلك يوم أقبل عليه فقال له: أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم ! (راجع المغازي للواقدي: ٦٠٩/٢) وهو نفس الرجل الذي لم يكن له أي دور مميز في أي معركة من معارك الإسلام التي سبقت صلح الحديبية ! ومع ذلك يزاود على رسول الله ﷺ ويصف المعاهدة التي وقعها النبي ورضي عنها بأنها دنية في ديننا ! وأعلن عمر أنه لو وجد أعواناً ما أعطى الدنية » !

١٥- بقي عمر غاضباً ولم يبايع بيعة الرضوان

روى الجميع أن عمر لم يقتنع بجواب النبي ﷺ بل شك في نبوته ! وبقي يتكلم ويعمل لعله يجد أنصاراً لينقض المعاهدة بالقوة !

قال ابن عباس كما في مغازي الواقدي: ٦٠٧/٢: « قال لي عمر في خلافته: ارتبت ارتياباً ما ارتبته منذ أسلمت إلا يومئذ ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعة تخرج عنهم رغبة من القضية ، لخرجت..

وعن أبي سعيد الخدري: قال عمر: والله لقد دخلني يومئذ من الشك حتى قلت في نفسي: لو كنا مائة رجلٍ على مثل رأيي ما دخلنا فيه أبداً » !

واعتزل عمر تحت شجرة وواصل عملياته ، فأرسل ابنه ليأتيه بفرس كانت له عند أحد الأنصار ليقاتل عليها ! ومع ذلك زعموا أنه سمع بخبر بيعة الرضوان ، فذهب ابنه عبدالله وبايع وجعلوه الى جنب النبي صلى الله عليه وآله !

قال البخاري:٦٩/٥: «عن نافع قال إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول الله يبايع عند الشجرة وعمر لايدري بذلك ، فبايعه عبد الله ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر وعمر يستلئم للقتال ، فأخبره أن رسول الله يبايع تحت الشجرة ، قال فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله.. عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فإذا الناس محدقون بالنبي فقال: يا عبدالله أنظر ماشأن الناس قد أحدقوا برسول الله ؟ فوجدهم يبايعون فبايع ، ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع ».

أقول: لا نقبل قولهم إنه بايع لأنه اعترف بأن النبي صلى الله عليه وآله بقي مغاضباً عليه لايكلمه ولا يجيبه على كلامه ، حتى رجعوا ووصلوا بعد يومين الى كراع الغميم فنزلت سورة الفتح ، فأرسل عليه وقرأ له السورة ! ومعناه أنه كان مغاضباً له غاضباً عليه ، وأراد أن يتم عليه الحجة فأرسل اليه ليسمع السورة مع المسلمين ، فتساءل عمر: هل هذا فتح ، وفي رواية أنه قال: والله ما هذا بفتح !

ولكن رواة السلطة كالبخاري وغيره جعلوا كل أفعال عمر حسنات ، وجعلوا معنى الرواية أن النبي صلى الله عليه وآله تقرب من عمر وأرسل عليه وتلاها عليه، فطابت نفسه !

قال البخاري: ٦٦/٥، عن ابن عمر:« إن رسول الله كان يسير في بعض أسفاره وكـان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شئ فلم يجبه رسول الله ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ! وقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر نزرت رسول الله ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك !

قال عمر: فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن فمـا نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي. قال فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن ، وجئت رسول الله فسلمت فقال لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ».

وروى البيهقي (٢٢٢/٩) أن عمر كان على رأيه حتى نزلت سـورة الفـتح ، فلمـا بعـث النبي صلى الله عليه وآله عليه وقرأها له اقتنع وطابت نفسه ! قال:«يا رسول الله أوَ فتحٌ هو؟ قال نعم . قال فطابت نفسه» ! وقد تناول علماؤنا هذا الحديث بالبحث والتحليل ، كالسيد شرف الدين في النص والإجتهاد/١٧١، والأميني في الغدير: ١٨٥/٧، وغيرهما .

١٦- عقدة عمر من شجرة بيعة الرضوان !

قال السيد شرف الدين في النص والإجتهاد/٣٦٨: « المورد ٦٥: شجرة الحديبية هذه بويع رسول الله صلى الله عليه وآله بيعة الرضوان تحتها ، فكان من عواقب تلك البيعة أن فتح الله لعبده ورسوله فتحا مبيناً ونصره نصراً عزيزاً ، وكان بعض المسلمين يصلون تحتها تبركاً بها وشكراً لله تعالى على ما بلغهم من أمانيهم في تلك البيعة المباركة. فبلغ

عمر ما كان من صلاتهم تحتها ، فأمر بقطعها وقال: ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد إلى الصلاة عندها إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد !

سبحان الله وبحمده والله أكبر ! يأمره بالأمس رسول الله بقتل ذي الخويصرة وهو رأس المارقة فيمتنع عن قتله احتراماً لصلاته ، ثم يستل اليوم سيفه لقتل من يصلي من أهل الإيمان تحت الشجرة شجرة الرضوان ؟!

وي ، وي ما الذي أرخص له دماء المصلين من المخلصين لله تعالى في صلاتهم؟ إن هذه لبذرة أجذرت وآتت أكلها في نجد حيث يطلع قرن الشيطان ! وكم لفاروق الأمة من أمثال هذه البذرة كقوله للحجر الأسود: إنك لحجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك. ولقد كانت هذه الكلمة منه كأصل من الأصول العملية بني عليها بعض الجاهلين تحريم التقبيل للقرآن الحكيم ، والتعظيم لضريح النبي الكريم ولسائر الضرائح المقدسة ، ففاتهم العمل بكثير من مصاديق قوله تعالى: ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ الله فَهُوَخَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ.. وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ».

وفي الدر المنثور:٧٣/٦:« أخرج البخاري وابن مردويه عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله بيعة الرضوان. وأخرج ابن أبي شيبة عن نافع قال بلغ عمر بن الخطاب أن ناساً يأتون الشجرة التي بويع تحتها فأمر بها فقطعت ».

أقول: هذه واحدة من محاولات عمر لتنقيص مقام النبي صلى الله عليه وآله وإزالة آثاره ، وهي تدل على ذكرى سيئة لشجرة الرضوان وبيعة الرضوان في نفسه !

ويدل قطعه لشجرة بيعة الرضوان على أنه يحمل صورة مزعجة عنها ، لأنه لم يبايع مع المبايعين تحتها. كما أنه كان يحمل صورة مزعجة عن التيمم لأنه تيمم مرة فتمرغ بالتراب ! فتبسم النبي صلى الله عليه وآله، فحرم التيمم على المسلمين وأسقط آيته !

١٧- رؤيا النبي صلى الله عليه وآله كانت في الحديبية وليس في المدينة

قال المفسرون إن رؤيا النبي صلى الله عليه وآله بدخول المسجد الحرام كانت في المدينة قبل الحديبية ، ونقلوا عليه الإجماع ، وغرضهم من ذلك التخفيف من اعتراض عمر وأنه كان على حق نوعاً ما لأن النبي صلى الله عليه وآله وعدهم بدخول المسجد !

قال ابن الجوزي في زاد المسير:١٧٢/٧:« قال المفسرون: سبب نزولها أن رسول الله (ص) كان أريَ في المنام قبل خروجه إلى الحديبية قائلاً يقول له: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاتَخَافُونَ.. ورأى كأنه هو وأصحابه يدخلون مكة وقد حلقوا وقصروا ، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا ، فلما خرجوا إلى الحديبية حسبوا أنهم يدخلون مكة في عامهم ذلك ، فلما رجعوا ولم يدخلوا قال المنافقون: أين رؤياه التي رأى؟ فنزلت هذه الآية ».

لكن المرجح أنه صلى الله عليه وآله رآها في الحديبية بعد اعتراض عمر عليه وعدم اقتناعه بكلامه وعمله لتخريب الصلح . ففي الكافي: ٤٨٦/٦:«عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الفَرْقُ من السنة؟ (تطويل الشعر وفرقه) قال: لا ، قلت: فهل فرق رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم. قلت: كيف فرق رسول الله صلى الله عليه وآله وليس من السنة ؟ قال: من أصابه ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله يفرق كما فرق رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أصاب سنة رسول الله وإلا فلا. قلت له:

كيف ذلك؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين صُدَّ عن البيت وقد كان ساق الهدي وأحرم أراه الله الرؤيا التي أخبره الله بها في كتابه إذ يقول: لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاتَخَافُونَ.. فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أن الله سيفي له بما أراه فمن ثَمَّ وفَّرَ ذلك الشعر الذي كان على رأسه حين أحرم انتظاراً لحلقه في الحرم حيث وعده الله عز وجل ، فلما حلقه لم يعد في توفير الشعر ولا كان ذلك من قبله». وفي تفسير الطبري(١٣٨/٢٦) عن مجاهد، قال:«أري بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين ، فقال أصحابه حين نحر بالحديبية: أين رؤيا محمد» ؟!

هذا وينبغي التحفظ على روايتهم لرؤيا النبي صلى الله عليه وآله ، فقد ذكروا أن الآية من ضمنها مع أنها نزلت بعدها مصدقة لها .

١٨- أمر النبي صلى الله عليه وآله بالإحلال من الإحرام ونحر الضحايا

قال الصدوق في من لايحضره الفقيه: ٤٥٠/٢: «اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث عمر متفرقات كلها في ذي القعدة. عمرة أهلَّ فيها من عسفان وهي عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء أحرم فيها من الجحفة ، وعمرة أهل فيها من الجعرانة وهي بعد أن رجع من الطائف من غزوة حنين».

وفي الفقيه:٢٣٩/٢ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« الذي كان على بدن النبي صلى الله عليه وآله ناجية بن الخزاعي الأسلمي ، والذي حلق رأسه صلى الله عليه وآله يوم الحديبية خراش بن أمية الخزاعي والذي حلق رأسه في حجته معمر بن عبد الله بن حارث بن نصر بن عوف بن عويج بن عدي بن كعب ، فقيل له وهو يحلقه: يا معمر أذن رسول الله صلى الله عليه وآله في يدك ! قال: والله إني لأعده فضلاً علي من الله عظيماً. وكان معمر بن

عبد الله يرجل شعره ﷺ وكان ثوبا رسول الله ﷺ اللذان أحرم فيهما يمانيين عبري وظفاري. وقطع التلبية حين زاغت الشمس يوم عرفة ».

لكن في الكافي: ٣٦٨/٤ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: « إن رسول الله ﷺ حين صد بالحديبية قصر وأحل ونحر ، ثم انصرف منها ، ولم يجب عليه الحلق حتى يقضي النسك ، فأما المحصور فإنما يكون عليه التقصير».

وقال المحقق البحراني في الحدائق الناضرة: ١٦/١٦: «اختلف الأصحاب في أنه هل يجب على المصدود الحلق أو التقصير ويتوقف تحلله عليه بعد الذبح أم لا؟ قولان قال في المختلف: قال سلار: وأما المصدود بالعدو فإنه ينحر الهدي حيث إنتهى إليه ويقصر من شعره وقد أحل من كل شئ أحرم منه. وهو يشعر باشتراط التقصير في الحل. وكذا يفهم من كلام أبي الصلاح إلا أنه قال: فليحلق رأسه ، ولم يشترط الشيخ ذلك... وقوّى الشهيدان في الدروس والمسالك وجوب الحلق أو التقصير. وهو خيرة العلامة في المنتهى على تردد من حيث إنه تعالى ذكر الهدي وحده ولم يشترط سواه ، ومن أنه ﷺ حلق يوم الحديبية». يقصد رحمه الله قوله تعالى: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ..

ثم قال: « إلا أن الحلق الذي ذكره العلامة هنا في الوجه الثاني من وجهي التردد إنما استند فيه إلى الرواية العامية حيث قال: إذا ثبت هذا فهل يجب عليه الحلق أو التقصير مع ذبح الهدي أم لا... وقال أحمد في إحدى الروايتين لا بد منه ، لأن النبي ﷺ حلق يوم الحديبية.. والذي وقفت عليه في أخبارنا بالنسبة إلى ذلك هو رواية حمران المتقدمة ، الدالة على أن رسول الله ﷺ حين صد بالحديبية قصر

وأحل ونحر ثم انصرف. وظاهر قوله عليه السلام فيها: ولم يجب عليه الحلق حتى يقضي النسك هو أنه صلى الله عليه وآله لم يحلق إلى أن حج في فتح مكة وقضى المناسك. ويدل على هذا المعنى صريحاً وإن لم يتنبه له أحد من أصحابنا رضوان الله تعالى عليهم ما رواه في الكافي في الصحيح... وأورد الرواية المتقدمة وقال: وربما ظهر من قوله عليه السلام: من أصابه ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله...تأخير الحلق إلى أن يحج متى كان الحج واجباً».

وفي كتاب الحج للسيد الخوئي:٤٢٢/٥:« المصدود عن العمرة يذبح في مكانه ويتحلل به ، والأحوط ضم التقصير أو الحلق إليه».

والنتيجة: أن الرواية متعارضة في أنه صلى الله عليه وآله حلق أو اكتفى بالنحر ، وقال بعض الفقهاء إنه صلى الله عليه وآله حلق ولم يكن حلقه واجباً عليه ، بل مستحباً .

١٩- نزلت سورة الفتح في عودة النبي صلى الله عليه وآله من الحديبية

في النص والإجتهاد/١٨١: «كانت إقامته في الحديبية تسعة عشر يوماً ، فقفل بعدها إلى المدينة ، فلما كان بكراع الغميم موضع بين الحرمين نزلت عليه سورة الفتح ، وعمر لا يزال حينئذ آسفاً من صد المشركين إياهم عن مكة ، ورجوعهم وهم على خلاف ما كانوا يأملون من الفتح » !

وكان نزولها في مكان يدعى كراع الغميم ، بعد يومين من مسير النبي صلى الله عليه وآله من الحديبية في عودته الى المدينة ، فدعا النبي صلى الله عليه وآله المسلمين الى الإجتماع ليتلوها

عليهم ، ودعا عمر خاصة لعله يخرج من شكه وارتيابه وعمله لنقض المعاهدة ! ولكن عمر بقي مصراً وقال:« والله ما هذا بفتح أو والله ما هذا بفتح ! لقد صددنا عن البيت وصد هدينا...ورُدَّ رجلان من المؤمنين كانا خرجا إلينا ! فقال رسول الله ﷺ: بئس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتح ، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان ، وقد رأوا منكم ما كرهوا ، وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين ، فهو أعظم الفتوح ! أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا»! (النص والاجتهاد/١٨٢).

وفي سيرة ابن هشام: ٧٨٦/٣ ، عن الزهري:« فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله (ص) خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مئة ، في قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف ».

٢٠- أهم موضوعات سورة الفتح

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥) وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦) وَللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. (٧)

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٩).

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠).

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣) وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٤) سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا

انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلاً (١٥) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا. (١٧).

لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا(١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(١٩) وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١).

وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا(٢٢) سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً (٢٣) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا. (٢٦).

لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا.(٢٧).

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا. (٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا. (٢٩).

فالآيات الثلاث الأولى: بشارة للنبي صلى الله عليه وآله بأن معاهدة الحديبية كانت إنجازاً مهماً وفتحاً مبيناً ، وأن ليونته مع قريش وتنازله لهم ، قد طامن من بغضهم له وحقدهم عليه ، وغفر ذنبه بنظرهم ، بل أعطاه الحجة إذا عاملهم بحزم وشدة فيما بعد.

والآيات من ٤-٧ ، بينت أن الله تعالى ثبّت المؤمنين على طاعة النبي صلى الله عليه وآله، لإنجاز الفتح الذي تم ، فقد أنزل الله عليهم السكينة فازدادوا إيماناً ، ورضوا بعمل النبي صلى الله عليه وآله. وأن المنافقين الظانين بالله ظن السوء ، سوف يعاقبهم ويعذبهم.

والآيتان ٨ و٩ ، بينت مهمات الرسول صلى الله عليه وآله التي وضعها الله له: شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وبينت واجب المؤمنين في الإيمان به وطاعته وتجليله.

ثم أكد عز وجل في الآية ١٠ ، على مسؤولية المبايعين للنبي صلى الله عليه وآله وحذرهم بالعقوبة إن نكثوا بيعتهم ، ووعدهم بالأجر العظيم إن وفوا بها.

وفي الآيات ١١- ١٧ ، عالج قضية المتخلفين عن النبي ﷺ من أهل المدينة وقبائل العرب ، الذين دعاهم الى السفر معه الى الحديبية ، فرفضوا.

والآيات من ١٨-٢١ ، بدأت برضا الله تعالى عن الصحابة المؤمنين الذين بايعوا النبي ﷺ تحت شجرة الحديبية ، وأكد أن ما تم لهم كان فتحاً قريباً ، ووعدهم الله بمغانم كثيرة مادية وسياسية ، لم تكن لتتحقق لولا صلح الحديبية.

والآيات ٢٢- ٢٦ ، وصفت مشركي قريش بأنهم كفروا وصدوا عن المسجد الحرام ، وأنهم لو قاتلوا المسلمين في غزوة الحديبية لانهزموا ، لكن الله تعالى كف أيدي الطرفين عن بعضهم لمصالح يعلمها ، منها وجود مؤمنين في مكة في أصلاب هؤلاء المشركين ، ولو قتلهم يومئذ لظلم لهؤلاء الأولاد في أصلابهم ! «لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ».

والآية٢٧ ، في رؤيا النبي ﷺ بأنه سيدخل المسجد الحرام مع المسلمين ، وأنها حق وسوف تتحقق في وقتها ، وأن الله تعالى بعلمه بالأمور جعل قبلها فتحاً قريباً.

والآية٢٨و٢٩ ، تأكيد للوعد الرباني الحتمي بأن سيظهر دينه على الدين كله في العالم ، وأن هذا هو الهدف من إرسال رسوله محمد ﷺ والذين معه من عترته ، وأنهم غصون شجرته الموعودين في التوراة والإنجيل: كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ. فالنبي ﷺ هو الشجرة والكلمة الطيبة ، والشطأ هو أولاد الشجرة. وأعداءهم الكلمة الخبيثة والشجرة الملعونة في القرآن.

ولايصح تفسير الشطأ بالصحابة لأنه بإجماع اللغويين أولاد الشجرة والزرع.

٢١- الصحابة في سورة الفتح وبيعة الرضوان

رفعت السلطة القرشية آية: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.. شعاراً في مدح الصحابة مقابل أهل البيت عليهم السلام ، ورووا أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأهل الحديبية: أنتم خير أهل الأرض.

قال في فتح الباري: ٣٤١/٧: « هذا صريح في فضل أصحاب الشجرة... وعند مسلم من حديث جابر مرفوعاً: لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية. وروى مسلم أيضاً من حديث أم مبشر أنها سمعت النبي (ص) يقول: لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة ».

وهو قولٌ لايصح ، لأنهم بايعوا النبي صلى الله عليه وآله في الحديبية على عدم الفرار في الحرب ، ثم نكثوا بيعتهم بعد شهر في خيبر وفروا ، ثم نكثوها في حنين وفروا.

ولا يصح أيضاً ، لأن من أهل بيعة الرضوان أبا الغادية قاتل عمار بن ياسر رحمه الله ، الذي شهد النبي صلى الله عليه وآله أنه من أهل النار. ومنهم عبد الرحمن بن عديس البلوي الذي قاد حصار عثمان وقتله ، وقالوا إنه من أهل النار !

ولأن رئيس المنافقين المدنيين ابن سلول كان معهم وبايع !

قال في النص والإجتهاد/١٦٨:« إن قريشاً بعثت إلى ابن سلول وهو مع رسول الله في الحديبية: إن أحببت أن تدخل مكة تطوف بالبيت فافعل. فقال له ابنه عبد الله:

يا أبت أذكرك الله أن لا تفضحنا في كل موطن فتطوف ولم يطف رسول الله ؟! فأبى الرجل حينئذ وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله».

ولايصح ذلك ثالثاً ، لأن الرضا عن المبايعين في الآية محدود بظرف ، ومشروط بالإيمان ، فقد قال عز وجل: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ..أي رضي عن المؤمنين منهم في ظرف البيعة ، ولوكان الرضا أوسع من ظرف البيعة لما استعمل(إذ) ، ولو شملهم جميعاً لجعله عنهم وليس عن المؤمنين منهم !

لكن مع قوة هذه الإشكالات وغيرها على عموم الآية ، ما زال أتباع السلطة يتمسكون بها لمدح أبي بكر وعمر ، ويقولون إن عمر بايع وإنه مشمول بالسكينة التي أنزلها على المؤمنين الذين بايعوا ورضو بالمعاهدة !

قال القمي في تفسيره: ٣١٥/٢:«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرض: فهم الذين لم يخالفوا رسول الله ﷺولم ينكروا عليه الصلح.ثم قال: لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..الى قوله: الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ..وهم الذين أنكروا الصلح واتهموا رسول الله ﷺ...ثم عطف بالمخاطبة على أصحابه فقال: لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ، ثم عطف على نفسه عز وجل فقال: وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، معطوفاً على قوله لتؤمنوا بالله.

ونزلت في بيعة الرضوان: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، واشترط عليهم أن لاينكروا بعد ذلك عن رسول الله ﷺشيئاً يفعله ولا يخالفوه

في شئ يأمرهم به ، فقال الله عز وجل بعد نزول آية الرضوان: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا. وإنما رضي عنهم بهذا الشرط أن يفوا بعد ذلك بعهد الله وميثاقه ولاينقضوا عهده وعقده. فبهذا العهد رضي الله عنهم ».

وقال في المناقب:٣٠٣/١:« وأما البيعة العامة ، فهي بيعة الشجرة وهي شجرة أراك عند بئر الحديبية، ويقال لها بيعة الرضوان لقوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ.. وقد سبق أمير المؤمنين عليه السلام الصحابة كلهم في هذه البيعة أيضاً... ذكر أبو بكر الشيرازي في كتابه عن جابر الأنصاري: أن أول من قام للبيعة أمير المؤمنين ، ثم أبو سنان عبد الله بن وهب الأسدي ، ثم سلمان الفارسي... وكان أصحاب البيعة ألفاً وثلاثمائة عن ابن أوفى ، وألفاً وأربعمائة عن جابر بن عبد الله وألفاً وخمسمائة عن ابن المسيب ، وألفاً وستمائة عن ابن عباس .

ولا شك أنه كان فيهم جماعة من المنافقين مثل جد بن قيس وعبد الله بن أبي سلول. ثم إن الله تعالى علق الرضا في الآية بالمؤمنين الموصوفين بأوصاف ».

٢٢- ما جرى لأبي جندل وأبي بصير والمستضعفين بمكة

قال السيد شرف الدين في النص والإجتهاد/١٧٦:« فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله هو وسهيل بن عمرو يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة ، إذ جاء أبو جندل واسمه العاص بن سهيل بن عمرو إلى المسلمين يرسف في قيوده ، وكان أسلم بمكة قبل ذلك

فمنعه أبوه من الهجرة وحبسه موثوقاً ! وحين سمع أن النبيﷺوأصحابه في الحديبية احتال حتى خرج من السجن ، وتنكب الطريق في الجبال حتى هبط على المسلمين ففرحوا به وتلقوه ، لكن أخذه أبوه بتلابيبه يضرب وجهه ضرباً شديداً وهو يقول: يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليَّ !

فقال له النبيﷺ: إنا حتى الآن لم نفرغ من كتابة الكتاب .

قال سهيل: إذن لا أصالحك على شئ ! فقال له النبيﷺ: فأجره لي. قال: ما أنا بمجيره لك. قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل !

فقال مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى وهما من وجوه قريش. قد أجرناه لك يا محمد ، فأخذاه وأدخلاه فسطاطاً وكفًّا أباه عنه.

ثم قال سهيل: يا محمد قد تمت القضية ووجبت بيني وبينك قبل أن يأتي ابني إليك. قال: صدقت. وحينئذ قالﷺلأبي جندل: إصبر واحتسب ، فقد تم الصلح قبل أن تأتي ، ونحن لا نغدر وقد تلطفنا بأبيك فأبى ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. وهنا وثب عمر بن الخطاب إلى أبي جندل يغريه بقتل أبيه ، ويدني إليه السيف !

قال عمر كما في السيرة الدحلانية وغيرها: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، وجعل يقول له: إن الرجل يقتل أباه والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم !

لكن أبا جندل لم يجبه إلى قتل أبيه خشية الفتنة وعمل بما أمره به رسول الله من الصبر والإحتساب ، وقال لعمر: مالك لا تقتل أنت أباك ؟ قال عمر: نهانا

رسول الله. فقال أبو جندل: ما أنت أحق بطاعة رسول الله مني ! ورجع مع أبيه إلى مكة في جوار مكرز وحويطب، فأدخلاه مكاناً وكفا عنه أباه وغيره وفاء بالجوار.

وجعل الله بعد ذلك له ولسائر المستضعفين من المؤمنين فرجاً ومخرجاً... وكان في المستضعفين المعذبين في مكة رجل من أبطال المسلمين يدعى أبا بصير ، احتال حتى خرج من السجن ففر هارباً إلى رسول الله وهو في المدينة بعد رجوعه من الحديبية ، فكتبت قريش في رده كتاباً بعثت به رجلاً من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق ، فقدما على رسول الله بالكتاب فإذا فيه: قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من أبنائنا فابعث إلينا أبا بصير. فقال النبيصلى الله عليه وآله: يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصح الغدر منا ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، فانطلق راشداً. قال: يا رسول الله إنهم يفتنوني عن ديني .

قالصلى الله عليه وآله: يا أبا بصير إنطلق فإن الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ! فودع الرجل رسول الله وانطلق معهما ، حتى إذا كانوا بذي الحليفة جلس إلى جدار ومعه صاحباه ، فقال لأحدهما: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ قال: نعم. قال أبو بصير: أرنيه ، فناوله إياه فاستله أبو بصير ثم علاه فإذا هو يتشحط بدمه ، ثم هم بالثاني فهرب منه ، حتى أتى رسول الله ، فلما رآه النبيصلى الله عليه وآله والحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه ، وأبو بصير في أثره. قالصلى الله عليه وآله: قد رأى هذا ذعراً ، فلما انتهى إلى النبي قال لهصلى الله عليه وآله: ويحك مالك ؟

قال: إن صاحبك قتل صاحبي وأفلت منه ولم أكد ، وإني لمقتول فأغثني يا محمد فأمَّنه رسول الله ، وإذا بأبي بصير يدخل متوشحاً سيفه يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وفيت ذمتك أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت منهم بديني أن أفتن فيه أو يفتن بي. فقال له: إذهب حيث شئت ، فقال: يا رسول الله هذا سلب العامري الذي قتلته ، رحله وسيفه فخمسه. فقال له ﷺ: إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه ، ولكن شأنك بسلب صاحبك .

وعند ذلك هب أبو بصير إلى محل من طريق تمر به عيرات قريش ، واجتمع إليه جمع من المسلمين المستضعفين الذين كانوا قد احتبسوا بمكة إذ بلغهم خبره وأن رسول الله ﷺ قال في حقه: إنه مسعر حرب لو كان معه رجال ، فتسللوا حينئذ إليه ، وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، وخرج من مكة في سبعين فارساً أسلموا ، فلحقوا بأبي بصير ، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله في تلك المدة مدة المهادنة ، وانضم إليهم ناس من غفار ، وجهينة ، وأسلم ، وطوائف أخر من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل ، فقطعوا مارة قريش ، لا يظفرون بأحد منها إلا قتلوه ، ولا مر بهم عير إلا أخذوها ، ومنعوا الدخول إلى مكة والخروج منها ! فاضطرت قريش أن تكتب لرسول الله تسأله بالأرحام التي بينه وبينها إلا آواهم ، وأرسلت أبا سفيان بن حرب في ذلك ، فأبلغه أبو سفيان: إنا أسقطنا هذا الشرط من شروط الهدنة ، فمن جاءك منهم فأمسكه من غير حرج !

وحينئذ كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه ، وأن يلحق من معهما من المسلمين بأهليهم ، ولا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش ولا لعيراتهم ، فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما وأبو بصير يموت ، فمات والكتاب في يده ، فدفنه أبو جندل مكانه ، وجعل عند قبره مسجداً.

وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وآله مع ناس من أصحابه ، ورجع باقيهم إلى أهليهم ، وأمنت قريش على عيراتهم ! وحينئذ عرف الصحابة الذين عظم عليهم رد أبي جندل إلى قريش مع أبيه أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله خير مما أحبوه ، وعلموا أن الحكمة كانت في الحديبية توجب الصلح فرضاً على التعيين ، وأنه صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى ، وندموا كل الندم على ما بدر منهم من هناة معترفين بالخطأ ، وقدرت قريش موقفه يومئذ معها في حقن دمائها ». ومكاتيب الرسول: ٩٣/٣.

وفي الكافي: ٣٢٦/٨ ، من حديث الإمام الصادق عليه السلام قال: « وما كانت قضية أعظم بركة منها ! لقد كاد أن يستولي على أهل مكة الإسلام ، فضرب سهيل بن عمرو على أبي جندل ابنه ، فقال: أول ما قاضينا عليه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل قاضيت على شئ ؟ فقال: يا محمد ما كنت بغدار ! قال: فذهب بأبي جندل فقال: يا رسول الله تدفعني إليه ؟ قال: ولم أشترط لك ، وقال: اللهم اجعل لأبي جندل مخرجاً ».

وفي المناقب: ١٧٥/١: « ولما رجع صلى الله عليه وآله إلى المدينة انفلت أبو بصير بن أسيد بن حارثة الثقفي من المشركين ، فبعث الأخنس بن شريق في أثره رجلين فقتل

أحدهما فأتى النبي مسلماً مهاجراً ، فقال ﷺ: ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال ! ثم قال: شأنك بسلب صاحبك ، واذهب حيث شئت !

فخرج أبو بصير وتبعه خمسة نفر أيضاً حتى كانوا بين العيص وذي المروة من أرض جهينة ، على طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر ، وانفلت أبو جندل في سبعين راكباً أسلموا فلحق بأبي بصير، واجتمع إليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة ، حتى بلغوا ثلاثمائة، لايمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ! وأخذوا عيراً فيها أبو العاص صهر النبي ﷺ فخلوا سبيله ولم يقتلوا أحداً منهم ، فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى النبي يتضرعون إليه أن يبعث إليهم ، فتقدموا عليه وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه غير حرج».

٢٣- النتائج الكبيرة لمعاهدة الحديبية

يكفي في وصف نتائجها قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا.. فقد كانت معاهدة الحديبية اعترافاً رسمياً من قريش بدولة الإسلام ، فتحت أبواب الجزيرة العربية كلها للدخول فيه ، وصار بإمكان أي قبيلة أن تعلن إسلامها أو تحالفها مع النبي ﷺ دون حرج أو خوف ، بل فتحت أبواب مكة نفسها للإسلام فصار القرشي يعلن إسلامه ويؤدي شعائره دون خوف من ظلم قريش وطغيانها.

في الإحتجاج: ٢٢٢/٢، من حديث الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون في تفسير قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..« قال الرضا عليه السلام:

لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مائة وستين صنماً ، فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم ، وقالوا: أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلا اخْتِلاقٌ . فلما فتح الله عز وجل على نبيه مكة قال له: يا محمد: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..عند مشركي أهل مكة بدعائك إياهم إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر ، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لا يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه ، فصار ذنبه عندهم مغفوراً بظهوره عليهم. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن» ! فذنبه صلى الله عليه وآله سياسي لا حقيقي كما تخيلوا ! راجع تنزيه الأنبياء عليهم السلام للشريف المرتضى/١٦٤ ، والإنتصار للمؤلف: ٣٩/٤.

٢٤- موقف قبائل العرب من غزوة الحديبية

استعظمت قبائل العرب حركة النبي صلى الله عليه وآله الى مكة ، واعتبرها بعضهم مغامرة لأنهم لم يدركوا وضع قريش والتحولات التي حصلت في ميزان القوة.

وفي تفسير القمي: ٣١٠/٢:«وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يستنفر بالأعراب في طريقه ، فلم يتبعه أحد ويقولون: أيطمع محمد وأصحابه أن يدخلوا الحرم ، وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم ! إنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبداً»!

وقد وصف الله مواقف بعض القبائل فقال: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله لاتُكَلَّفُ إلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً... فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً.

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ الله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا. إلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً.

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا.

في تفسير القمي:١٤٥/١: «قوله...فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ الله.. فإنها نزلت في أشجع وبنب ضمرة وهما قبيلتان، وكان من خبرهما أنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غزاة الحديبية مر قريباً من بلادهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله هادن بني ضمرة ووادعهم قبل ذلك، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله هذه بنو ضمرة قريباً منا ونخاف أن يخالفونا إلى المدينة أو يعينوا علينا قريشاً، فلو بدأنا بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلا إنهم أبرُّ العرب بالوالدين وأوصلهم للرحم وأوفاهم بالعهد.

وكان أشجع بلادهم قريباً من بلاد بني ضمرة وهم بطن من كنانة ، وكانت أشجع بينهم وبين بني ضمرة حلف في المراعاة والأمان ، فأجدبت بلاد أشجع وأخصبت بلاد بني ضمرة فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة ، فلما بلغ رسول الله مسيرهم إلى بني ضمرة تهيأ للمصير إلى أشجع فيغزوهم للموادعة التي كانت بينه وبين بني ضمرة ، فأنزل الله: وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً..ثم استثنى بأشجع فقال: إلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ.. وكانت أشجع محالها البيضاء والجبل والمستباح ، وقد كانوا قربوا من رسول الله صلى الله عليه وآله فهابوا لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث إليهم من يغزوهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد خافهم أن يصيبوا من أطرافه شيئاً فهمّ بالمسير إليهم ، فبينما هو على ذلك إذ جاءت أشجع ورئيسها مسعود بن رجيلة وهم سبعمائة ، فنزلوا شعب سلع، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أسيد بن حصين فقال له: إذهب في نفر من أصحابك حتى تنظر ما أقدم أشجع؟ فخرج أسيد ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فوقف عليهم فقال: ما أقدمكم ؟ فقام إليه مسعود بن رجيلة وهو رئيس أشجع ، فسلم على أسيد وعلى أصحابه وقالوا: جئنا لنوادع محمداً ، فرجع أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خاف القوم أن أغزوهم فأرادوا الصلح بيني وبينهم، ثم بعث إليهم بعشرة أحمال تمر فقدمها أمامه ثم قال: نعم الشئ الهدية أمام الحاجة ، ثم أتاهم فقال: يا معشر أشجع ما أقدمكم؟ قالوا: قربت دارنا منك وليس في قومنا

أقل عدداً منا ، فضقنا بحربك لقرب دارنا منك ، وضقنا بحرب قومك لقلتنا فيهم ، فجئنا لنوادعك. فقبل النبي صلى الله عليه وآله ذلك منهم ووادعهم ، فأقاموا يومهم ثم رجعوا إلى بلادهم ، وفيهم نزلت هذه الآية: إِلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ..

وقوله: سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ...نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أجدبت بلادهم ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ووادعه على أن يقيم ببطن نخل ولا يتعرض له وكان منافقاً ملعوناً ، وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله الأحمق المطاع في قومه ! ثم قال: فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ».

وفي الكافي: ٨/٢٢٧، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ.. قال: نزلت في بني مدلج ، لأنهم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنا قد حصرت صدورنا أن نشهد إنك رسول الله ، فلسنا معك ولا مع قومنا عليك ، قال: قلت: كيف صنع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: واعدهم إلى أن يفرغ من العرب ، ثم يدعوهم فإن أجابوا وإلا قاتلهم».

رسائل النبي صلى الله عليه وآله الى ملوك الأرض

قال في الصحيح من السيرة:٢٠٠/١٦:«وفي سنة ست أو في سنة سبع كان إرسال النبي صلى الله عليه وآله الرسل إلى ستة من الملوك ، الذين يتحكمون في شعوب الأرض ، فقد أرسل في ذي الحجة الحرام أو في أواخره أو في المحرم ستة نفر في يوم واحد ، فخرجوا مصطحبين. وقد كتب إليهم وإلى غيرهم من الملوك والرؤساء في داخل بلاد الإسلام وخارجها. وكانت اللغة التي كتب إليهم بها هي العربية والتي هي لغة القرآن والإسلام. والملوك الستة الذين كتب النبي صلى الله عليه وآله إليهم هم:

١ - النجاشي، ملك الحبشة.

٢ - قيصر، ويقال: هرقل، عظيم الروم.

٣ - كسرى، حاكم فارس والمدائن.

٤ - المقوقس، صاحب الإسكندرية (مصر).

٥ - الحارث، والي تخوم الشام ودمشق.

٦ - ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيان ، ملكا اليمامة ، وقائداها.

أما الذين حملوا الكتب إلى هؤلاء فهم:

١ - عمرو بن أمية الضمري ، إلى النجاشي.

٢ - دحية بن خليفة الكلبي ، إلى قيصر.

٣ - عبد الله بن حذافة السهمي ، إلى كسرى.

٤ - حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، إلى المقوقس.

٥ - الشجاع بن وهب الأسدي ، إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني.

٦ - وسليط بن عمرو العامري ، إلى ثمامة وهوذة.

والظاهر أنه قد كان ثمة رهبة شديدة وخوف عظيم لدى بعض المسلمين من هذا الأمر، حتى إن الرسل أنفسهم أظهروا تثاقلاً عن تنفيذ أمر رسول الله ﷺ !

وقد يكون من أسباب ذلك خوفهم من بطش أولئك الملوك بهم، وذلك في سورة غضب شديد توقَّعوها منهم حين تسليم الرسائل إليهم، فقد قالوا: إن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية، فقال: يا أيها الناس إن الله بعثني رحمة وكافة، فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريون على عيسى ! وقال: إنطلقوا ولا تصنعوا كما صنع رسل عيسى بن مريم. فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟! فقال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلَّم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً، فكره وجهه وتثاقل، فشكى ذلك عيسى إلى الله تعالى، فأصبح المتثاقلون كل واحد منهم يتكلم بلسان الأمة التي بعث إليها.

وقد اعتبر الواقدي: أن من معجزات رسول الله ﷺ أنه حين بعث النفر الستة إلى الملوك: أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثهم إليهم. وقالوا: كان ذلك معجزة لرسول الله ﷺ ».

وقال الأحمدي في مكاتيب الرسول ﷺ: ١٨١/١: « لما تم صلح الحديبية في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة، رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.. فعندئذ كتب إلى الملوك من العرب والعجم ورؤساء القبائل والأساقفة والمرازبة والعمال وغيرهم، يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام، فبدأ بإمبراطوري الروم وفارس

وملكي الحبشة والقبط ، ثم بغيرهم ، فكتب في يوم واحد ستة كتب وأرسلها مع ستة رسل.. قيل: يا رسول الله إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا إذا كان مختوماً ، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله خاتماً من فضة ، نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله.

وقيل: إن الأسطر الثلاثة تقرأ من أسفل فيبدأ به محمد ، ثم رسول ، ثم الله ، فختم به الكتب. وفي مسند عبد بن حميد عن أنس قال: كتب رسول الله (ص) إلى ملك الروم فلم يجبه ، فقيل له: إنه لا يقرأ إلا أن يختم ، قال: فاتخذ رسول الله خاتماً من فضة وكتب فيه: محمد رسول الله...

وهذه الكتب بأجمعها تتضمن معنى واحداً وتروم قصداً فارداً وإن كان اللفظ مختلفاً إذ كلها كتب لمرمى واحد ، وهو الدعوة إلى التوحيد والإسلام...

قال قيصر لأخيه حين أمره برمي الكتاب: أترى أرمي كتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر. وقال لأبي سفيان بعد أن ساءله وتكلم معه في النبي صلى الله عليه وآله كما يأتي: إن كان ما تقول حقاً فإنه نبي ليبلغن ملكه ما تحت قدمي.

وخرج ضغاطر الأسقف أسقف الروم بعد قراءة الكتاب إلى الكنيسة والناس حشد فيها ، وقال: يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب أحمد ، يدعونا إلى الله ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد رسول الله.

وقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب.

وكتب فروة عامل قيصر على عمَّان إلى رسول الله ﷺ بإسلامه ، فلما بلغ ذلك ملك الروم أخذه واعتقله واستتابه فأبى ، ثم قتله فقال حين يقتل:

بلغ سراة المسلمين بأنني سلَّمت ربي أعظمي وبناني

وكتب اليه هوذة بن علي ملك اليمامة: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله.

وأجابه جيفر وعبد ابنا جلندي ملكا عُمَان ، بالإسلام وخلوا بينه وبين الصدقة.

وأجابه المنذر بن ساوى ملك البحرين وحسن إسلامه. وأجابه ملوك حمير ووفدوا. وأجابه أساقفة نجران وأعطوا الجزية ، ولباه عمال ملك فارس بالبحرين واليمن، ولباه أقيال حضرموت ، ولباه ملك أيلة ويهود مقنا وغيرهم ، إما بالإسلام أو الجزية. وكتب إليه النجاشي بإسلامه وإيمانه..

وقد زادت(كتبه) على الخمسين كتاباً ، ولكنها في الحقيقة أكثر من ذلك بكثير »

افتراء عائشة على النبي ﷺ بأنه قد سُحِر !

كتبنا في (ألف سؤال وإشكال: ٢١١/٢):« قال الله تعالى: وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إلا رجلاً مَسْحُوراً.. وقالت عائشة لقد سُحِر النبي ﷺ وأثَّر عليه السحر ، فكان يتخيل أنه فعل الشئ ولم يفعله ! وزعمت أن يهودياً سَحَره فأخذ مشطه وبعض شَعره وجعل فيه سحراً ودفنه في بئر ! وأنه ﷺ فقد حواسه وذاكرته وبقي على تلك الحالة ستة أشهر رجلاً مسحوراً ! حتى دلَّهُ رجلٌ أو ملَك على الشخص الذي سحره والبئر التي أودع فيها المشط والمشاطة من شعره ! فذهب إلى البئر ، ولكنه

لم يستخرج المشط منها أو استخرجه ، وفكَّ عقد خيط الجلد الذي لفَّ به ، وأمر بدفن البئر ، ولم يقتل الذي سحره ، لأنه لم يُرِدْ أن يثير فتنة !

روى البخاري هذه الخرافة عن عائشة في خمسة مواضع ! منها في:٩١/٤:« عن عائشة قالت: سُحِرَ النبي (ص) ! وقال الليث كتب إلى هشام أنه سمعه ووعاه عن أبيه ، عن عائشة قالت: سُحر النبي (ص) حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما يفعله ، حتى كان ذات يوم دعا ودعا ، ثم قال: أُشْعِرتُ أن الله أفتاني فيما فيه شفائي . أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر: ما وجعُ الرجل؟ قال: مَطْبُوب ! قال: ومن طَبَّهُ ؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في ماذا ؟ قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر ! قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذِروان ! فخرج إليها النبي(ص) ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنها رؤوس الشياطين ! فقلت: استخرجتهُ ؟ فقال: لا ، أما أنا فقد شفاني الله ، وخشيتُ أن يثير ذلك على الناس شراً ، ثم دُفِنَتْ البئر » !

وفي: ٦٨/٤:« سُحر حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه» !

وفي: ٨٨/٧:« مكث النبي كذا وكذا ، يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي » !

وفي: ٢٩/٧:« كان رسول الله سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ! قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا » !

وكرره بخاري ذلك بروايات متعددة (٢٨/٧ و١٦٤). ورونه عامة مصادرهم !

وقال إمامهم الكبير ابن حجر في مدة بقاء النبي صلى الله عليه وآله مسحوراً مجنوناً معاذ الله !

« ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي: فأقام أربعين ليلة ، وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد: ستة أشهر ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه ، والأربعين يوماً من استحكامه ! وقال السهيلي: لم أقف في شئ من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث النبي فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري أنه لبث ستة أشهر! كذا قال. وقد وجدناه موصولاً بإسناد الصحيح فهو المعتمد ». (فتح الباري:١٩٢/١٠).

أقول: يقصد السهيلي ما في مسند أحمد:٦٣/٦:«عن عائشة قالت: لبث رسول الله ستة أشهر يرى أنه يأتي نساءه ، ولا يأتي» !

ثم اقرأ تفاصيلهم العامية عن أسطورتهم وفريتهم في سحر نبيهم ﷺ ، وأن صبياً يهودياً سرق مشط النبي ﷺ وشيئاً من شعره (مشاطة شعره) وأعطاها الى اليهودي لبيد الأعصم ، فجعل معها خيطاً من جلد وعقده اثنتي عشرة عقدة ، أو أحد عشرة عقدة ، ثم قرأ عليها السحر ولفَّ الجميع في قماشة ، ثم دفنها تحت صخرة بئر ذروان الذي يقع خارج المدينة ، وكان ماؤها بسبب السحر أحمر كالحنَّاء ، وكان النخل الذي يسقى منها طلعه كأنه رؤوس الشياطين !

ثم بعد ستة أشهر قضاها سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ مريضاً مسحوراً نصف مجنون ! دلَّه الملك على البئر فذهب اليها ، أو أرسل علياً والزبير ، فاستخرجوا المشط وفكوا عقد الخيط ، فشفي النبي ﷺ من السحر ! (راجع المجموع:٢٤٣/١٢).

ثم اقرأ تأكيد إمامهم الكبير ابن حجر على تأثير السحر على حواس النبي ﷺ

وبعض عقله ! قال:« قوله: حتى كان رسول الله (ص) يخيَّل إليه أنه كان يفعل الشئ وما فعله . قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثمَّ ، وأنه يوحى إليه بشئ ولم يوح إليه بشئ !

قال المازري: وهذا كله مردود ، لأن الدليل قد قام على صدق النبي(ص) فيما يبلغه عن الله تعالى ، وعلى عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل. وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة من أجلها (...) فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض ، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لاحقيقة له ، مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين !

قلت: وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه: حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ، وفي رواية الحميدي أنه يأتي أهله ولا يأتيهم... وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الإقتدار على الوطأ ، فإذا دنا من المرأة فَتَرَ عن ذلك ، كما هو شأن المعقود ، ويكون قوله في الرواية الأخرى: حتى كاد ينكر بصره ، أي صار كالذي أنكر بصره ، بحيث أنه إذا رأى الشئ يخيل أنه على غير صفته فإذا تأمله عرف حقيقته . ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر

من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به ». انتهى.

أقول: هذا بعض كلامهم الطويل العليل ! الذي يريدون به أن يقنعوك بأن نبيك ﷺ كان لمدة ستة أشهر مسحوراً ، وأنه مرض من ذلك وانتثر شعر رأسه ، وصار أقرع أو كالأقرع ، وصار يذوب ولا يدري ما عراه ! وكان يتصور أنه يرى شيئاً وهو لايراه ، ويتصور أنه أكل ولم يأكل ، وأنه نام مع زوجته ولم يفعل !

ثم يريدون أن يطمئنوك بأن النبي ﷺ بخير وعافية ، فالسحر قد تسلط على جسده وظواهر جوارحه ، أي على قسم من عقله وليس على جميعه !

ويقولون لك نعم إن نبيك ﷺ معصوم لاينطق عن الهوى ، لكن عصمته إنما هي في تبليغه الرسالة فقط - ماعدا حديث الغرانيق طبعاً - !

أما في غير التبليغ فقد يصاب بالسحر وبالجنون ، فيفقد التمييز في الأمور الدنيوية التي لم يبعث من أجلها ! ومنها استخلاف من يقود المسلمين بعده !

وكل دليلهم على ذلك أن عائشة قالته ، ولو خالف القرآن !

لقد فاقت القرشيات بافترائها على النبي ﷺ كل ما افترته الإسرائيليات على أنبيائهم عليهم السلام ! ولذا قال ﷺ :«ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» !

وقد رد هذه الفرية علماء الشيعة ، وتجرأ على ردها معهم بعض علماء السنة !

قال الطوسي في تفسير التبيان:٣٨٤/١:«ما روي من أن النبي ﷺ سُحِر وكان يرى أنه يفعل ما لم يفعله ، فأخبار آحادٍ لايلتفت إليها ، وحاشا النبي ﷺ من كل صفة نقصٍ ، إذ تنفر من قبول قوله ، لأنه حجة الله على خلقه ، وصفيه من عباده ،

اختاره الله على علم منه ، فكيف يجوز ذلك مع ما جنَّبه الله من الفظاظة والغلظة وغير ذلك من الأخلاق الدنيئة والخلق المشينة ؟! ولا يجوِّز ذلك على الأنبياء عليهم السلام إلا من لم يعرف مقدارهم ، ولا يعرفهم حقيقة معرفتهم ، وقد قال الله تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، وقد أكذب الله من قال: إِنْ تَتَّبِعُونَ إلا رجلاً مَسْحُوراً. فقال: وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إلا رجلاً مَسْحُوراً . فنعوذ بالله من الخذلان ».

وقال ابن إدريس العجلي في السرائر:٥٣٤/٣:« والرسول صلى الله عليه وآله ما سُحِر عندنا بلا خلاف لقوله تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، وعند بعض المخالفين أنه سُحر ، وذلك بخلاف التنزيل المجيد » !

وممن تجرأ ومال الى موافقتنا في ردها: النووي في المجموع: ٢٤٢/١٩ ، قال: «وأكتفي بهذا القدر من أحاديث سحر الرسول (ص)....تنبيه: قال الشهاب بعد نقل التأويلات عن أبي بكر الأصم أنه قال: إن حديث سحره (ص) المروي هنا متروكٌ لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه مسحور ، وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله فيه. ونقل الرازي عن القاضي أنه قال: هذه الرواية باطلةٌ ، وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، وقال: وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى . ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة ، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء عليهم السلام والصالحين ، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم ! وكل ذلك باطل . وكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور ، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ،

ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب ، ومعلوم أن ذلك غير جائز». انتهى.

أقول: أصل المشكلة عندهم أنهم يقبلون كلام عمر وعائشة والبخاري مهما كان ، ولايسمحون لأنفسهم ولا لأحد أن يبحثه وينقده !

وقد أوقعهم ذلك في مشكلات عديدة في العقائد والفقه ! تورطوا فيها وما زالوا دون أن يجرأ أحد منهم على القول: معاذ الله ، إنها تهمة الكفار لنبينا صلى الله عليه وآله وقد برَّأه الله منها ، فإن صحت عن عائشة فهي من خيالاتها !

وقد استنكر الله تعالى تهمة الكفار ، فقال: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلاً مَسْحُوراً. اُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً. (الإسراء: ٤٦-٤٨).

فما هو الفرق بين قول هؤلاء وقول عائشة:« حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما يفعله»؟! أليس هذا الجنون بعينه ؟! وإن قبلوه في النبي صلى الله عليه وآله فمن يضمن أن يكون الله تعالى أنزل عليه وحياً وأوامر ، فتصور أنه بلغها ولم يبلغها ؟!

ثم..متى كانت هذه الحادثة؟ في السنة السادسة أو السابعة؟ وكل حياة النبي صلى الله عليه وآله وسنواتها وأيامها مشهودة منظورة ، وكيف لم يعرف ذلك إلا عائشة ؟!

ثم.. كيف يعتقدون بالقدرات الخارقة للسحر وتأثيره على الناس والمؤمنين والأنبياء عليهم السلام ؟! وإذا صح ذلك ، فلماذا لم يَصِر السَّحَرَة حكام الأرض ؟!

هذا ، ولا نطيل في تحليل كلام عائشة ففيه دلالات كثيرة ليست في مصلحتها !

قال في الصحيح من السيرة:٢٢٥/١٦:« وزعموا: أنه في شهر محرم من السنة السابعة ، وقيل سنة ست: سحر رسول الله. فعن عائشة قالت... سحر رسول الله حتى كان

يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان ! وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: إنما سحره بنات أعصم أخوات لبيد ، وكان لبيد هو الذي ذهب به فأدخله تحت راعوفة البئر. ودس بنات أعصم إحداهن فدخلت على عائشة ، فسمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله من بصره ! ثم خرجت إلى أخواتها بذلك فقالت إحداهن: إن يكن نبياً فسيخبَّر ، وإن كان غير ذلك فسوف يُدَلِّهُهُ هذا السحر ، فيذهب عقله ، فدله الله عليه ! وقد مرض من سحرهن له حتى إنه لم يقدر على قربان أهله ستة أشهر ، وذكر السنة والأربعين يوماً في الوفاء ! وعن الزهري: أنه لبث سنة ! وفي بعض الروايات: أن سِحْرَ يهود بني زريق حبس النبي عن خصوص عائشة: سنة !

بل في بعضها: فأقام رسول الله لا يسمع ولا يبصر، ولا يفهم ، ولا يتكلم ، ولا يأكل ولا يشرب..! فهل يمكن أن يكون هذا حال من وصفه الله تعالى بأنه: وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ؟!

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن شعر رسول الله صلى الله عليه وآله قد انتثر بواسطة السحر.. وهذا أمر عجيب وغريب لم نعهده في سحر الساحرين ، ولا قرأناه في تاريخ هذا النبي الأمين صلى الله عليه وآله ، فلو كان ذلك قد حصل فعلاً لاعتبره المؤرخون مفصلاً تاريخياً في حياته صلى الله عليه وآله ! إننا لا نشك في كذب هذه الروايات ، ونعتقد أنها من مجعولات أعداء هذا الدين».

غزوة خيبر

١- محافظة خيبر

خيبر الآن محافظة مركزها مدينة خيبر ، وتقع شمال شرق المدينة المنورة ، وتبعد عنها١٧٩كيلومتراً ، وتشمل ١٨٩ قرية ، ومساحتها٢٦٠ كيلو متراً.

http: //www.oman٠.net/forum/showthread.php?t=١٧٩٦٢

وفي معجم البلدان: ٤٠٩/٢:« خيبر: الموضع المذكور في غزاة النبي (ص) وهي ناحية على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشام. يطلق هذا الإسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير ، وأسماء حصونها: حصن ناعم وعنده قتل مسعود بن مسلمة ألقيت عليه رحى ، والقموص حصن أبي الحقيق ، وحصن الشق ، وحصن النطاة ، وحصن السلالم ، وحصن الوطيح ، وحصن الكتيبة. وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود: الحصن ، ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر».

أقول: هاجر اليهود بعد المسيح عليه السلام الى الجزيرة ينتظرون النبي الموعود صلى الله عليه وآله ، ونزلوا في مواضع منها تيماء ووادي القرى وخيبر وحول المدينة ، وكان في خيبر أودية فيها بعض العيون ، وبقربها قبيلة عبس وبعض قبائل غطفان النجدية ، لكنهم كانوا أهل إبل وشاء ولم يكونوا أهل زراعة ، فسكن فيها اليهود وزرعوها

ونجحت فيها زراعة النخيل، واشتهر تمرها بعد هجر. ولعلهم كلمة خيبر التي سموها بها نفس كلمة كيبوتس بمعنى مستوطنة أو قرية.

وكان يهود خيبر عندما بعث النبي صلى الله عليه وآله نحو عشرة آلاف نسمة، ومقاتلوهم بضعة آلاف، وروي أربعة عشر ألفاً. ثم انضم اليهم كثير ممن أجلاهم النبي صلى الله عليه وآله من يهود قينقاع والنضير وقريظة، ومنهم حاخامات وزعماء كبار رأَسَهم أهل خيبر عليهم، مثل حي بن أخطب الذي ذهب الى مكة لحث قريش وقبائل العرب على حرب النبي صلى الله عليه وآله، ووعد قبائل نجد بموسم تمر خيبر!

٢- بعد عودته من الحديبية بعشرين يوماً توجه صلى الله عليه وآله الى خيبر

بعد عودته من الحديبية بنحو عشرين يوماً، توجه النبي صلى الله عليه وآله الى خيبر بجيشه البالغ نحو ألف وخمس مئة، وكان ذلك في شهر صفر أواخر السنة السادسة للهجرة، وفسره بعضهم بأن أول السنة كان شهر الهجرة ربيع الأول، حتى غيَّرَه عمر وأرجعه الى شهر محرم.

وعندما أمر صلى الله عليه وآله بالخروج واستنفر الذين شهدوا معه الحديبية، جاءه المتخلفون عن الحديبية فقال صلى الله عليه وآله: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا. ثم أمر منادياً ينادي بذلك. (راجع الصحيح من السيرة: ٧٢/١٧).

وفي سيرة ابن هشام: ٧٩١/٣: «ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر.. ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب وكانت بيضاء». ثم روى ابن هشام أن الأكوع كان يرتجز بهم:

والله لــولا الله مــا اهتــدينا ولا تصــدقنا ولا صـــلينا
فـــأنزلن ســـكينة علينـــا وثبِّــت الأقــدامَ إن لاقينـا
إنــا إذا قــوم بغــوا علينـا وإن أرادوا فتنـــة أبينـــا

وهو شعر عبدالله بن رواحة ، وكان النبيﷺ يردده في حفر الخندق (الغدير:٦/٢).

ثم نقل عن ابن إسحاق: كان رسول الله (ص) حين خرج من المدينة إلى خيبر ، سلك على عصر ، هكذا روى عنه بفتح العين وإسكان الصاد المهملة بعدها راء مهملة ، وفي بعض النسخ عَصَر بفتح الصاد. قال: فبني له فيها مسجد ، قال: ثم سلك على الصهباء ، ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بين أهل خيبر وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله(ص) . فكان أول حصن افتتحه رسول الله(ص)حصن ناعم».

« فقال رسول اللهﷺ لحُسَيْل: يا حُسَيْل: إمض أمامنا حتى تأخذ بنا صدور الأودية ، حتى تأتي خيبر من بينها وبين الشام ، فأحول بينهم وبين الشام ، وبين حلفائهم من غطفان. فقال حُسَيْل: أنا أسلك بك ، فانتهى به إلى موضع له طُرق فقال: يا رسول الله ، إن لها طرقاً تؤتى منها كلها ، فقال رسول اللهﷺ: سمها لي. وكان رسول اللهﷺ يحب الفأل الحسن والإسم الحسن ويكره الطيرة والإسم القبيح ، فقال: لها طريق يقال لها: حزن وطريق يقال لها: شاش وطريق يقال لها: حاطب ، فقال رسول اللهﷺ: لا تسلكها. قال: لم يبق إلا طريق واحد يقال له: مرحب ، فقال رسول اللهﷺ: أسلكها ». (الصحيح من السيرة: ٨٩/١٧).

٣- سبب حرب النبي صلى الله عليه وآله ليهود خيبر

قال في المواجهة مع رسول الله/٢٨٣: «كانت خيبر من أعظم وأكبر التجمعات اليهودية في الجزيرة ، حتى أنها أصبحت قلعة حقيقية ففيها المال وفيها الرجال ، وقد تابع يهود خيبر بقلق بالغ أنباء مواجهات الرسول مع يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ، وتأثروا بما أصابهم ، وتعاطفوا معهم حتى صارت خيبر ملجأ للكثير من اليهود ، واستقطبت بخيراتها وأموالها عواطف الكثير من أبناء القبائل العربية المحتاجة الطامعة بأي شئ ، مما حوَّلها مع الأيام إلى قاعدة لمن يتربصون الدوائر بالنبي وآله ومن والاه ، وصارت أعظم خطر يهدد الإسلام.

وقد أدرك يهود خيبر ومن لجأ إليهم وتحالف معهم ، أن المواجهة مع محمد ومن والاه قدر محتوم لا مفر منه ، وقد أرعبتهم مواجهات محمد السابقة مع خصومه ، لذلك فهم يخشون فكرة شن هجوم عليه ، مما فرض عليه فرضاً أن يبقوا بحالة ترقب وقلق حتى يأتي محمد ومن والاه لحربهم ، فيحاربونه حرباً دفاعية وهم في حصونهم .

واستعداداً لتلك المواجهة الحاسمة رمموا حصونهم وأصلحوها ، واستوردوا السلاح وصنعوه ، ووسعوا دائرة تحالفاتهم مع القبائل ، خاصة مع قبيلة غطفان وزعيمها عيينة بن حصن ، ويقال إنهم جندوا عشرة آلاف مقاتل يتم استعراضهم يومياً ، وقدروا أنهم بهذه العدة والعدد سيكونون أول من يلحق هزيمة ساحقة

بمحمد وآله ومن والاه ، ومن هنا فقد أيقنوا بأن محمداً قادم إليهم لا محالة ، وترقبوا كل يوم قدومه ليواجهوه بما لا قبل له به !

وبعد أن فتح الله على نبيه في صلح الحديبية ذلك الفتح المبين ، وحقق انتصاره السياسي ، وخلت بطون قريش بينه وبين العرب ، واعترفت به وهي عدوته اللدودة ، واعترفت بحقه باستقطاب العرب حوله .

عندئذ قدر النبي صلى الله عليه وآله أن الفرصة ملائمة لمواجهة أخطر وأقوى ما تبقى من خصومه وهم يهود خيبر... وبعد إتمام الاستعدادات وفي شهر صفر من السنة السابعة للهجرة ، زحف النبي نحو خيبر ودخلها عن طريق مرحب ، وفي الطريق علم أن قبائل غطفان الكبيرة قد تحالفت مع اليهود على حرب محمد مقابل تمر خيبر لسنة. ولما استقر الرسول في معسكره قرب خيبر ، أمر أتباعه أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم النبي بالقتال ، ونظم أتباعه».

٤- وصول النبي صلى الله عليه وآله الى خيبر

في خيبر سمع النبي صلى الله عليه وآله أصحابه يرفعون أصواتهم بالتكبير ، فأمرهم أن يلتزموا الهدوء والسكينة والتواضع ، وقال لهم: إربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم.. وقال لهم: قفوا فوقفوا ، فقال: « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنَّا نسألك من خير هذه

القرية وخير أهلها ، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها. أقدموا باسم الله ». (المناقب: ١٧٦/١، والصحيح من السيرة: ١٠١/١٧).

وكان أهل خيبر يتوقعون وصول النبي صلى الله عليه وآله ، لكنه فاجأهم فجاء من جهة لا يتوقعون مجيئه منها ، فرآه بعض المزارعين فقالوا: محمد والخميس وأدبروا هرباً ! فقال صلى الله عليه وآله ورفع يديه: الله أكبر ، خربت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. كما قالها عند محاصرة بني قريظة. (الإرشاد: ١١٠/١، وتفسير القمي: ١٨٩/٢).

وعسكر صلى الله عليه وآله بأصحابه قرب حصن ناعم ، وكان فيه قوات غطفان النجدية ، بزعامة شيخ فزارة عيينة بن حصن ، جاؤوا لنصرة اليهود قبل قدوم النبي صلى الله عليه وآله بثلاثة أيام ، وروي أنهم كانوا أربعة آلاف ، ونزلوا في حصن ناعم في النطاة ، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله سعد بن عبادة لينصح عيينة بالإنسحاب بقبيلته:« فلما انتهى سعد إلى الحصن ناداهم: إني أريد أكلِّم عيينة بن حصن ، فأراد عيينة أن يدخله الحصن فقال مرحب: لاتُدخله فيرى خلل حصننا ويعرف نواحيه التي يؤتى منها ، ولكن تخرج إليه. فقال عيينة: لقد أحببت أن يدخل فيرى حصانته ويرى عدداً كثيراً ، فأبى مرحب أن يدخله فخرج عيينة إلى باب الحصن ، فقال سعد: إن رسول الله أرسلني إليك يقول: إن الله قد وعدني خيبر فارجعوا وكفوا ، فإن ظهرنا عليها فلكم تمر خيبر سنة. فقال عيينة: إنَّا والله ما كنا لنسلم حلفاءنا لشئ ، وإنَّا لنعلم ما لك وما معك مما هاهنا طاقة ، هؤلاء قوم أهل حصون منيعة ، ورجال عددهم كثير وسلاح ! إن أقمت هلكت ومن معك ، وإن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال والسلاح. ولا والله ما هؤلاء كقريش وقوم ساروا إليك إن أصابوا

غِـرَّة منـك فـذاك الـذي أرادوا ، وإلا انصـرفوا ، وهـؤلاء يماكرونـك الحـرب ويطاولونك حتى تملهم. فقال سعد بن عبادة: أشهد ليحصرنك في حصنك هذا حتى تطلب الذي كنا عرضنا عليك فلا نعطيك إلا السيف ! وقد رأيت يا عيينة من قد حللنا بساحته من يهود يثرب ، كيف مُزقوا كل ممزق !

فرجع سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بما قال. وقال سعد: يا رسول الله ، لئن أخذه السيف ليسلمنهم وليهربن إلى بلاده كما فعل ذلك قبل اليوم في الخندق. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه أن يتوجهوا إلى حصنهم الذي في غطفان وذلك عشيةً وهم في حصن ناعم، فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله أن أصبحوا على راياتكم عند حصن ناعم ، الذي فيه غطفان.

قال: فرعبوا من ذلك يومهم وليلتهم ، فلما كان بعد هذه من تلك الليلة سمعوا صائحاً يصيح لايدرون من السماء أو الأرض: يا معشر غطفان أهلكم أهلكم ! الغوث الغوث بحيفاء ، صيح ثلاثة ، لا تربة ولا مال !

قال: فخرجت غطفان على الصعب والذلول ، وكان أمراً صنعه الله لنبيه صلى الله عليه وآله. فلما أصبحوا أُخبر كِنانة بن أبي الحُقيق وهو في الكتيبة (منطقة أخرى من خيبر) بانصرافهم فسقط في يديه ». (الصحيح من السيرة: ١٧/١١٠).

٥- نداء النبي صلى الله عليه وآله بالأمان لأهل خيبر

روت مصادرهم: «عن الضحاك الأنصاري قال: لما سار النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر جعل علياً على مقدمته فقال صلى الله عليه وآله: من دخل النخل فهو آمن ، فلما تكلم النبي

(ص) نادى بها علي ، فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلى جبرائيل يضحك فقال: مايضحكك؟! قال: إني أحبه ! فقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: إن جبرائيل يقول إنه يحبك ! قال عليه السلام: بَلَغْتُ أن يحبني جبرائيل؟قال صلى الله عليه وآله: نعم ومن هو خير من جبرائيل ، الله عزَّ وجل».

(الطبراني الكبير: ٣٠١/٨، ومجمع الزوائد: ١٢٦/٩، وأسد الغابة: ٣٤/٣).

٦- فتح علي عليه السلام كل حصون خيبر ؟

كانت خيبر ثلاث مناطق: النَّطَاةْ بفتح النون المشددة وسكون الهاء ، وفيها ثلاثة حصون: حصن ناعم ، وحصن الصعب ، وحصن قلة .

وتتصل بها منطقة الشق وفيها حصن أبيّ ، وحصن البرئ .

وعلى بعد كيلو مترات منها منطقة الكتيبة ، وفيها واد فيه أربعون ألف نخلة وعلى جبلها ثلاثة حصون: حصن القموص ، والسلالم ، والوطيح .

وقد استغرق فتح خيبر كلها وترتيب أمرها نحو شهرين. وبدأ النبي صلى الله عليه وآله بحصن ناعم في النطاة ، ففتحه بعد بضعة أيام .

ثم حاصر حصن الصعب أياماً ، ثم فتح بقية الحصون في مدة قليلة .

ثم ترك علياً عليه السلام في منطقة النطاة والشق ، واتجه الى الكتيبة فحاصر حصنها (القموص) وهو حصن خيبر الأكبر ، وطالت محاصرته له بضعة وعشرين يوماً !

وكان يرسل جيشه كل يوم بقيادة صحابي ، فيصلون الى خندق الحصن فيرميهم اليهود من أبراجه بالسهام والأحجار ، فيرمونهم هم ، ويرجعون !

ثم تجرأ مرحب وفرسانه فأخذوا يخرجون من الحصن ويتحدون المسلمين أن يعبروا اليهم ، فلا يجرؤ أحد منهم عبور الخندق ، بل كانوا يرجعون منهزمين حتى أحضر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام !

وروت مصادرنا أن فتح حصون خيبر كلها كان بيد علي عليه السلام ، وروى نحو ذلك في السيرة الحلبية: ٧٣٧/٢ ، وعون المعبود: ١٧٢/٨، قال: « وقصة فتح هذه الحصون: أن النبي (ص) ألبس علياً رضي الله عنه درعه الحديد وأعطاه الراية ، ووجهه إلى الحصن ، فلما انتهى علي رضي الله عنه إلى باب الحصن ، اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض ، ففتح الله ذلك الحصن الذي هو حصن ناعم ، وهو أول حصن فتح من حصون النطاة على يده رضي الله عنه.

وكان من سلم من يهود حصن ناعم انتقل إلى حصن الصعب من حصون النطاة ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم. ولما فتح ذلك الحصن تحول من سلم من أهله إلى حصن قلة ، وهو حصن بقلة جبل ، ويعبر عن هذا بقلعة الزبير ، وهو الذي صار في سهم الزبير بعد ذلك ، وهو آخر حصون النطاة. فحصون النطاة ثلاثة ، حصن ناعم ، وحصن الصعب ، وحصن قلة.

ثم صار المسلمون إلى حصار حصون الشق ، فكان أول حصن بدأ به من حصني الشق حصن أبيّ ، فقاتل أهله قتالاً شديداً وهرب من كان فيه ، ولحق بحصن يقال له حصن البرئ ، وهو الحصن الثاني من حصني الشق.

فحصون الشق اثنان: حصن أبي وحصن البرئ.

ثم إن المسلمين لما أخذوا حصون النطاة وحصون الشق ، انهزم من سلم من يهود تلك الحصون إلى حصون الكتيبة ، وهي ثلاثة حصون القموص والوطيح وسلالم ، وكان أعظم حصون خيبر القموص ، وانتهى المسلمون إلى حصار الوطيح وحصن سلالم ويقال له السلاليم ، وهو حصن بني الحقيق آخر حصون خيبر ، ومكثوا على حصارهما أربعة عشر يوماً ، فلم يخرج أحد منهما ، وسألوا رسول الله (ص) الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ، فصالحهم على ذلك ».

أقول: ستعرف أن محاصرة القموص طالت بضعاً وعشرين يوماً ، وذلك قبل محاصرة حصن السلالم والوطيح ، التي ذكر أنها كانت أربعة عشر يوماً.

كما تدل على أن أمير المؤمنين عليه السلام قلع باب حصن ناعم ، ولم تذكر حجم ذلك الباب ، وسيأتي قلعه عليه السلام لباب حصن القموص وهو أكبر حصون خيبر.

٧- طريقة القتال في فتح النبي صلى الله عليه وآله حصون خيبر

« صفَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه ووعظهم ، ونهاهم عن القتال حتى يأذن لهم ، فعمد رجل من قبيلة أشجع فحمل على يهودي فقتله اليهودي ، فقال الناس: استشهد فلان. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبعدَ ما نهيتُ عن القتال؟ قالوا: نعم. فأمر رسول الله منادياً فنادى في الناس: لاتحل الجنة لعاص... وقالوا إن مرحباً هو الذي قتل ذلك الرجل الأشجعي...

وأذن رسول الله في القتال وحثهم على الصبر، وأول حصن حاصره حصن ناعم.. وقاتلﷺ يومه ذاك أشد القتال، وقاتله أهل النطاة أشد القتال، وترَّس جماعة من أصحاب رسول اللهﷺعليه يومئذٍ، وعليه كما قال محمد بن عمر درعان وبيضة ومغفر، وهو على فرس يقال له الظرب، وفي يده قناة وترس».
(الصحيح من السيرة: ١٥٢/١٧).

أقول: كان اليهود مستميتين في الدفاع عن خيبر، ومن الطبيعي أنهم كانوا يخططون لقتل النبيﷺ! فقد روى الواقدي:٦٧٠/٢، والصحيح من السيرة:٢١٩/١٧:«أن كنانة ابن أبي الحقيق كان رامياً يرمي بثلاثة أسهم في ثلاث مائة ذراع، فيُدخلها في هدف شبراً في شبر! فما هو إلا أن قيل له: هذا رسول اللهﷺقد أقبل من الشق في أصحابه، وقد تهيأ أهل القموص، وقاموا على باب الحصن بالنبل.. فنهض كنانة إلى قوسه فلم يستطع أن يوترها لشدة الرعدة التي انتابته»!

والوضع الطبيعي أن يتحصن اليهود في قلاعهم، ويردوا هجمات المسلمين بواسطة الرماة من أبراج القلعة وسطوحها. لكن أحاديث خيبر ذكرت أن فرسان اليهود خرجوا من بعض حصونهم واشتبكوا مع المسلمين أمام مداخلها، وفتحوا أبواب الحصن للتواصل مع مقاتليهم، فلم يمكنهم رمي المسلمين القريبين من مقاتليهم بالسهام.

فكان على المسلمين أن يكتسحوا المقاتلين أمام باب الحصن، ثم يدخلوه قبل أن يسدوا بابه، ويقاوموا المقاتلين داخله.

وكان اليهود عند سقوط الحصن ينسحبون الى غيره، وينقلون معهم ما أمكنهم من سلاح ومؤن أو يتلفونها، فقد ورد ذكر بطلهم مرحب في معركة حصن ناعم وهو أول

حصن فتحه النبي صلى الله عليه وآله، ثم كان بطل حصن القموص، وهو آخر حصونهم وأهمها.

وهذه بعض نصوص القتال في فتح الحصون قبل حصن القموص من كتاب: الصحيح من السيرة (١٧/١٧١): «لم يكن بخيبر حصن أكثر طعاماً وودكاً وماشية ومتاعاً من حصن الصعب بن معاذ، ووجدوا فيه ما لم يكونوا يظنون، من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والودك، وكان فيه خمس مائة مقاتل، وكان المسلمون قد أقاموا أياماً يقاتلون ليس عندهم طعام إلا العلف!

وروى ابن إسحاق عن بعض قبيلة أسلم ومحمد بن عمر، عن معتب الأسلمي واللفظ له قال: أصابتنا معشر أسلم مجاعة حين قدمنا خيبر، وأقمنا عشرة أيام على حصن النطاة لا نفتح شيئاً فيه طعام، فأجمعت أسلم أن أرسلوا أسماء بن حارثة فقالوا: إئت رسول الله صلى الله عليه وآله فقل له: إن أسلم يقرئونك السلام ويقولون: إنَّا قد جُهدنا من الجوع والضعف... عن محمد بن مسلمة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله رمى بسهم فما أخطأ رجلاً منهم.. وحسب نص الحلبي: إن اليهود حملت حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو واقف قد نزل عن فرسه... ثم إن المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون، فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير... ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله: كلوا واعلفوا ولا تحملوا أي لا تخرجوا به إلى بلادكم.

وحسب نص الواقدي: وقد أقمنا عليه يومين نقاتلهم أشد القتال، فلما كان اليوم الثالث بكَّر رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم، فخرج رجل من اليهود كأنه الدقل في حربة له وخرج وعاديته معه، فرموا بالنبل ساعة سراعاً وترَّسنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله

وأمطروا علينا بالنبل فكان نبلهم مثل الجراد حتى ظننت ألا يقلعوا ، ثم حملوا علينا حملة رجل واحد فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو واقف قد نزل عن فرسه ، ومِدْعَم يمسك فرسه...

وندب رسول الله ﷺ المسلمين وحضهم على الجهاد ورغبهم فيه ، وأخبرهم أن الله قد وعده خيبر يغنمه إياها. قال فأقبل الناس جميعاً حتى عادوا إلى صاحب رايتهم ، ثم زحف بهم الحباب فلم يزل يدنو قليلاً قليلاً وترجع اليهود على أدبارها حتى لحمها الشر ، فانكشفوا سراعاً ودخلوا الحصن وغلّقوا عليهم ، ووافوا على جدره وله جدر دون جدر ، فجعلوا يرموننا بالجندل رمياً كثيراً ، ونحَّوْنا عن حصنهم بوقع الحجارة ، حتى رجعنا إلى موضع الحباب الأول .

ثم إن اليهود تلاومت بينها وقالت: ما نستبقي لأنفسنا؟ قد قتل أهل الجد والجلد في حصن ناعم ! فخرجوا مستميتين ورجعنا إليهم فاقتتلنا على باب الحصن أشد القتال ، وقتل يومئذٍ على الباب ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ: أبو صياح ، وقد شهد بدراً ، ضربه رجل منهم بالسيف فأطن قحف رأسه ، وعدي بن مرة بن سراقة طعنه أحدهم بالحربة بين ثدييه فمات ، والثالث الحارث بن حاطب وقد شهد بدراً ، رماه رجل من فوق الحصن فدمغه. وقد قتلنا منهم على الحصن عدة كلما قتلنا منهم رجلاً حملوه حتى يدخلوه الحصن ، ثم حمل صاحب رايتنا وحملنا معه وأدخلنا اليهود الحصن وتبعناهم في جوفه ، فلما دخلنا عليهم الحصن

فكأنهم غنم ! فقتلنا من أشرف لنا وأسرنا منهم ، وهربوا في كل وجه يركبون الحرة ، يريدون حصن قلعة الزبير ، وجعلنا ندعهم يهربون.

وصعد المسلمون على جدره فكبروا عليه تكبيراً كثيراً... ووجدوا فيه من البز والآنية ، ووجدوا خوابي السّكَر فأمروا فكسروها ، فكانوا يكسرونها حتى سال السكر في الحصن ، والخوابي كبار لا يطاق حملها...وأخرجنا منه غنماً كثيراً وبقراً وحمراً ، وأخرجنا منه آلة كثيرة للحرب ومنجنيقاً ودبابات وعُدَّة ، فنعلم أنهم قد كانوا يظنون أن الحصار يكون دهراً ، فعجل الله خزيهم...

أخرج من أطم من حصن الصعب ابن معاذ من البز عشرون عكماً (ربطة محزومة من غليظ متاع اليمن ، وألف وخمس مائة قطيفة ، ويقال: قدم كل رجل بقطيفة على أهله». انتهى.

وفي سبل الهدى:١٢٥/٥: « ذكر قتل علي رضي الله عنه الحارث وأخاه مرحباً وعامراً وياسراً ، فرسان يهود وسبعانها. روى محمد بن عمر عن جابر قال: أول من خرج من حصون خيبر مبارزاً الحارث أخو مرحب في عاديته فقتله علي ، ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن وبرز عامر ، وكان رجلاً جسيماً طويلاً ، فقال رسول الله (ص) حين برز وطلع عامر أترونه خمسة أذرع وهو يدعو إلى البراز؟ فخرج إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضربه ضربات ، كل ذلك لا يصنع شيئاً ، حتى ضرب ساقيه فبرك ، ثم ذفف عليه وأخذ سلاحه ».

أقول: كان قتل هؤلاء في حصن ناعم وليس في حصن القموص مع مرحب كما رووا. وقد كان مرحب معهم ، لكنه لم يبرز إلا في حصن القموص. ويؤيده أن منزل ياسر أخ مرحب في النطاة لا في القموص. (معجم البكري:٥٢٣/٢) ، وأن الحارث كان يحوس الناس بحربته ، أما في مبارزة علي عليه السلام لمرحب فلم يكن مع علي ناس ليحوسهم الحارث .

٨- طالت محاصرة حصن خيبر وظهرت هزيمة المسلمين !

يقع حصن القموص في الجهة المقابلة لمسجد النبي صلى الله عليه وآله الفعلي الذي كان مركز قيادته صلى الله عليه وآله ، وفي نفس القمة على مسافة قليلة الى يمينه يقع حصن السلالم وحصن الوطيح ، ويفصل هذه الحصون عن مركز قيادة النبي صلى الله عليه وآله تلالٌ ووادٍ ، وقد رأيته قبل خمس وثلاثين سنة وادياً صغيراً فيه بعض نخيل وعين ماء جارية ، بقربها محراب ومكان للصلاة ، وقد سألت البدو عنها فقالوا هذه عين سيدنا علي.

وبعد الوادي ربوات عليها الحصون ، وخلفها وادي الكتيبة المشهورة بالنخيل.

وعندما فتح النبي صلى الله عليه وآله حصون النطاة والشق: « انهزم من سلم من يهود تلك الحصون إلى حصون الكتيبة ، وهي ثلاثة حصون: القموص والوطيح وسلالم وكان أعظم حصون خيبر القموص ». (عون المعبود: ١٧٢/٨).

« فتحصنوا معهم في القموص أشد التحصين ، مغلقين عليهم لايبرزون ، حتى همَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن يرميهم بالمنجنيق ». (الواقدي: ٦٧٠/٢).

وحاصرهم بضعاً وعشرين يوماً (تاريخ خليفة/٤٩) وكان النبي صلى الله عليه وآله يصلي بالمسلمين كل يوم صلاة الفجر ثم يصطفُّون ثم يذهبون لمهاجمة الحصن، فيقطعون التلال حتى يصلوا الى قرب الخندق في مواجهة الحصن.

وكان اليهود يتخذون مواقعهم في أبراج الحصن وعلى سطوحه، ويرمون المسلمين بالسهام والأحجار، فيحمي المسلمون أنفسهم منها، أو يرمونهم بالسهام، ويحاولون أن يتقدموا فلا يستطيعون، فيرجعون بدون نتيجة!

ومع الأيام ضعفت معنويات المسلمين وقويت معنويات اليهود، فصار بطلهم مرحب وفرسانه يخرجون من الحصن، ويتحدون المسلمين أن يعبروا اليهم! فينهزم المسلمون عنهم، ويرجع اليهود منتصرين!

وكان النبي صلى الله عليه وآله أبقى علياً عليه السلام في المنطقة التي فتحها (النطاة والشق) أو بعثه في مهمة، وكان يعطي الراية لوجهاء أصحابه، فيوماً لسعد بن عبادة، ويوماً للزبير، ويوماً لطلحة، ويوماً لسعد بن أبي وقاص، ويوماً لأبي بكر، ويوماً لعمر بن الخطاب.. وقد جرب بعضهم قيادة المسلمين لأكثر من يوم كما روي في عمر، وكان الجميع يرجعون منهزمين! ولم يجرؤوا على العبور الى مرحب لمبارزته! ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «ياعلي إكفني مرحباً». (أمالي الطوسي/٤، والخرائج: ٢١٧/١).

وقد ورد أن سعد بن عبادة رجع مجروحاً (الواقدي: ٦٥٣/٢) وفي رواية رجع محمولاً (الإحتجاج: ٤٠٦/١). وروى أن عمر بن الخطاب رجع مجروحاً في رجله، وهو يجبن المسلمين وهم يجبنونه! (رسائل المرتضى: ١٠٣/٤).

وفي رواية مجمع الزوائد:٦/١٥١، أن هزيمة عمر كانت سريعة عندما أصابه حجر في رجله قال:« بعث عمر ومعه الناس ، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه » !

ويرد هنا سؤالان مهمان:

الأول: لماذا لم يذهب النبي صلى الله عليه وآله في الحملات اليومية على القموص؟ فقد شارك في القتال في حصن ناعم وحصن الصعب ورمى بسهام ، وترّسه المسلمون من سهام اليهود ، لكن لاتوجد إشارة على مشاركته في الحملات اليومية على حصن القموص ، والتي تحولت الى هزائم يومية للمسلمين ؟!

والجواب: أن النبي صلى الله عليه وآله كما قال تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، فهو لا يفعل عن الهوى بل بالوحي. والحكمة من فعله صلى الله عليه وآله أن يعرف الصحابة أنهم بدونه صلى الله عليه وآله وبدون علي عليه السلام لايستطيعون تحقيق النصر ، فعليهم أن يعرفوا حدودهم !

أما مرضه صلى الله عليه وآله فلم يكن مانعاً من مشاركته ، لأنه كان ليومين في أواخر حصاره للحصن ، فكان بإمكانه قيادة الحملة قبله أو بعده.

والسؤال الثاني: لماذا أبقى صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في المنطقة المفتوحة أو بعثه بمهمة؟

وجوابه: أن الحكمة من ذلك أن يثبت للمسلمين أن علياً عليه السلام صاحب الفتح ، وأنهم بدونه لايستطيعون تحقيق النصر ولا مواجهة مرحب وفرسانه !

والحكمة لمستقبل الأمة: أن اليهود لايكسر غطرستهم إلا علي ، وشيعة علي عليه السلام.

٩- مَرضَ علي عليه السلام بالرَّمَد والنبي صلى الله عليه وآله بالصداع !

يظهر أن علياً عليه السلام أصابه الرمد عندما ذهب النبي صلى الله عليه وآله من منطقة النطاة والشق الى الكتيبة ، وأبقاه هناك ، لأن أحاديث خيبر نصت على أن النبي صلى الله عليه وآله أرسل في إحضاره فجاء راكباً على بعير له ، وكان معصوب العينين بشق برد قطري ، ولما سأله عن حاله قال له: «رمدت بعدك » أي بعد فراقي لك !

كما ذكرت الرواية أن سبب وجع عينيه دخان أصابه من الحصون التي فتحها ففي مجمع الزوائد: ١٢٣/٩:«عن جميع بن عمير قال: قلت لعبد الله بن عمر حدثني عن علي؟ قال: سمعت رسول الله (ص) يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فكأني أنظر إليها مع رسول الله (ص)وهو يحتضنها وكان علي بن أبي طالب أرمد من دخان الحصن فدفعها إليه ، فلا والله ما تتامت الخيل حتى فتحها الله عليه» !

وعن علي عليه السلام قال: «كنت أرمد من دخان الحصن ». (كنز العمال: ٩٢/١٠، عن أبي نعيم).

وقد يكون اليهود استعملوا ذلك الدخان سلاحاً ليمنعوا تقدم علي عليه السلام ، فاضطر الى الدخول فيه لتعقب فرسانهم !

كما يظهر أن مرض النبي صلى الله عليه وآله بالصداع كان في آخر محاصرة حصن القموص لأنهم رووا عن بريدة وغيره (الطبري: ٣٠٠/٢) قال:«كان رسول الله ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لايخرج ، فلما نزل رسول الله خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله ثم نهض فقاتل قتالاً

شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله (ص) فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة. قال وليس ثَمَّ علي ، فتطاولت لها قريش ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح فجاء علي على بعير له حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله (ص) وهو أرمد ، وقد عصب عينيه بشقة برد قطري ، فقال رسول الله (ص): مالك ؟ قال: رمدت بعدك ! فقال رسول الله: أدن مني...». فيفهم منه أنهم دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله في مرضه وأخبروه بهزيمة عمر ، فوعد الناس بالفتح في اليوم التالي واستدعى علياً عليه السلام. ويدل ذلك على أن عمر قاد الحملة على الحصن يومين ، ومعنى قتاله في المرة الثانية بأشد من الأولى أنه لم ينهزم بسرعة من سهام اليهود ، بل تأخر قليلاً حتى انهزم !

١٠- غَضِبَ النبي صلى الله عليه وآله من فرار الصحابة وبشرهم بالفتح غداً !

بعد أن صارت هزيمة المسلمين شبه يومية ، وزادت غطرسة مرحب وفرسانه ، ولم يجرؤ أحد من المسلمين على اقتحام الخندق نحو الحصن ، غضب النبي صلى الله عليه وآله ، وروي أن بعض المسلمين طلبوا منه أن يرسل لإحضار علي عليه السلام !

روى المفيد رحمه الله في الأمالي/٥٦ ، عن سعد بن أبي وقاص:« بعث رسول الله صلى الله عليه وآله برايته إلى خيبر مع أبي بكر فردها ، فبعث بها مع عمر فردها ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، كراراً غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ! قال: فلما أصبحنا جثونا على الركب فلم نره يدعو

أحداً منا ، ثم نادى أين علي بن أبي طالب ؟ فجئ به وهو أرمد ، فتفل في عينه وأعطاه الراية ، ففتح الله على يديه ».

وفي رسائل المرتضى:١٠٣/٤:« روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل عمر إلى خيبر فانهزم هو ومن معه ، حتى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يجبن أصحابه ويجبنونه ، فبلغ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله كل مبلغ ، فبات ليلته مهموماً فلما أصبح خرج إلى الناس ومعه الراية فقال: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار ! فتعرض لها المهاجرون والأنصار ، ثم قال: أين علي؟ فقالوا: يا رسول الله هو أرمد ، فبعث إليه سلمان وأبا ذر ، فجاءا به وهو يقاد لايقدر على فتح عينيه ، فقال صلى الله عليه وآله: اللهم أذهب عنه الرمد والحر والبرد وانصره على عدوه ، فإنه عبدك يحبك ويحب رسولك ، ثم دفع إليه الراية ، فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله أتأذن لي أن أقول فيه شعراً ؟ فأذن له فقال:

وكان علي أرمد العين يبتغي ... دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقيا وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم ماضيا ... كميا محبا للرسول مواليا
يحب إلهي والرسول يحبه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى بها دون البرية كلها ... علياً وسماه الوزير المؤاخيا

فقال: إن علياً لم يجد بعد ذلك أذى في عينيه ، ولا أذى حر ولا برد.

وفي رواية: إن الراية أعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر فعاد منهزماً يجبن أصحابه ويجبنونه في ذلك اليوم ، ثم أعطاها في اليوم الثاني عمر فرجع بها منهزماً يجبن

أصحابه ويجبنونه وقد جرح في رجله ، فلما كان في اليوم الثالث دفعها إلى علي عليه السلام وقال ما حكيناه في الرواية الأولى». ومناقب أمير المؤمنين لابن سليمان: ٢/٤٩٨.

وفي سيرة ابن هشام:٣/٧٩٧:«بعث أبا بكر الصديق برايته- وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام- إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ! ثم بعث الغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ! فقال رسول الله (ص): لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرار ! قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله (ص) علياً رضوان الله عليه وهو أرمد فتفل في عينه ثم قال: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك.

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح ، يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت ؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: يقول اليهودي: علوتم وما أنزل على موسى ! أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه ».

١١- قال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه الفارين: أميطوا عني !

في اليوم التالي لوعد النبي صلى الله عليه وآله بالفتح تطاولت أعناق الصحابة لأخذ الراية ، حتى الفارين منهم ، لاعتقادهم بأن الذي يعطيه الراية سيفتح حصن القموص المستعصي ، وظنوا أن المنهزم سيتحول الى بطل بكلمة رسولية !

وبدل أن يستحوا من فرارهم ويسكتوا ، تقدموا الى النبي صلى الله عليه وآله ليعطيهم الراية ! فأجابهم النبي صلى الله عليه وآله جواباً قاصعاً بأن الفار لايعتمد عليه !

فقد روى أحمد (الزوائد: ١٥١/٦، و: ١٢٤/٩، ووثقه) « عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله أخذ الراية فهزها ثم قال: من يأخذها بحقها؟ فجاء فلان فقال: أمِطْ (إذهب عني!) ثم جاء رجل آخر فقال: أمط ! ثم قال النبي(ص): والذي كرم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفر ، هاك يا علي ! فانطلق حتى فتح الله عليه » وشرح الأخبار: ٣٢١/١ والعمدة/١٣٩، وأبو يعلى: ٤٩٩/٢ ، وأحمد: ١٦/٣، وتاريخ دمشق: ١٩٤/١، ونهاية ابن الأثير: ٣٨١/٤.

وفي تاريخ دمشق: ١٠٤/٤٢ ، وغيره: « قال من يأخذها بحقها ؟ فجاء الزبير فقال: أنا. فقال: أمط ! ثم قام آخر..». وهو يدل على فرار الزبير أيضاً.

وفي الروضة لشاذان بن جبرئيل/١٣٩:« انهزم جيش أبي بكر وعمر ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ما بال أقوام يلقون المشركين ثم يفرون؟! لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ويحب رسوله ويحبه الله ورسوله ، كرار غير فرار ، يفتح الله على يديه بالنصر ، فلما كان من الغد قال صلى الله عليه وآله: أين ابن عمي علي ؟ فجاءه وهو أرمد ».

١٢- أعطى النبي صلى الله عليه وآله الراية لعلي عليه السلام ودعا له

في إعلام الورى: ٢٠٧/١: « وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بضعاً وعشرين ليلة ، وبخيبر أربعة عشر ألف يهودي في حصونهم... فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً كراراً غير فرار ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح الله على يده.

فغدت قريش يقول بعضهم لبعض: أما علي فقد كفيتموه فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه... قال سعد: جلست نصب عينيه ، ثم جثوت على ركبتي ، ثم قمت على رجلي قائماً ، رجاء أن يدعوني، فقال: أدعو لي علياً ، فصاح الناس من كل جانب: إنه أرمد رمداً لا يبصر موضع قدمه ! فقال: أرسلوا إليه وادعوه. فأتي به يقاد فوضع رأسه على فخذه ثم تفل في عينيه فقام وكأن عينيه جزعتان(عقيقتان) ثم أعطاه الراية ودعا له ، فخرج يهرول هرولة ، فوالله ما بلغت أخراهم حتى دخل الحصن. قال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا ، وصاح سعد: يا أبا الحسن إربع يلحق بك الناس ، فأقبل حتى ركزها قريباً من الحصن ، فخرج إليه مرحب في عادية اليهود..».

وفي الكافي: ٤٧/٥، عن الإمام الصادق عليه السلام:«شعارنا: يا محمد يامحمد وشعارنا يوم بدر: يانصر الله اقترب اقترب.. ويوم خيبر يوم القموص: يا عليُّ آتهم من عل».

وفي الخصال/٥٥٤ ، عن عامر بن واثلة أن أمير المؤمنين عليه السلام احتجَّ على أهل الشورى بوصية النبي صلى الله عليه وآله وبجهاده بين يديه، ومما قال لهم:« استخلف الناس أبا بكر وأنا والله أحق بالأمر وأولى به منه ، واستخلف أبو بكر عمر وأنا والله أحق بالأمر وأولى به منه ، إلا أن عمر جعلني مع خمسة نفر أنا سادسهم ، لا يعرف لهم عليَّ فضل !... نشدتكم بالله أيها النفر هل فيكم أحد وحَّدَ الله قبلي؟ قالوا: اللهم لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله حين رجع عمر يجبن أصحابه ويجبنونه قد رد راية رسول الله صلى الله عليه وآله منهزماً ، فقال له رسول الله: لأعطين

الراية غداً رجلاً ليس بفرار ، يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، لايرجع حتى يفتح الله عليه ، فلما أصبح قال: أدعوا لي علياً فقالوا: يا رسول الله هو رمدٌ ما يطرف ! فقال: جيئوني به ، فلما قمت بين يديه تفل في عيني وقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد ، فأذهب الله عني الحر والبرد إلى ساعتي هذه ، وأخذت الراية فهزم الله المشركين وأظفرني بهم ، غيري ؟ قالوا: اللهم لا ».

وفي الصحيح من السيرة:٢٤٣/١٧:«فقال صلى الله عليه وآله: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى وحق رسوله. فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم

وقال أبو هريرة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: إذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك ولاتلتفت... فخرج بها والله يأيح ، يهرول هرولة ، وإنَّا لخلفه نتبع أثره حتى ركزها تحت الحصن. فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: علوتم والذي أنزل التوراة على موسى. فما رجع حتى فتح الله تعالى على يديه! وأربعين منتجب الدين/٥٦ ، وشرح الأخبار: ٣٠٢/١.

وعن حذيفة: لما تهيأ علي عليه السلام للحملة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي ، والذي نفسي بيده إن معك من لايخذلك ، هذا جبريل عليه السلام عن يمينك ، بيده سيف لو ضرب الجبال لقطعها ، فاستبشر بالرضوان والجنة. يا علي: إنك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم » ! وفي رواية: أنه صلى الله عليه وآله ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار في وسطه

وأعطاه الراية ووجّهه إلى الحصن ، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ الخ.. فخرج علي بها وهو يهرول.

قال بريدة: فلما أصبح رسول الله صلى الغداة ثم دعا باللواء وقام قائماً ، قال ابن شهاب: فوعظ الناس، ثم قال: أين علي؟ قالوا: يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه..

وفي نص آخر: أركبه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر وعممه بيده وألبسه ثيابه ، وأركبه بغلته ، ثم قال له: إمض يا علي وجبرئيل عن يمينك ، وميكائيل عن يسارك ، وعزرائيل أمامك ، وإسرافيل وراءك ، ونصر الله فوقك ، ودعائي خلفك »!

وفي صحيح مسلم: ١٢١/٧:« قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ! قال فتساورت لها رجاء أن أدعى لها ! قال: فدعا رسول الله علي بن أبي طالب فأعطاه إياها ، فقال: إمش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك ! قال: فسار عليٌّ شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ ، قال: يا رسول الله على ماذا أقاتل؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ».

١٣- وصل علي عليه السلام الى الحصن قبل الجيش !

في مناقب آل أبي طالب:٣٢٠/٢:« الواقدي: فوالله ما بلغ عسكر النبي أُخَيْرَاه حتى دخل عليٌّ حصون اليهود كلها، وهي قموص، وناعم، وسلالم، ووطيح، وحصن المصعب بن معاد، وغنم. وكانت الغنيمة نصفها لعلي ونصفها لسائر الصحابة.

شعبة وقتادة والحسن وابن عباس: أنه نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال له: إن الله تبارك وتعالى يأمرك يا محمد ويقول لك: إني بعثت جبرئيل إلى علي لينصره، وعزتي وجلالي ما رمى علي حجراً إلى أهل خيبر إلا رمى جبرئيل حجراً ، فادفع يا محمد إلى علي سهمين من غنائم خيبر ، سهماً له وسهم جبرئيل معه ».

١٤- اليهود يعرفون أن نهايتهم على يد حيدرة

روى في الإحتجاج: ٣٠٧/١ ، أن راهباً جاء الى المدينة بعد النبي صلى الله عليه وآله فجرى بينه وبين أبي بكر كلام فدخل علي عليه السلام فقال له أبو بكر: « أيها الراهب سله فإنه صاحبك وبغيتك ، فأقبل الراهب بوجهه إلى علي عليه السلام ثم قال: يا فتى ما اسمك؟ قال: إسمي عند اليهود "إليا" وعند النصارى "إيليا" وعند والديَّ "علي" وعند أمي "حيدرة" قال: ما محلك من نبيكم ؟ قال: أخي وصهري وابن عمي لِحَاً. قال: الراهب: أنت صاحبي ورب عيسى».

وفي مدينة المعاجز: ١٧٣/١:«إن اليهود من خيبر يجدون في كتابهم أن الذي يدمرهم إليا » وروى في الإرشاد:١٢٦/١، أن النبي صلى الله عليه وآله أعطى الراية لعلي عليه السلام وقال له: « خذ الراية وامض بها ، فجبرئيل معك ، والنصر أمامك ، والرعب مبثوث في صدور القوم ، واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم أن الذي يدمر عليهم إسمه إيليا. فإذا لقيتهم فقل أنا علي ، فإنهم يخذلون إن شاء الله ».

وتقدم قول اليهودي لعلي عليه السلام: علوتم ، والذي أنزل التوراة على موسى».

١٥- عَبَر الخندق وقصد مرحباً وفرسانه !

في الخرائج: ٢١٧/١: «روى مكحول أن مرحباً اليهودي قدمته اليهود لشجاعته ويساره، وكان طويل القامة عظيم الهامة، وما وافقه قرن لعظم خلقه ! وكانت له ظئر (مرضعة) قرأت الكتب وكانت تقول له: قاتل كل من قاتلك إلا من يسمى بحيدرة، فإنك إن وقفت له هلكت ! فلما كثرت مناوشته (غطرسته) وبَعُلَ الناس بمكانه (تحيرهم فيه) شكوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسألوه أن يخرج إليه علياً عليه السلام وكان أرمد، فتفل النبي صلى الله عليه وآله في عينه فصحت، ثم قال له: يا علي إكفني مرحباً ! فخرج إليه فلما بصر به مرحب أسرع إليه فلم يره يعبأ به فتحير، ثم قال: أنا الذي سمتني أمي مرحبا. فقال علي: أنا الذي سمتني أمي حيدرة. فلما سمعها هرب ولم يقف مما حذرته ظئره، فتمثل له إبليس وقال: إلى أين؟ قال: حذرت ممن اسمه حيدرة. قال: أولم يكن حيدرة إلا هذا ؟ حيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتلته سدت قومك وأنا في ظهرك. فما كان إلا كفواق ناقة حتى قتله أمير المؤمنين عليه السلام» !

وفي مسند أحمد: ٥٢/٤: «فخرج مرحب يخطر بسيفه فقال:

قد علمت خيبر أني مرحبُ ... شاكي السلاح بطلٌ مجربُ
إذا الحروب أقبلت تلهَّب

فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره
أوفيهمُ بالصاع كَيْلَ السَّندرة

ففلق رأس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه».

« فضربه علي على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه ! وسمع أهل العسكر صوت ضربته ! فما تتام آخر الناس مع علي حتى فتح الله له ولهم». (الطبري: ٢/٣٠٠).

وعن أم سلمة: «سمعت وقْع السيف في أسنان مرحب» ! (مجمع الزوائد: ٦/١٥٢، ووثقه).

وفي بعض المصادر: شق رأسه وجسده نصفين حتى بلغ السرج ! (معارج النبوة/٣٢٣).

١٦- بعد قتله مرحباً هاجم الحصن وقلع بابه !

تدل أحاديث خيبر على أن حملات المسلمين على حصن القموص كانت تتوقف عند الخندق الذي قبل الحصن ، ولا تتجاوزه !

ولذلك كان مرحب يخرج من الحصن هو وعاديته أي نخبة فرسانه ، ويتبختر أمام المسلمين ويتحداهم أن يعبروا ، فلا يجرأ منهم أحد على العبور !

الى أن كان يومٌ رأى مرحب وفرسانه شخصاً وصل بمفرده قبل جيش المسلمين ، وعبر الخندق ، ووقف في مواجهتهم ، فكان ذلك علياً عليه السلام !

وأجاب علي عليه السلام على شعر مرحب ثم كلمه ودعاه الى الإسلام ، فاستشاط غضباً وحمل عليه وضربه ، فتلقى علي عليه السلام الضربة ووجه اليه ضربته التاريخية فقدَّت خوذته الصخرية ، ومغفره ، ورأسه ، وقد تكون وصلت الى فرسه !

وقال في تاريخ الخميس:٢/٥١: « وقتل علي يومئذٍ ثمانية من رؤسائهم ، وفر الباقون إلى الحصن».

ومن المؤكد أنه عليه السلام قتل أخ مرحب ويدعى ياسر، لكن ذلك كان في فتحه حصن ناعم، ولم أستطع التحقق من أنه عليه السلام قتل أحداً غير مرحب قبل دخول حصن القموص، فقد اندهشوا بمصرع مرحب، ففروا الى داخل الحصن وأغلقوا بابه، فلحقهم علي عليه السلام! وفي صعوده انهالت عليه سهام اليهود وأحجارهم من أبراج الحصن وسطوحه، وكان يتجنبها أو يردها بترسه حتى تكسر، فوجد باب حديد صغير ملقى فاتخذه ترساً، حتى وصل الى باب الحصن فأمسك بحلقته وهزه، ثم دحاه بقدرة الله تعالى واقتلعه من أساسه فانذعر اليهود! ودخل عليه السلام الحصن وحده، فواجهه بعض فرسانهم فقتله، ودوى صوته عليه السلام بالتكبير!

في ذلك الوقت تمكن بعض المسلمين من عبور الخندق، وقد يكون وصل بعضهم الى علي عليه السلام لكن أكثرهم ما زالوا وراء الخندق يحاولون العبور، فأخذ علي عليه السلام باب الحصن وحمله على ظهره، ونزل به حتى وصل الى الخندق وجعله لهم جسراً حتى عبروا! ثم دخل أمامهم الى الحصن، وقد يكون وقع فيه قتال، لكن خوف اليهود كان شديداً من مصرع مرحب، فأعلنوا الإستسلام!

وقد عدَّ أمير المؤمنين عليه السلام جهاده في خيبر أحد الإمتحانات السبع التي امتحنها الله بها في حياة النبي صلى الله عليه وآله، فقال في جواب أحد أحبار اليهود كما في الخصال/٣٦٩:

«وأما السادسة يا أخا اليهود، فإنا وردنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مدينة أصحابك خيبر على رجال من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها، فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح، وهم في أمنع دار وأكثر عدد، كل ينادي ويدعو ويبادر إلى القتال، فلم يبرز إليهم من أصحابي أحد إلا قتلوه حتى إذا احمرت

الحدق ، ودعيت إلى النزال وأهمت كل امرئ نفسه ، والتفت بعض أصحابي إلى بعض وكل يقول: يا أبا الحسن إنهض ، فأنهضني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دارهم فلم يبرز إلي منهم أحد إلا قتلته ، ولا ثبت لي فارس إلا طحنته ، ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته ، حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدداً عليهم ، فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي ، أقتل من يظهر فيها من رجالها ، وأسبي من أجد من نسائها ، حتى افتتحتها وحدي ، ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده !

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك ؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين » !

أقول: كشف عليه السلام أن رجالاً من فرسان قريش كانوا في خيبر لنصرة اليهود ، فلا بد أن تكون قريش بعثت بهم سراً ، أو يكونون أفراداً لهم علاقات مع اليهود.

قال المفيد في الإرشاد:١٢٧/١:«ولما قتل أمير المؤمنين عليه السلام مرحباً رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه ، فصار أمير المؤمنين عليه السلام إليه فعالجه حتى فتحه ، وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا معه ، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم حتى عبروا وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم. فلما انصرفوا من الحصن أخذه أمير المؤمنين عليه السلام بيمناه ، فدحا به أذرعاً من الأرض ، وكان الباب يغلقه عشرون رجلا منهم» !

وأضاف العلامة في كشف اليقين/١٤١:« وقال عليه السلام: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ، ولكن بقوة ربانية».

وفي إعلام الورى: ٢٠٧/١: «قال أبان: حدثني زرارة قال: قال الباقر عليه السلام: انتهى إلى باب الحصن وقد أغلق في وجهه فاجتذبه اجتذاباً وتترس به، ثم حمله على ظهره واقتحم الحصن اقتحاماً. واقتحم المسلمون والباب على ظهره، قال: فوالله ما لقي علي عليه السلام من الناس تحت الباب أشد مما لقي من الباب ثم رمى بالباب رمياً».

وفي مناقب آل أبي طالب: ١٢٥/٢: «روى أحمد بن حنبل عن مشيخته عن جابر الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله دفع الراية إلى علي عليه السلام في يوم خيبر بعد أن دعا له فجعل يسرع السير وأصحابه يقولون له إرفق، حتى انتهى إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه على الأرض، ثم اجتمع منا سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب.

قال الحميري: وألقى باب حصنهم بعيداً... ولم يك يستقل بأربعينا..

وفي حديث أبان عن زرارة عن الباقر عليه السلام: فاجتذبه اجتذاباً وتترس به، ثم حمله على ظهره واقتحم الحصن اقتحاماً. واقتحم المسلمون والباب على ظهره.

وفي الإرشاد قال جابر: إن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وإنهم جربوه بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً» !

وفي نهج الإيمان لابن جبر/٣٢٣: «وأما قلع الباب فروى أصحاب الآثار عن الحسن بن صالح، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي عبد الله الجدلي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لما عالجت باب خيبر جعلته مجناً لي وقاتلت القوم، فلما أخزاهم الله تعالى وضعت الباب على حصنهم طريقاً، ثم رميت به في

خندقهم. فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً. فقال عليه السلام: ما كان إلا مثل جُنَّتي التي في يدي في غير ذلك المقام!

وروي عن علي عليه السلام أنه قال: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية، ولا بحركة غذائية، ولكني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور بها مضية، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء! وقال السيد الحميري:

سأعطي امرءً إن شاء ذو العرش رايتي ... قوياً أميناً مستقلاً بها غدا
يحب إلهي والإلهُ يحبه ... لدى الحرب ميمون النقيبة أصيدا
ففاز بها منه علي ولم يزل ... عليه معاناً في الأمور مؤيدا
على عادة منه جرت في عدوه ... وكل امرئ جار على ما تعودا

وقال ابن رزيك (الملك الصالح):

والباب لما دحاه وهو في سغب ... من الصيام وما يخفى تعبده
وقلقل الحصن فارتاع اليهود له ... وكان أكثرهم عهداً يفنده
نادى بأعلى العلى جبريل ممتدحاً ... هذا الوصي وهذا الطهر أحمده».

وفي مجمع الزوائد: ١٥١/٦، عن علي عليه السلام قال: « فانطلقت حتى أتيتهم، فإذا فيهم مرحب يرتجز، حتى التقينا فهزمه الله وانهزم أصحابه وتحصنوا، وأغلقوا الباب فأتيت الباب فلم أزل أعالجه حتى فتحه الله ».

وقد روت عامة المصادر حديث عبد الله بن عمر، كما في أمالي الصدوق/٦٠٤، وروضة الواعظين/١٢٦، قال: «إن رسول الله دفع الراية يوم خيبر إلى رجل من أصحابه فرجع منهزماً، فدفعها إلى آخر فرجع يجبن أصحابه ويجبنوه...فلما أصبح قال:

أدعوا لي علياً... قال: لما دنا من القموص ، أقبل أعداء الله من اليهود يرمونه بالنبل والحجارة ، فحمل عليهم علي عليه السلام حتى دنا من الباب فثنى رجله ، ثم نزل مغضباً إلى أصل عتبة الباب فاقتلعه ثم رمى به خلف ظهره أربعين ذراعاً. قال ابن عمر: وما عجبنا من فتح الله خيبر على يدي علي ، ولكنا عجبنا من قلعه الباب ورميه خلفه أربعين ذراعاً ، ولقد تكلف حمله أربعون رجلاً فما أطاقوه ، فأخبر النبي (ص) بذلك فقال: والذي نفسي بيده لقد أعانه عليه أربعون ملكاً !

وقال جابر بن عبد الله: إن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه وفتحوها ! وإنهم جربوه بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً..

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في رسالته إلى سهل بن حنيف: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية ، ولا بحركة غذائية ، لكني أيدت بقوة ملكوتية ، ونفس بنور ربها مضية ، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء ! والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت ، ولو أمكنتني الفرصة من رقابها لما بغيت ».

وقال ابن حجر المتعصب ، في الإصابة:٤٦٦/٤:«ومن خصائص علي قوله (ص) يوم خيبر: لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ، فلما أصبح رسول الله (ص) غدوا كلهم يرجو أن يعطاها... وروى في آخره قصة مرحب قال:« فضربه على هامته ضربة حتى عض السيف منه بيضة رأسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته ، فما قام آخر الناس حتى فتح الله لهم . وفي المسند لعبد الله بن أحمد بن حنبل من حديث جابر: أن النبي (ص) لما دفع الراية

لعلي يوم خيبر أسرع ، فجعلوا يقولون له: إرفق ! حتى انتهى إلى الحصن ، فاجتذب بابه فألقاه على الأرض ، ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً حتى أعادوه..».

١٧- الباب الذي تترس به عليه السلام غير الباب الذي قلعه

حاول بعضهم أن ينكر أحاديث قلع الباب ، ورد عليه بعض مؤلفي السيرة السنيين:

قال المقريزي في الإمتاع:٣١٠/١: « وزعم بعضهم أن حمل علي باب خيبر لا أصل له وإنما يروى عن رعاع الناس ، وليس كذلك فقد أخرجه ابن إسحاق في سيرته عن أبي رافع ، وأن سبعة لم يقلبوه ، وأخرجه الحاكم من طرق منها عن أبي علي الحافظ ، حدثنا الهيثم بن خلف الدوري...عن جابر: أن علياً حمل الباب يوم خيبر وأنه جُرِّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً». وتقدمت رواية ابن عمر .

وفي سيرة ابن هشام:٧٩٨/٣:«عن أبي رافع ، مولى رسول الله (ص) قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده ، فتناول علي باباً كان عند الحصن فترَّس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقلبه» ! (وتاريخ الطبري: ٣٠١/٢).

وفي أعيان الشيعة:٤٠٥/١:«وهذا الباب غير باب الحصن ، بل هو باب أصغر منه كان ملقى عند الحصن ، أخذه علي فتترس به... أما ما جاء في باب الحصن ، ففي

بعض الروايات أن علياً عليه السلام تترس به أيضاً... ثم إن في بعض الروايات أن علياً عليه السلام لما حمل باب الحصن ووضعه على الخندق جسراً للعبور قَصُرَ، فأمسكه بيده حتى عبر عليه الناس».

وفي شرح الأخبار: ١٩٥/٢:« فدعا بعلي عليه السلام... ودفع الراية إليه فخرج يمشي كأنه أسد، ففتح الله عليه خيبر. ثم حمل باب المدينة حتى وضعه ناحية، فاجتمع عليه بعد ذلك سبعون رجلاً، فلم يقدروا أن يحملوه! فوالله ما وجد علي عليه السلام بعد ذلك حراً ولا برداً. ولقد أشرف عليه يومئذ فقالوا للجيش: من عليكم؟ قالوا: علي بن أبي طالب. فقال بعضهم لبعض: لا قوام لكم به، هذا وصي محمد وهو سيد الأوصياء، ومحمد سيد الأنبياء، ولكنا لا نرضى أن نكون عبيداً، ونحن ملوك »!

وقال اليعقوبي: ٥٦/٢: « فقتل مرحباً اليهودي واقتلع باب الحصن، وكان حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع، فرمى به علي بن أبي طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون ».

وقد تفرد اليعقوبي في أن باب خيبر كان من حجر، ولعله باب حصن ناعم فقد قلعه أيضاً كما يأتي! ونحوه رواية في الخرائج (١٦٠/١).

وفي الموضوع أحاديث وبحوث لايتسع لها المجال.

١٨- وكان أمير المؤمنين عليه السلام قلع باب حصن آخر أيضاً !

روت بعض مصادر السنة كالسيرة الحلبية والعيني في عون المعبود (١٧٢/٨) ، أن أمير المؤمنين عليه السلام قلع أيضاً باب حصن ناعم ، وهو أول حصن فتحه عليه السلام ، ولم تذكر الرواية حجم الباب ، ولا بد أنه كان أصغر من باب حصن القموص ، وتقدم أنه عليه السلام قتل هناك ياسر أخ مرحب ، ويفهم منها أن فتح الحصون كلها كان على يده عليه السلام ، ولكن رواة السلطة تفننوا في إخفاء مناقبه ونسبتها الى آخرين !

١٩- وجاء اليه النبي صلى الله عليه وآله وبشره بنزول الوحي فيه !

في إعلام الورى: ٢٠٧/١: «وخرج البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن علياً دخل الحصن ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج علي عليه السلام يتلقاه ، فقال صلى الله عليه وآله: قد بلغني نبأك المشكور وصنيعك المذكور ، قد رضي الله عنك ورضيت أنا عنك. فبكى علي عليه السلام فقال له: ما يبكيك يا علي ؟ فقال: فرحاً بأن الله ورسوله صلى الله عليه وآله عني راضيان ».

أقول: معناه أن النبي صلى الله عليه وآله جاء الى حصن خيبر لأول مرة فخرج علي عليه السلام يتلقاه ! وما أن أخبره برضا الله ورضاه عليه حتى بكى !

فاعجب لهذه الرقة الإنسانية والعبودية المرهفة لله تعالى ، من شخص دوَّى صوت ضربته قبل ساعتين ، وقدَّ خوذة بطل اليهود وهامته نصفين ، ثم انقضَّ على الحصن كأنه كاسحة ألغام ، فقلع بابه ورفعه وأردى أبطال اليهود وأخضع اليهود !

وإذا به أمام رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي بكاء الطفل ، فرحاً برضا الله ورسوله عليه !

هذا ، ويبدو أن هذا المشهد تكرر من علي عليه السلام عندما نـزل جبرئيـل علـى النبـي صلى الله عليه وآله في مرات عديدة برضا الله تبارك وتعالى عليه ومديحه.

ففي أحُد قال للنبي صلى الله عليه وآله (المناقب:٣٨٥/١): أصابني ست عشـرة ضـربة سـقطت إلـى الأرض في أربع منهن فأتاني رجل حسن الوجه حسـن اللمـة طيـب الـريح فأخـذ بضبعي فأقامني، ثم قال: أقبل عليهم فإنك في طاعة الله وطاعة رسول الله وهما عنـك راضيان ، فقال: يا علي أقر الله عينك ، ذاك جبرئيل ».

وعندما أرسله النبي صلى الله عليه وآله في مهمة الى وادي الرمل(الإرشاد: ١١٦/١) وكانت مجموعة من فاتكي العرب جاؤوا ليقتلوا النبي صلى الله عليه وآله ، فأجاد وأحسن ، فنزلـت سـورة العاديـات ، فقال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه:« هذا جبرئيل يخبرني أن علياً قادم ، ثم خـرج إلـى النـاس فأمرهم أن يستقبلوا علياً عليه السلام، وقام المسلمون له صفين مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلما بصـر بالنبي ترجل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبلهما ، فقال له: إركـب فـإن الله تعـالى ورسوله عنك راضيان . فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً ».

٢٠ - ثم فتح النبي صلى الله عليه وآله حصني السلالم والوطيح

في معجم البلدان:٣٧٩/٥:« سمي بالوطيح بن مازن رجل من ثمود ، وكـان الـوطيح أعظمها ، وآخر حصون خيبر فتحاً هو والسلالم ، وفي كتاب الأمـوال لأبـي عبيـد الوطيحة بالهاء ».

وفي الصحيح من السـيرة: ١٧٠/١٨: « قـال ابـن إسـحاق: وتـدنّى رسـول الله الأمـوال يأخذها مالاً مالاً ويفتحها حصناً حصناً ، حتى انتهوا إلى ذينك الحصـنين ، أعنـي

الوطيح وسلالم الذي هو حصن بني الحقيق وهو آخر حصون خيبر ، وجعلوا لا يطلعون من حصنهم حتى همَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينصب عليهم المنجنيق لما رأى من تغليقهم وأنه لا يبرز منهم أحد. فلما أيقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة عشر يوماً سألوا رسول الله الصلح ، فأرسل كنانة بن أبي الحقيق إلى رسول الله رجلاً من اليهود يقال له شماخ ، يقول: أنزل فأكلمك؟فقال رسول الله: نعم ، فنزل كنانة بن أبي الحقيق ، فصالح رسول الله على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ويُخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من مال وأرض ، وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة ، وعلى البز إلا ثوباً على ظهر إنسان.. ووجد في ذينك الحصنين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح ، وخمس مائة قوس عربية بجعابها. ووجدوا صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر صلى الله عليه وآله بدفعها إليهم. وبذلك يكون الوطيح وسلالم فيئاً لرسول الله صلى الله عليه وآله إذ لم يحصل قتال في هذين الحصنين ». ونحوه تاريخ الطبري: ٢/٣٠٢ ، وتاريخ خليفة/٤٩.

٢١- أوسمة من الله ورسوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في خيبر

أ. روى الجميع قول النبي صلى الله عليه وآله: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، كرار غير فرار ، لايرجع حتى يفتح الله على يديه. وهو حديث متواتر ، وفي رواية: (ليس بفرار). وفي رواية الحاكم: (لأبعثن رجلاً

لايخزيه الله أبداً). وفي رواية الخصال: (ويحبه الله ورسوله ، في ثناء كثير). وفي رواية سُليم: (ليس بجبان ولا فرار). وفي رواية شرح الأخبار: (يفتح خيبر عنوة). وفي رواية الإرشاد: (أرونيه تروني رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها بحقها ليس بفرار). وفي رواية مجمع الزوائد: (يقاتلهم حتى يفتح الله له). وفي سنن النسائي: ١١٢/٥: (يقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله). وكررها النبي صلى الله عليه وآله في الغد وقال اليوم.

ب. تقدم عن حذيفة رحمه الله قال: « لما تهيأ علي عليه السلام للحملة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي والذي نفسي بيده إن معك من لايخذلك ، هذا جبريل عن يمينك ، بيده سيف لو ضرب الجبال لقطعها ، فاستبشر بالرضوان والجنة. يا علي ، إنك سيد العرب ، وأنا سيد ولد آدم » ! (السيرة الحلبية: ٧٣٦/٢).

وقال في الصحيح من السيرة:١٨/ ٣٦ ، ملخصاً:« ثم إنه صلى الله عليه وآله شرَّف علياً عليه السلام بوسام كان هو الأصعب على حاسديه ومناوئيه ، الذين لم يكن يهمهم أن يقول فيه النبي صلى الله عليه وآله ما شاء مما يرتبط بالآخرة أو في عالم السماء والملائكة ، بشرط أن لايؤثر على مشاريعهم الدنيوية التي يرون علياً عليه السلام هو المانع الأكبر من وصولهم إليها كهذا التصريح النبوي الذي يوجه المؤمنين أن لايرضوا بغيره قائداً وسيداً ».

أقول: تعمد النبي صلى الله عليه وآله أن يعلن هذا الوسام لعلي عليه السلام في خيبر ، وقد أعلنه قبلها وبعدها ،كما روته مصادر الطرفين ، ففي أمالي الطوسي/٦٠٨ ، قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «ثم إن الله تعالى اختارني من أهل بيتي ، واختار علياً والحسن

والحسين ، واختارك. فأنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب ، وأنت سيدة النساء ، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ومن ذريتكما المهدي يملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت من قبله جوراً ».

وفي مناقب محمد بن سليمان: ٢٠٨/١:« يا أنس إنطلق أدع لي سيد العرب يعني علياً ، فقالت له عائشة: يا رسول الله ألست سيد العرب ؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب. فلما جاء علي أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأنصار فأتوه فقال: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هذا علي فأحبوه لحبي وأكرموه لكرامتي ، فإن جبرئيل أخبرني بالذي قلت لكم عن الله تبارك وتعالى ».

ورواه الحاكم: ١٢٤/٣، عن عائشة قالت:« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أدعوا لي سيد العرب ، فقلت: يا رسول الله ألست سيد العرب؟ فقال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب». وابن أبي شيبة: ٤٧٤/٧ ، وبغية الباحث/٢٨٣، وأوسط الطبراني: ١٢٧/٢، والرازي في تفسيره: ٢١٢/٦، وتاريخ بغداد: ٩٠/١١ ، وفيه: إذا سرك أن تنظري الى سيد العرب فانظري الى علي».

وقد حاول علماء السلطة أن يبطلوا معناه ، فقال الإيجي في المواقف: ٦٣٣/٣: «أجيب بأن السيادة هي الإرتفاع لا الأفضلية ، وإن سلم فهو كالخبر لا عموم له ، فلا يلزم كونه سيداً في كل شئ ، بل في بعض الأشياء».

وروى في تاريخ دمشق: ١٩٢/٦٤، عن عائشة: « أنها قالت للنبي يوماً: يا سيد العرب فقال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وآدم تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر ، وأبوك

سيد كهول العرب ، وعلي سيد شباب العرب ، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، إلا ابني الخالة يحيى وعيسى».

وقد اعترف العجلوني في كشف الخفاء: ٤٦٢/١ ، أن الحديث في أبي بكر مرسل غير مسند، ومع ذلك قال:« وبهذا يعلم أن سيادته (عليعليه السلام) بالنسبة للشباب لا مطلقاً » !

ج. في المناقب للخوارزمي/١٢٩ ، بسنده عن عليعليه السلامقال:« قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتحت خيبر: لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم ، لقلت فيك اليوم مقالاً ، لا تمرُّ على ملأ من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك يستشفون به ! ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، أنت تؤدي ديني وتقاتل على سنتي ، وأنت في الآخرة أقرب الناس مني ، وأنت غداً على الحوض خليفتي تذود عنه المنافقين ، وأنت أول من يرد عليَّ الحوض ، وأنت أول داخل الجنة من أمتي ، وإن شيعتك على منابر من نور رواء مرويين ، مبيضة وجوههم حولي ، أشفع لهم فيكونون غداً في الجنة جيراني. وإن عدوك غداً ظماء مظمئين ، مسودة وجوههم مقمحين. حربك حربي وسلمك سلمي ، وسرك سري وعلانيتك علانيتي ، وسريرة صدرك كسريرة صدري ، وأنت باب علمي ، وان ولدك ولدي ، ولحمك لحمي ودمك دمي ، وإن الحق معك والحق على لسانك وفي قلبك وبين عينيك ، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي ، وأن الله عز وجل أمرني أن أبشرك أنك وعترتك في الجنة ، وأن عدوك في النار. يا علي ، لا يرد علي الحوض مبغض لك ، ولا يغيب عنه محب لك ، قال قال علي: فخررت له سبحانه وتعالى ساجداً وحمدته على ما أنعم به علي من الإسلام والقرآن ، وحببني إلى خاتم النبيين وسيد

المرسلين صلى الله عليه وآله». ومحمد بن سليمان في المناقب: ٢٤٩/١، وشرح الأخبار: ٣٨١/٢، وكنز الفوائد/٢٨١، وفي آخره في ثلاثتها: «فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي لولا أنت لم يعرف المؤمنون بعدي». والصحيح من السيرة: ٣٨/١٨. وقاله صلى الله عليه وآله في مناسبات أخرى منها عندما رجع علي عليه السلام من غزوة ذات السلاسل، كما في تفسير فرات/٤٠٦، وغيره. وروته مصادر السنة ولعله صحيح على مبانيهم، كالطبراني في الكبير: ٣٢٠/١، والزوائد: ١٣١/٩.

٢٢- أفٍّ وتُفٍّ لمن ينكر فضائل علي عليه السلام!

روينا وروى السنة هذا الموقف لابن عباس، كالنسائي في خصائص علي عليه السلام/٦٢، عن عمرو بن ميمونة قال: «إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلو بنا بين هؤلاء. فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم. قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء وهو ينفض ثوبه وهو يقول: أفّ وتُفّ، وقعوا في رجل له بضع عشر! وقعوا في رجل قال له رسول الله (ص): لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله لا يخزيه الله أبداً، قال: فاستشرف لها من استشرف فقال: أين ابن أبي طالب؟ قيل: هو في الرحى يطحن، قال: وما كان أحدكم ليطحن، قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، فتفل في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فدفعها إليه..الخ. ثم ذكر ابن عباس عدة مناقب لعلي عليه السلام منها أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر ويدفعها اليه، لأنه لا يبلغ عنه إلا هو أو رجل منه، وأن علياً أول من أسلم، ونزول آية التطهير فيه وفي زوجته وولديه عليهم السلام، ومبيته على فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة، وقوله صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي

بعدي..الخ. ورواه النسائي في سننه: ١١٣/٥، وأحمد: ٣٣٠/١ ، والحاكم: ١٣٢/٣، والسنة لابن أبي عاصم/٥٨٨، وتاريخ دمشق: ١٠١/٤٢ ، ونهاية ابن كثير: ٣٧٤/٧، والخوارزمي/١٢٥، وفرات/٣٤١، وكشف اليقين/٢٧، وينابيع المودة: ١١٠/١، وشرح الأخبار: ٢٩٩/٢ ، والمراجعات/١٩٥، وقال صححه الذهبي.

٢٣- قريش تفرح لساعات بخبر انتصار اليهود على النبي ﷺ

روى ذلك ابن إسحاق وتلقاه الحميع بالقبول ، قال كما في سيرة ابن هشام: ٨٠٦/٣ ، عن الحجاج السلمي ، وكان تاجراً ثرياً وهو والد نصر بن الحجاج المعروف بجماله، قال: «ولما فتحت خيبر كلم رسول الله (ص) الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي فقال: يا رسول الله إن لي بمكة مالاً عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة وكانت عنده ، له منها معرض بن الحجاج ومال متفرق في تجار أهل مكة فأذنْ لي يا رسول الله فأذن له ، قال: إنه لابد لي يا رسول الله من أن أقول ! قال: قل. قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالاً من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله (ص) وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعةً ورجالاً ، فهم يتحسسون الأخبار ويسألون الركبان ، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط - قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي- عنده والله الخبر ، أخبرنا فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز ، قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، قال: فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حجاج ! قال: قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسراً ،

وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم ! قال: فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا: قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم !

قال قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي ، فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك. قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحث جمع سمعت به. قال: وجئت صاحبتي فقلت: مالي وقد كان لي عندها مال موضوع لعلي ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار ، قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار ، فقال: يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال فقلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم ، قال قلت: فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء فإني في جمع مالي كما ترى، فانصرف عنى حتى أفرغ. قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شئ كان لي بمكة ، وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت: إحفظ على حديثي يا أبا الفضل ، فإني أخشى الطلب ، ثلاثاً ، ثم قل ما شئت ! قال: أفعل ، قلت: فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم يعني صفية بنت حيى ، ولقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه ، فقال: ما تقول يا حجاج ؟ قال: قلت: أي والله ، فاكتم عنى ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي فرقاً من أن أغلب عليه فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله على ما تحب ! قال: حتى إذا كان اليوم

الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ، قال: كلا ، والله الذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ، قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟

قال: الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلماً فأخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه! قالوا: يا لعباد الله انفلت عدو الله ! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، قال: ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك». والصحيح: ١٣٨/١٨.

٢٤- كنوز آل أبي الحقيق

قال في الصحيح من السيرة:٤٦/١٨ ، ملخصاً:«أخذ المسلمون في جملة غنائم خيبر حلي آل أبي الحقيق ، وكانت أول الأمر في مسك حمل ، فلما كثرت جعلوها في مسك ثور ، ثم في مسك جمل عند الأكابر من آل أبي الحقيق ، وكانوا يعيرونها العرب. (السيرة الحلبية: ٤٢/٣. والمسك الجلد).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله صالحهم على أن يخرجوا بأنفسهم وأهليهم وللنبي صلى الله عليه وآله الصفراء والبيضاء والحلقة والسلاح ، وشرطوا للنبي صلى الله عليه وآله أن لا يكتموه شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم. (سنن البيهقي: ٢٢٩/٤).

وقال ابن عمر: قال رسول الله لعم حيي: ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟ فقال: هربنا فلم نزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى ، فذهب في نفقتنا كل

شئ. فقال صلى الله عليه وآله: العهد قريب والمال أكثر من ذلك! فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله بموضع الكنز، فدعا رجلاً من الأنصار فقال: إذهب إلى قراح كذا وكذا، ثم ائت النخل فانظر نخلة عن يمينك مرفوعة فأتني بما فيها. فجاءه بالآنية والأموال فقومت بعشرة آلاف دينار، فضرب أعناقهما وسبى أهليهما بالنكث الذي نكثاه! وقد وجدوا فيه أساور ودمالج وخلاخل وأقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزّمرّد، وعقود أظفار مجزع بالذهب. (الحلبية: ٤٢/٣).

وكان لهذا الكنز دور قوي في قوة اليهود وإصرارهم على باطلهم. فقد رفع سلام بن أبي الحقيق الكنز أمام المسلمين في المدينة وقال بأعلى صوته: «هذا أعددناه لرفع الأرض وخفضها»! وزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله أمر الزبير بتعذيب كنانة أو سعية! وإن صح ذلك فإنه يكون محارباً لله سبحانه لا يجوز العفو عنه.

٢٥- زواج النبي صلى الله عليه وآله بصفية بنت حي بن أخطب

في إعلام الورى:١/٢٠٨:«وأخذ علي فيمن أخذ صفية بنت حيي ، فدعا بلالاً فدفعها إليه وقال له: لاتضعها إلا في يدي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يرى فيها رأيه ، فأخرجها بلال ومر بها إلى رسول الله على القتلى وقد كادت تذهب روحها ! فقال صلى الله عليه وآله لبلال: أنزعت منك الرحمة يا بلال؟! ثم اصطفاها صلى الله عليه وآله ثم أعتقها وتزوجها ».

قال في المسائل العكبرية/٦٠:«وتزوج بصفية بنت حي بن أخطب بعد أن أعتقها».

وفي تفسير الميزان: ٤/١٩٧:«وتزوج بصفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير قتل زوجها يوم خيبر ، وقتل أبوها مع بني النضير ، وكانت في سبي خيبر ، فاصطفاها وأعتقها وتزوج بها، فوقاها بذلك من الذل ووصل سببه ببني إسرائيل».

وفي كتاب سُليم/٤٠٩:« فأعتقها النبي صلى الله عليه وآله ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها ».

وفي سيرة ابن إسحاق: ٥/٢٤٦: «حدثني والدي إسحاق بن يسار قال: لما افتتح رسول الله(ص)حصن ابن أبي الحقيق أتي بصفية ابنة حيي ومعهما ابنة عم لها ، جاء بهما بلال فمر بهما على قتلى من اليهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صكت وجهها وصاحت وحثت التراب على رأسها ، فقال رسول الله (ص) غربوا هذه الشيطانة عني وأمر بصفية خلفه وغطى عليها ثوبه ، فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه ، وقال رسول الله (ص) لبلال حيث رأى من اليهودية ما رأى: يا بلال نزعت منك الرحمة حين تمر بامرأتين على قتلاهما؟!

وقد كانت صفية رأت قبل ذلك أن قمراً وقع في حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها فضرب وجهها ضربة أثرت فيه ، وقال: إنك لتمدين عنقك أن تكوني عند ملك العرب ! فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتي بها الى رسول الله(ص)فسألها عنه فأخبرته خبره... عن أنس بن مالك قال: أعتق رسول الله صفية وجعل عتقها صداقها... قال لما تزوج رسول الله صفية ابنة حيي ، دعا الناس على مأدبته وهي يومئذ بالحيس والتمر ». وابن هشام: ٧٩٩/٣، والصحيح من السيرة: ٨٥/١٨

وعن أنس:« أقام النبي (ص) بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبنى عليه بصفية فدعوت المسلمين إلى وليمته وما كان فيها من خبز ولا لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت فألقى عليها التمر والإقط والسمن ، فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أوما ملكت يمينه .

قالوا: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه. فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب» . (صحيح بخاري:٧٧/٥).

٢٦- ما أدري بأيها أنا أسَرّ: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟

كلف النبي صلى الله عليه وآله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بشؤون الروم والمسيحية ، وأبقاه في الحبشة خمس عشرة سنة ، من الخامسة للبعثة الى السابعة للهجرة ، فأمره بالعودة بمن بقي معه من المهاجرين وكان عددهم ستة عشر (ابن هشام: ٨١٨/٣).

فوصلوا والنبي صلى الله عليه وآله في خيبر... فقام النبي صلى الله عليه وآله لجعفر ومشى اليه والتزمه وقبله بين عينيه ، وقال كلمته المشهورة: « ما أدري بأيهما أنا أسر بقدوم جعفر أو بفتح

خيبر» ! (الطبقات: ١٠٨/٢، وابن هشام: ٨١٨/٣ ، والخصال/٧٧، ومقاتل الطالبيين/٦، والحدائق: ٤٩٨/١٠).

وهي كلمة بليغة عميقة ، تعني أن ما أنجزه جعفر رضي الله عنه من إزالة عقبة المسيحية الرومية من طريق الإسلام ، هو نعمة عظيمة ، يوازي إزالة عقبة اليهود من طريق الإسلام بفتح خيبر على يد أخيه علي عليه السلام!

ففي الخصال/٤٨٤:« قام إليه واستقبله اثنتي عشرة خطوة وعانقه وقبَّل ما بين عينيه وبكى ، وقال: لا أدري بأيهما أنا أشد سروراً: بقدومك يا جعفر ، أم بفتح الله على أخيك خيبر؟! وبكى فرحاً برؤيتة ».

وفي تهذيب الأحكام: ١٨٦/٣، عن الإمام الصادق عليه السلام:« قال له رجل: جعلت فداك أيلتزم الرجل أخاه؟ فقال: نعم ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم افتتح خيبر أتاه الخبر أن جعفراً قد قدم ، فقال: والله ما أدري بأيهما أنا أشد سروراً ، أبقدوم جعفر أو بفتح خيبر؟ قال: فلم يلبث أن جاء جعفر ، قال: فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله فالتزمه وقبل ما بين عينيه ! قال فقال له الرجل: الأربع الركعات التي بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر جعفراً أن يصليها ؟ فقال: لما قدم عليه قال له: يا جعفر ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟ ألا أحبوك؟ قال فتشوف الناس ورأوا أنه يعطيه ذهباً أو فضة ! قال: بلى يا رسول الله. قال: صل أربع ركعات متى ما صليتهن غفر لك ما بينهن ، إن استطعت كل يوم وإلا فكل يومين أو كل جمعة أو كل شهر أو كل سنة ، فإنه يغفر لك ما بينهما ! قال: كيف أصليها ؟ قال: تفتتح الصلاة ، ثم تقرأ ثم تقول خمس عشرة مرة وأنت قائم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. فإذا ركعت قلت

ذلك عشراً ، وإذا رفعت رأسك فعشراً ، وإذا سجدت فعشراً ، فإذا رفعت رأسك فعشراً ، وإذا سجدت الثانية عشراً ، وإذا رفعت رأسك عشراً. فذلك خمس وسبعون ، تكون ثلاثمائة في أربع ركعات فهن ألف ومئتان. وتقرأ في كل ركعة بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون». والهداية/١٥٣.

٢٧- أسلم أبو موسى الأشعري أيام فتح خيبر

صادف وصول سفينة فيها أبو موسى الأشعري من اليمن ، مع وصول سفينة جعفر والمهاجرين في رجوعهم من الحبشة ، فحشر أبو موسى نفسه معهم وجعل نفسه من المهاجرين ! قال إنه كان: « في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً فوافقنا النبي(ص) حين افتتح خيبر ». (صحيح بخاري: ٧٩/٥ ، وكررها بتفاوت في: ٥٥/٤ ، و٢٢٦).

وأبو موسى الأشعري غير مرضي عند أهل البيت عليهم السلام فقد وصفوه بأنه« سامري هذه الأمة » ! (الخصال/٤٥٧). وقد شهد عمار بن ياسر بأنه كان من الملثمين الذين أرادوا اغتيال النبي صلى الله عليه وآله ليلة العقبة ! ففي تاريخ دمشق: ٩٣/٣٢: «عن عمران بن ظبيان عن أبي نجاء حكيم قال: كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: ما لي ولك ألست أخاك؟ قال: ما أدري إلا أني سمعت رسول الله (ص) يلعنك ليلة الجبل ! قال: إنه قد استغفر لي ! قال عمار: قد شهدت اللعن ولم أشهد الإستغفار » !

٢٨- أسلم أبو هريرة أيام فتح خيبر

جاء أبو هريرة مع وفد من قبيلته "دوس" الى النبي ﷺ وكان في خيبر فقصدوه اليها وأسلموا ، ويقال جعل لهم سهماً من الغنيمة. وكان أبو هريرة في الثلاثينات من عمره وكان فقيراً معدماً ، فسكن في الصفة وهي ملحق بمسجد النبي ﷺ يسكن فيه المساكين ، ويتصدق عليهم المسلمون.

وهذه صورة لشخصية أبي هريرة من كتاب « شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي » لمؤلفه العالم الأزهري: محمود أبو ريّة رحمه الله:

أ. قال ابن سعد في طبقاته وهو يتكلم عن غزوة خيبر: وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة وقدم الطفيل بن عمرو ، وقدم الأشعريون ورسول الله بخيبر ، فلحقوه بها فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة من غير سهم المقاتلين ففعلوا. وكان عددهم أكثر من خمسين شخصاً .

ب. وبعد رجوعه من خيبر تنكب أبو هريرة طريق العمل للعيش الكريم ، وسكن في صفة المسجد يتلقى ما تجود به نفوس المحسنين من صدقاتهم ، شأن سكنة التكايا والخوانق ، قال أبو هريرة كما رواه أحمد والشيخان: إني كنت امرأ مسكيناً أصحب رسول الله على ملء بطني !

لكنه زعم من ناحية أخرى أنه كان له مزود فيه بقية من تمر فمسها النبي ﷺ بيده الكريمة وقال له: كل من هذا المزود ما شئت في أي وقت ، وكان المزود معلقاً في حقوه فظل يأكل منه حياة النبي وحياة أبي بكر وحياة عمر وحياة عثمان إلى أن

أغارت جيوش الشام على المدينة بعد قتل عثمان فانتهبته. وقد حسب أبو هريرة ما أكله من مزوده في هذه الفترة فوجده مئتي وسق!

وقال أبو هريرة مرة لعائشة كما روى البخاري وابن سعد وابن كثير وغيرهم: شغلك عن رسول الله المرآة والمكحلة! فقالت له: إنما أنت الذي شغلك بطنك، وألهاك نهمك عن رسول الله، حتى كنت تعدو وراء الناس في الطرقات تلتمس منهم أن يطعموك من جوعك، فينفرون منك ويهربون، ثم ينتهي بك الأمر إلى أن تصرع مغشياً عليك من الجوع أمام حجرتي، فيحسب الناس أنك مجنون فيطأون عنقك بأرجلهم.

ج. وكان أبو هريرة نهماً للطعام وجباناً، وقد جاءت الرواية الصحيحة أنه لما نشب القتال في صفين بين علي وبين معاوية، كان يأكل على مائدة معاوية الفاخرة، ويصلي وراء علي، وإذا احتدم القتال لزم الجبل! وكان يلقب (بشيخ المضيرة) وهو صنف من الطعام كان مشهوراً بين أطعمة معاوية الفاخرة. قال الزمخشري في ربيع الأبرار: وكان أبو هريرة يعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية، وإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي، فإذا قيل له في ذلك قال: مضيرة معاوية أدسم، والصلاة خلف علي أفضل، وكان يقال له: شيخ المضيرة.

وعقد بديع الزمان الهمذاني مقامة خاصة بين مقاماته سماها (المقامة المضيرية) غمز فيها أبا هريرة غمزة أليمة فقال: «وحضرنا معه دعوة بعض التجار، فقدمت إلينا مضيرة، تثنى على الحضارة، وتترجرج في الغضارة، وتؤذن بالسلامة، وتشهد لمعاوية بالإمامة»! والمضيرة تعرف في بلاد الشام باللبنية.

د. وقد عاش أبو هريرة في صُفَّة مسجد النبي صلى الله عليه وآله سنة وتسعة أشهر ، ثم بعث النبي العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وبعث معه نفراً منهم أبو هريرة ، فبقي في البحرين ، ثم ولى عمر على البحرين قدامة بن مظعون ثم عزله في سنة ٢٠ ، وولى أبا هريرة مكانه ، ثم بلغه عنه خيانة لأمانته فعزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي وحاسبه فقال له: أسرقت مال الله ؟ فقال لا. قال: فما جئت لنفسك ؟ قال: عشرين ألفاً. قال: من أين أصبتها ؟ قال كنت أتجر. قال: انظر رأس مالك ورزقك فخذه ، ثم أمر عمر بأن يقبض منه عشرة آلاف ، ثم قام اليه بالدرة فضربه حتى أدماه ، وقال له: يا عدو الله وعدو المسلمين !

هـ وما كاد أبو هريرة يرجع إلى المدينة معزولاً عن ولايته بالبحرين حتى تلقفه الحبر الأكبر كعب الأحبار اليهودي ، وأخذ يلقنه من إسرائيلياته ، ويدس له من خرافاته ، وكان المسلمون يرجعون إليه ، فسال سيل روايتهما !

وقد أثبت علماء الحديث أمر أخذ أبي هريرة وغيره عن كعب الأحبار وذلك في باب (رواية الأكابر عن الأصاغر أو الصحابة عن التابعين).

ومما يدلك على أن هذا الكاهن الداهية ، قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلامه بالنص ويجعله حديثاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله !

و. أبو هريرة يدلس: كانت طريقة أبي هريرة في روايته للحديث أن يرفع كل ما يرويه إلى النبي ، سواء أكان قد سمعه منه مشافهة ، أم أخذه من غيره من الصحابة ، أو من التابعين عنعنة ، وكان لا يميز بين هذا وذاك عند الرواية ، ولا يذكر اسم من أخذ عنه من غير النبي ، وهذا يعد عند المحدثين تدليساً ، ويكون ما يرويه من هذا

الباب في حكم (المرسل) وقد أثبت العلماء أن أبا هريرة كان مدلساً لأن أكثر ما رواه بل غالبه لم يأخذه (سماعاً) من النبي ، بسبب تأخر إسلامه وإنما رواه عنعنة عن غيره من الصحابة أو التابعين.

قال يزيد بن إبراهيم: سمعت شعبة يقول: كان أبو هريرة يدلس. وعلق الذهبي على هذا الخبر بقوله: تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه ! وقال الحاكم: قوم يدلسون الحديث.. وأبو هريرة ولا ريب من هذا الجنس ، لأنه كان يروى عن غيره من الصحابة ، دون أن يذكر اسم من روى عنه ، ثم يرفعه إلى النبي !

ز. وقد ثبت أن عمر وعلياً وعثمان وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة ، قد كذبوه في وجهه ، وبلغ من أمر عمر معه أن نهاه عن الرواية ثم ضربه عليها ، وبعد ذلك أنذره إذا هو روى أن ينفيه إلى بلاده ! وكان علي رضي الله عنه سئ الرأي فيه ، فقد قال: ألا إن أكذب الناس أو قال: أكذب الأحياء على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبو هريرة الدوسي ! وقال مرة: لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ح. ويضرب المثل للكذب بكيس أبي هريرة أو جرابه ! وقد جعل معاوية أبا هريرة والياً على المدينة ، وأمره أن يضع أحاديث على علي !

قال أبو جعفر الإسكافي: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه ، والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ! منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير.. إلخ.

ط. توفي أبو هريرة سنة٥٩ ، عن ثمانين سنة بقصره بالعقيق ، وحمل إلى المدينة وصلى عليه امير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

وقال الشيخ محمود أبو ريةﷺ:«قد سقنا تاريخ أبي هريرة مكشوفاً بعد أن نزعنا عنه ثوب(الراوية)الملفق الذي يظهره في غير صورته وأظهرنا شخصيته على حقيقتها، من يوم أن كان يرعى الغنم في بلاده ، ثم يخدم ابن عفان وابنة غزوان بطعامه ، وكان يومئذ حافي القدمين لا يستر جسمه إلا إزار بال لا يبلغ نصف الساقين ،كان يجمعه كراهية أن ترى عورته ، إلى أن أصبح من ذوي الثراء العريض ، يتأثل الأراضي الواسعة بالعقيق وبذي الحليفة ، ويبتني قصراً منيفا بالعقيق ، ويلبس الخز والكتان الممشق ، والساج المزرور بالديباج ، وغير ذلك مما لم يكن يحلم به أو يخطر بباله.

ففي مرآته الصافية حقيقة مروياته الكثيرة المنبثة في كتب السنة كلها ، والتي تحمل غرائب وأساطير وخرافات وأوهاما ، وتعزى كلها وا أسفاً إلى النبيﷺ وتنشر بين المسلمين على أنها من حقائق الدين الإسلامي ! تفتح أبواب الطعن على ديننا من أعدائه بأنه دين خرافات وأوهام يعادي العقل ، ويصادم المنطق !

فالأحرى بنا أن ندرأ عن أنفسنا وديننا هذه التهم ولا يأخذنا في ذلك أي اعتبار !

على أن أبا هريرة قد دفن بالعقيق بالمدينة فإنك تجد له ضريحاً عالياً فيه قبة مكسوة بالجوخ ، تعلوها عمامة كبيرة خضراء وهذه القبة داخل مسجد يسمى باسمه ، ويقع هذا المسجد في شارع يشق مدينة الجيزة (بالديار المصرية) من شرقها إلى غربها يسمى(شارع سيدي أبي هريرة) !

وقد رأينا هذا الضريح في يوم السبت الموافق٢٣يونية سنة١٩٦٢ وليس بعجيب أن يكون لأبي هريرة قبر في الجيزة غير قبره الذي بالمدينة ، فإن له من شيخه الكبير كعب الأحبار أسوة ! فهذا اليهودي كما هو معلوم مدفون بمدينة حمص بالشام ، ولكن له قبرا آخر فوقه قبة كبيرة تقع بأحد المساجد الكبيرة بحي الناصرية المشهور بالقاهرة. ويعمل لأبي هريرة مولد كل عام !

ومن العجيب أن وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة تنفق على قبري أبي هريرة وشيخه من مال المسلمين ، على عين جميع رجال الدين» !

من غزوة خيبر الى غزوة مؤتة

١- فدك خالصةً للنبي صلى الله عليه وآله

في إعلام الورى: ٢٠٨/١:« فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر ، عقد لواءً ثم قال: من يقوم إليه فيأخذه بحقه؟ وهو يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك ، فقام الزبير إليه فقال: أنا ، فقال له: أمِطْ عنه (إبعد)! ثم قام إليه سعد فقال: أمِطْ عنه !

ثم قال: يا علي قم إليه فخذه ، فأخذه فبعث به إلى فدك فصالحهم على أن يحقن دماءهم ، فكانت حوائط فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصاً خالصاً ، فنزل جبرئيل فقال: إن الله عز وجل يأمرك تؤتي ذا القربى حقه. فقال: يا جبرئيل ومن قرباي وما حقها ؟ قال: فاطمة ، فأعطها حوائط فدك وما لله ولرسوله فيها.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وكتب لها كتاباً جاءت به بعد موت أبيها إلى أبي بكر وقالت: هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولابنيَّ ».

وقد روت مصادر السنيين هذا الحديث مستفيضاً ، لكن أكثرها حذف ما يتعلق بإعطاء فدك لفاطمة عليها السلام ! ففي مسند أبي يعلى: ٤٩٩/٢ ، وتاريخ دمشق: ١٠٤/٤٢:«سمعت أبا سعيد الخدري يقول: أخذ رسول الله (ص) الراية فهزها ثم قال: من يأخذها بحقها؟ فجاء الزبير فقال: أنا ، فقال: أمط ! ثم قام رجل آخر فقال: أنا. فقال: أمط ! ثم قام آخر قال: أنا فقال: أمط ! فقال رسول الله(ص): والذي أكرم وجه محمد لأعطينها

رجلاً لا يفرُّ بها ! هاك يا علي ! فقبضها ، ثم انطلق حتى فتح الله فدك وخيبر ، وجاء بعجوتها وقديدها ». ونحوه مسند أحمد:٣/ ١٦، وتاريخ الطبري:٢/٣٠٢.

وفي سيرة ابن هشام: ٣/٨٠٠: «وحاصر رسول الله (ص) أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل. وكان رسول الله (ص) قد حاز الأموال كلها: الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنين. فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله (ص) يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل ، وكان فيمن مشى بين رسول الله (ص) وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود ، أخو بني حارثة فما نزل أهل خيبر على ذلك ، سألوا رسول الله (ص) أن يعاملهم في الأموال على النصف وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله (ص) على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله (ص) ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب ».

٢- فدك مدخل الى الإمامة

في الكافي: ١/٥٤٣: «عن علي بن أسباط قال: لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي رآه يرد المظالم فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لاترد؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: إن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله: وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ، فلم يدر

رسول الله ﷺ من هم ، فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل ربه فأوحى الله إليه: أن ادفع فدك إلى فاطمة ، فدعاها رسول الله ﷺ فقال لها: يا فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليك فدك ، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك. فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله ﷺ فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها فأتته فسألته أن يردها عليها فقال لها: إئتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك ، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض ، فخرجت والكتاب معها ، فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمد؟ قالت كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة ، قال: أرينيه فأبت فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه ، فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب؟ فضعي الحبال في رقابنا !

فقال له المهدي: يا أبا الحسن حدها لي ، فقال: حد منها جبل أحد ، وحد منها عريش مصر ، وحد منها سيف البحر وحد منها دومة الجندل ، فقال له كل هذا ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كله ، إن هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله بخيل ولا ركاب ! فقال كثير ، وأنظر فيه ».

أقول: من الواضح أن الإمام عليه السلام يقصد الخلافة ، وأن كل الدولة الإسلامية فدك !

وفي دعائم الإسلام: ٣٨٥/١: «وروينا عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه قال: إن فدكاً كانت مما أفاء الله على رسوله بغير قتال، فلما أنزل الله: وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، أعطى رسول الله فاطمة فدكاً. فلما قبض أخذها منها أبو بكر ، فلما ولي عثمان أقطعها مروان ، فلما ولي مروان جعل الثلثين منها لابنه عبد الملك ، والثلث لابنه سليمان ، فلما وليَ عبد الملك جعل ثلثيه لعبد العزيز وبقي الثلث لسليمان ،

فلما ولى سليمان جعل ثلثه لعمر بن عبد العزيز ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ردها كلها على ولد فاطمة عليها السلام ، فاجتمع إليه بنو أمية وقالوا: يرى الناس أنك أنكرت فعل أبي بكر وعمر وعثمان والخلفاء من آبائك ، فردها ، وكان يجمع غلتها في كل سنة ويزيد عليها مثلها ويقسمها في ولد فاطمة عليها السلام وكان الأمر فيها ، كما قال أبو عبد الله أيام عمر ابن عبد العزيز. ثم استأثر بها آل العباس من بعده ، إلى أن ولي المتسمى بالمأمون فجمع فقهاء البلدان من العامة وغيرهم ، وتناظروا فيها ، فثبت أمرهم بإجماع أنها لفاطمة صلوات الله عليها ، وشهدوا بأجمعهم على ظلم من انتزعها منها ، فردها في ولد فاطمة صلوات الله عليها ، وذلك من الأمر المشهور المعروف».

أقول: قام أبو بكر وعمر بمصادرة فدك ، وأرسلوا من أخرج منها وكيل فاطمة الزهراء عليها السلام بعد أن كانت بيدها من فتح خيبر ، فاحتجت عليهم وأرتهم كتاب النبي صلى الله عليه وآله ، وأتت بالشهود وخطبت في المسجد ، وأعلنت موقفها من السلطة .

ومن ذلك اليوم صارت قضية فدك شعاراً للمطالبة بالإمامة والخلافة ، وقد استوفى علماؤنا بحثها وصنفوا فيها كتباً. راجع الإنتصار: ٧ ، والصحيح من السيرة (٢١٩/١٨).

٣- غيروا إسم فدك وسموها (الحائط) !

كأنهم أرادوا بذلك إخفاء ظلامة الزهراء عليها السلام ! وجاء في موقعها الرسمي:

http: //www.alhaitcity.com/vb/showthread.php?t=٤٩٦٤

«تقع مدينة الحائط المعروفة بفدك قديماً، في الطرف الشرقي لحرة فدك الواقعه شرقي حرة خيبر، وهي قديماً تعتبر قريه حجازية، وتقع شمالي المدينة المنورة، وهي تتبع إدارياً لمنطقة حائل في الوقت الحاضر، وهي في الطرف الجنوبي الغربي منها وتبلغ المسافة بين حائل ومدينة الحائط (٢٥٠كم) وعن المدينة المنورة بحوالي (٣٠٠ كم) تقريباً، وبذلك تتوسط المسافة بين حائل والمدينة المنورة . والحائط قاعدة القرى المجاورة لها منذ القدم، وتقع مدينة الحائط على خط طول٤٠/٢٩ وعلى خط العرض٢٦/٠٠ وترتفع عن سطح البحر بما يقارب١٣٠٠ متراً. ومدينة الحائط التي يشملها اسم فدك تبلغ مساحتها٦٥٠٠٠كيلو متر مربع وحدود الحائط التابعة لها للخدمات تبلغ نفس المساحة السابقة، وذلك من جبل الخطام وجبل الأبيض غرباً الى جبل العلم شرقاً، وشمالاً من جبل الفرس وجبل وَسْمه الى حدود منطقة المدينة المنورة جنوباً. ويتبعها أكثر من١٢٠ قرية وهجرة ويبلغ عدد سكان مدينة الحائط (١٨٠٠٠) نسمه تقريباً».

وفي معجم البلدان:٢٣٨/٤:« فَدَك: بالتحريك وآخره كاف، قال ابن دريد: فَدكْتُ القطن تفديكاً إذا نفشته. وفدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله (ص) في سنة سبع صلحاً، وذلك أن النبي(ص) لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلا ثلاث واشتد بهم الحصار، راسلوا رسول الله(ص)يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل، وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول الله (ص)أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله (ص).

وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة ، وهي التي قالت فاطمة رضي الله عنها: إن رسول الله (ص) نحلنيها ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أريد لذلك شهوداً.. ولها قصة .

ثم أدى اجتهاد عمر بن الخطاب بعده لما ولي الخلافة وفتحت الفتوح واتسعت على المسلمين ، أن يردها إلى ورثة رسول الله (ص) فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها ، فكان علي يقول: إن النبي (ص) جعلها في حياته لفاطمة، وكان العباس يأبى ذلك ويقول: هي ملك لرسول الله (ص) وأنا وارثه ، فكانا يتخاصمان إلى عمر فيأبى أن يحكم بينهما ويقول: أنتما أعرف بشأنكما ، أما أنا فقد سلمتها إليكما فاقتصدا ، فما يؤتى واحد منكما من قلة معرفة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فدك إلى ولد فاطمة رضي الله عنها ، فكانت في أيديهم في أيام عمر بن عبد العزيز ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك قبضها فلم تزل في أيدي بني أمية حتى ولي أبو العباس السفاح الخلافة فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فكان هو القيم عليها يفرقها في بني علي بن أبي طالب ، فلما ولي المنصور وخرج عليه بنو الحسن قبضها عنهم، فلما ولي المهدي بن المنصور الخلافة أعادها عليهم ثم قبضها موسى الهادي من بعده إلى أيام المأمون ، فجاءه رسول بني علي بن أبي طالب فطالب بها فأمر أن يسجل لهم بها ، فكتب السجل وقرئ على المأمون ، فقام دعبل الشاعر وأنشد:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ... برد مأمونِ هاشمٍ فدكا

وفي فدك اختلاف كثير في أمرها بعد النبي (ص) وأبي بكر وآل رسول الله (ص) ومن رواة خبرها من رواه بحسب الأهواء وشدة المراء.. ».

٤- فتح النبي صلى الله عليه وآله وادي القرى

قال في الصحيح من السيرة:٩/١٩، ملخصاً:«بعد فتح خيبر انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى وادي القرى.. فأتى الصهباء وسلك على برمة ، حتى انتهى إلى وادي القرى يريد اليهود ، وقد التحق بهم ناس من العرب. ونزلها مع مغرب الشمس ودعا أهلها إلى الإسلام فامتنعوا من ذلك واستقبلوا المسلمين بالرمي ، وهم يصيحون في آطامهم فأصاب سهم منهم رجلاً إسمه مدعم فقتله ، وعبأ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه للقتال وصفَّهم ، وقاتلوا ففتحها رسول الله صلى الله عليه وآله عنوة ، وغنَّمه الله أموال أهلها فخمَّس ذلك ، وترك الأرض والنخل في أيدي يهود ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر ، وقسَّم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى ، وترك الأرض والنخيل بأيدي يهود ، وعاملهم عليها. وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله بوادي القرى أربعة أيام ، قال البلاذري: وولاها رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن سعيد بن العاص ، وأقطع رسول الله صلى الله عليه وآله جمرة بن هوذة العذري رمية بسوطه من وادي القرى.

وكان في وادي القرى بساتين لعلي عليه السلام أوقفها ، ففي وصيته عليه السلام:«ما كان لي بوادي القرى كله من مال لبني فاطمة عليها السلام ورقيقها ، صدقة». (الكافي:٤٩/٧).

قال الحموي في معجم البلدان:٣٣٨/٤:«وادي القرى: واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر ، فيه قرى كثيرة ، وبها سمي وادي القرى ، قال أبو المنذر: سمي وادي القرى لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة ، وكانت من أعمال البلاد ، وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة ، إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب

ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد. قال أبو عبيد الله السكوني: وادي القرى والحِجْر والجَنَاب ، منازل قضاعة ثم جهينة وعذرة وبَلِي ، وهي بين الشام والمدينة يمر بها حاج الشام ، وهي كانت قديماً منازل ثمود وعاد ، وبها أهلكهم الله وآثارها إلى الآن باقية.

ونزلها بعدهم اليهود واستخرجوا كظائمها وأساحوا عيونها وغرسوا نخلها ، فلما نزلت بهم القبائل عقدوا بينهم حلفاً ، وكان لهم فيها على اليهود طعمة وأُكَلٌ في كل عام ، ومنعوها لهم على العرب ، ودفعوا عنها قبائل قضاعة .

وروي أن معاوية بن أبي سفيان مر بوادي القرى فتلا قوله تعالى: أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَا هُنَا آمِنِينَ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ.. الآيات ، ثم قال: هذه الآية نزلت في أهل هذه البلدة وهي بلاد ثمود فأين العيون؟ فقال له رجل: صدق الله في قوله ، أتحب أن أستخرج العيون؟ قال: نعم ، فاستخرج ثمانين عيناً ، فقال معاوية: الله أصدق من معاوية » !

وقد غيروا إسمها اليوم وسموها (العلا) ! ففي موقع شبكة عربيات ما خلاصته:

http: //www.arabiyat.com/forums/showthread.php?t=٦١٧٩٩

العلا: هي الإسم الحديث لوادي القرى الذي أوردته كتب التاريخ وتغنى به الشعراء ، وهي من أقدم المدن. وهي بلد موسى بن نصير الذي أنشأ فيها قلعته المشهورة ، وهي بلد جميل بثينة. وكانت تسمى قديماً بوادي القرى وديدان. ويسميها الباحثون عاصمة الآثار وبلد الحضارات.

مر بها سيدنا محمد (ص) في غزوة تبوك ، وعاش بها سيدنا صالح عليه السلام ، ومن آثارها محلب ناقة سيدنا صالح عليه السلام ، وفيها مدائن صالح أو قرى صالح أو الحجر وهي تسميات تطلق على مكان قوم ثمود والأنباط ، حيث مقابرهم المنحوتة في الجبال بطريقة غاية في الجمال والغرابة ، والتي تعرف عند أهل المنطقة بالقصور لروعة النحت وجماله .

٥- بطلان روايتهم بأن النبي صلى الله عليه وآله نام عن صلاة الصبح

قال في الصحيح من السيرة: ١٥/١٩، ملخصاً:« روى مسلم وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وآله في عودته من وادي القرى وخيبر ،كان قريباً من المدينة فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ! وكان بلال يحرسهم فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما صنعت بنا يا بلال؟! قال: يا رسول الله ، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك ! قال: صدقت ، ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وآله بعيره غير كثير ثم أناخ وأناخ الناس فتوضؤوا وأمر بلالاً فأقام الصلاة ، فلما فرغ قال: إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله عز وجل يقول: وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي.

ورد ذلك بوجوه: منها ، أن من غير المقبول أن ينام ألف وخمس مئة شخص ويحرسهم شخص واحد هو بلال ، ثم لايستيقظ منهم أحد !

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله تنام عيناه ولا ينام قلبه ، فكيف ينام عن صلاة الصبح ؟!

هذا ، وقد بحث العلماء قديماً وحديثاً صحة إنامة الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله ، أو إسهائه أو سهوه ، في كلام مستفيض لايتسع له المجال.

٦- لما عاد من خيبر نظر الى أحُد وقال: هذا جبل يحبنا

في المجازات النبوية للشريف الرضي/١٥: « من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وقد نظر إلى أحد منصرفه من غزاة خيبر: هذا جبل يحبنا ونحبه. وهذا القول محمول على المجاز ، لأن الجبل على الحقيقة لايصح أن يحب ». وصحيح بخاري: ٢٢٣/٣.

وقال في لسان العرب: ٢٩٠/١: « قال ابن الأثير: هذا محمول على المجاز ، أراد أنه جبل يحبنا أهله ونحب أهله وهم الأنصار ، ويجوز أن يكون من باب المجاز الصريح ، أي إننا نحب الجبل بعينه ، لأنه في أرض من نحب ».

أقول: من يتأمل في قوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُوراً. (الإسراء: ٤٤) ، يطمئن بأن لكل شئ حتى المادة حياة ونفساً وروحاً وشخصية بحسبه ، وعليه يمكن حمل كلامه صلى الله عليه وآله على ظاهره ، وأن من المادة محب ومبغض ومؤمن وكافر. ولا مجال للتفصيل.

٧- قضى الله بزوال دولة فارس فقتل ابن كسرى أباه !

عندما بُعث النبي صلى الله عليه وآله كان كسرى في أوج قوته ، وقد انتصر على قيصر في سوريا ، لكن الله تعالى أخبر بأنه سينهزم أمام الروم بعد بضع سنين، فقال عز وجل: « آلم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأرض وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأمر مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ الله يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ

وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ. (الروم: ١-٧).

وفي السنة السادسة للهجرة بعث النبي صلى الله عليه وآله رسالة الى كسرى ، نصها: « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس». (مكاتيب الرسول للأحمدي: ٣١٦/٢) .

« فلما وصل إليه الكتاب مزقه واستخف به وقال: من هذا الذي يدعوني إلى دينه ويبدأ باسمه قبل اسمي ! وبعث إليه بتراب ! فقال صلى الله عليه وآله: مزق الله ملكه كما مزق كتابي ، أما إنه ستمزقون ملكه ! وبعث إلي بتراب ، أما إنكم ستملكون أرضه ! فكان كما قال صلى الله عليه وآله... إن كسرى كتب في الوقت إلى عامله باليمن باذان ويكنى أبا مهران ، أن احمل إليَّ هذا الذي يذكر أنه نبي وبدأ بإسمه قبل إسمي ودعاني إلى غير ديني ! فبعث إليه فيروز الديلمي في جماعة مع كتاب يذكر فيه ما كتب به كسرى ، فأتاه فيروز بمن معه فقال له: إن كسرى أمرني أن أحملك إليه ! فاستنظره ليلة فلما كان من الغد حضر فيروز مستحثاً فقال النبي صلى الله عليه وآله: أخبرني ربي أنه قتل ربك البارحة ! سلط الله عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من الليل ، فأمسكْ حتى يأتيك الخبر ! فراع ذلك فيروز وهاله وعاد إلى باذان فأخبره ، فقال له باذان: كيف وجدت نفسك حين دخلت عليه؟ فقال: والله ما

هبت أحداً كهيبة هذا الرجل ! فوصل الخبر بقتله في تلك الليلة من تلك الساعة فأسلما جميعاً ». (المناقب: ٧٠/١).

وفي مكاتيب الرسول للأحمدي: ٣٢٩/٢: «فبعث باذان بكتاب كسرى إلى النبي صلى الله عليه وآله مع قهرمانه وبعث معه رجلاً آخر من الفرس ، وكتب معهما إلى رسول الله يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، فلما قدما عليه المدينة قالا له: شاهنشاه (ملك الملوك)كسرى بعث إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتي بك ، وقد بعثنا إليك لتنطلق معنا ، فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به! وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك! وكانا دخلا على رسول الله على زي الفرس ، وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟ قالا: أمرنا ربنا يعنيان كسرى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكن أمرني ربي بإعفاء لحيتي وقص شاربي ، ثم قال لهما: إرجعا حتى تأتياني غداً.

وأتى رسول الله صلى الله عليه وآله الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا وكذا ، لكذا وكذا ، في ليلة كذا ، فلما أتاه الرسولان قال: إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات ! سلط عليه شيرويه فقتله ! وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليان مضين من جمادى الأولى سنة سبع ،كذا في الطبقات. وقال أبو نعيم: فلما قرأ النبي كتاب صاحبهم تركهم خمس عشرة ليلة لايكلمهم ولاينظر إليهم إلا إعراضاً ، فلما مضت خمس عشرة

ليلة تقدموا إليه ، فقالا: هل تدري ما تقول ، إنا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا فنكتب بها عنك فنخبر الملك أي باذان؟قال: نعم أخبرا ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ إلى منتهى الخف والحافر ، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك. وأعطى رسول الله ﷺ خرخسرو منطقة فيها ذهب وفضة وكان أهداها له بعض الملوك ، وكانت حمير تسمي خرخسرة صاحب المعجزة ، والمعجزة المنطقة بلغة حمير.

فخرج الرسولان وقدما على باذان وأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا كلام ملك ، وإني لأراه نبياً ، ولننظرن فإن كان ما قال حقاً فإنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فنرى فيه رأينا ، فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبر بقتل كسرى: أما بعد فقد قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس فإنه قتل أشرافهم فتفرق الناس ، فإذا جاءك كتابي فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه !

فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه أبناء فارس الذين كانوا باليمن ، فبعث باذان بإسلامه وإسلامهم إلى رسول الله ﷺ...

ولما سمعت قريش بأمر كسرى واستخفافه بكتاب رسول الله ﷺ وكتابه إلى باذان ليبعثه إلى كسرى أو يقتله ، فرحوا واستبشروا وقالوا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل... ولكن لما سمعوا برجوع الرسولين وقتل كسرى ، وإسلام باذان وأبناء فارس معه ، صار رجاؤهم خيبة وقنوطاً» !

وروى القطب الراوندي في الخرائج:١/٧٨ ، رؤيا ملك بابل بخت نصر ، التي سأل عنها نبي الله دانيال عليه السلام فأخبره وبتفسيرها ، وأن ملكه سيزول وبعده ملك الفرس وقال: « فتأويل الرؤيا مبعث محمد صلى الله عليه وآله تمزقت الجنود لنبوته ، ولم تنتقض مملكة فارس لأحد قبله ، وكان ملكها أعز ملوك الأرض وأشدها شوكة ، وكان أول ما بدأ فيه انتقاص قتل شيرويه بن أبرويز أباه ، ثم ظهر الطاعون في مملكته وهلك فيه ، ثم هلك ابنه أردشير ، ثم ملك رجل لم يكن من أهل بيت الملك فقتلته بوران بنت كسرى ، ثم ملك بعده رجل يقال له كسرى بن قباد ولد بأرض الترك ثم ملكت بوران بنت كسرى ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله تمليكها فقال: لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة ، ثم ملكت ابنة أخرى لكسرى فسُمَّت وماتت ، ثم ملك رجل ثم قتل ! فلما رأى أهل فارس ما هم فيه من الانتشار أمر (كَبَرَ) ابن لكسرى يقال له: يزدجرد فملكوه عليهم فأقام بالمدائن على الإنتشار (تفرق المملكة) ثماني سنين، وبعث إلى الصين بأمواله وخلف أخا بالمدائن لرستم فأتى لقتال المسلمين ونزل بالقادسية وقتل بها ، فبلغ ذلك يزدجرد فهرب إلى سجستان فقتل هناك » !

٨- هدايا المقوقس ملك مصر الى النبي صلى الله عليه وآله

قال الأحمدي في مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله: ٢/٤١٦:« كتابه صلى الله عليه وآله إلى المقوقس: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك

مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط و: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ».

قال المقوقس: إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكذاب ، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى ، وسأنظر. ثم أخذ الكتاب وجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته.

وأرسل المقوقس يوماً إلى حاطب فقال: أسألك عن ثلاث. فقال: لاتسألني عن شئ إلا صدقتك ، قال: إلى ما يدعو محمد؟ قلت: إلى أن نعبد الله وحده ، ويأمر بالصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة ، ويأمر بصيام رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، وينهى عن أكل الميتة والدم..

إلى أن قال: فوصفته فأوجزت ، قال: قد بقيت أشياء لم تذكرها: في عينيه حمرة قلما تفارقه ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، يركب الحمار ، ويلبس الشملة ، ويجتزي بالتمرات والكسر ، ولا يبالي من لاقى من عم أو ابن عم.

ثم قال المقوقس: هذه صفته ، وكنت أعلم أن نبياً قد بقي ، وكنت أظن أن مخرجه بالشام وهناك تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس ، والقبط لاتطاوعني في اتّباعه ، وأنا أظن بملكي أن أفارقه ، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا ! وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً واحداً ، ولا أحب أن تعلم بمحادثتي

إياك ! ثم دعا كاتبه الذي يكتب له بالعربية فكتب إلى النبي صلى الله عليه وآله: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط: سلام عليك ، أما بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبثياب ، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك ».

ثم عدد الأحمدي هدية المقوقس للنبي صلى الله عليه وآله وهي: أربعة جوار: مارية أم إبراهيم عليه السلام بن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسيرين أخت مارية وقيسر أخت مارية أيضاً، وجارية أخرى سوداء اسمها بريرة ، وغلاماً خصياً أسود إسمه مابور.

وبغلة شهباء وهي دلدل ، وحماراً أشهب يقال له يعفور. وقيل وألف دينار وعشرين ثوباً ، وألف مثقال ذهباً. وفرساً وهو اللزاز ، وأهدى إليه عسلاً من عسل نبها من قرى مصر ، ومكحلة ومربعة توضع فيها ، وقارورة دهن، ومقصاً ومسواكاً ومشطاً ومرآة. وقيل عمائم وقباطي وطيباً وعوداً ومسكاً ، مع ألف مثقال من ذهب مع قدح من قوارير ، وخفين ساذجين أسودين ، وطبيباً يداوي مرض المسلمين. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إرجع إلى أهلك فإنا قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لانشبع. وقال حاطب: كان المقوقس لي مكرماً في الضيافة وقلة اللبث ببابه وما أقمت عنده إلا خمسة أيام ، ودفع له مائة دينار وخمسة أثواب... فلما قدم حاطب المدينة وعرض الهدايا على رسول الله صلى الله عليه وآله قبلها ، ونقل له كلام

المقوقس وناوله الكتاب قال: ظن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه. ومن ثم ذكر بعضهم أن هرقل لما علم ميل المقوقس إلى الإسلام عزله». راجع المناقب: ١٣٩/١، و١٤٦، و١٤٨، و: ٦٥/٢، وابن هشام: ٣/١، و١٢٣ ، والشفا: ١١٥/١. ومستدرك سفينة البحار: ٣٨٠/١، و: ٣٣٦/٣، و: ٢٠٨/٥.

٩- وفاة النجاشي وصلاة النبي صلى الله عليه وآله عليه

في الخصال/٣٥٩ ، بسنده عن الإمام الحسن العسكري عن آبائه عليهم السلام، عن علي قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أتاه جبرئيل بنعي النجاشي بكى بكاء حزين عليه ، وقال: إن أخاكم أصحمة ، وهواسم النجاشي ، مات ثم خرج إلى الجبانة وصلى عليه وكبر سبعاً ، فخفض الله له كل مرتفع حتى رأى جنازته وهو بالحبشة ». ورواه في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٥٢/٢، وفي الخرائج: ٦٤/١، مختصراً .

وفي المعتبر: ٣٥٢/٢: «صلاة النبي صلى الله عليه وآله على النجاشي، قيل إن الأرض طويت له حتى صار كأنه بين يديه ، وغيره لايحصل له ذلك. ولأنه حكاية فعل لاعموم له ، ويمكن أن يكون دعاءً له لا كصلاة الجنازة . وقد روى ذلك محمد بن مسلم وزرارة قال قلت: فالنجاشي لم يصل عليه النبي صلى الله عليه وآله؟فقال: لا، إنما دعا له.لو جازت الصلاة بعد دفنه لصلي على الأنبياء عليهم السلام في قبورهم والصلحاء وإن تقادم العهد ».

وفي مجمع البيان: ٤٨٠/٢ ، في تفسير قوله تعالى: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ لايَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ:

اختلفوا في نزولها فقيل: نزلت في النجاشي ملك الحبشة ، واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية ، وذلك أنه لما مات نعاه جبرائيل لرسول الله صلى الله عليه وآله في اليوم الذي مات فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم. قالوا: ومن؟ قال: النجاشي. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى البقيع ، وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه ! فقال المنافقون: أنظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني حبشي لم يره قط ، وليس على دينه ».

وفي سيرة ابن هشام: ٢٢٨/١: «فلما مات النجاشي ، صلى عليه واستغفر له ».

وفي الكافي: ١٢١/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خِلْقَان الثياب ! قال: فقال جعفر: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما رأى ما بنا وتغير وجوهنا قال: الحمد لله الذي نصر محمداً وأقر عينه ، ألا أبشركم؟ فقلت: بلى أيها الملك ، فقال: إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وأهلك عدوه ، وأسر فلاناً وفلاناً وفلاناً ، التقوا بواد يقال له: بدر كثير الأراك لكأني أنظر إليه ، حيث كنت أرعى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة !

فقال له جعفر: أيها الملك فمالي أراك جالساً على التراب وعليك هذه الخلقان؟ فقال له: يا جعفر إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة ! فلما أحدث الله عز وجل لي

نعمة بمحمد صلى الله عليه وآله أحدثت لله هذا التواضع ! فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله ، وإن التواضع يزيد صاحبه رفعه ، فتواضعوا يرفعكم الله ، وإن العفو يزيد صاحبه عزاً ، فاعفوا يعزكم الله ».

١٠- سرايا قبل سفر النبي صلى الله عليه وآله لعمرة القضاء

ذكر المؤرخون أن النبي صلى الله عليه وآله أرسل مجموعات صغيرة في عدة سرايا بعد عودته من خيبر وأم القرى وقبل عمرة القضاء ، وأكثرها سرايا عادية ، وقد يكون بعضهما مكذوباً !

فمنها ، سرية عمر إلى تربة ، قالوا بعثه في ثلاثة نفر الى موضع يسمى تربة ، لقتال أناس من هوازن ، فهربوا.

ومنها: سرية أبي بكر إلى نجد ، لأناس من هوازن ، ولم يذكروا موضعها ولا أسماء من قتل فيها ، وقالوا أسر ابو بكر امرأة ولم يذكروا إسمها !

وذكروا بطولات لسلمة بن الأكوع وأنه قتل أهل سبعة أبيات ولم يسموهم !

ومنها: سريتان الى فدك لبشير بن سعد وغالب الليثي إلى فدك ، وقالوا إنهم قتلوا وغنموا أموالاً وأنعاماً وأباعر كثيرة.

وفي إعلام الورى: ٢١١/١: «وبعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرة فقتل وأسر. وبعث عيينة بن حصن البدري إلى أرض بني العنبر فقتل وأسر ».

هذا ، وذكر بعضهم أن غزوة الكدر كانت بعد خيبر وقبل عمرة القضاء (راجع الصحيح: ٨٩/١٩) وذلك مستبعد ، فقد ذكروا غزوة الكدر أو قرقرة الكدر في آخر السنة الثانية بعد ثلاثة وعشرين شهراً من الهجرة ، وتقدم أنها كانت سرية لزيد بن حارثة ولم يقع فيها حرب. (الطبقات: ٣١/٢، والطبري: ٤٨٣/٢ ، وأعيان الشيعة: ٢٥١/١).

١١- هل شققت عن قلبه يا أسامة؟

وبعد فتح خيبر كانت السرية التي قتل فيها أسامة بن زيد رجلاً قال إني مؤمن ، وقد وبخه النبي صلى الله عليه وآله. (راجع: الصحيح من السيرة: ٤٣/١٩).

قال علي بن إبراهيم القمي(١٤٨/١) في تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فإنها نزلت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة خيبر وبعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام ، وكان رجل من اليهود يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى ، فلما أحس بخيل رسول الله صلى الله عليه وآله جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل ، فأقبل يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فمر بأسامة بن زيد فطعنه فقتله !

فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟! فقال: يا رسول الله إنما قال تعوذاً من القتل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فلا شققت الغطاء عن قبله ، ولا ما قال بلسانه قبلت ، ولا ما كان في نفسه علمت ! فحلف بعد ذلك أنه لا يقتل أحداً شهد أن لا إله إلا

الله وأن محمداً رسول الله ! فتخلف عن أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه وأنزل الله في ذلك: وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا..الخ. »

قال في جواهر الكلام:٦٣٦/٤١:« بل يؤيده (درأ الحدود بالشبهات) أن جمعاً من الصحابة منهم أسامة بن زيد ، وجدوا أعرابياً في غنيمات ، فلما أرادوا قتله تشهد فقالوا: ما تشهد إلا خوفاً من أسيافنا ، فقتلوه واستاقوا غنيماته فنزل: وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.. فغضب النبي صلى الله عليه وآله وقال لأسامة: هلا شققت قلبه ؟! ولكن لم يقتص منهم ».

١٢- عيينة بن حصن يحاول الغارة على المسلمين

تقدم أن عيينة بن حصن جاء بجمع من قبيلته فزارة وغطفان لينصر اليهود في خيبر ، فبعث اليه النبي صلى الله عليه وآله إن الله وعده خيبر وطلب منه أن ينسحب وله تمر خيبر سنة ، فأبى عيينة! وفي اليوم التالي وقعت عليهم الصيحة أن المسلمين أغاروا على ديارهم! فانسحبوا من خيبر وتركوا اليهود ! (الصحيح من السيرة: ١١٠/١٧).

وبعد فتح خيبر جاء عيينة الى النبي صلى الله عليه وآله يطالب بتمر خيبر ، ويدعي أنه انسحب لمصلحة النبي صلى الله عليه وآله ! فلم يعطه النبي صلى الله عليه وآله شيئاً.

بعد ذلك ، قال الحارث بن عوف المري لعيينة وكان حليفه: « أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه؟ إن محمداً قد وطأ البلاد وأنت توضع في غير شئ... أيها الرجل قد رأيت ورأينا معك أمراً بيّناً في بني النضير ويوم الخندق وقريظة ، وقبل ذلك قينقاع وفي خيبر ، إنهم كانوا أعز يهود الحجاز كله يقرون لهم بالشجاعة والسخاء ، وهم

أهل حصون منيعة وأهل نخل. والله إن كانت العرب لتلجأ إليهم فيمتنعون بهم ، لقد سارت حارثة بن الأوس حيث كان بينهم وبين قومهم ما كان فامتنعوا بهم من الناس. ثم قد رأيت حيث نزل بهم كيف ذهبت تلك النجدة وكيف أديل عليهم.. والله إن الذي سمعت لمن السماء ! والله ليظهرن محمد على من ناوأه ، حتى لو ناوأته الجبال لأدرك منها ما أراد ! فقال عيينة: هو والله ذاك ! ولكن نفسي لاتقرُّني ! فقال الحارث: فادخل مع محمد ! قال: أصير تابعاً؟! قد سبق قوم إليهم فهم يُزْرُونَ بمن جاء بعدهم يقولون: شهدنا بدراً وغيرها» !

لقد اختار عيينة الخذلان فلم يسلم مع يقينه بنبوة النبي صلى الله عليه وآله ! وواصل محاولاته للغارة على المسلمين ، فبعد خيبر:« قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله رجل من أشجع يقال له حسيل بن نويرة ، وكان دليل النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر فقال له صلى الله عليه وآله: من أين يا حسيل؟ قال: قدمت من الجناب . فقال صلى الله عليه وآله: ما وراءك؟ قال: تركت جمعاً من غطفان بالجناب (وقيل من فزارة وعذرة) قد بعث إليهم عيينة يقول لهم: إما تسيروا إلينا وإما نسير إليكم؟ فأرسلوا إليه أن سر إلينا حتى نزحف إلى محمد جميعاً ! وهم يريدونك أو بعض أطرافك ». (راجع الصحيح من السيرة: ٧٦/١٩).

فبعث اليهم النبي صلى الله عليه وآله بشير بن سعد في ثلاث مائة، وبعث معهم حسيل بن نويرة دليلاً ، فساروا حتى أتوا يمن وجُبار ، قرب خيبر ، فهرب جماعة عيينة فغنموا من إبلهم ونعمهم ، ثم وجدوا عيناً لعيينة فقتلوه ، ثم لقوا جمع عيينة فناوشوهم فهرب عيينة وتبعهم المسلمون فأسروا منهم رجلين ، وجاؤوا بهما الى النبي صلى الله عليه وآله فأسلما وأطلق سراحهما .

قال صاحب الصحيح (٨٧/١٩):«علل صدوده عن الإسلام بأنه لا يريد أن يصير تابعاً ، وأن الذين سبقوه إلى الإسلام سوف يُزرون عليه بأنهم شهدوا بدراً وغيرها دونه ، وبأن نفسه تأبى ذلك ! فاسمع واعجب ممن يبيع آخرته بأوهام دنيوية».

النبي صلى الله عليه وآله يتوجه الى عمرة القضاء

١- أحرم النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون واتخذوا الحيطة لاحتمال أن تمنعتهم قريش من زيارة البيت فيحتاجون الى قتالها ، فقد أنزل الله عليهم: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاتَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. (البقرة: ١٩٠-١٩١).

وفي زبدة البيان/٣٠٦:« قيل..إنها نزلت في صلح الحديبية... فلما كان العام المقبل تجهز النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه لعمرة القضاء ، وخافوا أن لا يفي لهم المشركون وأن يصدوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم ، وكره رسول الله صلى الله عليه وآله قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله الآية ، أي قاتلوا الذين يقاتلونكم دون الذين لم يقاتلوكم...فتدل الآية على وجوب القتال في الجملة وعدم جواز التعدي والظلم ولا يبعد تعميمها بحيث يشمل وجوب القتال مع المحارب الذي يقاتل الإنسان على ماله ونفسه وتحريم التعدي في أخذ المال والنفس ».

٢- في الكافي: ٢٥١/٤ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث عمر مفترقات: عمرةً في ذي القعدة أَهَلَّ من عسفان وهي عمرة الحديبية ، وعمرةً أَهَلَّ من

الجحفة وهي عمرة القضاء ، وعمرةً أهَلَّ من الجعرانة ، بعدما رجع من الطائف من غزوة حنين ».

وفي إعلام الورى: ٢١١/١: « اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله والذين شهدوا معه الحديبية ، ولما بلغ قريشاً ذلك خرجوا متبددين ، فدخل مكة وطاف بالبيت على بعيره بيده محجن يستلم به الحجر ، وعبد الله بن رواحة آخذ بخطامه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله نضربكم ضرباً على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله
يا رب إني مؤمن بقيله

وأقام بمكة ثلاثة أيام ، وتزوج بها ميمونة بنت الحارث الهلالية ، ثم خرج فابتنى بها بسرف ، ورجع إلى المدينة فأقام بها حتى دخلت سنة ثمان ».

٣- وروى الجميع أن شخصيات مكة خرجوا منها ، بينما اصطف الناس سماطين ينظرون الى دخول رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين ، وقد حرص النبي صلى الله عليه وآله على أن يري قريشاً قوة المسلمين ، فدخل راكباً على ناقته وعبدالله بن رواحة ينشد بين يديه النشيد المتقدم الذي فيه تحدٍّ لقريش ، فأثار ذلك خوف عمر أو غيرته أن يتحدى أنصاريٌّ قريشاً في عقر دارها !

قال أبو يعلى: ١٢١/٦: «عن أنس أن رسول الله (ص) لما دخل مكة قام أهل مكة سماطين ، قال: وعبد الله بن رواحة يقول... فقال عمر: يا ابن رواحة تقول الشعر بين يدي رسول الله وفي حرم الله ؟! قال فقال النبي(ص): مه يا عمر ، هذا أشد

عليهم من وقع النبل » ! والنسائي: ٢١١/٥ ، والبيهقي في سننه: ٢٢٨/١٠ ، والترمذي: ٢١٧/٤ ، ومبسوط السرخسي: ٣٩/١٠، وسير الذهبي: ٢٣٥/١ ،

ورواه مجمع الزوائد:١٤٦/٦ ، وفيه:«وتغيب رجال من أشراف المشركين كراهية أن ينظروا إلى رسول الله غيظاً وحنقاً ونفاسةً وحسداً ، وخرجوا إلى نواحي مكة».

فعمر الذي كان مصراً قبل سنة في الحديبية على قتال قريش ، استنكر بسبب خوفه أو تعصبه لقريش أن يتحداهم المسلمون في دارهم ! ولا ننس أن عمر من قبيلة عدي الصغيرة ، وقد نشأ على احترام زعماء قريش وإكبارهم ! ولكن الحكم النبوي أن هؤلاء الفراعنة لا يفهمون إلا لغة السيف ، وأن عمل عبد الله بن رواحة عمل صحيح وقيمته عند الله عالية ، لأنه أشد على أعداء الله من وقع النبل !

وفي مجمع البيان: ٢١١/٩: « فلما قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه فقال: إكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ، ليرى المشركون جلدهم وقوتهم. فاصطف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون البيت ، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشحاً بالسيف..».

وفي الحدائق الناضرة:١٢٩/١٦:« ومما يدل على جواز الركوب اختياراً: ما رواه في الكافي..عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: طاف رسول الله ﷺ على ناقته العضباء وجعل يستلم الأركان بمحجنه ويقبل المحجن».

والمحجن: العصا المعقوفة الرأس، والمعنى أنه ﷺ كان يمس الركن بها ويقبلها.

٤- وفي الكافي:٤/٤٣٥، أن الإمام الصادق عليه السلام سئل:«عن السعي بين الصفا والمروة فريضة أم سنة؟ فقال: فريضة ، قلت: أوليس قال الله عز وجل: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا؟ قال: كان ذلك في عمرة القضاء ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة ، فتشاغل رجل وترك السعي حتى انقضت الأيام وأعيدت الأصنام فجاؤوا إليه فقالوا: يا رسول الله إن فلاناً لم يسع بين الصفا والمروة وقد أعيدت الأصنام؟ فأنزل الله عز وجل: فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، أي وعليهما الأصنام».

وفي تفسير القمي: ٦٣/١:«فلما كان عمرة القضاء في سنة سبع من الهجرة دخل مكة وقال لقريش: إرفعوا أصنامكم من بين الصفا والمروة حتى أسعى ، فرفعوها فسعى رسول الله صلى الله عليه وآله بين الصفا والمروة وقد رفعت الأصنام ، وبقي رجل من الطُّوَّاف وقد ردت قريش الأصنام بين الصفا والمروة فجاء الرجل الذي لم يسع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال قد ردت قريش الأصنام بين الصفا والمروة ولم أسع ، فأنزل الله عز وجل: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، والأصنام فيهما ».

٥- قال صاحب الصحيح(١٧٢/٩) تحت عنوان: رعب قريش وحيرتها ، ملخصاً: «قدم رسول الله صلى الله عليه وآله الخيل أمامه حتى بلغت مر الظهران ، فرأى ناس من قريش خيلاً كثيرة وسلاحاً وفيراً ، فطاروا بالخبر إلى قريش ، ففزعت من ذلك وتحيرت هل جاء النبي صلى الله عليه وآله ليعتمر أم ليغزوها ، وهو لم يعرف بالغدر صغيراً ولا كبيراً ! وخرج

كبراؤها من مكة حتى لا يروا النبي ﷺ يطوف بالبيت هو وأصحابه ، حسداً وعداوة ! لكن شائعاتهم كانت تلاحق المسلمين فقالوا عن أصحابه: مايتباعثون من العجف ! فقال أصحابه: لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جمامة . فقال رسول الله ﷺ: لا تفعلوا ولكن اجمعوا إليَّ من أزوادكم ، فجمعوا له وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشى كل واحد منهم في جرابه !

وكان وجود القرشيين مع النبي ﷺ يزيد في حسرة قريش وإحراجها أمام الناس الذين لهم فيهم أقرباء ، وينتقدون قسوة قريش عليهم ، فقالت قريش: إن المهاجرين أوهنتهم حمى يثرب ! لذلك أمر النبي ﷺ بإظهار القوة ليبطل كيدهم وأطلق دعاءه فقال: رحم الله من أراهم من نفسه قوة» فأمرهم بالرمل في ثلاثة أشواط ، وهو المشي السريع شبيه بالعرض العسكري ، فقالت قريش: «هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم ، أما إنهم لينفرون نفر الظبي !

كما أمرهم النبي ﷺ أن يكشفوا أعضادهم اليمنى التي تقبض السيوف والرماح وهو يطوف على ناقته وعبد الله بن رواحة آخذ بزمامها وهو ينشد نشيد التحدي لهم ، وهم بحيال الميزاب ينظرون إليهم ! وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن هذا التشريع مخصوص بذلك الوقت ، وليس له صفة شرعية دائمة في الحج».

وفي الحدائق الناضرة: ١٢٨/١٦:« دل على تخصيص الرَّمَل (الهرولة) بالثلاثة ، ما رواه أحمد بن محمد بن عيسى في نوادره عن أبيه قال: سئل ابن عباس فقيل له: إن قوماً

يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بالرَّمَل حول الكعبة؟ فقال كذبوا وصدقوا ! فقلت وكيف ذلك؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل مكة في عمرة القضاء وأهلها مشركون ، فبلغهم أن أصحاب محمد مجهودون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله امرأ أراهم من نفسه جلداً فأمرهم فحسروا عن أعضادهم ورملوا بالبيت ثلاثة أشواط ورسول الله صلى الله عليه وآله على ناقته وعبد الله بن رواحه آخذ بزمامها ، والمشركون بحيال الميزاب ينظرون إليهم. ثم حج رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك فلم يرمل ولم يأمرهم بذلك. فصدقوا في ذلك وكذبوا في هذا...وبذلك ظهر أن الرمل له أصل بسبب هذه القضية ، وأن العامة اتخذوا ذلك سنة لذلك، والأمر عند أئمتنا صلوات الله عليهم ليس كذلك. والرَّمَل لغةً: الهرولة ، على ما ذكره في القاموس. والهرولة السرعة في المشي مع تقارب الخطى ».

زواج النبي صلى الله عليه وآله بميمونة بنت الحارث

في المبسوط للشيخ الطوسي: ٢٧٠/٤:« لما فرغ النبي صلى الله عليه وآله من خيبر في هذه السنة توجه معتمراً وهي سنة سبع ، وقدَّم جعفر بن أبي طالب فخطب عليه ميمونة بنت الحارث الهلالية فأجابته ، فتزوج بها وهو محرم ، وبنى بها بسرف ».

وفي مجمع البيان: ٢١١/٩:« أقاموا بمكة ثلاثة أيام ، ثم رجعوا إلى المدينة... بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث العامرية فخطبها عليه ، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب ، وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحرث ، فزوجها العباس رسول الله».

وقال صاحب الصحيح من السيرة(٢٠٧/١٩) إنها آخر امرأة تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وشكك فيما ذكره في الإصابة (٤٨/٨) من أن إسمها كان «برّة» فسماها النبي صلى الله عليه وآله ميمونة .

وفي سيرة ابن هشام:٨٢٨/٣« وأصدقها (أبو رافع) عن رسول الله أربع مئة درهم».

راجع في ترجمة ميمونة أم المؤمنين رحمها الله: الملحق رقم (٩) .

إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص !

كان خالد بن الوليد في السنة السابعة قائد خيل المشركين في الحديبية ، وكان مع المسلمين في غزوة تبوك في أواسط السنة الثامنة وسيأتي دوره فيها ، ومعناه أنه أسلم بين الحديبية ومؤتة .

لكن خالداً ادعى أنه أسلم قبل خيبر وأنه شارك فيها ! فصدقه رواة السلطة بينما رد ذلك علماؤهم ! فقد روى أحمد (٨٩/٤)عن خالد قال:« غزوت مع رسول الله غزوة خيبر ، فأسرع الناس في حظائر يهود فقال: يا خالد ناد في الناس أن الصلاة جامعة». **وقال في نصب الراية (٥٨/٦):«أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة عن بقية». لكن ابن حزم قال إن الحديث موضوع (عمدة القاري: ٢٤٨/١٧) وتردد فيه ابن عبد البر (الإستيعاب: ٤٢٧/٢).**

وقال في مجمع الزوائد(٣٥١/٩)«وعن محمد بن إسحاق قال: كان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة عند النجاشي فقدموا المدينة في صفر سنة ثمان من الهجرة . قلت: إسلامهم في يوم واحد معروف». **وبه قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية/٢٥٩ ، وابن تيمية في فتاويه:٣٩٧/٤ ، وابن عربي في أحكام القرآن: ٥٧٢/٢ ، وابن حجر في تهذيب التهذيب: ١٠٧/٣، وابن كثير في النهاية: ٣٦٦/٥، و: ٢٠٨/٣.**

وروت مصادر السلطة اعترافهما بأنهما رأيا ميزان القوة لمصلحة النبي صلى الله عليه وآله فأسلما !

قال خالد كما في الصحيح من السيرة: ٢٣٢/١٩، بتلخيص: «إن الله قذف في قلبه الإسلام وقال: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أني مُوضِعٌ في غير شئ ، وأن محمداً يظهر ! فلما جاء لعمرة القضاء تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه ، فطلبني فلم يجدني فكتب إليَّ كتاباً ، فإذا فيه: فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وقلة عقلك ، قد سألني عنك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به .

وزعم أنه رأى نفس رؤيا أبي بكر عندما جاء الى المدينة كأنه في بلاد ضيقة جدبة فخرج إلى بلاد خضراء واسعة ! ثم كان يبحث عن رفقاء من طبقته أولاد كبار المشركين فلا يقبلون منه لثأرهم عند النبي صلى الله عليه وآله حتى وجد عثمان بن طلحة الحجبي أو السادن وهو بني عبد الدار ، وقد قتل أبوه طلحة وعمه عثمان وإخوته الأربعة: مسافع والجلاس والحارث وكلاب ، كلهم قتلوا يوم أحد ، فأسرع الإجابة فواعده في محل كذا ، وجاءه فوجدا عمرو بن العاص هناك ، فجاؤوا جميعاً الى المدينة وأسلموا: « فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة ، أول يوم في صفر سنة ثمان » فأنخنا بظهر الحرة ركابنا فأخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وآله فسرَّ بنا وقال: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها فلبست من صالح ثيابي ، ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلقيني أخي فقال: أسرع فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد سُرَّ بقدومكم وهو ينتظركم ! فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتبسم إليَّ حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد عليَّ السلام بوجه طلق فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله. قال الحمد لله الذي هداك ، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير. قلت: يا رسول الله أدع الله لي أن يغفر لي تلك

المواطن التي كنت أشهدها عليك . فقال: الإسلام يجبُّ ما كان قبله . فوالله ما كان رسول الله ﷺ من يوم أسلمت يعدل بي أحداً فيما حَزَبه !

كما اعترف عمرو بن العاص في إحدى رواياته لبطولاته بأنه أسلم مع خالد عندما تأكد لهما أن ميزان القوى أصبح لصالح النبي ﷺ وأن يحقق انتصارات!

وقد وثقه في الزوائد (٣٥٠/٩) قال:« لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني ويسمعون مني فقلت لهم: تعملون والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني قد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا: وما رأيت؟ قلت: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ! وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير ! قالوا: إن هذا الرأي. قال قلت لهم فاجمعوا لي ما يهدى وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه ، فلما دخل إليه وخرج من عنده قال: فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها ، قتلت رسول محمد ! قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال: مرحباً بصديقي أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت نعم أيها الملك ، إني رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه فأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا !

قال: فغضب ومد يده وضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ! فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألته ! قال: تسألني أن أعطيك رسول الله رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟ قال: قلت أيها الملك أكذاك هو ؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ! قال: فتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم فبسط يده وبايعه على الإسلام. وخرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كنت عليه وكتمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً لرسول الله ، فلقيت خالد بن الوليد وكان قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة فقلت: يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام الميسم وإن الرجل نبي، إذهب فأسلم فحتى متى؟ قال: قلت والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا على رسول الله فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت: يا رسول الله إني أبايعك على أن يغفر لي ماتقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر. فقال رسول الله(ص): يا عمر بايع فإن الإسلام يجب ما قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها. قال فبايعته».

أقول: فقد كأن إسلامهما في صفر أي قبل مؤتة بشهرين ! وستعرف بعض أدوارهما المضخمة أو المكذوبة ، في حروب النبي صلى الله عليه وآله .

○ ○

غزوة مؤتة وما بعدها الى فتح مكة

١- موقع مؤتة والكرك والمزار

تقع مؤتة قرب مدينة الكـرَك جنوبي عَمَّان عاصمة الأردن ، وتبعد عنها ١٢٠كم وتبعد عن القدس نحو ٧٠ كم ، وعن المدينة المنورة أكثرمن ١١٠٠كم. وتسمى المزار ، لأن فيها قبر جعفر الطيار رضي الله عنه ورفاقه الشهداء.

في معجم البلدان:٥/٢٢٠:« قرية من قرى البلقاء في حدود الشام.. بها قبر جعفر بن أبي طالب. بعث النبي (ص) إليها جيشاً في سنة ثمان ، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب الأمير ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فساروا حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها ، فلقيتهم الروم في جمع عظيم فقاتل زيد حتى قتل ، فأخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فكانت تلك حاله ، فاجتمع المسلمون إلى خالد بن الوليد فانحاز بهم حتى قدم المدينة فجعل الصبيان يحثون عليهم التراب ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله ! فقال النبي: ليسوا بالفرار لكنهم الكُرَّار إن شاء الله. وقال حسان:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بموته منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله هم خير عصبة ... تواصوا وأسباب المنية تنظر ».

٢- انحسر خطر الفُرس عن النبي صلى الله عليه وآله وتعاظم خطر الروم

في السنة السادسة للهجرة أرسل النبي صلى الله عليه وآله كتبه الى ملوك الأرض يدعوهم الى الإسلام ، وتقدم أن كسرى أهان مبعوث النبي صلى الله عليه وآله ومزق كتابه ، وأرسل الى حاكم اليمن أن يرسله اليه ! فأرسل حاكم اليمن وزيره الى المدينة وأبلغ النبي بأمر كسرى ، فاستمهله صلى الله عليه وآله وفي اليوم الثاني أخبره أن الله تعالى قتل كسرى في الليلة الفلانية الموافقة ١٣ جمادى الأولى سنة سبع للهجرة ، فدهش الوزير ورجع !

ومعنى ذلك أن الله تعالى تولى أمر نظام كسرى فدخل الفرس بقتله في صراع داخلي ، أدى الى تمزق الدولة ، وانتهى بفتح المسلمين لكل فارس.

أما هرقل فكتب له النبي صلى الله عليه وآله في السنة السادسة: « بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك أثم الأريسيين ، و: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ».(مكاتيب الرسول للأحمدي: ٢/٢٩٠و٣٩٧).

والأريسيون أهل الزراعة ، مقابل البدو. (البكري:٢١/١) فأجاب هرقل على رسالة النبي صلى الله عليه وآله بجواب ليِّن:« إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى ، من قيصر ملك الروم: إنه جاءني كتابك مع رسولك ، وإني أشهد أنك رسول الله نجدك

عندنا في الإنجيل ، بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا ولو أطاعوني لكان خيراً لهم ، ولوددت أني عندك فأخدمك، وأغسل قدميك! فقال رسول الله:يبقى ملكهم ما بقي كتابي عندهم».(اليعقوبي:٧٧/٢).

لكن الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام من قبل هرقل أجاب جواباً سيئاً فقد بعث اليه النبيﷺ كتاباً مع شجاع بن وهب فحجبه مدة ، ثم أمر بإدخاله عليه وقد لبس تاجه، فدفع اليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال: من ينزع مني ملكي؟! أنا سائر إليه ولو كان في باليمن جئته! عليَّ بالناس ! فلم يزل جالساً يُعرض عليه حتى الليل، وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال لي: أخبر صاحبك بما ترى ! وكتب الحارث إلى قيصر يخبره الخبر ، فكتب إليه أن لا تسر إليه واشتغل بايلياء أي هيئ بيت المقدس لاستقباله ، لأن هرقل نذر أن يمشي من حمص الى بيت المقدس شكراً لله تعالى لنصره على فارس ، ففرشوا له بسطاً ونثروا عليها الرياحين ، وهو يمشي عليها حتى بلغ بيت المقدس !

قال شجاع: فدعاني الحارث وقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قلت: غداً فأمر لي بمائة مثقال ذهباً ووصلني حاجبه بنفقة وكسوة ، فقدمتُ على النبيﷺفأخبرته بما كان من الحارث فقال: بادَ ملكه. (السيرة الحلبية: ٣٠٤/٣).

كما أن فروة بن عمرو الجذامي حاكم الأردن من قبل هرقل ، أسلم بدون أن يرسل اليه النبيﷺ كتاباً وكتب اليه: « لمحمد رسول الله ، إني مقرٌّ بالإسلام

مصدق به ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أنت الذي بشر بك عيسى بن مريم. والسلام ». (مكاتيب الرسول: ٤٦٥/٢).

فأجابه النبي صلى الله عليه وآله: « من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو ، أما بعد ، فقد قدم علينا رسولك وبلغ ما أرسلت به وخبَّر عما قِبلكم وأتانا بإسلامك ، وإن الله هداك بهداه ، إن أصلحت وأطعت الله ورسوله وأقمت الصلاة وآتيت الزكاة». (مكاتيب الرسول:٤٦٥/٢) فلما سمع قيصر بذلك أمر الحارث بن أبي شمر فسجنه فقال:

طرقتْ سليمي موهناً أصحابي والروم بين الباب والقروان...
فلئن هلكت لتفقُدنَّ أخاكم ولئن بقيتُ لتعرفنَّ مكاني
ولقد جمعت أجلَّ ما جمع الفتى من جودة وشجاعة وبيان

ثم أحضره وقال له: إرجع من دين محمد ونحن نعيدك إلى ملكك. قال: لاأفارق دين محمد ، فإنك تعلم أن عيسى بشر به ولكنك تظن بملكك !

فلما يئسوا منه وعلموا أنه لايرجع إلى النصرانية أجمعوا على قتله ، فقتله وصلبه على ماء لهم يقال له عِفرَا بفلسطين ، فقال:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها مشذبة أطرافها بالمناجل

فلما قدموه ليقتلوه قال:

بلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي وبناني

فضربوا عنقه ثم صلبوه رحمه الله ! (مكاتيب الرسول:٤٦٧/٢).

أقول: منع هرقل الحارث بن أبي شمر من الحملة على المدينة لقتال النبيﷺ، ولا بد أنه سخر منه لسذاجته ، لأنه لايقدر قوة النبيﷺولا يعرف أن القضاء عليه يحتاج الى خطة شبيهة بالخطة التي وضعها هرقل للقضاء على كسرى في السنة الماضية ، ونفذها بنفسه فهاجم المدائن من تركيا بسبعين ألف مقاتل ، حتى وصل الى المدائن ، وأنهى الإمبراطورية الفارسية !

كانت خطة هرقل للقضاء على النبيﷺتقوم على انتخاب كتائب خاصة من جيش الروم ، وإعداد جيش من بلاد الشام بزعامة الحارث بن أبي شمر ، وجيش من القبائل بزعامة الأكيدر ملك دومة الجندل ورئيس قبائل كندة ، ومساندة مجموعة أبي عامر الراهب أصحاب مسجد الضرار، ثم بمساندة مجموعات اليهود ومنافقي قريش!

٣- غزوة مؤتة رسالة قوية الى هرقل

كانت غزوة مؤتة لإفهام هرقل أن ميزان القوة مع المسلمين ليس كما يتخيل ، وأنهم قادرون على تحدي الجيش الرومي المحترف ، وليس عرب الشام ، عند أبواب القدس ، على بعد أكثر من ألف كلم عن المدينة !

فقد كانت غزوة مؤتة عملية استشهادية لإثبات القوة النوعية للمسلمين ، ليتراجع هرقل عن خطته ، ولذا كانت تحتاج الى قائد نوعي خبير بالروم هو جعفر بن أبي طالبرضي الله عنه ، الذي عمل في مقاومة الروم في الحبشة ، واستطاع تثبيت عرش النجاشي ودولته ، رغم أن الحبشة كانت قاعدة الروم في إفريقيا !

فقد نشط جعفر سنين مع علماء الروم وقساوستهم ، وجاء بوفود منهم من الحبشة ونجران والشام الى النبي صلى الله عليه وآله في مكة فأسلموا ، ثم أبقاه النبي صلى الله عليه وآله في الحبشة لمتابعة مهمته حتى أحضره في السنة السابعة فوصل في أيام فتح خيبر .

وبعد أن انتهى النبي صلى الله عليه وآله من عمرة القضاء ، وكان هرقل جاداً في التحضير لغزو المدينة ، حان الوقت لأن يرسل اليه الرسالة القوية فأرسل جعفراً رحمه الله الى مؤتة. وكانت حمص أو الشام أو عمان أقرب مسافة وأولى بالمهاجمة بالنظرة الأولى فهي مناطق مهمة وفيها قوات رومية تساندها قوات عربية ، لكن النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يقصد معسكر هرقل في مؤتة ولو كان أبعد ، لأنه معسكر رومي صرف ، ولأنه أقرب الى بيت المقدس.

وذكر المسعودي في التنبيه والإشراف/٢٣٠ ، أن سبب غزوة مؤتة كان قتل شرحبيل بن عمرو الغساني الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله (ص) إلى صاحب بصرى ، ولم يقتل للنبي رسول غيره .

لكن هذاظاهر الأمر والحقيقة ما ذكرناه ، لأن الهدف لو كان الإقتصاص لقتل رسول النبي صلى الله عليه وآله من حاكم بصرى ، لكفى أن يرسل النبي صلى الله عليه وآله بضعة أشخاص الى بصرى الشام ليقتلوا حاكمها قصاصاً لقتله الرسول ، ولم يحتج الى إرسال ثلاثة آلاف الى منطقة فيها معسكر لهرقل ، أبعد من بصرى بكثير !

٤- جعفر بن أبي طالب رحمه الله قائد جيش مؤتة

ذكرت مصادر السلطة أن النبي صلى الله عليه وآله أعطى قيادة جيش مؤتة الى زيد ، فإن قتل فجعفر ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة . فجعلوا زيداً القائد الأول وجعفراً

الثاني ، مع أنهم يعترفون بأن بني عبد المطلب لانظير لهم في الشجاعة وصفات القيادة ، ولم يرو أحد أن النبي صلى الله عليه وآله أمَّر على أحد منهم غيرهم وقد أرسل حمزة وعلياً وجعفراً مراراً ، فكانوا هم الأمراء. وهذا يوجب الشك في أن قصد رواة السلطة التنقيص من مقام جعفر رضي الله عنه كعادتهم مع عترة النبي صلى الله عليه وآله.

كتب صاحب الصحيح من السيرة (٣٠٩/١٩) ملخصاً: «إن الأمير الأول كان جعفر بن أبي طالب كما ذهب إليه الشيعة ، قال ابن أبي الحديد: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول ، وأنكرت الشيعة ذلك وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول ، فإن قتل فزيد بن حارثة ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة ، ورووا في ذلك روايات ، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم. ويدل على ذلك عدة أمور:

١ - روايات أهل البيت عليهم السلام، ومنها عن أبان عن الصادق عليه السلام قال: إنه استعمل عليهم جعفراً ، فإن قتل فزيد ، فإن قتل فابن رواحة (المناقب: ٢٠٥/١، وإعلام الورى/١١٠).

٢- قال الإمام الحسن عليه السلام في احتجاجه على معاوية: وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً يوم مؤتة فقال: عليكم جعفر ، فإن هلك فزيد ، فإن هلك فعبد الله بن رواحة .

٣ – ما رواه ابن سعد في طبقاته(١٢٩/٢) بإسناده عن أبي عامر ، قال: بعثني النبي إلى الشام فلما رجعت مررت على أصحابي وهم يقاتلون المشركين بمؤتة. قلت: والله لا أبرح اليوم حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرهم.. فأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب ولبس السلاح وكان رأس القوم ثم حمل جعفر ، حتى إذا همَّ أن يخالط العدو رجع فوحَّش(خفف) بالسلاح ، ثم حمل على العدو ، فطاعن حتى قتل. ثم أخذ اللواء زيد بن حارثة ، فطاعن حتى قتل. ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فطاعن حتى قتل. ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة.

٤ – قول حسان بن ثابت يرثي شهداء مؤتة:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة ، منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد، وعبد الله ، حيث تتابعوا جميعاً ، وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم إلى الحرب ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم أبي إذا سيم الضلالة مجسر

٥ – قول كعب بن مالك الأنصاري يرثي شهداء مؤتة أيضاً:

فكأنما بين الجوانح والحشا مما تأوّبني شهاب مدخل
وجداً على النفر الذين تتابعوا وماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
فمضوا أمام المسلمين يقودهم فُنُقٌ عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر حيث التقى وعث الصفوف مجدل

٥- وصية النبي صلى الله عليه وآله لجيش مؤتة

في البحار: ٦٠/٢١، عن الواقدي:«خرج النبي صلى الله عليه وآله مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع فوقف ووقفوا حوله فقال: أغزوا بسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين الناس فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، ولا تقتلن امرأة ولا صغيراً ضرعاً ولا كبيراً فانياً، ولا تقطعن نخلاً ولا شجراً، ولا تهدمن بناء.

...ودع عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: مرني بشئ أحفظه عنك، قال إنك قادم غداً بلداً السجود فيه قليل فأكثروا السجود. فقال عبد الله: زدني يا رسول الله، قال: أذكر الله، فإنه عون لك على ما تطلب».

أقول: يدل ذلك على أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يقطع الأشجار، ويردُّ زعمهم أنه قطع نخيل بني النضير، وأن أبا بكر أول من أوصى الغزاة بهذه الوصايا!

كما يدل على أن للسجود لله تعالى وذكره تأثيراً على الأرض وما عليها، وأنه ينبغي لمن سافر الى أرض لايسجد فيها لله تعالى، أن يكثر منهما.

٦- واجهتهم سرية رومية في وادي القرى

روى ابن عساكر في تاريخه (١٣/٢) عن الواقدي قال:« سمع العدو بمسيرهم فجمعوا الجموع، وقام فيهم رجل من الأزد يقال له شرحبيل بالناس وقدم

الطلائع أمامه ، وقد نزل المسلمون وادي القرى وأقاموا أياماً ، وبعث أخاه سدوس بن عمرو في خمسين من المشركين فالتقوا وانكشف أصحابه وقتل سدوس ، وخاف شرحبيل بن عمرو فتحصن وبعث أخاً له يقال له وبر بن عمرو. فسار المسلمون حتى نزلوا معان من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل (مآب) من أرض البلقاء في بهراء ووائل وبكر ولخم وجذام في مائة ألف، عليهم رجل من بلي يقال له مالك فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم ، وقالوا نكتب إلى رسول الله (ص) فنخبره الخبر ، فإما يردنا وإما يزيدنا رجالاً ! فبينا الناس على ذلك من أمرهم جاءهم ابن رواحة فشجعهم ثم قال: والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا بكثرة سلاح ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به. إنطلقوا. والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلا فرسان ويوم أحد فرس واحدة ، فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور عليهم فذلك ما وعدنا الله ووعد نبينا ، وليس لوعده خلف، وإما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان. فتشجع الناس على قول ابن رواحة».

أقول: تدل الرواية على أن سرية سدوس بن عمرو كانت من سرايا حراسة الروم للحدود الشامية . وطتن أخوه شرحبيل القائد العام لجيش هرقل في بلاد الشام ، وهو الذي قتل رسول النبي صلى الله عليه وآله الى ملك بصرى الشام . لكن المسلمين لم يشتبكوا مع السرية ولم يثأروا لقتل ابن عمير رسول النبي صلى الله عليه وآله ، لأن هدف الغزوة ومقصدها جيش الروم وليس الجيش العربي أو حراس الحدود !

راجع أيضاً: مكاتيب الرسول: ٢٠٤/١، والطبقات: ١٢٨/٢، والتنبيه والإشراف/٢٣٠).

٧- فاجأهم الروم فانحازوا الى مؤتة

يظهر أن المسلمين تفاجؤوا بأول كتائب الروم في قرية "مشارف" فلم يشتبكوا معهم وانسحبوا الى قرية "مؤتة" فلحقت بهم قوات الروم وكانت المعركة.

قال ابن هشام (٨٣٢/٣):« حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها فتعبأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك... والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها   طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها   كافرة بعيدة أنسابها
عليَّ إذ لاقيتها ضرابها

وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ».

وقد عبر أبو هريرة عن خوف المسلمين من جيش الروم بقوله: « شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب ، فبرق بصري فقال لي ثابت بن أرقم: ما لك يا أبا هريرة ، كأنك ترى جموعاً كثيرة ! قلت: نعم » ! (تاريخ دمشق:١٣/٢). ومعناه أنهم خافوا من الروم ولذلك انهزموا ، وثبت القادة الثلاثة ، وقليل معهم .

٨- سبب تحريفهم معركة مؤتة

تعمد رواة السلطة تحريف معركة مؤتة ، ليغطوا هزيمة المسلمين فيها ، خاصة هزيمة خالد بن الوليد ، ويخفوا دور جعفر بن أبي طالب في قيادتها !

لذلك عندما تقرأ نصوصها تتساءل: أين دور جعفر عندما تحير المسلمون في وادي القرى أو في معان هل يواصلون السير أم يكتبون الى النبي صلى الله عليه وآله ليمدهم برجال أو يأمرهم بالرجوع ؟ وأين كان عبد الله بن رواحة حتى وصل اليهم في معان متأخراً ، وشجعهم على السير ؟

ولماذا انسحبوا عندما واجهوا الروم في قرية مشارف قبل مؤتة ؟

وكيف برز القادة الثلاثة وحدهم ولم يبرز أحد من المسلمين ؟ ولم يستشهد من المسلمين إلا ثمانية أو اثنا عشر ؟ وهل برز هؤلاء أم قتلوا في حملة ؟

وأين كان خالد فلم يبرز ولم يأخذ الراية بعد شهادة القادة الثلاثة ، بل أخذها شخص ، ثم أخذها ثابت بن أقرم كما نصت الروايات ، ثم أخذها منه خالد ؟

ومتى كانت معركة السبعة أيام المزعومة ، وما هي أخبارها ؟

وأين الروايات عن قتال خالد والثلاثة آلاف مقاتل ، حتى كسر خالد تسعة سيوف كما زعم ، وكيف حول الهزيمة الى نصر ، فسماه النبي صلى الله عليه وآله سيف الله !

ولماذا لا نجد وصفاً لقتال خالد ولا غيره مع أي رومي قائد أو جندي ، اللهم إلا قتل رجل يمني مددي لجندي رومي غيلةً ! فغنم منه شيئاً فناصفه فيه خالد !

وما دام المسلمون انتصروا بقيادة خالد فأين الغنائم ، ولماذا لم يأخذوا حصن الكرك قرب مؤتة ، وهو مركز قيادة كبير للروم ؟

وإذا كانوا انتصروا ، فلماذا استقبلهم أهل المدينة يحثون في وجوههم التراب ويصيحون عليهم يا فرارين ! حتى استتر المعروفون منهم في بيوتهم فلم يخرجوا مدة خوفاً من توبيخ المسلمين ! حتى رفع عنهم النبي صلى الله عليه وآله الغمة ، وقال إنهم كرارون إن شاء الله ، فسكت المسلمون عنهم ، وتجرؤوا على الخروج !

بل الصورة الصحيحة لمعركة مؤتة: أنها كانت رسالة قوية من النبي صلى الله عليه وآله الى هرقل عندما كان يحضر لغزو النبي صلى الله عليه وآله ويستعد للسفر ماشياً الى بيت المقدس فكانت منطقة الشام والأردن وفلسطين في حالة استنفار.

وقد بالغ الرواة في عدد جيش الروم الذي واجه المسلمين في مؤتة فجعلوه مئة ألف من الروم ومئة ألف من عرب الشام ، مع أن جيش هرقل الذي غزا به المدائن عاصمة الفرس قبل سنة ، كان سبعين ألفاً !

أما جيش المسلمين الى مؤتة فكان خليطاً من مسلمين قدامى وجدد ومنهم خالد الذي أسلم قبل شهرين ، وكان قادته الثلاثة الذين عينهم النبي صلى الله عليه وآله (جعفر وزيد وابن رواحة) مؤمنين فرساناً شجعاناً لكن الباقين لم يكونوا بمستواهم أبداً !

ولذلك ترددوا عندما وصلوا الى أم القرى على بعد ٣٨٠كلم من المدينة ، أي أقل من نصف الطريق المقرر لهم قطعها الى مركز جيش هرقل في الكرك !

فقد خافوا لما سمعوا بأخبار استعداد المنطقة لزيارة هرقل للقدس ، وأنه عرف بحركتهم وحرك جيشه لمواجهتهم ، وطلبوا من قائدهم أن يراسل النبي صلى الله عليه وآله ليأمرهم بالرجوع الى المدينة أو يمدهم بجيش آخر ، لأنه لاطاقة لهم بجيش هرقل ! فشجعهم جعفر وزيد وابن رواحة ، فواصلوا السير الى معان واستراحوا فيها يومين ليعرفوا الجو ، فسمعوا بأخبار جيش الروم ، وأعادوا الكلام مع قائدهم ليراسل النبي صلى الله عليه وآله ، فشجعهم على السير فساروا ، حتى تفاجؤوا بمهاجمة الروم لهم قرب مؤتة ، فانحازوا الى مؤتة القريبة فتبعهم الروم ، فانهزم المسلمون أسوأ هزيمة ، وثبت القادة الثلاثة وقاتلوا حتى الشهادة وقتل معهم خمسة كانوا حولهم أو لحق بهم الروم وقتلوهم ، وفر الباقون بقيادة خالد ، حتى قال أحدهم إنه لم يَرَ في عمره أسوأ من تلك الهزيمة !

٩- القتال سبعة أيام في مؤتة.. كذبة من أجل خالد !

من تحريفاتهم المفضوحة روايتهم (الصحيحة الموثقة) أن المعركة استمرت سبعة أيام ، مع أنها كانت ليوم واحد وكان أبطالها القادة الثلاثة فقط وأولهم جعفر رضي الله عنه ! وبعد استشهادهم اضطرب جيش المسلمين ، فأخذ الراية ثابت بن أقرم وحاول أن يواصل المعركة ، فلم يطعه إلا قلة ، وأطاعوا خالد بن الوليد الذي انهزم بهم !» وانهزم المسلمون أسوأ هزيمة ، وأتبعهم المشركون

فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم يقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً فما يثوب إليه أحد» (الإمتاع: ١/٣٤٠).

«وفي حديث أبي عامر.. انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط ، حتى لم أر اثنين جميعاً » ! (سبل الهدى:٦/١٥٠).

ومع ذلك رووا بعين يابسة (سبل الهدى:٦/١٥٠):« وروى القرا ب في تاريخه عن برذع بن زيد قال: اقتتل المسلمون مع المشركين سبعة أيام . وروى الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ، وهذا الذي ذكره أبو عامر والزهري ، وعروة ، وابن عقبة ، وعطاف بن خالد ، وابن عائذ وغيرهم هو ظاهر قوله (ص) في حديث أنس: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه (!) وفي حديث أبي قتادة مرفوعاً كما سيأتي: ثم أخذ خالد بن الوليد اللواء ولم يكن من الأمراء ، هو أمَّرَ نفسه ، ثم رفع رسول الله (ص) إصبعه ثم قال: اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره. فمن يومئذ سمي خالد بن الوليد سيف الله ! رواه الإمام أحمد برجال ثقات. ويزيده قوة ويشهد له بالصحة ما رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والبرقاني...» . ثم ذكر الصالحي قصة المددي الذي كمن لجندي رومي فقتله ! فهذا كل ما رووه عن قتال السبعة أيام ، وجعلوا بطولات خالد فيها على لسان النبي صلى الله عليه وآله ، وكانت كل غنائمها غنيمة اليمني المددي من جندي رومي ، وقد أخذ خالد نصفها لأنه استكثرها على المددي !

ولعل أصل كذبة القتال بعد استشهاد القادة من خالد ، فقد رواها عنه بخاري (٨٧/٥) قال:« لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية» ! فزادوا عليها كذبة على النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يصف المعركة للمسلمين في المدينة وأخبرهم بشهادة جعفر وزيد وابن رواحة ، ثم قال لهم: وأخذ الراية خالد..والآن حمي الوطيس ! أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يده ! فرفع إصبعيه فقال: اللهم هو سيف من سيوفك ، فانتصر به فيومئذ سمي خالد سيف الله ! مع أنه لو استمرت المعركة سبعة أيام بين جيشين ، لنقل الرواة أخبارها يوماً فيوماً ، وأفاضوا في أحداثها وحملاتها ومبارزاتها وغنائمها !

وقد كتب صاحب الصحيح من السيرة أكثر من خمسين صفحة (٥٣/٢٠) ناقش فيها روايتهم ، ورد الأحاديث التي كذبوها على النبي صلى الله عليه وآله في مدح خالد وتسميته "سيف الله المسلول" وقال: الحقيقة هي: أن هذا اللقب من مختصات علي عليه السلام ، ولكنه سرق في جملة كثيرة من فضائله ومناقبه عليه السلام في غارات شعواء من الشانئين والحاقدين والمبطلين والمزورين للحقائق..

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: علي سيف الله يسله على الكفار والمنافقين . وفي الحديث القدسي المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في المعراج: وأيّدتك بعلي ، وهو سيف الله على أعدائي... وقال خالد بن سعيد بن العاص لعمر في أحداث غصب الخلافة: وفينا ذو الفقار وسيف الله وسيف رسوله. وفي زيارة أمير المؤمنين المروية عن الصادق عليه السلام: وسيف الله المسلول. وعن النبي صلى الله عليه وآله: هذا

علي بن أبي طالب ، هذا سيف الله المسلول على أعدائه. وعن جابر: علي سيف الله. وعن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله: فأنا رسول الله ، وعلي سيف الله. وعنه صلى الله عليه وآله في حديث له في حق علي: وسيف الله وسيفي. وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله: يا معاشر المسلمين ، هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه. ثم بين أن أبا بكر وعمر سميا خالداً: سيف الله !

ومن طريف ما رووه جواب ذلك المُرِّي الذي قيل له: « إن الناس يقولون إن خالداً انهزم من المشركين؟ فقال: والله ما كان ذلك ! لما قتل ابن رواحة نظرت إلى اللواء قد سقط واختلط المسلمون والمشركون فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً ، واتبعناه فكانت الهزيمة» ! (تاريخ دمشق: ٨٧/٦٨).

«وعن ابن كعب بن مالك قال: حدثني نفر من قومي حضروا يومئذٍ قالوا: لما أخذ خالد اللواء انكشف بالناس فكانت الهزيمة وقتل المسلمون واتبعهم المشركون ، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم ، يقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً، يصيح بأصحابه فما يثوب إليه أحد ، هي الهزيمة. ويتبعون صاحب الراية منهزماً ». (الصحيح: ٦٧/٢٠، عن تاريخ دمشق: ٣٣٧/٤٩ ، والواقدي: ٧٦٣/٢).

١٠- توبيخ المسلمين لخالد وجيش مؤتة

عندما رجع جيش مؤتة الى المدينة:« لقيهم الصبيان يشتدون... وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فُرَّار ، فررتم في سبيل الله !

عن عبد الله بن عمر قال: فحاص الناس وكنت فيمن حاص.. فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف؟ ثم قلنا: لو دخلنا المدينة قُتلنا ، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاختفينا ، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله فاعتذرنا إليه ، فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال: من القوم؟ قلنا: نحن الفَرارون. قال: بل أنتم الكرارون وأنا فئتكم.. فقبلنا يده..

ثعلبة بن أبي مالك يقول: انكشف خالد بن الوليد يومئذٍ حتى عيروا بالفرار وتشاءم الناس به. لقيهم أهل المدينة بالشر حتى أن الرجل لينصرف إلى بيته وأهله فيدق عليهم الباب فيأبون أن يفتحوا له ، يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟

كان في ذلك البعث سلمة بن هشام بن المغيرة ، فدخلت امرأته على أم سلمة زوج النبي (ص) فقالت أم سلمة: ما لي لا أرى سلمة بن هشام ، أشتكى شيئاً؟ قالت امرأته: لا والله ولكنه لايستطيع الخروج ! إذا خرج صاحوا به وبأصحابه: يا فُرَّار أفررتم في سبيل الله ، حتى قعد في البيت ! فذكرت ذلك أم سلمة لرسول الله فقال رسول الله (ص) بل هم الكرار في سبيل الله، فليخرج فخرج !

عن أبي هريرة قال: كنا نخرج ونسمع ما نكره من الناس ! لقد كان بيني وبين ابن عم لي كلام فقال: إلا فرارك يوم مؤتة ! فما دريت أي شئ أقوله له !

وعن الزهري: أن النبي صلى الله عليه وآله لما أخبر الناس بقتل القادة الثلاثة بكى أصحاب رسول الله وهم حوله فقال لهم: وما يبكيكم؟فقالوا: وما لنا لا نبكي ، وقد ذهب

خيارنا وأشرافنا ، وأهل الفضل منا؟! فقال لهم صلى الله عليه وآله: « لا تبكوا فإنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فأصلح رواكبها وبنى مساكنها وحلق سعفها ، فأطعمت عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً. فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأقومها شمراخاً ! والذي بعثني بالحق نبياً، ليجدن عيسى بن مريم في أمتي خلفاً من حواريه ». (أمالي الطوسي/٨٨).

وهذا إدانة للفارين ، وأن الله سيبعث أفواجاً خيراً منهم ، والفوج الأخير هو أنصار المهدي عليه السلام وهو خير من حواري عيسى عليه السلام ».(الصحيح من السيرة: ١٢٦/٢٠).

١١- رغم الهزيمة وصلت رسالة النبي صلى الله عليه وآله الى هرقل !

فهمَ هرقل غزوة مؤتة على أنها غارة نوعية من النبي صلى الله عليه وآله ، ومع أن المسلمين انهزموا ولم يثبت إلا قادتهم ، لكن هرقل أخذ ذلك بعين الإعتبار وهو يواصل الإعداد لحملته على المدينة ، فالمسلمون أكبر قوة في الجزيرة ، ويجب أن يحسب لها حسابها ، فقد انتصروا على قريش واليهود والعرب ، وهذه غاراتهم تصل الى تخوم اليمن والعراق والشام.

وبينما كان هرقل يواصل إعداده للحملة ، فتح الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله مكة ، ومات الحارث بن أبي شمر الذي هو ركن أساسي في حملة هرقل ، ولم يجدوا شخصاً بكفاءته يحكم الشام ، فنصب هرقل الأيهم شيخ غسان ملكاً على الشام وكان كبير السن ، ثم ملك ابنه جبلة (اليعقوبي: ٢٠٧/١) ولم يكن لهما

شجاعة الحارث ولا رغبته في غزو المدينة ، لذلك ركز هرقل خطته على الأكيدر ملك دومة الجندل وشيخ قبائل كندة ، وواصل العمل.

وقد كانت دعاية هرقل قوية حتى في المدينة ، فعندما تحدث عمر بن الخطاب عن غضب النبي صلى الله عليه وآله على نسائه واعتزاله لهن، قال إن ذلك كان أيام توقع وصول حملة الروم على المدينة ! قال كما في البخاري: ١٠٤/٣: «وكنا تحدثنا أن غسان تنعل النعال لغزونا ، فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال: أنائم هو؟ ففزعت فخرجت إليه وقال: حدث أمر عظيم ! قلت: ما هو أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم منه وأطول طلق رسول الله (ص) نساءه ! قال: قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون » !

وغزو غسان للمدينة هو غزوة هرقل التي ذكروا أنه أعد لها مئة ألف من مقاتلي عرب الشام ومن أطاع الأكيدر من كندة ، ليكونوا مقدمة للجيش الرومي المحترف بقيادة هرقل ، كما فعل في غزو فارس.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان تأتيه الأخبار عن صاحب دومة الجندل ، وكانت تلك النواحي مملكة عظيمة مما يلي الشام ، وكان يهدد رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يقصده ويقتل أصحابه ويبيد خضراءهم !

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله خائفين وجلين من قبله حتى كانوا يتناوبون على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم عشرون منهم ، كلما صاح صائح ظنوا أن قد طلع أوائل رجاله وأصحابه ! وأكثرَ المنافقون الأراجيف والأكاذيب وجعلوا يتخللون أصحاب

محمدﷺويقولون: إن أكيدر قد أعد لكم من الرجال كذا ومن الكراع كذا ومن المال كذا ، وقد نادى فيما يليه من ولايته: ألا قد أبحتكم النهب والغارة في المدينة ! ثم يوسوسون إلى ضعفاء المسلمين يقولون لهم: وأين يقع أصحاب محمد من أصحاب أكيدر؟ يوشك أن يقصد المدينة فيقتل رجالها ويسبي ذراريها ونساءها ! حتى آذى ذلك قلوب المؤمنين فشكوا إلى رسول الله ﷺما هم عليه من الجزع . ثم إن المنافقين اتفقوا وبايعوا لأبي عامر الراهب الذي سماه رسول اللهﷺ «الفاسق» وجعلوه أميراً عليهم وبخعوا له بالطاعة ». (تفسير الإمام العسكريعليه السلام/٤٨١).

وستأتي غزوة تبوك التي قادها النبيﷺبنفسه في السنة التالية ومراسلته لهرقل!

١٢- وصف النبيﷺالمعركة للمسلمين وصفاً حياً

كشف الله تعالى لنبيهﷺمعركة مؤتة وهو في المدينة فوصفها لأصحابه وصفاً حياً: ففي الكافي: ٣٧٦/٨ ، عن الإمام الصادقعليه السلامقال:« بينما رسول اللهﷺفي المسجد إذ خفض له كل رفيع ، ورفع له كل خفيض ، حتى نظر إلى جعفر يقاتل الكفار قال: فقتل ، فقال رسول اللهﷺ: قتل جعفر ! وأخذه المغص في بطنه ».

وفي مناقب آل أبي طالب:٩٤/١:«وكان يوماً جالساً بين أصحابه فقال: وقعت الواقعة ! أخذ الراية زيد بن حارثة فقتل ومضى شهيداً ، وقد أخذها بعده جعفر بن أبي طالب وتقدم فقتل ومضى شهيداً. ثم وقفﷺوقفة ، لأن عبد الله كان توقف عند أخذ الراية ، قال: ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم فقتل ومات شهيداً ، ثم قال: أخذ الراية خالد بن الوليد فكشف المسلمين عن العدو. ثم قام من وقته ودخل إلى بيت جعفر ونعاه إلى أهله».

هذا ولا تدل مبارزة زيد قبل جعفر ، أن زيداً كان القائد .

وفي الخرائج: ١٦٦/١: «قال جابر: فلما كان اليوم الذي وقعت فيه حربهم صلى النبي صلى الله عليه وآله بنا الغداة ، ثم صعد المنبر فقال: قد التقى إخوانكم مع المشركين للمحاربة ، فأقبل يحدثنا بكرات بعضهم على بعض ، إلى أن قال: قتل زيد وسقطت الراية. ثم قال: قد أخذها جعفر بن أبي طالب وتقدم للحرب بها.

ثم قال: قد قطعت يده وقد أخذ الراية بيده الأخرى ، ثم قال: وقطعت يده الأخرى وقد احتضن الراية في صدره .

ثم قال: قتل جعفر وسقطت الراية ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة وقد قتل من المشركين كذا ، وقتل من المسلمين فلان وفلان إلى أن ذكر جميع من قتل من المسلمين بأسمائهم. ثم قال: قتل عبد الله بن رواحة ، وأخذ الراية خالد بن الوليد وانصرف المسلمون .

ثم نزل عن المنبر وصار إلى دار جعفر ، فدعا عبد الله بن جعفر فأقعده في حجره وجعل يمسح على رأسه. فقالت والدته أسماء بنت عميس: يا رسول الله إنك لتمسح على رأسه كأنه يتيم. قال: قد استشهد جعفر في هذا اليوم ! ودمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: قطعت يداه قبل أن يستشهد ، وقد أبدله الله من يديه جناحين من زمرد أخضر ، فهو الآن يطير بهما في الجنة مع الملائكة كيف يشاء».

ونحوه في الثاقب في المناقب/١٠١ ، وفيه: «ثم ورد عليه ابن منيه فقال صلى الله عليه وآله: إن شئت أخبرتك وإن شئت أخبرني. فقال: بل أخبرني يا رسول الله فأخبره خبره كله قال: وإنك والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره. فقال صلى الله عليه وآله: إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معركتهم ».

وفي المحاسن: ٤٢٠/٢ ، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال:« سألت أبي عليه السلام عن المأتم فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله انتهى إليه قتل جعفر بن أبي طالب دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر فقال: أين بنيّ؟ فدعت بهم وهم ثلاثة: عبد الله وعون ومحمد فمسح رسول الله رؤوسهم فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام؟ فتعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من عقلها فقال: يا أسماء ألم تعلمي أن جعفراً استشهد؟ فبكت ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تبكي فإن جبرئيل عليه السلام أخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر ، فقالت: يا رسول الله لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر ، لا ينسى فضله ، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من عقلها ثم قال صلى الله عليه وآله: إبعثوا إلى أهل جعفر طعاماً ، فجرت السنة» . وفي الفقيه:١٧٧/١، أنه صلى الله عليه وآله حين جاءه خبر جعفر وزيد« كان إذا دخل بيته كثر بكاؤه عليهما جداً ويقول: كانا يحدثاني ويؤانساني فذهبا جميعاً».

راجع الملحق رقم (١٢) .

غزوة ذات السلاسل التي حذفوها من السيرة !

«ذات السلاسل» إسم لمنطقة في الحجاز على بعد خمس مراحل من المدينة ويعرف المكان باسم وادي الرمل، وباسم السلسلة ، وقيل سميت الغزوة بذات السلاسل ، لأنهم جاؤوا بالأسرى مربوطين ببعضهم كسلسلة.

وسببها كما ذكرت مصادرنا أن الله أخبر النبي صلى الله عليه وآله أن جمعاً من قبائل سليم كانوا يستعدون لغزو المدينة ، فأرسل سرية من بضع مئات بقيادة أبي بكر ، فرجع منهزماً ، ثم أرسل عمر فرجع منهزماً ، ثم أرسل عمرو بن العاص فرجع منهزماً. فأرسل علياً عليه السلام ومعه أبو بكر وعمر وخالد وابن العاص فسلك طريقاً بين الأودية ، وأغار صباحاً مبكراً على مركز تجمعهم فنزلت سورة: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا.. وهزمهم ، وأسر منهم وجاء بها مقرنين في الحبال كأنهم سلسلة.

ففي أمالي الطوسي/٤٠٧: «عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ؟ قال: وجَّه رسول الله عمر بن الخطاب في سرية فرجع منهزماً يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه ، فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: أنت صاحب القوم فتهيأ أنت ومن تريده من فرسان المهاجرين والأنصار. فوجهه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: أكمن النهار ، وسِرِ الليل ولا تفارقك العين. قال فانتهى علي الى ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله فسار إليهم فلما كان عند وجه الصبح أغار عليهم فأنزل الله على نبيه: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا.. إلى آخرها ».

وفي الإرشاد:١٦٢/١:«ثم كانت غزاة السلسلة وذلك أن (أعرابياً)جاء إلى النبي ﷺ فجثا بين يديه وقال له جئتك لأنصح لك.. قال: وما نصيحتك؟ قال: قوم من العرب قد اجتمعوا بوادي الرمل وعملوا على أن يبيتوك بالمدينة..».

وفي مناقب آل أبي طالب: ٣٢٨/٢: « السلاسل إسم ماء. أبو القاسم بن شبل الوكيل ، وأبو الفتح الحفار بإسنادهما عن الصادق عليه السلام ، ومقاتل والزجاج ووكيع والثوري والسدي وأبو صالح وابن عباس: أنه أنفذ النبي ﷺ أبا بكر في سبعمائة رجل ، فلما صار إلى الوادي وأراد الإنحدار فخرجوا إليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً ، فلما قدموا على النبي ﷺ بعث عمر فرجع منهزماً ، فقال عمرو بن العاص: إبعثني يا رسول الله فإن الحرب خدعة ولعلي أخدعهم .

فبعثه فرجع منهزماً ، وفي رواية أنه أنفذ خالداً فعاد كذلك ، فساء النبي ﷺ ذلك فدعا علياً عليه السلام وقال: أرسلته كراراً غير فرار ، فشيعه إلى مسجد الأحزاب ، فسار بالقوم متنكباً عن الطريق يسير بالليل ويكمن بالنهار ، ثم أخذ على محجة غامضة فسار بهم حتى استقبل الوادي من فمه ، ثم أمرهم أن يعكموا الخيل وأوقفهم في مكان وقال لاتبرحوا ، وانتبذ أمامهم وأقام ناحية منهم ، فقال خالد وفي رواية قال عمر: أنزلنا هذا الغلام في واد كثير الحيَّات والهوام والسباع ، إما سبع يأكلنا أو يأكل دوابنا ، وإما حية تعقرنا وتعقر دوابنا ، وإما يعلم بنا عدونا فيأتينا ويقتلنا ! فكلموه نعلو الوادي ، فكلمه أبو بكر فلم يجبه ، فكلمه عمر فلم

يجبه ، فقال عمرو بن العاص: إنه لاينبغي أن نضيع أنفسنا ! إنطلقوا بنا نعلو الوادي فأبى ذلك المسلمون !

ومن روايات أهل البيت عليهم السلام أنه أبت الأرض أن تحملهم ! (أي لم يستطيعوا المشي)! قالوا فلما أحس عليه السلام الفجر قال إركبوا بارك الله فيكم ، وطلع الجبل حتى إذا انحدر على القوم وأشرف عليهم قال لهم: أتركوا عكمة دوابكم ! قال فشمت الخيل ريح الإناث فصهلت ، فسمع القوم صهيل خيلهم فولوا هاربين .

وفي رواية مقاتل والزجاج أنه كبس القوم وهم غادون فقال: يا هؤلاء أنا رسول رسول الله إليكم أن تقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإلا ضربتكم بالسيف . فقالوا: إنصرف عنا كما انصرف الثلاثة فإنك لا تقاومنا !

فقال عليه السلام: إنني لا أنصرف أنا علي بن أبي طالب ، فاضطربوا وخرج إليه الأشداء السبعة وناصحوه وطلبوا الصلح فقال عليه السلام: إما الإسلام وإما المقاومة . فبرز إليه واحد بعد واحد ، وكان أشدهم آخرهم وهو سعد بن مالك العجلي وهو صاحب الحصن فقتلهم ، فانهزموا ودخل بعضهم في الحصن ، وبعضهم استأمنوا وبعضهم أسلموا ، وأتوه بمفاتيح الخزائن .

قالت أم سلمة: انتبه النبي صلى الله عليه وآله من القيلولة فقلت: الله جارك ما لك؟ فقال: أخبرني جبرئيل بالفتح ونزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا !

قال أبو منصور الكاتب:

أقسم بالعاديات ضبحا ... حقاً وبالموريات قدحا

وقال المدني:

وقولـه والعاديـات ضـبحا يعنـي عليـاً إذْ أغـار صُـبحا
علـى سـليم فشـنها كفحـا فـأكثر القتـل بهـا والجرحـا
وأنتـم في الفُـرش نائمونا !

فبشر النبي صلى الله عليه وآله أصحابه بذلك وأمرهم باستقباله والنبي يتقدمهم ، فلما رأى علي النبي صلى الله عليه وآله ترجل عن فرسه فقال النبي صلى الله عليه وآله: إركب فإن الله ورسوله عنك راضيان فبكى علي عليه السلام فرحاً ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا علي لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح.. الخبر. وقال العوني:

من ذا سـواه إذا تشـاجرت القنـا وأبـى الكمـاة الكـر والإقـداما
وتصلصلت حلق الحديد وأظهرت فرسـانها التصـحاج والإحجامـا
ورأيت من تحت العجـاج لنقعهـا فـوق المغـافر والوجـوه قتامـا
كشـف الإلـه بسـيفه وبرأيـه يظمى الجواد ويروى الصمصـاما
ووزيـره جبريـل يقحمـه الـوغى طوعـا وميكـال الـوغى اقحامـا

وقال الحميري:

وفي ذات السلاسل مـن سـليم غـداة أتـاهم المـوت المبيـر
وقد هزموا أبا حفـص وعمـراً وصـاحبه مـراراً فاسـتطيروا
وقد قتلوا مـن الأنصـار رهطـاً فحل النـذر أو وجبـت نـذور
أذادَ المـوت مشـيحة ضـخاماً جحاجحة يسد بهـا الثغـور ».

ورواه في الخرائج:١/١٦٧، وفيه:« وكان المشركون قد أقاموا رقباء على جبالهم ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة ، فيأخذون

حذرهم واستعدادهم ، فلما خرج علي ترك الجادة وأخذ بالسرية في الأودية بين الجبال. فلما رأى عمرو بن العاص قد فعل علي ذلك علم أنه سيظفر بهم فحسده ، فقال لأبي بكر وعمر ووجوه السرية: إن علياً رجل غِرٌّ لاخبرة له بهذه المسالك ، ونحن أعرف بها منه ، وهذا الطريق الذي توجه فيه كثير السباع ، وسيلقى الناس من معرتها أشد ما يحاذرونه من العدو ، فاسألوه أن يرجع عنه إلى الجادة !

فعرفوا أمير المؤمنين عليه السلام ذلك ، قال: من كان طائعاً لله ولرسوله منكم فليتبعني ومن أراد الخلاف على الله ورسوله فلينصرف عني. فسكتوا وساروا معه ، فكان يسير بهم بين الجبال بالليل ويكمن في الأودية بالنهار ، وصارت السباع التي فيها كالسنانير ، إلى أن كبس المشركين وهم غارُّونَ آمنون وقت الصبح ، فظفر بالرجال والذراري والأموال فحاز ذلك كله ، وشد الرجال في الحبال كالسلاسل فلذلك سميت غزاة ذات السلاسل.

فلما كانت الصبيحة التي أغار فيها أمير المؤمنين عليه السلام على العدو ومن المدينة إلى هناك خمس مراحل ، خرج النبي صلى الله عليه وآله وصلى بالناس الفجر وقرأ: وَالْعَادِيَاتِ.. في الركعة الأولى ، وقال: هذه سورة أنزلها الله عليَّ في هذا الوقت يخبرني فيها بإغارة علي على العدو ».

وسماها في الإرشاد: ١٦٥/١، غزاة السلسلة ، وقال:« فبشر النبي صلى الله عليه وآله أصحابه بالفتح وأمرهم أن يستقبلوا أمير المؤمنين عليه السلام فاستقبلوه والنبي صلى الله عليه وآله يقدمهم

فقاموا له صفين ، فلما بصر بالنبي ﷺ ترجل عن فرسه فقال له النبي ﷺ: إركب فإن الله ورسوله راضيان عنك ! فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً...

وقال في الإرشاد: ١١٣/١: غزوة وادي الرمل ، ويقال: إنها كانت تسمى بغزوة السلسلة وفيه/١١٦: «فقال النبي ﷺ لبعض من كان معه في الجيش: كيف رأيتم أميركم؟ قالوا: لم ننكر منه شيئاً إلا إنه لم يؤم بنا في صلاة إلا قرأ بنا فيها بقل هو الله أحد ! فقال النبي ﷺ سأسأله عن ذلك ، فلما جاءه قال له: لمَ لم تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة الإخلاص؟ فقال: يا رسول الله أحببتها. قال له النبي ﷺ: فإن الله قد أحبك كما أحببتها. ثم قال له: يا علي لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم ، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك » !

ورواها فرات في تفسيره/٥٩١ ، وفيه: « وما زال علي ليلته قائماً يصلي حتى إذا كان في السحر قال لهم: إركبوا بارك الله فيكم ، قال فركبوا واطلع الجبل حتى إذا انحدر على القوم فأشرف عليهم قال لهم: إنزعوا أكمة دوابكم ، قال فشمت الخيل ريح الإناث فصهلت ، فسمع الخيل صهيل خيولهم فولوا هاربين ! قال: فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم. قال فهبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا... فقال رسول الله ﷺ تخالط القوم ورب الكعبة ».

وفي تفسير فرات/٥٩١، «عن أبي ذر الغفاري وغيره... خرج معه النبي صلى الله عليه وآله يشيعه فكأني أنظر إليهم عند مسجد الأحزاب وعلي عليه السلام على فرس أشقر وهو يوصيه ثم ودعه... قال وسار علي فيمن معه متوجهاً نحو العراق وظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه حتى أتاهم من الوادي، ثم جعل يسير الليل ويكمن النهار... فقتل منهم مائة وعشرين رجلاً وكان رئيس القوم الحارث بن بشر، وسبى منهم مائة وعشرين ناهداً». وتفسير القمي: ٤٣٤/٢، وإعلام الورى: ٣٨٢/١، وسماها غزوة وادي الرمل. وكشف الغمة: ٢٣٠/١، وسماها غزاة السلسلة. وكذا العلامة في كشف اليقين/١٥١. وتأويل الآيات: ٨٣٩/٢، و٨٤٣، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام...

وروى في تفسير فرات/٥٩٩، رواية مفصلة في سبب نزول سورة العاديات، خلاصتها أن أهل وادي اليابس جمعوا اثني عشر ألفاً لغزو المدينة، فأرسل لهم النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر ثم عمر فانهزما، ثم أرسل علياً فهزمهم.

وتأويل الآيات: ٨٤٠/٢، بنحو رواية المناقب، وبرواية أخرى فيها: «وأمر عليهم أبا بكر فسار إليهم، فلقيهم قريباً من الحرة وكانت أرضهم أسنة كثيرة الحجارة والشجر ببطن الوادي والمنحدر إليهم صعب، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة.. فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله عقد لعمر بن الخطاب وبعثه، فكمن له بنو سليم بين الحجارة وتحت الشجر، فلما ذهب ليهبط خرجوا عليه ليلاً فهزموه حتى بلغ جنده سيف البحر فرجع عمر منهم منهزماً. فقام عمرو بن العاص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أنا لهم يا رسول الله إبعثني إليهم. فقال له: خذ في شأنك فخرج إليهم فهزموه وقتل من أصحابه ما شاء الله. قال: ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله

أياماً يدعو عليهم..قال أبو جعفر: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ شيع علياً عند مسجد الأحزاب وعلي على فرس أشقر مهلوب وهو يوصيه... فنزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا.. قال: فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: صبَّح عليٌّ والله جمع القوم ! ثم صلى وقرأ بها ، فلما كان اليوم الثالث قدم علي عليه السلام المدينة وقد قتل من القوم عشرين ومائة فارس ، وسبى عشرين ومائة ناهد ».

ملاحظات على تحريفهم ذات السلاسل

١- لم نجد في مصادر السلطة شيئاً عن سبب نزول سورة العاديات إلا قولهم: «بعث ﷺ خيلاً فأسهبت شهراً لم يأته منها خبر فنزلت: والعاديات ضبحاً » ! وهذا كل ما في الأمر ! (أسباب النزول للواحدي/ ٣٠٥، والفائق للزمخشري: ١٧٢/٢).

ولا تعجب فالمطلوب إخفاء بطولة علي عليه السلام وفرار الفارين !

بل لم يهدأ بالهم حتى جعلوا العاديات الأباعر وليس الخيل ! ثم رووا ذلك عن علي عليه السلام ! قال ابن حجر في فتح الباري: ٥٥٩/٨: « وعند البزار والحاكم من حديث ابن عباس قال بعث رسول الله (ص) خيلاً فلبثت شهراً لا يأتيه خبرها فنزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ، ضبحت بأرجلها ، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا: قدحت الحجارة فأورت بحوافرها. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا: صبحت القوم بغارة ، فأثَرْنَ به نَقْعاً: التراب. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا: صبحت القوم جميعاً. وفي إسناده ضعف ، وهو مخالف لما روى ابن مردويه بإسناد أحسن منه ! عن ابن عباس قال: سألني رجل عن

العاديات فقلت: الخيل ، قال فذهب إلى علي فسأله فأخبره بما قلت ، فدعاني فقال لي: إنما العاديات الإبل من عرفة إلى مزدلفة.. الخ.» !

وفي تفسير القرطبي: ١٥٥/٢٠، أن ابن عباس تاب رجع عن قوله بأنها الخيل الى قول علي عليه السلام بأنها الإبل ! وفرح ابن حجر فرح بذلك كبقية علماء السلطة ، لأنه يغطي غزوة ذات السلاسل ويجعل للإبل حوافر توري بها الصوان قدحاً !

٢- تقع ذات السلاسل من جهة مكة والبحر، وقد نصت رواياتها على أن مسافتها عن المدينة خمس مراحل أي خمسة أيام في المتوسط ، وأن علياً عليه السلام اتجه أولاً نحو العراق ليخدع جواسيس بني سُليم بأنه متجه الى العراق لا إليهم ، فهم إذن من الجهة المخالفة للعراق ، وهي جهة مكة واليمن.

وجاء في إحدى رواياتها: « فهزموه حتى بلغ جنده سيف البحر فرجع عمر منهم منهزماً» (تأويل الآيات: ٨٤٠/٢). وهذا يعني أنها في جهة البحر الأحمر ، وكأنها جبال رضوى التي هي منازل بني سليم (معجم البلدان: ١٨١/٣).

وقد سمتها بعض رواياتها غزوة بني سليم ، قال في كشف الغمة: ٢٣٢/١: « نزلت في حق علي عليه السلام وانتصاره على بني سليم .

أما ذا ت السلاسل الحكومية فهي بلاد بلي وعذرة ، التي تقع وراء وادي القرى أي في أرض الشام قريب تبوك ، وجعلها بعضهم في الكاظمة قرب البصرة. فهي من الجهة المخالفة جغرافياً ، وأبعد بضعفين عن ذات السلاسل الحقيقية.

٣- لايمكنك أن تفهم غزوة ذات السلاسل الحكومية ، فلا أسماء ولا قتال ! ورواياتها متهافتة في الهدف والنتيجة والأحداث ! تقول مرة إن النبي ﷺ بعث ابن العاص في مئتي فارس الى أخواله ، عشيرة أمه النابغة ، ليدعوهم الى الإسلام أو يقاتلهم ! وأن العدو كان قوياً فبعث ابن العاص الى النبي ﷺ يطلب مدداً فأمده بأبي عبيدة في ثلاث مئة فيهم أبو بكر وعمر !

وتقول إن الثلاثة اختلفوا مع ابن العاص لكنهم أطاعوه ، ثم لا تذكر أحداثاً مع عدو ولا معركة! ومع ذلك تقول إن ابن العاص دوخ القبائل ، ورجع !

٤- نلاحظ أن السياق النبوي والعملي لهذه الغزوة كسياق محاصرة حصن القموص في خيبر ، حيث عجز الصحابة عن فتحه ، فبعث النبي ﷺ علياً عليه السلام. وكذلك استقباله لعلي عليه السلام ومدحه له يشبه ما قاله في حقه بعد فتح خيبر. وهو يكشف عن خطورة تجمع بني سليم وهم قبيلة كبيرة ومعهم لفيف من غيرهم.

٥ - كان وقت هذه الغزوة معاهدة الحديبية وبعد مؤتة وتحشيد هرقل لغزو المدينة. وقد تكون قريش أو هرقل حرّكوهم وأمدوهم بالمال ليغزوا المدينة.

غزوة ذات السلاسل التي اخترعها رواة السلطة !

ذكروا أن النبي صلى الله عليه وآله أرسل ابن العاص في سرية الى بلاد بلي وعُذرة ، ليدعوهم الى الإسلام ، ولم يذكروا أنه وقع فيها قتال ولا كان فيها أسرى ولا غنائم ، لكن قالوا إن عمرو بن العاص جاب بلادهم ودوخهم !

قال ابن هشام:١٠٤٠/٤:« وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بلي وعذرة ، وكان من حديثه أن رسول الله (ص) بعثه يستنفر العرب إلى الشام.

وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلي ، فبعثه رسول الله اليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام ، يقال له السلسل وبذلك سميت تلك الغزوة ، غزوة ذات السلاسل ، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله (ص) يستمده ، فبعث إليه رسول الله أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر وقال لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا .

فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنما جئت مدداً لي، قال أبو عبيدة: لا ، ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً هيناً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو: بل أنت مدد لي فقال أبو عبيدة: يا عمرو ، إن رسول الله(ص)قال لي: لا تختلفا وإنك إن عصيتني أطعتك ، قال: فإني الأمير عليك وأنت مدد لي ، قال فدونك ، فصلى عمرو بالناس..».

ونحوه الطبري:٣١٥/٢ ، وذكر أن عدد سرية عمرو كان ثلاث مئة ، وقال: « ثم استمد رسول الله فأمده بأبي عبيدة بن الجراح على المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر في مائتين ، فكان جميعهم خمس مائة ».

أقول: لم يذكر ابن هشام ولا ابن إسحاق ولا الطبري نتيجة هذه الغزوة أو السرية والسبب: أنها مكذوبة ولا نتيجة ملموسة لحرب مكذوبة !

وتضحك من كلام ابن سعد في الطبقات:١٣١/٢، قال:«وكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وطأ بلاد بلي ودوخها ، حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلقين ، ولقي في آخر ذلك جمعاً فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا. ثم قفل»!

على أن مكان ذات السلاسل الحكومية يصعب تحديده ، فذات السلاسل منطقة قرب الكاظمة في الكويت ، كما في مكتبة الخرائط:

http: //sirah.al-islam.com/map-pic.asp?f=mapa٢٢

وهو أيضاً إسم منطقة بعد وادي القرى من جهة الشام ، بينها وبين المدينة عشرة أيام كما في (الطبقات: ١٣١/٢). ولعلها هي المقصودة بذات السلاسل في مصادر السيرة الحكومية ، وقد سميت بذلك لأن جبالها متموجة كالسلاسل .

وذكر رواة السلطة أنها كانت في الشتاء فأراد عمر أن يشعل ناراً فنهاه ابن العاص ، فكلمه أبو بكر وتصايحا فلم يقبل ، وقال من أشعل ناراً ألقيته فيها !

وهذا يؤيد أنها غير ذات السلاسل التي نزلت بشأنها سورة العاديات التي يبدو أنها كانت في الصيف ، وأثارت الخيل بحوافرها النقع أي الغبار .

وذكروا أن ابن العاص ذبح بعيراً لآخرين وسلخه وأخذ أجرته من لحمه ، فأطعمهم منه ، ولما عرف أبو بكر أنه أجرة ذبحه تقيأ ما أكله ، لأنه حرام !

ورووا فيها أن رجلاً إسمه رافع بن عمرو رافق أبا بكر فيها فقال له عظني ، فوعظه بما وعظه به النبي صلى الله عليه وآله أن يبتعد عن الإمارة ، ولا يتأمر على أحد كل عمره ! ولما سمع ذلك الرجل بأن أبا بكر صار خليفة جاء اليه وذكَّره بما قاله فقال له: أجبروني على الخلافة ، لأنهم خافوا على المسلمين الفرقة !

(تاريخ دمشق:١٨/١٠ وابن هشام:٤/١٠٤١)

حنين الجذع الذي كان يتكئ عليه النبي صلى الله عليه وآله ويخطب

في الكافي لأبي الصلاح الحلبي/٧٦: «وأما دلالة المعجزات الخارجة عن القرآن على نبوته صلى الله عليه وآله فهي انشقاق القمر ، ورجوع الشمس ، ونبوع الماء من أصابعه ، وحنين الجذع ، وتسبيح الحصى...فطريق العلم بها المشاهدة لمن حضره ، والنقل المتواتر لمن نأى عن داره ، وتأخر وجوده عن وجوده».

ونحوه الإقتصاد للشيخ الطوسي/١٨١، وفيه: «وليس يمكن أن يقال: هذه الأخبار آحاد لايُعَوَّل على مثلها ، لأن المسلمين تواتروها وأجمعوا على صحتها... وحنين الجذع لا يمكن أن يدعى كان لتجويف فيه دخله الريح ، لأن مثل ذلك لا يخفى ، وكان لا يستكن بمجئ النبي إليه ويحن إذا فارقه ».

وفي النكت الإعتقادية للمفيد/٣٦: «أما ظهور المعجز على يده ﷺ فأكثر من أن يحصى حتى ضبط المسلمون له ألف معجزة من جملتها: القرآن ، وانشقاق القمر وحنين الجذع ، ونبوع الماء من بين أصابعه..».

وفي المسلك في أصول الدين للمحقق الحلي/٣٠٤: «ومن معجزاته ﷺ ما اشتهر نقله واستفاض مثل حنين الجذع ، وانشقاق القمر ، وكلام الذراع ، وإنباع الماء من أنامله ، وإطعام الخلق الكثير من الزاد القليل ، وغير ذلك من المعجزات التي يقوم من مجموعها الجزم بظهور المعجز ».

وفي إعلام الورى : ٧٦/١:«كان في مسجده بالمدينة يستند إلى جذع فيخطب الناس فلما كثر الناس اتخذوا له منبراً ، فلما صعده حن الجذع حنين الناقة فقدت ولدها فنزل رسول الله ﷺ فضمه إليه ، فكان يئن أنين الصبي الذي يُسَكَّت ».

وفي مستدرك سفينة البحار: ٤٢/٢: «حنين الجذع لفراق رسول الله ﷺ وفيه قوله ﷺ: أسكن ، أسكن ، إن تشأ غرستك في الجنة فيأكل منك الصالحون ، وإن تشأ أعيدك كما كنت رطباً ، فاختار الآخرة على الدنيا. وذكر أن بني أمية قلعوه حين جددوا بناء المسجد فأخذه أبي بن كعب وكان عنده حتى بلى فأكلته الأرضة وعاد رفاتاً ».

وفي بحار الأنوار: ٣٢٦/١٧: « وأما حنين العود إلى رسول الله ﷺ فإن رسول الله كان يخطب بالمدينة إلى جذع نخلة في صحن مسجدها ، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله إن الناس قد كثروا وإنهم يحبون النظر إليك إذا خطبت ،

فلو أذنت أن نعمل لك منبراً له مراقي ترقاها فيراك الناس إذا خطبت ، فأذن في ذلك ، فلما كان يوم الجمعة مر بالجذع فتجاوزه إلى المنبر فصعده ، فلما استوى عليه حنَّ ذلك الجذع حنين الثكلى ، فارتفع بكاء الناس وحنينهم وأنينهم ، وارتفع حنين الجذع وأنينه في حنين الناس وأنينهم ارتفاعاً بيناً ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك نزل عن المنبر وأتى الجذع فاحتضنه ومسح عليه يده وقال: أسكن فما تجاوزك رسول الله تهاوناً بك ولا استخفافاً بحرمتك ، ولكن ليتم لعباد الله مصلحتهم ولك جلالك وفضلك ، إذ كنت مستند محمد رسول الله. فهدأ حنينه وأنينه وعاد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منبره ، ثم قال: معاشر المسلمين هذا الجذع يحن إلى رسول رب العالمين ويحزن لبعده عنه ، ففي عباد الله الظالمين أنفسهم من لا يبالي قرب من رسول الله أم بعد ! ولولا أني احتضنت هذا الجذع ومسحت يدي عليه ما هدأ حنينه إلى يوم القيامة ».

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام/١٨٨ ، حديث مفصل عن حنين الجذع والمؤمنين للنبي وأهل بيته الطاهرين صلى الله عليه وآله ، وقسوة قلوب الظالمين.

وقد روت أصله مصادر السلطة وذكرت أن ذلك كان في السنة الثامنة مثل: أسد الغابة: ٢٣/١ ، والإمتاع: ٥١/٥ ، والشفا: ٣٠٣/١ ، وصحيح ابن حبان: ٤٣٦/١٤ ، وكنز العمال: ٣٧١/١١.

○ ○

الفصل الثالث والخمسون

غزوة فتح مكة

١- قريش تنقض معاهدة الحديبية

كان أهم بنود معاهدة الحديبية بين النبي صلى الله عليه وآله وقريش: عدم الإعتداء. وعدم مساعدة أي معتدٍ على أحد الطرفين ، أو على حلفائه. وإعطاء الحرية لقبائل العرب أن تُحالف من أرادت ، قريشاً أو محمداً صلى الله عليه وآله.

« فلما كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت: نحن في عهد محمد رسول الله وعقده وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها». (القمي: ٢/٣١٠).

وبذلك جددت خزاعة وكنانة حلفين قديمين: حلف "لعقة الدم" بين أمية وحلفائهم من قريش وكنانة ، و"حلف المطيبين" بين عبد المطلب وحلفائه من قريش وخزاعة !

قال اليعقوبي:١/٢٤٨:« ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر ، طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزُّوا ، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب ، فمشت بنو عبد الدار إلى بني سهم فقالوا: إمنعونا من بني عبد مناف... فتطيب بنو عبد مناف ، وأسد ، وزهرة ، وبنو تيم ، وبنو الحارث بن فهر ، فسموا حلف المطيبين . فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرةً وقالوا: من أدخل يده في دمها ولعق منه فهو منا ! فأدخلت أيديها بنو سهم وبنو عبد الدار وبنو

جمح وبنو عدي وبنو مخزوم ، فسموا اللعقة. وكان تحالف المطيبين ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً. وقالت اللعقة: قد أعتدنا لكل قبيلةٍ قبيلة ».

وقال اليعقوبي: ٢/١٧: « حضر رسول الله حلف الفضول وقد جاوز العشرين ، وقال بعد ما بعثه الله: حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما يسرُّني به حمر النعم ، ولو دعيت إليه اليوم لأجبت... وصنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه... فتذممت قريش فقاموا فتحالفوا ألا يظلم غريب ولا غيره ، وأن يؤخذ للمظلوم من الظالم ، واجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي. وكانت الأحلاف هاشم ، وأسد ، وزهرة ، وتيم ، والحارث بن فهر ، فقالت قريش: هذا فضول من الحلف ، فسمي حلف الفضول ». انتهى.

وبعد توقيع معاهدة الحديبية جاءت خزاعة للنبي صلى الله عليه وآله بكتاب حلفها مع جده عبد المطلب رحمه الله فأكده.

ونصه كما في أنساب الأشراف للبلاذري/٤٦: « باسمك اللهم ، هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ، ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك ابني أفصى بن حارثة ، تحالفوا على التناصر والمؤاساة ما بلَّ بحر صوفة ، حلفاً جامعاً غير مفرق ، الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب. وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد ، لا ينقض ولا ينكث ، ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير ، وما قام الأخشبان ، وعمر بمكة إنسان ، حلف أبد لطول أمد ، يزيده طلوع الشمس شداً ، وظلام الليل سداً.

وإن عبد المطلب وولده ومن معهم دون سائر بني النضر بن كنانة ، ورجال خزاعة ، متكافئون متضافرون متعاونون. فعلى عبد المطلب النصرة لهم ممن تابعه على كل طالب وتر ، في بر أو بحر أو سهل أو وعر. وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب ، في شرق أو غرب ، أو حزن أو سهب. وجعلوا الله على ذلك كفيلا ، وكفى به حميلاً. هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة ، إذ قدم عليه سراتهم وأهل الرأي ، غائبهم مقر بما قضى عليهم شاهدهم ، أن بيننا وبينك عهود الله وعقوده ما لا ينسى أبداً ولا يأتي بلداً ، اليد واحدة ، والنصر واحد ما أشرف ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفه ، لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً أبداً أبد الدهر سرمد ».

جاءت به خزاعة للنبي صلى الله عليه وآله « فقرأه عليه أبي بن كعب فقال: ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف ، فكل حلف كان في الجاهلية ، فلا يزيده الإسلام إلا شدة ، ولاحلف في الإسلام ». (مكاتيب الرسول: ٣/٢٣٤).

وكانوا أخوال بني هاشم ، فأم وهب والد آمنة خزاعية ، وأم عبد مناف خزاعية وأم لؤي خزاعية . وكانوا يتعاطفون مع النبي صلى الله عليه وآله وينصحون له ويخبرونه أخبار قريش ، لأن فيهم من يسكن الحرم ، وعرفوا بأنهم:« عَيْبَة نصح رسول الله صلى الله عليه وآله ». (مكاتيب الرسول: ٣/١٣٣). وعيبة النصح تشبيه للمملوء نصحاً بصرة الثياب المملوءة .

أما كنانة فكانت مع مشركي قريش كخزاعة مع بني هاشم ، وكان بينها وبين خزاعة عداوة وثارات فقامت كنانة بعملية مباغتة تشبه المجزرة ، فهاجمت بيوت خزاعة

خارج الحرم وداخله وقتلت منهم أكثر من عشرين رجالاً ونساء وأطفالاً ، وساعدتها قريش بالسلاح وبمقاتلين ملثمين ، فنقضت بذلك معاهدة الحديبية ! وكانت الشرارة أن كنانياً هجا النبي صلى الله عليه وآله فضربه خزاعي. (إعلام الورى: ٢١٥/١).

وقِبلَ الجميع رواية الواقدي/٤٦٩ ، وخلاصتها:« أنس بن زنيم الديلي هجا رسول الله (ص) فسمعه غلامٌ من خزاعة فوقع به فشجه ، فخرج إلى قومه فأراهم شجته ، فثار الشر ، مع ما كان بينهم.. فلما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية ، تكلمت بنو نفاثة من بني بكر أشراف قريش.. أن يعينوا بالرجال والسلاح على عدوهم من خزاعة ، وذكروهم القتلى الذين أصابت خزاعة لهم.. فوجدوا القوم إلى ذلك سراعاً ، إلا أبا سفيان لم يشاور في ذلك ولم يعلم ، ويقال إنهم ذاكروه فأبى عليهم.. فأعانوهم بالسلاح والكراع والرجال ، ودسوا ذلك سراً لئلا تحذر خزاعة.. ثم اتعدت قريش الوتير موضعاً بمن معها ، فوافوا للميعاد ، فيهم رجالٌ من قريش من كبارهم متنكرون متنقبون: صفوان بن أمية ، ومكرز بن حفص بن الأخيف ، وحويطب بن عدب العزى ، وأجلبوا معهم أرقاءهم ورأس بني بكر نوفل بن معاوية الدؤلي ، فبيتوا خزاعة ليلاً وهم غارُّون آمنون من عدوهم ، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم فقالوا: يا نوفل إلهك إلهك ، قد دخلت الحرم ! قال: لا إله لي اليوم ! يا بني بكر ، قد كنتم تسرقون الحاج ، أفلا تدركون ثأركم من عدوكم ! فلما انتهت خزاعة إلى الحرم

دخلت دار بديل بن ورقاء ودار رافع الخزاعيين وانتهوا بهم في عماية الصبح ، ودخلت رؤساء قريش في منازلهم وهم يظنون ألا يعرفوا وألا يبلغ هذا محمداً !

وجاء الحارث بن هشام ، وابن أبي ربيعة ، إلى صفوان بن أمية ، وإلى سهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، فلاموهم فيما صنعوا من عونهم بني بكر وأن بينكم وبين محمد مدة وهذا نقضٌ لها ! ومشيا إلى أبي سفيان فقالا: والله لئن لم يصلح هذا الأمر لايروعكم إلا محمد في أصحابه ! فقال: لا والله ما شوورت ولا هويت حيث بلغني ! والله ليغزونا محمدٌ إن صدقني ظني وهو صادقي. وما لي بدٌّ أن آتي محمداً فأكلمه أن يزيد في الهدنة ويجدد العهد قبل أن يبلغه هذا الأمر. فقالت قريش: قد والله أصبت الرأي !

وندمت قريش على ما صنعت ، فخرج أبو سفيان وخرج معه مولىً له على راحلتين فأسرع السير وهو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله. وقدم ركب خزاعة على رسول الله (ص) فأخبره بمن قتل منهم ، قال رسول الله: فمن تُهمتكم وظِنَّتكم؟ قالوا: بنو بكر. قال: كلها؟ قالوا: لا ولكن تهمتنا بنو نفاثة قَصْرةً (كلهم) ورأس القوم نوفل بن معاوية النفاثي .

قال صلى الله عليه وآله: هذا بطنٌ من بني بكر ، وأنا باعثٌ إلى أهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر ومخيرهم في خصال. فبعث إليهم ضمرة يخيرهم بين إحدى ثلاث خلال: بين أن يَدُوا خزاعة ، أو يبرؤوا من حلف نفاثة ، أو ينبذ إليهم على سواء.

فقال قرطة بن عبد عمرو: لا والله لا يودون ، ولا نبرأ من حلف نفاثة بن الغوث وهم بناء وأعمدة لشدتنا ، ولكن ننبذ إليه على سواء ! فأخذ رسول الله (ص) بالأنقاب وعمَّى عليهم الأخبار ، حتى دخلها فجاءةً !

وقال رسول الله (ص): قد حرت في أمر خزاعة ! فقالت عائشة: يا رسول الله أترى قريشاً تجترئ على نقض العهد بينكم وبينهم ، وقد أفناهم السيف؟

فقال رسول الله(ص): ينقضون العهد لأمرٍ يريده الله تعالى بهم. قالت عائشة: خيرٌ أو شرٌّ يا رسول الله؟ قال: خيرٌ » !

وإذا صح قوله صلى الله عليه وآله «حِرْتُ في أمر خزاعة» فمعناه: همَّني ذلك ، وليس التحير في تفسيره أو فيما يعمل . ولعله صلى الله عليه وآله قاله ليحير قريشاً ، فلا تدري ماذا ينوي .

٢- خزاعة تطالب النبي صلى الله عليه وآله بنصرتها وفاءً بحلفها معه

قال في الصحيح من السيرة (٦٤/٢١) ملخصاً: « ذكر المؤرخون قدوم بديل بن ورقاء على رسول الله صلى الله عليه وآله ليخبره بالمجزرة التي ارتكبتها كنانة وقريش في بيته وعلى باب داره ، في حق رجال وصبيان ونساء ، وذكروا أيضاً لقاءه أبا سفيان في عسفان حين كان أبو سفيان متوجهاً إلى المدينة ، وبديل عائد منها.

وكانت مبادرة بديل بن ورقاء محاطة منه وممن معه بسرية تامة.. ولذلك لم يستطع أبو سفيان معرفة حقيقة الأمر ، فسكت عليه. كما قدم عمرو بن سالم

الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة يستنصرون رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبروه بالخبر، فلما فرغوا من قصتهم ، قام عمرو بن سالم ، فقال:

يــا رب إنــي نــاشدٌ محمــدا ... حِلْـفَ أبيــنا وأبــيه الأتلـدا
قد كنـتمُ ولــداً وكنــا والــدا ... ثُمَّتَ أسلمـنا فلم ننــزعْ يــدا
إن قريشــاً أخلفــوك الموعــدا ... ونقضــوا ميثاقَــك المؤكــدا
وزعموا أن لسـت أدعـو أحـدا ... .وهـــم أذلٌ وأقـــلٌ عـــددا
هـــم بيَّتونـــا بـــالوتير هُجَّـــدا ... وقتلونـــا رُكَّعـــاً وسُـــجَّدا
وجعلوا لــي فــي كـداء رصـدا ... فانصــر رســول الله نصــراً أيــدا
وادعُ عبـاد الله يأتـوا مــددا ... فــيهم رســول الله قــد تجــردا
إن سِـيمَ خســفاً وجهُــهُ تربَّـدا ... في فيلق كـالبحر يجـري مُزبـدا

قرمٌ لقــرم مــن قــروم أصيــدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسبك يا عمرو ، ودمعت عيناه . أو قال: نُصرت ياعمرو بن سالم . فلما فرغ الركب قالوا: يا رسول الله ، إن أنس بن زنيم الديلي قد هجاك فهدر رسول الله دمه ! فبلغ أنس بن زنيم ذلك ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله معتذراً عما بلغه فقال قصيدة منها: فما حملت من ناقة فوق رحلها أبرٌ وأوفى ذمة من محمد

وبلغت رسول الله قصيدته واعتذاره ، وكلم نوفل بن معاوية الديلي النبي صلى الله عليه وآله فيه فقال له: أنت أولى الناس بالعفو ، ومن منا لم يعادك ولم يؤذك ؟ ونحن في جاهلية لا ندري ما نأخذ وما ندع ، حتى هدانا الله بك من الهلكة ، وقد كذب عليه الركب وكثَّروا عندك ! فقال صلى الله عليه وآله: دع الركب فإنَّا لم نجد بتهامة أحداً من ذي رحم ولا بعيداً كان أبرَّ بنا من خزاعة ، فأسكت نوفل بن معاوية !

فلما سكت قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد عفوت عنه. فقال نوفل: فداك أبي وأمي.

وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعمرو بن سالم وأصحابه: إرجعوا وتفرقوا في الأودية، مخافة اكتشاف قريش لهم وانتقامها منهم، فرجعوا وتفرقوا، وذهبت فرقة إلى الساحل بعارض الطريق، ولزم بديل بن ورقاء في نفر من قومه الطريق».

٣- أحست قريش بجريمتها فحاولت أن تسترضي النبي صلى الله عليه وآله

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد:١٣٢/١« ولما دخل أبو سفيان المدينة لتجديد العهد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قريش، عندما كان من بني بكر في خزاعة وقتلهم من قتلوا منها، فقصد أبو سفيان ليتلافى الفارط من القوم، وقد خاف من نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله لهم، وأشفق مما حل بهم يوم الفتح، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وكلمه في ذلك فلم يردد عليه جواباً، فقام من عنده فلقيه أبو بكر فتشبث به وظن أنه يوصله إلى بغيته من النبي صلى الله عليه وآله فسأله كلامه له فقال: ما أنا بفاعل، لعلم أبي بكر بأن سؤاله في ذلك لا يغني شيئاً، فظن أبو سفيان بعمر بن الخطاب ما ظنه بأبي بكر فكلمه في ذلك فدفعه بغلظة وفظاظة كادت أن تفسد الرأي على النبي صلى الله عليه وآله.

فعدل إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له وعنده فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال له: يا علي، إنك أمسُّ القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة، وقد جئتك فلا أرجعن كما جئت خائباً! إشفع لي إلى رسول الله فيما قصدته.

فقال له: ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ! فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة ؑ فقال لها: يا بنت محمد ، هل لك أن تأمري ابنيك أن يجيرا بين الناس فيكونا سيدي العرب إلى آخر الدهر ؟

فقالت: ما بلغ بنياي أن يجيرا بين الناس ، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ.

فتحير أبو سفيان وسقط في يده ، ثم أقبل على أمير المؤمنين ؑ فقال: يا أبا الحسن ، أرى الأمور قد التبست عليَّ فانصح لي.

فقال له أمير المؤمنين: ما أرى شيئاً يغني عنك ، ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك.

قال: فترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال: لا والله لا أظن ، ولكني لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس ، إني قد أجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره فانطلق !

فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد علي شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم لقيت ابن الخطاب فوجدته فظاً غليظاً لا خير فيه ، ثم أتيت علياً فوجدته ألين القوم لي ، وقد أشار في بشئ فصنعته ، والله ما أدري يغني عني شيئاً أم لا ، فقالوا: بمَ أمرك ؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت.

فقالوا له: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويلك والله ما زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يغني عنك ؟ قال أبو سفيان: لا والله ما وجدت غير ذلك !

وكان الذي فعله أمير المؤمنين عليه السلام بأبي سفيان أصوب رأي لتمام أمر المسلمين وأصح تدبير ، وبه تم للنبي صلى الله عليه وآله في اليوم ما تم.

ألا ترى أنه عليه السلام صدق أبا سفيان عن الحال ، ثم لان له بعض اللين حتى خرج عن المدينة وهو يظن أنه على شئ ، فانقطع بخروجه على تلك الحال مواد كيده التي كان يتشعب بها الأمر على النبي صلى الله عليه وآله، وذلك أنه لو خرج آئساً حسب ما أيأسه الرجلان لتجدد للقوم من الرأي في حربه صلى الله عليه وآله والتحرز منه ما لم يخطر لهم ببال ، مع مجئ أبي سفيان إليهم بما جاء أو كان يقيم بالمدينة على التمحل لتمام مراده بالإستشفاع إلى النبي صلى الله عليه وآله فيتجدد بذلك أمر يصد النبي صلى الله عليه وآله عن قصد قريش ، أو يثبطه عنهم تثبيطاً يفوته معه المراد ، فكان التوفيق من الله تعالى مقارناً لرأي أمير المؤمنين عليه السلام فيما رآه من تدبير الأمر مع أبي سفيان ، حتى انتظم بذلك للنبي صلى الله عليه وآله من فتح مكة ما أراد ».

ونحوه في مغازي الواقدي/٤٧٥ ، وفيه:« فقام بين ظهري الناس فصاح: ألا إني قد أجرت بين الناس ولا أظن محمداً يخفرني! ثم دخل على النبي فقال: يا محمد ما أظن أن ترد جواري ! فقال النبي (ص): أنت تقول ذاك يا أبا سفيان. لم يزد على ذلك » !

يبقى سؤال: كيف دخل أبو سفيان الى المدينة ، وهو رأس الأحزاب وإمام أئمة الكفر ؟ والجواب: أن الهدنة كانت نوعاً من الأمان تسمح بالذهاب والمجئ بين المسلمين والقرشيين ، ولا بد أنه أرسل الى النبي صلى الله عليه وآله يستأذن في المجئ.

٤- النبي صلى الله عليه وآله يتجهز لغزو مكة ولا يعلن مقصده

قرر النبي صلى الله عليه وآله غزو مكة وفتحها ، وأراد أن يكون ذلك مفاجأةً لقريش ، ولذلك دعا الله تعالى: « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش ، حتى نَبْغَتَهَا في بلادها ». (مناقب آل أبي طالب: ١٧٧/١، وابن هشام: ٨٥٧/٤).

لكن كيف يمكن تجهيز جيش من ألوف والمسير به الى مكة بدون أن تشعر قريش؟ هنا كان الإعجاز ! مضافاً الى ما قام النبي صلى الله عليه وآله وهو ما يلي:

١- حرص أن لايقول كلاماً يفهم منه العفو عن قريش ، وفي نفس الوقت أن لا يصرح بأنه سوف يغزوهم بسبب نقضهم العهد !

٢- سكت صلى الله عليه وآله عن الأمر فترة: « مكث بعد خروج أبي سفيان ما شاء الله أن يمكث ثم قال لعائشة: جهزينا وأخفي أمرك ». (الصحيح من السيرة: ١٣٩/٢١).

٣- ثم أصدر أمره بالتجهز للغزو ولم يفصح الى أين: « وأمر رسول الله (ص) بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله (ص) فقال: أي بنية أأمركم رسول الله (ص) أن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهز ، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري ». (ابن هشام: ٨٥٧/٤).

٤- أرسل الى القبائل أن يوافوه الى المدينة في أول شهر رمضان للذهاب معه في غزوة ، ولم يخبرهم الى أين: « ودعا رئيس كل قوم ، فأمره أن يأتي قومه فيستنفرهم ». (إعلام الورى: ٢١٩/١).

٥- وأمر بضبط الخارج والداخل الى المدينة: « وضع حرساً على المدينة ، وكان على الحرس حارثة بن النعمان ». (إعلام الورى: ٢١٦/١).

ولكن ذلك لم يكن كافياً لقرب المدينة من مكة نسبياً ، وفعالية قريش ، وكثرة المنافقين والمرتبطين بها ، ولذلك احتاج الأمر الى تدخل جبرئيل عليه السلام.

٥- الوَحْيُ يكشف خيانة بعض الصحابة

روت مصادر السلطة أن أبا بكر حاول أن يعرف قصد النبي صلى الله عليه وآله، وهل يقصد غزو قريش أو غيرها ، وأنه سأل عائشة ، ثم سأل النبي صلى الله عليه وآله وألحَّ بالسؤال .

وذكر صاحب الصحيح (١٢٩/٢١) أنه عرف قصد النبي صلى الله عليه وآله وأفشى سره ، وأن عائشة أيضاً أفشت سره صلى الله عليه وآله: قال في: (١٤٠/٢١):« دخل أبو بكر على عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أمركن رسول الله بتجهيزه؟ قالت: نعم فتجهز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري. قال: ما هذا زمان غزو بني الأصفر، فأين يريد؟ قالت: لا علم لي. ودخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أردت سفراً؟ قال: نعم. قال: فأتجهز؟! قال: نعم. قال: فأين تريد يا رسول الله؟! قال: قريشاً وأخفِ ذلك يا أبا بكر. وفي رواية: أن أبا بكر قال: يا رسول الله ، أتريد أن تخرج مخرجاً؟! قال: نعم. قال: لعلك تريد بني الأصفر؟! قال: لا. قال: أفتريد أهل نجد ؟! قال: لا. قال: فلعلك تريد قريشاً ؟ قال: نعم. قال: يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة؟ قال: أولم يبلغك ما صنعوا ببني كعب يعني خزاعة ! قال: أوليس بيننا وبينهم مدة؟! قال: قال: إنهم غدروا ونقضوا العهد فأنا غازيهم. وقال لأبي بكر: إطوِ ما ذكرت لك. فظان يظن أن رسول الله صلى الله عليه وآله يريد الشام ، وظان يظن ثقيفاً ، وظان يظن هوازن ». وأقوى ما استدل به أن النبي صلى الله عليه وآله ناجى فاطمة عليها السلام فسألتها عائشة فأجابتها: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله. فهو تعريض بها بأنها تفشي سره !

لكن خيانة حاطب بن أبي بلتعة متفق عليها ، وأنه أرسل رسالة الى قريش يخبرهم !

ففي تفسير القمي: ٣٦١/٢: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ.. نزلت في حاطب بن أبي بلتعة ، ولفظ الآية عام ومعناها خاص وكان سبب ذلك أن حاطب بن أبي بلتعة كان قد أسلم وهاجر إلى المدينة ، وكان عياله بمكة ، وكانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله ﷺ فصاروا إلى عيال خاطب وسألوهم أن يكتبوا إلى حاطب يسألوه عن خبر رسول الله ﷺ وهل يريد أن يغزو مكة؟ فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك ، فكتب إليهم حاطب إن رسول الله يريد ذلك ، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمى صفية ، فوضعته في قرنها ومرَّت ، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، فبعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام والزبير بن العوام في طلبها فلحقوها ، فقال لها أمير المؤمنين: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي ! ففتشوها فلم يجدوا معها شيئاً ، فقال الزبير: ما نرى معها شيئاً ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما كذَبَنا رسول الله ﷺ ولا كذَبَ رسول الله ﷺ على جبرئيل ، ولا كذب جبرئيل على الله جل ثناؤه ! والله لتظهرن لي الكتاب أو لأوردن رأسك إلى رسول الله ﷺ ! فقالت: تنحيا حتى أخرجه فأخرجت الكتاب من قرنها ، فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا حاطب ما هذا ؟ فقال حاطب: والله يا رسول الله ما نافقت ولا غيرت ولا بدلت، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقاً ، ولكن أهلي وعيالي كتبوا إلى بحسن صنيع قريش إليهم ، فأحببت أن أجازي قريشاً بحسن معاشرتهم ! فأنزل الله جل ثناؤه على رسول الله ﷺ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ...الى آخر سورة الممتحنة .

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، فإن الله أمر نبيه والمؤمنين بالبراءة من قومهم ما داموا كفاراً ، فقال: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.. إلى قوله: وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قطع الله عز وجل ولاية المؤمنين منهم وأظهروا لهم العداوة فقال: عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ، فلما أسلم أهل مكة خالطهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وناكحوهم ».

وفي الإرشاد: ٥٦/١: «إن النبي صلى الله عليه وآله لما أراد فتح مكة سأل الله جل اسمه أن يعمي أخباره على قريش ليدخلها بغتة ، وكان قد بنى الأمر في مسيره إليها على الإستسرار بذلك ، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بعزيمة رسول الله صلى الله عليه وآله على فتحها ، وأعطى الكتاب امرأة سوداء كانت وردت المدينة تستميح بها الناس وتستبرهم ، وجعل لها جعلاً على أن توصله إلى قوم سماهم لها من أهل مكة ، وأمرها أن تأخذ على غير الطريق..الى أن قال: فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وصار به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر أن ينادي بالصلاة جامعة ، فنودي في الناس فاجتمعوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم ، ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر وأخذ الكتب بيده وقال: أيها الناس ، إني كنت سألت الله عز وجل أن يخفي أخبارنا عن قريش ، وإن رجلاً منكم كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا فليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي ! فلم يقم أحد فأعاد رسول الله صلى الله عليه وآله مقالته ثانية ، وقال: ليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي !

فقام حاطب بن أبي بلتعة وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف ، فقال: يا رسول الله أنا صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي ولا شكاً بعد يقيني. فقال له النبي ﷺ: فما الذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب؟ فقال: يا رسول الله إن لي أهلاً بمكة وليس لي بها عشيرة ، فأشفقت أن تكون الدائرة لهم علينا فيكون كتابي هذا كفاً لهم عن أهلي ويداً لي عندهم ، ولم أفعل ذلك لشك في الدين. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله مرني بقتله فإنه قد نافق !

فقال النبي ﷺ: إنه من أهل بدر ولعل الله تعالى اطلع عليهم فغفر لهم. أخرجوه من المسجد. قال: فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه ، وهو يلتفت إلى النبي ﷺ ليرق عليه ، فأمر النبي برده وقال له: قد عفوت عنك وعن جرمك ، فاستغفر ربك ولا تعد لمثل ما جنيت » !

وتفسير فرات/٤٧٩ ، عن ابن عباس وفيه:« فأخرجته من شعرها فخليا سبيلها ثم رجعا إلى النبي ﷺ فأعطياه الصحيفة فإذا فيها: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة: إن محمداً قد نفر فإني لا أدري إياكم أراد أو غيركم فعليكم بالحذر ! فأرسل رسول الله ﷺ إليه فأتاه فقال: تعرف هذا الكتاب يا حاطب؟ قال: نعم. قال: فما حملك عليه ؟ فقال: أما والذي أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ آمنت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكن لم يكن أحد من أصحابك إلا وإن بمكة الذي يمنع عشيرته ، فأحببت أن أتخذ عندهم يداً ، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه

ونقمته ، وأن كتابي لايغني عنهم شيئاً ! فصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وعذره فأنزل الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ..».

وفي المسترشد لمحمد بن جير ي الطبري الشيعي/٥٤٠ ، أن عمر قال للنبي صلى الله عليه وآله: «إئذن لي أضرب عنقه فإنه قد نافق ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أتريد يا عمر أن تقول العرب إن محمداً يقتل أصحابه » ؟!

أقول: تقدم أن ابن بلتعة كان مبعوث النبي صلى الله عليه وآله الى المقوقس ، وكان تاجراً له معرفة بمصر ، وكان يمانياً من لخم ، متحالفاً مع بني أسد عبد العزى القرشيين.

وفي المبسوط للطوسي: ٢/١٥: « وإذا تجسس مسلم لأهل الحرب ، وكتب إليهم فأطلعهم على أخبار المسلمين لم يحل بذلك قتله ، لأن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة كتاباً يخبرهم بخبر المسلمين ، فلم يستحل النبي قتله ، وللإمام أن يعفو عنه. وله أن يعزره لأن النبي صلى الله عليه وآله عفا عن حاطب ».

ورووا أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعمر:« وما يدرك يا عمر لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ، فقال إعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » ! (ابن هشام: ٤/٨٥٨).

ورووا أن غلام حاطب قال: ليدخلن حاطب النار ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: كذبت ، لايدخلها أبداً لأنه شهد بدراً والحديبية». (تفسيرالثعلبي: ٩/٢٩١).

لكنهم نقضوا ذلك فرووا في أصح كتبهم أن الصحابة يدخلون النار ولاينجو منهم إلا مثل همل النعم ! (البخاري:٧/٢٠٩) .

كما روت مصادرنا عن علي عليه السلام ذماً لابن بلتعة . (تأويل الآيات:٢/٦٥٤، والجمل للمفيد/٢٠٨).

وذكر الثعلبي في تفسيره: ٩/٢٩١، أن سارة السوداء التي حملت كتاب ابن بلتعة أتت النبي صلى الله عليه وآله وهو يتجهز لفتح مكة فسألها: أمسلمة جئت؟ قالت: لا ، قال: أمهاجرة

جئت؟ قالت: لا ، قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت مواليّ واحتجت حاجة شديدة ، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني ، فقال لها: فأين أنت من شباب مكة ، وكانت مغنية نائحة ! قالت: ما طلب مني شئ بعد وقعة بدر ! فحث رسول الله بني عبد المطلب وبني المطلب ، فكسوها وحملوها وأعطوها نفقة ».

٦- جاءت القبائل الى المدينة وتحرك النبي صلى الله عليه وآله الى مكة

خرج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة بالمسلمين ومن وصل اليه من القبائل ، ولم يعلن عن مقصده ، وسبب توافد القبائل الى النبي صلى الله عليه وآله أنهم أحسوا بعد انتصاراته صلى الله عليه وآله وصلح الحديبية أن ميزان القوة تحول الى جانبه ، فأخذوا يدخلون في الإسلام أو يتقربون اليه ، ويطمعون أن يشاركوه في حروبه لينالوا من الغنائم !

«ولما انتهى إلى قُدَيد قيل له: يا رسول الله هل لك في بيض النساء وأدم الإبل ، بني مدلج ؟ فقال صلى الله عليه وآله إن الله عز وجل حرَّمهن علي بصلة الرحم». (الصحيح: ٢٣٣/٢١).

أقول: بنو مدلج عند ينبع ، عشيرة من بني كنانة ، وكان النبي صلى الله عليه وآله غزاهم في ذات العشيرة ، وكتب معهم صلحاً أن يكونوا حياديين. وقد مدح نساءهم بصلة الرحم. وعرف بنو مدلج بأن فيهم خبراء في القيافة.

قال في الصحيح من السيرة (٢١٥/٢١) ملخصاً: « خرج النبي صلى الله عليه وآله في المهاجرين والأنصار وطوائف من العرب وقادوا الخيل وامتطوا الإبل ، وقدَّم أمامه جريدة

من الخيل الزبير بن العوام في مائة فارس.. ولما بلغ قديداً لقيته سُليم هناك فعقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل.

وقبل أن يصل النبي صلى الله عليه وآله الى مكة وجد عيناً لهوازن ، فاعترف أنهم يجمعون جيشاً لحربه ، فأمر بحبسه ، فظن الظانون أنه يقصد هوازن .

وجاءه عيينة بن حصن رئيس بني فزارة لأنه سمع وهو بنجد أن النبي صلى الله عليه وآله قاصد وجهاً وأن العرب تجتمع اليه ، فوصل اليه وهو في الطريق في القديد ، فسأله عن مقصده فأجابه: الى حيث يشاء الله !

وقالوا إن عدد جيش النبي صلى الله عليه وآله كان عشرة آلاف ، ونحو من أربع مائة فارس ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار أحد .

وقال بعضهم كانوا اثني عشر ألفاً المهاجرون سبع مائة ومعهم ثلاث مائة فرس والأنصار أربعة آلاف ومعهم خمس مائة فرس. وكانت مزينة ألفاً وفيها مائة فرس ومائة دارع. وكانت أسلم أربع مائة ومعها ثلاثون فرساً. وكانت جهينة ثمان مائة ومعها خمسون فرساً. وبني سليم سبع مائة وقيل ألف. وغفار أربع مائة وأسلم أربع مائة، وطوائف من العرب من بني تميم وقيس وأسد. (الصحيح: ٢١/٢٣٠).

وقد شكك صاحب الصحيح في هذه الأرقام ، بدليل جعلهم خيول المهاجرين أكثر ! قال: « ألا يشير ذلك إلى أن هذه كانت أرقاماً سياسية وليست واقعية؟! ».

أقول: تزايد عدد جيش النبي صلى الله عليه وآله بعد صلح الحديبية ، لأن قريشاً اعترفت فيه رسمياً بدولة النبي صلى الله عليه وآله وبأن قبائل العرب مخيرون بين التحالف معها أوالتحالف

مع النبي صلى الله عليه وآله ، فدخلت بعض القبائل في تحالف معه صلى الله عليه وآله ، ودخل بعضها في الإسلام. لكن عدد العشرة آلاف الذي ذكروه في جيش فتح مكة يبقى بعيداً ، ويظهر من القرائن المختلفة أن عدده كان بين خمسة وستة آلاف.

٧- فاجأ النبي صلى الله عليه وآله قريشاً وعسكر قرب مكة

عسكر النبي صلى الله عليه وآله بجيشه في «مَرّ الظهران» ، وهو قرب عرفات ، وكان ذلك مفاجأة لقريش ، فأسقط في يد زعمائها لأنهم لايريدون الخضوع له ، ولا طاقة لهم بحربه ! فسارع أبو سفيان بالذهاب الى النبي صلى الله عليه وآله ليتفاوض معه .

قال في إعلام الورى بأعلام الهدى: ٢١٨/١: « ثم سار صلى الله عليه وآله حتى نزل مرَّ الظهران ومعه نحو من عشرة آلاف رجل ونحو من أربعمائة فارس ، وقد عميت الأخبار من قريش ، فخرج في تلك الليالي أبو سفيان وحكيم في حزام وبديل بن ورقاء هل يسمعون خبراً ، وقد كان العباس بن عبد المطلب خرج يتلقى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أبو سفيان بن الحارث (ابن عم النبي صلى الله عليه وآله) وعبد الله بن أبي أمية (أخ أم سلمة) وقد تلقاه بنيق العقاب ، ورسول الله صلى الله عليه وآله في قبته وعلى حرسه يومئذ زياد بن أسيد ، فاستقبلهم زياد فقال: أما أنت يا أبا الفضل فامض إلى القبة ، وأما أنتما فارجعا.

فمضى العباس حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فسلم عليه وقال: بأبي أنت وأمي هذا ابن عمك قد جاء تائباً وابن عمتك. قال: لا حاجة لي فيهما إن ابن عمي انتهك عرضي ، وأما ابن عمتي فهو الذي يقول بمكة: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى

تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا. فلما خرج العباس كلمته أم سلمة وقالت: بأبي أنت وأمي ابن عمك قد جاء تائباً ، لايكون أشقى الناس بك ، وأخي ابن عمتك وصهرك فلا يكونن شقياً بك ! ونادى أبو سفيان بن الحارث النبي صلى الله عليه وآله: كن لنا كما قال العبد الصالح: لاتثريب عليكم ! فدعاه وقبل منه ، ودعا عبد الله بن أبي أمية ، فقبل منه .

وقال العباس: هو والله هلاك قريش إلى آخر الدهر إن دخلها رسول الله صلى الله عليه وآله عنوة قال: فركبت بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله البيضاء وخرجت أطلب الحطَّابة أو صاحب لبَن لعلي آمره أن يأتي قريشاً فيركبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يستأمنون إليه، إذ لقيت أبا سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام ، وأبو سفيان يقول لبديل: ما هذه النيران ؟ قال: هذه خزاعة. قال: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانهم ! ولكن لعل هذه تميم أو ربيعة ! قال العباس: فعرف صوت أبي سفيان ، فقلت: أبا حنظلة؟ قال: لبيك فمن أنت؟ قلت: أنا العباس ، قال: فما هذه النيران فداك أبي وأمي قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله في عشرة آلاف من المسلمين قال: فما الحيلة ؟ قال: تركب في عجز هذه البغلة ، فأستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فأردفته خلفي ثم جئت به ، فكلما انتهيت إلى نار قاموا إليَّ ، فإذا رأوني قالوا: هذا عم رسول الله خلوا سبيله ، حتى انتهيت إلى باب عمر فعرف أبا سفيان فقال: عدو الله الحمد الله الذي أمكن منك ، فركضت البغلة حتى اجتمعنا على باب القبة ، ودخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هذا أبو سفيان قد أمكنك الله

منه بغير عهد ولا عقد ، فدعني أضرب عنقه ! قال: العباس: فجلست عند رأس رسول الله ﷺ فقلت: بأبي أنت وأمي أبو سفيان قد أجرته. قال: أدخله فدخل فقام بين يديه فقال: ويحك يا أبا سفيان أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أكرمك وأوصلك وأحلمك ، أما الله لو كان معه إله لأغنى يوم بدر ويوم أحد ، وأما أنك رسول الله فوالله إن في نفسي منها لشيئاً ! قال العباس: يضرب والله عنقك الساعة أو تشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ! قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، تلجلج بها فوه !

فقال أبو سفيان للعباس: فما نصنع باللات والعزى؟ فقال له عمر: إسلح عليهما. فقال أبو سفيان: أفٍّ لك ما أفحشك ، ما يدخلك يا عمر في كلامي وكلام ابن عمي؟! فقال له رسول الله ﷺ: عند من تكون الليلة ؟ قال: عند أبي الفضل.

قال: فاذهب به يا أبا الفضل فأبته عندك الليلة ، واغد به علي.

فلما أصبح سمع بلالاً يؤذن قال: ما هذا المنادي يا أبا الفضل؟ قال: هذا مؤذن رسول الله ﷺ ، قم فتوضأ وصل ، قال: كيف أتوضأ؟ فعلمه. قال: ونظر أبو سفيان إلى النبي ﷺ وهو يتوضأ وأيدي المسلمين تحت شعره ، فليس قطرة تصيب رجلاً منهم إلا مسح بها وجهه فقال: بالله إن رأيت كاليوم قط كسرى ولا قيصر ! فلما صلى غدا به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحب أن تأذن لي بالذهاب إلى قومك فأنذرهم وأدعوهم إلى الله ورسوله ، فأذن له ، فقال العباس: كيف أقول لهم بين لي من ذلك أمراً يطمئنون إليه ؟ فقال ﷺ: تقول

لهم: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله وكف يده ، فهو آمن. ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه ، فهو آمن.

فقال العباس: يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فلو خصصته بمعروف ؟ فقال صلى الله عليه وآله: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قال أبو سفيان: داري؟! قال: دارك ! ثم قال: من أغلق بابه فهو آمن.

ولما مضى أبو سفيان قال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل من شأنه الغدر ، وقد رأى من المسلمين تفرقاً. قال: فأدركه واحبسه في مضايق الوادي حتى يمر به جنود الله. قال: فلحقه العباس فقال: أبا حنظلة ! قال: أغدراً يا بني هاشم؟ قال: ستعلم أن الغدر ليس من شأننا ، ولكن اصبر حتى تنظر إلى جنود الله.. ».

وفي الصحيح من السيرة: ١٧/٢٢، ملخصاً: « وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله منادياً ينادي: لتصبح كل قبيلة قد أرحلت ووقفت مع صاحبها عند رايته ، وتظهر ما معها من الأداة والعدة ! فأصبح الناس على ظهر وقدَّم بين يديه الكتائب.

ومرت القبائل على قادتها والكتائب على راياتها ، وكان أول من قدم خالد بن الوليد في بني سليم وهم ألف ومعهم لواءان وراية ، فلما مروا بأبي سفيان كبروا ثلاث تكبيرات ثم مضوا ! فقال أبو سفيان: يا عباس هذا رسول الله؟ قال: لا، ولكن هذا خالد بن الوليد في المقدمة. قال: الغلام؟قال: نعم. قال: ومن معه ؟ قال: بنو سليم. قال: ما لي وبني سليم !

ثم مر على أثره الزبير بن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب ومعه راية سوداء. فلما مروا بأبي سفيان كبروا ثلاثاً ! فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال: هذا الزبير بن العوام. قال: ابن أختك؟ قال: نعم.

ثم مرت بنو غفار في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً ! فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال: بنو غفار. قال: ما لي ولبني غفار ؟

ثم مرت أسلم في أربعمائة فيها لواءان ، فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: أسلم. قال: ما لي ولأسلم؟ ما كان بيننا وبينهم تِرَةٌ قط ! قال العباس: هم قوم مسلمون دخلوا في الإسلام. ثم مرت بنو كعب بن عمرو (من خزاعة) في خمسمائة يحمل رايتهم بسر بن سفيان ، فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: بنو عمرو بن كعب بن عمرو إخوة أسلم. قال: نعم هؤلاء حلفاء محمد !

ثم مرت مزينة في ألف فيها ثلاثة ألوية ومائة فرس ، قال: من هؤلاء؟ قال العباس: مزينة. قال: ما لي ولمزينة؟ قد جاءتني تقعقع من شواهقها !

ثم مرت جهينة في ثمانمائة فيها أربعة ألوية فقال: من هؤلاء؟ قال: جهينة. قال: ما لي ولجهينة؟ ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر في مائتين ، فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: بنو بكر. قال: نعم ، أهل شؤم والله ! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ! أما والله ما شُوورت فيهم ولا علمته ، ولكنه أمر حُتِم !

ثم مرت أشجع وهم آخر من مر ، وهم ثلاثمائة معهم لواءان ، قال العباس: هؤلاء أشجع. قال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ! ثم قال أبو

سفيان: أبعدُ ما مضى محمد؟ فقال العباس: لا، لم يمض بعد لو أتت الكتيبة التي فيها محمد رأيت فيها الحديد والخيل والرجال ، وما ليس لأحد به طاقة. قال: ومن له بهؤلاء طاقة؟

حتى طلعت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وآله الخضراء التي فيها المهاجرون والأنصار ، مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية ، وهم في الحديد لايرى منهم إلا الحدق ، وعمر بن الخطاب يقول: رويداً حتى يلحق أولكم آخركم. فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل من هذا المتكلم؟! قال: عمر بن الخطاب. فقال أبو سفيان: لقد أَمِرَ أَمْرُ بني عدي ، بعد والله ، قلة وذلة ! (يقصد مشى أمرهم وصار منهم شخص مذكوراً).

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله رايته سعد بن عبادة ، فلما مر براية رسول الله صلى الله عليه وآله نادى أبا سفيان فقال: اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحَل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشاً».

٨- أمر النبي صلى الله عليه وآله أبا سفيان أن يدخل الى مكة

« قال النبي صلى الله عليه وآله لأبي سفيان: تقدم إلى مكة فأعلمهم الأمان. قال العباس: فقلت لأبي سفيان: أنج ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله. فخرج أبو سفيان فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء ، فصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، أسلموا تسلموا ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: قاتلك الله ، وما تغني دارك؟! قال: ومن

أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة زوجته فأخذت بشاربه وقالت:أقتلوا الحميت الدسم الأحمس قُبِّح من طليعة قوم !

فقال أبو سفيان: ويلكم لاتغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ! وفي نص آخر: أن أبا سفيان أقبل يركض حتى دخل مكة وقد سطع الغبار من فوق الجبال ثم صاح: يا آل غالب ، البيوت البيوت. من دخل داري فهو آمن ، فعرفت هند فأخذت تطردهم. فقال لها: ويلك إني رأيت ذات القرون ورأيت فارس أبناء الكرام ورأيت ملوك كندة وفتيان حمير يسلمون آخر النهار ، ويلك أسكتي ، فقد والله جاء الحق ودنت البلية.

وجعل أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يصيحان: يا معشر قريش علامَ تقتلون أنفسكم ؟! من دخل داره فهو آمن ، ومن وضع السلاح فهو آمن ، فجعل الناس يقتحمون الدور ، ويغلقون عليهم ». (الصحيح: ٥٨/٢٢و٨٥).

٩- وزَّع النبي صلى الله عليه وآله جيشه ونصب خيمته عند قبر خديجة عليها السلام !

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله الزبير بن العوام أن يدخل من كداء من أعلى مكة ، وأن يغرز رايته بالحجون ، ولا يبرح حتى يأتيه.

وأمر خالداً وكان على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من العرب ، أن يدخل من الليط موضع بأسفل مكة ، وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت ، وبها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة ، والأحابيش الذين

استنفرتهم قريش. وأمر سعد بن عبادة أن يدخل من كداء والراية مع ابنه قيس. وأمرهم أن يكفوا أيديهم ، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم.

وأقبل صلى الله عليه وآله في كتيبته الخضراء ، وعليه عمامة سوداء وقد أرخى طرفها بين كتفيه وهو على ناقته القصواء ، فاستشرفه الناس فوضع رأسه على رحله متخشعاً وقد طأطأ رأسه تواضعاً لله تعالى ، وهو يقرأ سورة الفتح يرجع بها صوته ، ثم قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة. ومضى صلى الله عليه وآله فدخل من أذاخر بأعلى مكة يوم الإثنين وكان أبو رافع قد ضرب له قبة من أدم بالحجون ، فأقبل رسول الله حتى انتهى إلى القبة ، ومعه أم سلمة وميمونة زوجتاه.

وأقبل الزبير بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الحجون ، فغرز الراية عند منزل رسول الله صلى الله عليه وآله. ورووا أن لواء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم دخل مكة كان أبيض ، ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة مرط مرجل. وسأله أسامة: يا رسول الله أنَّى تنزل غداً ، تنزل في دارك ؟ قال: وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دار ؟! وقيل للنبي صلى الله عليه وآله: ألا تنزل منزلك من الشعب؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟ وكان عقيل قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: فانزل في بعض بيوت مكة غير منازلك ، فأبى وقال: لا أدخل البيوت ! وبقي في قبته بالحجون ، وكان يأتي المسجد لكل صلاة..

وقال جابر بن عبدالله: كنت ممن لزم رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت معه يوم الفتح ، فلما أشرف من أذاخر ورأى بيوت مكة وقف عليها ، فحمد الله وأثنى عليه. ونظر من موضع قبته فقال: هذا منزلنا يا جابر ، حيث تقاسمت قريش علينا في كفرها (يشير الى

الشعب) وكنا بالأبطح وِجَاهَ (مقابل) شعب أبي طالب ، حيث حصر رسول الله صلى الله عليه وآله وبنو هاشم ثلاث سنين ». (الصحيح: ٧٧/٢٢).

وقال الطبري(٣٤٢/٢):« أقام رسول الله (ص) بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة ».

١٠- قريش تسترحم النبي صلى الله عليه وآله بشعر ضرار بن الخطاب

خافت قريش من انتقام الأنصار منها، وكانت رايتهم كانت بيد سعد بن عبادة... فاستغاثت بالنبي صلى الله عليه وآله من سعد خشية أن يأخذ منهم ثار أحُد ، فطمأنهم النبي صلى الله عليه وآله لأنه قرر أن لايسفك دماً في الحرم ، إلا أربعة نفر هدر دمهم !

وفي الإرشاد: ١٣٤/١: « ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله سعد بن عبادة بدخول مكة بالراية ، غلظ على القوم وأظهر ما في نفسه من الحنق عليهم ، ودخل وهو يقول: اليوم يوم الملحمه اليوم تسبى الحرمة ، فسمعها العباس فقال للنبي صلى الله عليه وآله: أما تسمع يا رسول الله ما يقول سعد بن عبادة ؟ إني لا آمن أن يكون له في قريش صولة !

فقال النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام أدرك يا علي سعداً فخذ الراية منه ، وكن أنت الذي يدخل بها مكة ، فأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فأخذها منه ».

« فأخذ الراية فذهب بها إلى مكة ، حتى غرزها عند الركن. (الصحيح: ٢٦/٢٢).

وفي الإمتاع: ٣٨٦/٨، أن أبا سفيان شكى الى النبي صلى الله عليه وآله قول سعد فقال لـه: «يـا أبـا سفيان اليوم يوم المرحمة، اليوم يعز الله قريشاً، وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه ».

وقال ضرار بن الخطاب شاعر قريش أبياتاً يستعطف النبي صلى الله عليه وآله وأرسلوا امرأة فاعترضت طريقه وأنشدته إياها:

يا نبي الهدى إليك لجا حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إلهُ السماء
والتقت حلقتا البطان على القو م ونودوا بالصيلم الصلعاء
إن سعداً يريد قاصمة الظهـ ر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيـ ظ رماناً بالنسر والعواء
وَغِرُ الصدر لا يهمُّ بشيء غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت عنه هندٌ بالسوءة السواء
إذ ينادي بذل حي قريش وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حماة الأدبار أهل اللواء
ثم ثابت إليه من بهم الخز رج والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريشٌ فقعة القاع في أكف الإماء
فأنهينهُ فإنه أسد الأسـ د لدى الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يريد لنا الأمـ ر سكوتاً كالحية الصماء

١١- طاف النبي صلى الله عليه وآله بالبيت وحطّم الأصنام

دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بغير إحرام وعليه السلاح، ومكث في منزله ساعة من النهار حتى اطمأن الناس، فاغتسل ثم دعا براحلته القصواء فأُدنيت إلى باب قبته، وعاد فلبس السلاح والمغفر على رأسه، وركب راحلته وقد حفَّ الناس به والخيل تجول من الخندمة إلى الحجون.

فلما انتهى إلى الكعبة ومعه المسلمون ، تقدَّم على راحلته واستلم الركن بمحجنه (عصاه) وكبَّر ، فكبَّر المسلمون بتكبيره فارتجت مكة تكبيراً ، حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون !

وطاف رسول الله صلى الله عليه وآله بالبيت ، وأقبل على الحجر فاستلمه ، ونزل النبي صلى الله عليه وآله عن راحلته ، فأخرجوها وأناخوها بالوادي ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المقام فصلى ركعتين ، ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها فنزع له الحرث بن عبد المطلب دلواً فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله يصبونه على وجوههم ، والمشركون ينظرون إليهم ويتعجبون ويقولون: ما رأينا ملكاً قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به !

وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مرصعة بالرصاص ، لكل حي من أحياء العرب صنم ، وكان هبل أعظمها وهو وجاه الكعبة ، وإساف ونايلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كفاً من حصى فرماها وفي يده عود فجعل كلما مر بصنم منها يشير إليه ويطعن في عينه أو في بطنه ويقول: جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ، فما يشير إلى صنم إلا سقط لوجهه من غير أن يمسه ! فأمر بها فأخرجت من المسجد فطرحت فكسرت .

وعن علي عليه السلام قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى بي الكعبة ، فقال: أجلس فجلست بجنب الكعبة فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله على منكبي فقال: إنهض فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال: أجلس فجلست ثم قال: يا علي ، إصعد على منكبي

ففعلت ، فلما نهض بي خيّل إلي لو شئت نلت أفق السماء ! فصعدت فوق الكعبة وتنحى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ألق صنمهم الأكبر ، فألقى الأصنام ولم يبق إلا صنم خزاعة وكان من نحاس موتد بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: عالجه: جَاء الحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً. فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت. ثم إن علياً عليه السلام أراد أن ينزل فألقى نفسه من صوب الميزاب ، تأدباً وشفقة على النبي صلى الله عليه وآله، ولما وقع على الأرض تبسم فسأله النبي صلى الله عليه وآله عن تبسمه؟ فقال لأني ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع وما أصابني ألم. قال: كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وأنزلك جبريل؟! وقال بعض الشعراء وقد نسبه القندوزي الى الإمام الشافعي ونسبه عطاء الله في الأربعين إلى حسان بن ثابت:

قيل لي قل في عليٍّ مدحاً ... ذكره يخمد ناراً مؤصده
قلت لا أقدم في مدح امرئ ... ضل ذو اللب إلى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحسَّ القلب أن قد برده
وعلي واضع أقدامه ... في محل وضع الله يده

وأمر بهبل فكسر وهو واقف عليه ، فقال الزبير بن العوام لأبي سفيان بن حرب: يا أبا سفيان قد كسر هبل ، أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور ، حين تزعم أنه أنعم. فقال أبو سفيان: دع عنك هذا يابن العوام ، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان» ! (الصحيح: ٢٢/١٩٠).

ودخل ﷺ الكعبة ومعه أسامة وبلال وعثمان بن طلحة والفضل بن عباس، وكبر في زواياها وأرجائها وحمد الله تعالى ، وروي أنه صلى ركعتين. (الصحيح: ٢٣٥/٢٢).

١٢- جبرئيل يفضح زعماء قريش

عن سعيد بن المسيب قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند: أترين هذا من الله؟ قالت: نعم ، هذا من الله. قال: ثم أصبح فغدا أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: قلت لهند: أترين هذا من الله؟! قالت: نعم هذا من الله .

فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذي يُحلَف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس إلا الله عز وجل وهند !

فقال أبو سفيان في نفسه: أفشت عليَّ هند سري لأفعلن بها ولأفعلن ! فلما فرغ رسول الله ﷺ من طوافه لحق بأبي سفيان فقال: يا أبا سفيان ، لا تكلم هنداً فإنها لم تفش من سرك شيئاً. فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله ﷺ !

ورأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطأون عقبه ، فقال في نفسه: لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعاً ؟

فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدره فقال: إذن يخزيك الله ! فقال: أتوب إلى الله تعالى وأستغفر الله مما تفوهت به ، ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة ، إني كنت لأحدث نفسي بذلك !

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو سفيان جالس في المسجد ، فقال أبو سفيان في نفسه: ما أدري بما يغلبنا محمد؟ فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله فضرب صدره وقال: بالله تعالى نغلبك ! فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله ! (الصحيح: ٣٢١/٢٢).

وزعم فضالة بن عمير أنه أراد اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وهو يطوف فعرف ذلك النبي صلى الله عليه وآله ووضع يده على صدر فضالة فتاب وأسلم . قال: «والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق شئ أحب إليَّ منه» ! (الصحيح: ١٩٠/٢٢).

وأمر النبي صلى الله عليه وآله بلالاً وقت الظهر أن يصعد على سطح الكعبة ويطلق الأذان ، فتنغص عيش أبي سفيان ورفقاؤه الذين (أسلموا) ! « فقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع بهذا اليوم ! وكان أسيد مات قبل الفتح بيوم !

وقال الحارث بن هشام: واثكلاه ليتني متُّ قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة!

وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله الحدث الجلل أن يصبح عبد بني جمح ينهق على بُنَيَّة (بناءالكعبة) أبي طلحة !

وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره الله ! وقال أبو سفيان بن حرب: أما أنا فلا أقول شيئاً ، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصاة ! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره خبرهم ، فأقبل حتى وقف عليهم فقال: أما أنت يا فلان فقلت كذا ، وأما أنت يا فلان فقلت كذا ، وأما أنت يا فلان فقلت كذا ! فقال أبو سفيان:أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئاً ! فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله»! (أخبار مكة للأزرقي: ١٤٢/١).

وفي أسباب النزول للواحدي/٢٦٤:«وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء » ! وفي تاريخ أبي الفداء:١٨١/١:« فقالت بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة » !

١٣- خطبة النبي ﷺ في فتح مكة وإعلانه العفو عن الطلقاء

في الكافي:٤/٢٢٥ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « لما قدم رسول الله ﷺ مكة يوم افتتحها ، فتح باب الكعبة فأمر بصور في الكعبة فطمست ، فأخذ بعضادتي الباب فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده. ماذا تقولون وماذا تظنون ؟ قالوا: نظن خيراً و نقول خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت ! قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، ألا إن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة ، لا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد. فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه للقبر والبيوت؟ فقال رسول الله ﷺ إلا الإذخر».

ويظهر أن النبي ﷺ أمر بإحضار فراعنة قريش وشخصياتها الى المسجد ، قال في إعلام الورى:١/٢٢٥ ، ومجمع البيان:١٠/٤٧٢:« ودخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أن السيف لايرفع عنهم ، فأتى رسول الله ﷺ البيت وأخذ بعضادتي الباب ثم قال: لا إله إلا الله أنجز وعده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده...

ألا إن كل دم ومال ومأثرة كان في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي ، إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما ، ألا إن مكة محرمة بتحريم الله ، لم تحل لأحد كان قبلي ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، فهي محرمة إلى أن تقوم الساعة... ثم قال: ألا لبئس جيران النبي كنتم ، لقد كذبتم

وطردتم ، وأخرجتم وفللتم ، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني ، فاذهبوا فأنتم الطلقاء .

فخرج القوم كأنما أنشروا من القبور ، ودخلوا في الإسلام ، وكان الله سبحانه أمكنه من رقابهم عنوة فكانوا له فيئاً ، فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء !

قال: ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بغير إحرام وعليهم السلاح ، ودخل البيت لم يدخله في حج ولا عمرة ، ودخل وقت الظهر فأمر بلال فصعد على الكعبة وأذَّن فقال عكرمة: والله إن كنت لأكره أن أسمع صوت ابن رباح ينهق على الكعبة ! وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أكرم أبا عتَّاب من هذا اليوم من أن يرى ابن رباح قائماً على الكعبة ! وقال سهيل: هي كعبة الله وهو يرى ولو شاء لغير ! قال: وكان أقصدهم ! وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئاً والله لو نطقت لظننت أن هذه الجدر تخبر به محمداً !

وبعث صلى الله عليه وآله إليهم فأخبرهم بما قالوا ، فقال عتَّاب: قد والله قلنا يا رسول الله ذلك فنستغفر الله ونتوب إليه ، فأسلم وحسن إسلامه وولاه رسول الله مكة .

وكان فتح مكة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر دخلوا من أسفل مكة وأخطأوا الطريق فقتلوا ».

وفي رواية مجمع البيان: « وجاء ابن الزبعرى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلم ، وقال:

يا رسول الإله إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بورُ
إذ أباري الشيطان في سنن الغي ... ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام لربي ... ثم نفسي الشهيد أنت النذير».

١٤- الذين هدر النبي صلى الله عليه وآله دمهم

عدهم صاحب الصحيح من السيرة (٩/٢٣) اثنين وعشرين شخصاً ، ثم بحث أسباب هدر النبي صلى الله عليه وآله لدمائهم وتشديده على قتلهم حتى لو تعلق أحدهم بأستار الكعبة ! وهذه خلاصة كلامه:

«يتساءل البعض عن التوفيق بين احترام الكعبة وتعظيمها واعتبار مكة بلداً آمناً، وبين أمره صلى الله عليه وآله بقتل أفراد هذه الجماعة حتى لو كانوا متعلقين بأستار الكعبة !

والجواب: أن الأمر بقتل هؤلاء الناس هو من مفردات تعظيم الكعبة وحفظ حرمة الحرم ، لأنهم بشركهم وبصدهم عن سبيل الله وسعيهم في الأرض فساداً ، وجدهم واجتهادهم لإبطال دين الله ، وقتل الأنبياء والمؤمنين من أجل نصرة الباطل ، وتقويض صرح الحق ، ومحاربتهم لله تعالى ، يمثلون الرجس والإثم والقاذورات التي لا بد من تطهير بيت الله وحرمه منها ، فقتلهم حتى لو كانوامتعلقين بأستار الكعبة تكريم للكعبة وتكريس لمعنى الطهر والقداسة فيها.

١ - عكرمة بن أبي جهل: كان هو وأبوه أشد الناس أذية للنبي صلى الله عليه وآله والمسلمين. ولما بلغه أن النبي صلى الله عليه وآله أهدر دمه فرّ إلى اليمن فقالت امرأته أم حكيم لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله قد ذهب عكرمة عنك إلى اليمن وخاف أن تقتله ، فأمِّنه يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو آمن. فخرجت في طلبه ومعها غلام لها رومي فراودها عن نفسها ، فجعلت تمنِّيه حتى قدمت به على حي من عك فاستعانتهم عليه فأوثقوه رباطاً ، وأدركت عكرمة وقد انتهى إلى البحر فركب

سفينة وجعلت تليح إليه وتقول: يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس وأوصل الناس وخير الناس ، لا تهلك نفسك. فرجع وأسلم.

وزعموا: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً. مع أنهم رووا أنه لا هجرة بعد الفتح ! وزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تسبوا أبا جهل ، ولا يصح ذلك. وقد عظموا عكرمة حتى ادَّعوا أنه صلى الله عليه وآله رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عذقاً فأعجبه وقال: لمن هذا؟ فقيل: لأبي جهل ! وأنه حين أسلم قام إليه النبي صلى الله عليه وآله واعتنقه ، وقال: مرحباً بالراكب المهاجر.

وكان عكرمة من المحرضين على حرب أحُد ، وكان على ميسرة المشركين وخالد بن الوليد على ميمنتهم ، وقد عبر الخندق يوم الأحزاب مع عمرو بن عبد ود ، وضرار بن الخطاب الفهري ، وهبيرة بن أبي وهب ، ونوفل بن عبد الله. وفي بدر قتل من المسلمين رافع بن المعلى الزرقي ، وضرب معاذ بن عمرو بن الجموح على عاتقه فطرح يده حين رآه قتل أباه أبا جهل.

وكان من المناوئين لأمير المؤمنين عليه السلام ، ولعل هذا هو السبب في إغداقهم الأوسمة عليه ونسج الكرامات له.

٢- صفوان بن أمية: هرب مع عبد له ، اسمه يسار إلى جدة ليذهب الى اليمن فقال عمير بن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومي وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر، فأمنه صلى الله عليك. قال: هو آمن. فقال: أعطني آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ، فخرج عمير حتى

أدركه فقال: يا أبا وهب جعلت فداك ، جئت من عند أبر الناس، وأوصل الناس، فداك أبي وأمي ، الله الله في نفسك أن تهلكها ، هذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به. قال: ويحك ، أغرب عني فلا تكلمني ، إني أخافه على نفسي ! قال: هو أحلم من ذلك وأكرم. قال: ولا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها..

فرجع معه صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي بالمسلمين العصر في المسجد ، فلما سلم رسول الله ﷺ صاح صفوان: يا محمد إن عمير بن وهب جاءني ببردك ، وزعم: أنك دعوتني إلى القدوم عليك ، فإن رضيت أمراً وإلا سيَّرتني شهرين. فقال: إنزل أبا وهب. قال: لا والله حتى تبين لي. قال: بل لك تسيير أربعة أشهر. فنزل صفوان. ولما خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن أرسل إليه يستعير سلاحه ، فأعاره سلاحه مائة درع بأداتها ، فقال: طوعاً أو كرهاً ؟. قال ﷺ: عارية مؤداة ، فأعاره فأمره رسول الله ﷺ فحملها إلى حنين ، فشهد حنيناً والطائف ، ثم رجع ﷺ إلى الجعرانة ، فبينا رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها ، وفرق غنائمها فرأى رسول الله ﷺ صفوان ينظر إلى شعب ملآن نعماً وشاء ورعاء ، فأدام النظر إليه ، ورسول الله ﷺ يرمقه ، فقال: يا أبا وهب يعجبك هذا الشعب؟ قال: نعم. قال: هو لك وما فيه. فقبض صفوان ما في الشعب ، وقال عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي ، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وأسلم مكانه ! ومع هذاتجدهم يعظمون أمثال صفوان ويعتقدون عدالته وإخلاصه ! فما أعجب أمرهم !

وصفوان هذا هو الذي أخرج خمس مائة دينار ليجهز بها جيش المشركين إلى بدر ، وهو الذي ضمن لعمير بن وهب قضاء دينه وأن يضم عياله إلى عياله على أن يقتل محمداً صلى الله عليه وآله ! وجهزه وأرسله إلى المدينة !

ويروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «جرت في صفوان بن أمية الجمحي ثلاث من السنن: استعار منه رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين درعاً حطمية ، فقال: أغصباً يا محمد؟ قال: بل عارية مؤداة. فقال: يا رسول الله إقبل هجرتي. فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا هجرة بعد الفتح. وكان راقداً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وتحت رأسه رداؤه ، فخرج يبول فجاء وقد سرق رداؤه فقال: من ذهب بردائي؟ وخرج في طلبه فوجده في يد رجل فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فقال: إقطعوا يده ، فقال: أتقطع يده من أجل ردائي يا رسول الله فأنا أهبه له ، فقال صلى الله عليه وآله: ألا كان هذا قبل أن تأتيني به فقطعت يده ! وعاش صفوان أكثر من ثلاثين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم نسمع عنه أنه نصر حقاً أو اعترض على باطل !(يفهم منه أن للمسروق منه العفو عن حد السارق).

٣ - عبد العزى بن خطل: أهدر النبي صلى الله عليه وآله دمه وكان اسمه عبد العزى وكان أسلم فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله وهاجر إلى المدينة ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله ساعياً وبعث معه رجلاً وكان يصنع له طعامه ويخدمه ، فأمره أن يصنع له طعاماً ونام نصف النهار واستيقظ والخزاعي نائم ولم يصنع له شيئاً ، فعدى عليه فضربه فقتله وارتد عن الإسلام ، وساق ما أخذ من الصدقة وهرب إلى مكة ، وقال: لم أجد ديناً خيراً من دينكم !

وكان يقول الشعر يهجو به رسول اللهﷺ. وكانت له قينتان فاسقتان يأمرهما أن تغنيا بهجاء رسول اللهﷺ. ولما دخل رسول اللهﷺ إلى ذي طوى أقبل ابن خطل من أعلى مكة مدججاً بالحديد على فرس وبيده قناة ، فمر ببنات سعيد بن العاص فقال لهن: أما والله لا يدخلها محمد حتى ترين ضرباً كأفواه المزاد.

ثم رأى خيل الله فدخله رعب فنزل عن فرسه وطرح سلاحه وأتى البيت فدخل تحت أستاره. فقال رسول اللهﷺ: أقتلوه ، إن الكعبة لا تعيذ عاصياً ، ولا تمنع من إقامة حد واجب ، فقتله سعيد بن حريث وأبو برزة.

٤ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح: وإنما أمر بقتله لأنه كان أسلم قبل الفتح، وكان يكتب لرسول اللهﷺ الوحي وكان إذا أملى عليه: سميعاً بصيراً ، كتب عليماً حكيماً ! وإذا أملى عليه: عليماً حكيماً كتب غفوراً رحيماً ! وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتى صدر عنه أنه قال: إن محمداً لا يعلم ما يقول .

فلما ظهرت خيانته لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتدّ وهرب إلى مكة وقال: إن كان محمد نبياً يوحى إليه فأنا نبي يوحى إليّ ! وقال لقريش: إني كنت أصرف محمداً كيف شئت ، كان يملي عليّ عزيز حكيم فأقول: أو عليم حكيم ، فيقول: نعم كل صواب ! وعندما دخل النبيﷺ مكة لجأ ابن سرح إلى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة فقال له: يا أخي استأمن لي رسول اللهﷺ قبل أن يضرب عنقي ! فغيبه عثمان حتى هدأ الناس واطمأنوا فاستأمن له وأتى به إلى النبيﷺ فأعرض عنه النبيﷺ فصار عثمان يقول: يا رسول الله أمنته والنبيﷺ يعرض

عنه ! ثم قال: نعم ، فبسط يده فبايعه ، فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وآله لمن حوله: أعرضت عنه مراراً ، ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه !

فقال عباد بن بشر: يا رسول الله خفتك ، أفلا أومضتَ إليّ أي أومأت؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنه ليس لنبي أن يومض..إن النبي لاينبغي أن يكون له خائنة الأعين.

وعندما صار عثمان خليفة ولاه على مصر ! وشكاه المصريون الى عثمان فقتل بعض من اشتكوا عليه فكان ذلك من أسباب خروج المصريين على عثمان حتى قتل ! وذكر عكرمة والحسن البصري أن الذين توسطوا لابن أبي سرح هم: أبو بكر وعمر وعثمان.

٥ - عبد الله بن الزبعرى: كان شاعراً يهجو النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين ويحرض عليهم كفار قريش ، وهو الذي تمثَّل يزيد بأبياته عندما جيء له برأس الحسين عليه السلام فأخذ ينكت ثنايا الإمام عليه السلام بقضيب في يده. وهو الذي ألقى الفرث والدم على النبي صلى الله عليه وآله وهو يصلي ثم جاء أبو طالب وسل سيفه ، فأمرَّ ذلك الفرث على لحاهم وشواربهم !

ويوم الفتح سمع أن النبي صلى الله عليه وآله أهدر دمه فهرب إلى نجران وسكنها فأرسل اليه حسان بن ثابت بأبيات فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: السلام عليك يا رسول الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك عبده ورسوله ، الحمد الله الذي هداني للإسلام ، لقد عاديتك وأجلبت عليك ، وقال:

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أباري الشيطان في سنن الغي ... ومن مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام لربي ... ثم قلبي الشهيد أنت النذير
إنني عنك زاجر ثم حيا ... من لؤي وكلهم مغرور

وقال أيضاً حين أسلم:

منع الرقاد بلابل وهموم ... والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني أن أحمد لامني ... فيه فبت كأنني محموم
يا خير من حملت على أوصالها ... عيرانة سرح اليدين غشوم
إني لمعتذر إليك من الذي ... أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خطة ... سهم وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودني ... أمر الوشاة وأمرهم مشؤم
فاليوم آمن بالنبي محمد ... قلبي ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة فانقضت أسبابها ... ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والداي كلاهما ... زللي فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة ... نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه ... شرفاً وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق ... حق وأنك في العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى ... مستقبل في الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم ... فرع تمكن في الذرى وأروم

٦ - الحويرث بن نقيدر: كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله ونخس بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجرت إلى المدينة فرمى بها عن بعيرها ، فأهدر النبي صلى الله عليه وآله دمه فخرج في مكة يوم الفتح يريد أن يهرب فتلقاه علي عليه السلام فضرب عنقه.

٧ - هبار بن الأسود: كان شديد الأذى للمسلمين ، وتعرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجرت فنخس بها أو ضربها بالرمح ، فسقطت عن راحلتها فأسقطت ولم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت ! فلما كان يوم الفتح وبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله أهدر دمه أعلن بالإسلام فقبله منه رسول الله صلى الله عليه وآله وعفا عنه.

وزعموا: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن لقيتم هباراً هذا فأحرقوه ،ولا يصح قولهم لأن النبي صلى الله عليه وآله لايتردد في أحكامه.

ونقول: إذا كان صلى الله عليه وآله قد أهدر دم هبار بن الأسود والحويرث بن نقيدر ، لأنهما روَّعا زينب وأوقعاها عن الراحلة الى الأرض ، فماذا سيكون موقفه صلى الله عليه وآله ممن ضرب فاطمة عليها السلام وأسقط جنينها وكسر ضلعها وتسبب لها بعلّتها التي ماتت منها ، فكانت صدِّيقة شهيدة ؟!

٨ - الحارث بن هشام: أخو أبي جهل لأبويه. وقد أسلم بعد ذلك.

٩ - زهير بن أمية: وكان قد استجار بأم هاني وأراد علي عليه السلام قتله فأمضى النبي صلى الله عليه وآله جوارها وأسلم بعد ذلك .

١٠ - عبد الله بن ربيعة: ذكره الأزرقي بدل زهير بن أمية.

١١ - زهير بن أبي سلمى الشاعر.

١٢ - مقيس بن صبابة: كان أسلم ثم أتى على رجل من الأنصار فقتله، وارتد ، فقتله نميلة بن عبد الله بحكم النبي ﷺ يوم الفتح.

١٣- الحويرث بن الطلاطل الخزاعي: كان يؤذي النبي ﷺ، قتله علي عليه السلام ذكره أبو معشر.

١٤ - كعب بن زهير: وهو الشاعر الذي كان يهجو رسول الله وجاء بعد ذلك فأسلم، ومدحه بقصيدة: بانت سعاد.

١٥ - وحشي بن حرب: قاتل حمزة في حرب أحُد ، وقد هرب في فتح مكة الى الطائف فلما أسلم أهلها جاء مع وفدهم فأسلم فقال له ﷺ: غيب عني وجهك !

١٦ـ هبيرة بن أبي وهب: زوج أم هاني يقال: إن النبي ﷺ أهدر أيضاً دمه.

١٧ - سارة: مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكانت مغنية نواحة بمكة تغني بهجاء النبي ﷺ وقالوا: استؤمن لها رسول الله ﷺ فأمنها ، فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب.

١٨ - أرنب مولاة ابن خطل.

١٩ - فرتنى: أو قرينا.

٢٠ـ قريبة ويقال: هي أرنب السابقة. وهما قينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجاء النبي ﷺ فاستؤمن لإحداهما فأسلمت وقتلت الأخرى ، قتلها علي عليه السلام.

٢١ - أم سعد: قتلت فيما ذكره ابن إسحاق ويحتمل أن تكون هي أرنب.

٢٢ - هند بنت عتبة: وهي التي شقت عن كبد حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ولاكت قلبه. أتت رسول الله ﷺ وهو بالأبطح فأسلمت وقالت: الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه ، لتمسني رحمتك يا محمد ، إني امرأة مؤمنة

بالله مصدقة به. ثم كشفت عن نقابها فقالت: أنا هند بنت عتبة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: مرحباً بك. وقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل عليَّ حرج أن أطعم من ماله عيالنا؟ فقال: لاحرج عليك أن تطعميهم بالمعروف.

١٥- علي عليه السلام ينفذ أمر النبي صلى الله عليه وآله فتعترضه أخته أم هاني !

في الكافي: ٣٣/٥ ، عن أبي حمزة الثمالي قال: « قلت لعلي بن الحسين: إن علياً سار في أهل القبلة بخلاف سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل الشرك. قال: فغضب ثم جلس ، ثم قال: سار والله فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح ، إن علياً كتب إلى مالك وهو على مقدمته يوم البصرة بأن لايطعن في غير مقبل ، ولا يقتل مدبراً ، ولا يجيز على جريح ، ومن أغلق بابه فهو آمن ».

وقال في إعلام الورى: ٢٢٣/١: «كان قد عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المسلمين أن لا يقتلوا بمكة إلا من قاتلهم ، سوى نفر كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله منهم: مقيس بن صبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وعبد الله بن خطل ، وقينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة. فأدرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً فقتله. وقتل مقيس بن صبابة في السوق. وقتل علي عليه السلام إحدى القينتين وأفلتت الأخرى ، وقتل عليه السلام أيضاً الحويرث بن نقيذ بن كعب. وبلغه أن أم هانئ بنت أبي طالب قد آوت ناساً من بني مخزوم ، منهم الحارث بن

هشام وقيس بن السائب ، فقصد نحو دارها مقنعاً بالحديد ، فنادى: أخرجوا من آويتم ! فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى خوفاً منه (الحبارى طائر كبير السلحة) ! فخرجت إليه أم هاني وهي لاتعرفه فقالت: يا عبد الله ، أنا أم هاني بنت عم رسول الله ﷺ وأخت علي بن أبي طالب ، إنصرف عن داري.

فقال علي عليه السلام: أخرجوهم ! فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله ﷺ! فنزع المغفر عن رأسه فعرفته فجاءت تشتد حتى التزمته فقالت: فديتك حلفت لأشكونك إلى رسول الله ﷺ! فقال لها: فاذهبي فبري قسمك فإنه بأعلى الوادي.

قالت أم هاني: فجئت إلى النبي ﷺ وهو في قبة يغتسل وفاطمة عليها السلام تستره ، فلما سمع رسول الله ﷺ كلامي قال: مرحباً بك يا أم هاني. قلت: بأبي وأمي ما لقيت من علي اليوم ! فقال ﷺ: قد أجرتُ من أجرت !

فقالت فاطمة عليها السلام: إنما جئت يا أم هانئ تشكين علياً في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله؟! فقلت: إحتمليني فديتك ! فقال رسول الله ﷺ: قد شكر الله لعلي سعيه ، وأجرت من أجارت أم هانئ لمكانها من علي بن أبي طالب ».

وروت مصادرهم مجئ أم هاني الى النبي ﷺ وعفوه عن المخزوميين الذين أجارتهم ، واتفقوا على أن علياً عليه السلام لم يدخل البيت ، مع أنه يحمل أمراً قضائياً من النبي ﷺ ، وأن أم هاني لم تخرجهم بل أغلقت الغرفة عليهم ، وذهبت الى النبي ﷺ تشتكي علياً عليه السلام ! وروي أن أم هاني أمسكت بساعد علي عليه السلام لتمنعه من دخول دارها ، فكشف قناعه فعرفته ، وأن ذلك أعجب النبي ﷺ فقال: لله در

أبي طالب ! لو ولد الناس كلهم كانوا شجعاناً». (كشف الغمة: ٢/٢٣٥).

كما رووا أن النبي صلى الله عليه وآله لم يدخل بيت أحد في مكة إلا بيت أم هاني ! ففي مجمع الزوائد: ٦/١٧٥: « دخل رسول الله (ص) على أم هانئ بنت أبي طالب يوم الفتح وكان جائعاً... وقال هل عندك من طعام نأكله؟ فقالت: ليس عندي إلا كسر يابسة وإني لأستحي أن أقدمها إليك ! فقال: هلمي بهن فكسرهن في ماء وجاءت بملح فقال: هل من إدام؟ فقالت ما عندي يا رسول الله إلا شئ من خل. فقال: هلميه فصبيه على الطعام فأكل منه ثم حمد الله ثم قال: نعم الإدام الخل يا أم هانئ لا يفتقر بيت فيه خل ». وذخائر العقبى/٢٢٣، ومعجم الطبراني الصغير: ٢/٦٧.

١٦- النبي صلى الله عليه وآله يعين حاكماً على مكة

كان على زعماء قريش أن يتفهموا الوضع الجديد ، فقد داهم النبي صلى الله عليه وآله مكة بألوف من جنود الله تعالى وأجبرهم على الإستسلام وإعلان خلع سلاحهم ، وبذلك صاروا أسرى حرب في يده ، وكان من حقه أن يضرب أعناقهم ويغنم أموالهم ، لكنه منَّ عليهم وأطلقهم ! فكان عليهم أن يشكروه ويقبلوا بالحاكم الذي ينصبه لمكة. لكنهم لم يفعلوا !

وفي الأيام الأولى لدخوله مكة عين النبي صلى الله عليه وآله حاكماً هو الشاب الأموي عَتَّاب بن أسَيْد ، وجعل معه أنصارياً يساعده هو معاذ بن جبل ، وجعل عتاباً نائبه في الصلاة ، ففي المسترشد/١٢٩: « واستخلف عتاب ابن أسيد على مكة ورسول الله

ﷺ مقيم بالأبطح ، وأمره أن يصلي بالناس بمكة الظهر والعصر والعشاء الآخرة ، وكان رسول الله ﷺ يصلي بهم الفجر والمغرب ».

وفي إعلام الورى: ٢٤٣/١: « استخلف عتاب بن أسيد وخلف معه معاذاً يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن ، وحج بالناس في تلك السنة وهي سنة ثمان عتاب بن أسيد... ثم كانت غزوة تبوك... وبعث إلى عتاب بن أسيد عامله على مكة يستنفرهم لغزو الروم ».

وفي المغني: ٣٧٢/٤: «واستخلف النبي عتاب بن أسيد على مكة ، والياً وقاضياً ».

وفي الدرر/٢٣٦و٢٣٧: «واستخلف على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص ، وهو ابن نيف وعشرين سنة.. وهو أول أمير أقام الحج في الإسلام ، وحج المشركون على مشاعرهم. وكان عتاب بن أسيد خيراً فاضلاً ورعاً ».

وقال ابن هشام: ٨٩١/٤:« واستعمل رسول الله (ص) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله على وجهه يريد لقاء هوازن» .

١٧- بعث النبي ﷺ سرايا الى المناطق القريبة من مكة

في إعلام الورى: ٢٢٧/١: « وبعث رسول الله ﷺ السرايا فيما حول مكة يدعون إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، فبعث غالب بن عبد الله إلى بني مدلج فقالوا: لسنا عليك ولسنا معك ، فقال الناس: أغزهم يا رسول الله ، فقال: إن لهم سيدا أديباً أريباً ، ورب غاز من بني مدلج شهيد في سبيل الله.

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى بني الديل فدعاهم إلى الله ورسوله ، فأبوا أشد الإباء ، فقال الناس: أغزهم يا رسول الله ، فقال: أتاكم الآن سيدهم قد أسلم فيقول لهم: أسلموا ، فيقولون: نعم. وبعث عبد الله بن سهيل بن عمرو إلى بني محارب بن فهر ، فأسلموا وجاء معه نفر منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله».

١٨- بعث خالد بن الوليد في سرية فغدر بهم

في إعلام الورى: ٢٢٨/١: « وبعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر ، وقد كانوا أصابوا في الجاهلية من بني المغيرة نسوة وقتلوا عم خالد ، فاستقبلوه وعليهم السلاح وقالوا: يا خالد إنا لم نأخذ السلاح على الله وعلى رسوله ، ونحن مسلمون ، فانظر فإن كان بعثك رسول الله ساعياً فهذه إبلنا وغنمنا فاغد عليها ، فقال: ضعوا السلاح ، قالوا: إنا نخاف منك أن تأخذنا بإحنة الجاهلية وقد أماتها الله ورسوله. فانصرف عنهم بمن معه فنزلوا قريباً ثم شن عليهم الخيل فقتل وأسر منهم رجالاً ثم قال: ليقتل كل رجل منكم أسيره فقتلوا الأسرى !

وجاء رسولهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بما فعل خالد بهم ، فرفع عليه السلام يده إلى السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد وبكى ! ثم دعا علياً عليه السلام فقال: أخرج إليهم وانظر في أمرهم وأعطاه سفطاً من ذهب ، ففعل ما أمره وأرضاهم».

وفي أمالي الصدوق/٢٣٧:« عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى حي يقال لهم بنو المصطلق من بني جذيمة، وكان بينهم وبين بني

مخزوم إحنة في الجاهلية ، فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله ﷺ وأخذوا منه كتاباً ، فلما ورد عليهم خالد أمر منادياً فنادي بالصلاة فصلى وصلوا ، فلما كانت صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلى وصلوا ، ثم أمر الخيل فشنوا فيهم الغارة فقتل وأصاب فطلبوا كتابهم فوجدوه فأتوا به النبي ﷺ وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد ، فاستقبل القبلة ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ! قال: ثم قدم على رسول الله تبر ومتاع ، فقال لعلي عليه السلام: يا علي إئت بني جذيمة من بني المصطلق فأرضهم مما صنع خالد. ثم رفع ﷺ قدميه فقال: يا علي ، اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك !

فأتاهم علي عليه السلام فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله ، فلما رجع إلى النبي ﷺ قال: يا علي أخبرني بما صنعت ، فقال: يا رسول الله عمدت فأعطيت لكل دم دية ولكل جنين غرة ، ولكل مال مالاً ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما لا يعلمون ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله.

فقال ﷺ: يا علي أعطيتهم ليرضوا عني ، رضي الله عنك يا علي ، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ». وعلل الشرائع: ٤٧٣/٢ ، والخصال/٥٦٢. وشرح الأخبار: ٣٠٩/١ ، وفيه: وإنما فعل ذلك بهم خالد لأنهم كانوا قتلوا عمه الفاكهة بن المغيرة في الجاهلية !

ورواه في أمالي الطوسي/٤٩٨، وفيه: « فأدى إليهم ديات رجالهم، وما ذهب لهم من أموالهم، وبقي معه من المال زعبة فقال لهم: هل تفقدون شيئاً من أموالكم وأمتعتكم؟ فقالوا: ما نفقد شيئاً إلا ميلغة كلابنا فدفع إليهم ما بقي من المال فقال هذا لميلغة كلابكم وما أنسيتم من متاعكم. وأقبل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما صنعت؟ فأخبره حتى أتى على حديثهم فقال النبي صلى الله عليه وآله: أرضيتني رضي الله عنك يا علي أنت هادي أمتي، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك وأخذ بطريقتك، ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك ورغب عن طريقك إلى يوم القيامة »..

أقول: روت مصادرهم هذا الحديث ولكنهم حذفوا منه مدح النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام! وتجاهلوا براءة النبي صلى الله عليه وآله من فعل خالد، وأضافوا في روايتهم ما يبرر فعل خالد بأنه لم يفهم كلام بني جذيمة فأسرهم وقتلهم!

وقد تجرأ بعض كتابهم المتأخرين وهو عباس العقاد في كتابه عبقرية عمر، فأدان خالداً، قال: « بعث رسول الله خالداً إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه للقتال وأمره ألا يقاتل أحداً إن رأى مسجداً أو سمع أذاناً. ثم وضع بنو جذيمة السلاح بعد جدال بينهم السلاح واستسلموا فأمر بهم خالد فكتفوا!! ثم عرضهم السيف فقتل منهم وأفلت من القوم غلام يقال له السميدع حتى اقتحم على رسول الله وأخبره وشكاه إليه » (النص والاجتهاد/٤٦٠).

وروى ابن حجر في شرح البخاري (٤٦/٨)، حالة مؤثرة من مجزرة خالد في بني جذيمة! قال: « وذكر ابن إسحاق من حديث ابن أبي حدرد الأسلمي قال كنت في خيل خالد، فقال لي فتى من بني جذيمة قد جمعت يداه في عنقه برمَّة (حبل): يا فتى

هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة ؟ فقلت: نعم ، فقدته... ثم ضربتُ عنق الفتى فأكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت !

وقد روى النسائي والبيهقي في الدلائل بإسناد صحيح عندهم من حديث ابن عباس نحو هذه القصة، وقال فيها: فقال إني لست منهم إني عشقت امرأة منهم فدعوني أنظر إليها نظرة ! وقال فيه: فضربوا عنقه فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ! فذكروا ذلك للنبي(ص) فقال: أما كان فيكم رجل رحيم » !

ونقل ابن هشام (٨٨٣/٤) قول عبد الرحمن بن عوف لخالد: كذبت ولكنك إنما ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ! وروى الطبري (٣٤٢/٢) قصة العاشقَيْن وحوارهما شعراً ، وقال: « قامت إليه حين ضربت عنقه فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده» !

١٩- قريش تعزل أبا سفيان وتنصب بدله سهيل بن عمرو

اعتبر زعماء قريش أن أبا سفيان خانهم ومال الى محمد ﷺ فوافق على استسلام قريش وخلع سلاحها بدون شروط لمصلحتها ، وقالوا إن أبا سفيان من بني عبد مناف ، وإنه يطمع بمناصب لبني أمية في دولة محمد ﷺ ، وهاهو محمد ينصب حاكماً أموياً على مكة ، مجازاة لأبي سفيان !

وقارن زعماء قريش بين أبي سفيان وبين سهيل بن عمرو الذي انتزع من محمد في العام الماضي شروطاً لمصلحتها ، وفرض عليه أن يُرجع من يجيء اليه من قريش ولا ترجع هي من يجيئ اليها من أتباعه !

لذلك قامت قريش بعزل أبي سفيان ونصبت بدله زعيماً قوياً برأيها هو سهيل بن عمرو ، ونشطت في دعمه والإلتفاف حوله !

وقد كتبنا في آيات الغدير/١٣٨، أن سهيلاً أخذ يتصرف بعد فتح مكة وكأن شيئاً لم يحدث ، وكأن معاهدة الحديبية ما زالت ، وكأن النبي صلى الله عليه وآله لم ينصب حاكماً على مكة ! فقد كتب الى النبي صلى الله عليه وآله مطالباً بأناس جاؤوا اليه ليفقهوا في الدين ، ثم ذهب الى المدينة مطالباً بهم ، ونزل عند أبي بكر وعمر ، فذهبا معه الى النبي صلى الله عليه وآله وأيدا مطلبه عنده ! وبذلك يقول للنبي صلى الله عليه وآله نحن اليوم حلفاؤك ، فقد انتهت الحرب بيننا وتصالحنا ، وأنا الذي وقعت الصلح السابق معك في الحديبية ! وهؤلاء أولادنا وعبيدنا هربوا منا وجاؤوك ، ولم يأتوك ليتفقهوا في الدين كما زعموا ، ثم إن كانت هذه حجتهم فنحن نفقههم في الدين ، فأرجعهم إلينا !

ومعنى ذلك أن قريشاً لا تعترف بالحاكم الشرعي لمكة الذي عينه النبي صلى الله عليه وآله ، بل تريد منه الإعتراف بأنها وجود سياسي مستقل في مقابله !

روى الحاكم في المستدرك: ١٣٨/٢: « عن ربعي بن حراش عن علي قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة أتاه ناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا حلفاؤك وقومك وإنه لحق بك أرقاؤنا ليس لهم رغبة في الإسلام ، وإنما فروا من العمل فارددهم علينا ! فشاور أبا بكر في أمرهم فقال: صدقوا يا رسول الله ! فقال لعمر: ما ترى؟ فقال مثل قول أبي بكر. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر قريش ليبعثن الله عليكم رجلا منكم امتحن الله قلبه للإيمان فيضرب رقابكم على الدين ! فقال أبو بكر: أنا

هو يا رسول الله ؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله ؟ قال: لا ، ولكنه خاصف النعل في المسجد وقد كان ألقى نعله إلى علي يخصفها. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

ونحوه في: ٢٩٨/٤ ، وصححه على شرط مسلم وفيه: « لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة أتاه أناس من قريش.. يا معشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن عليكم رجلاً فيضرب أعناقكم على الدين ، ثم قال: أنا أو خاصف النعل ، قال علي: وأنا أخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله ».

لقد جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله في عاصمته يطالبونه بالإعتراف باستقلالهم ، وهي وقاحة ما فوقها وقاحة ! وقالوا له (يا محمد) كما رواه الحاكم وأبو داود:٦١١/١ !

لكن الترمذي جعلها:(يا رسول الله) ! وحاول بعض علماء قريش أن يجعل الحديث قبل فتح مكة ، لكن نصوصه ذكرت أن النبي صلى الله عليه وآله غضب من طلبهم وهو لايغضب إلا بحق ! فلو كان طلبهم قبل نقضهم العهد وفتح مكة ، لكان حقاً لهم لايوجب الغضب ! ومما يؤكد أنه بعد فتح مكة أنه صلى الله عليه وآله قال: « يا معشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة » ولايمكن أن يطالبهم بالصلاة قبل فتح مكة ! وقول سهيل (سنفقههم) وهذا لا يقوله إلا الطلقاء الذين يدعون الإسلام ! مضافاً الى أن رواية الحاكم وغيرها صرحت بأنه بعد فتح مكة .

ونلاحظ أن سهيل بن عمر ومن أيده اعتبروا أن فتح مكة (ودخولهم) في الإسلام لا يعني خضوعهم للنبي صلى الله عليه وآله وذوبانهم في الأمة الإسلامية ، بل هو تحالف الند للند مع النبي صلى الله عليه وآله ! فعليه الآن أن يعترف بكيانهم القرشي المستقل ! ويعيد لهم الفارين إليه

من أبنائهم وعبيدهم ! والعنصر الجديد في الأمر أن أبا بكر وعمر أيدا مطلبهم ! فقال أبو بكر:«صدقوا يا رسول الله! وقال عمر مثل قوله: صدقوا يا رسول الله ردهم إليهم» !

(مستدرك الحاكم: ١٢٢/٣ ، ومجمع الزوائد: ١٣٤/٩ و: ١٨٦/٥ ، عن أبي يعلى وصححه).

وجاء الموقف النبوي غاضباً حاسماً ، فأعلن يأسه من أن تصلح قريش ويحسن إسلامها إلا بقوة السيف ! ففي عدد من روايات الحادثة كالحاكم(١٢٥/٢):« فقال: ما أراكم تنتهون يامعشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا» أي على الإسلام ! وأبو داود: ٦١١/١ ، والبيهقي: ٢٢٩/٩ ، وكنز العمال: ٤٧٣/١٠ !

وهو تصريح نبوي بأنهم لم يسلموا ، وأنهم لن يسلموا إلا تحت سيف علي الذي ترتعد منه فرائصهم ، فهذا هو الدواء الوحيد لفراعنة قريش !

وفي تلك الفترة أكمل النبي صلى الله عليه وآله تهديده (لمسلمة) الفتح بأن أمر علياً عليه السلام أن يعلن الحرب عليهم إن هم أعلنوا ارتدادهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ! فقد روى في مجمع الزوائد: ١٣٤/٩: «عن ابن عباس: إن علياً كان يقول في حياة رسول الله: إن الله عز وجل يقول: أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم! والله لانتقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله تعالى. والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت! لا والله ، إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه ، فمن أحق به مني ؟! ».

وأشد ما في موقف النبي صلى الله عليه وآله حكمه بكفرهم ! ولعمري إن مجرد طلبهم كاف لإثبات كفرهم ! لكنه صلى الله عليه وآله أعطى لفقهائهم الدليل الملموس فأبى أن يرد عليهم أولادهم وعبيدهم المملوكين ، وأخبرهم أنه أعتقهم فصاروا عتقاء الله تعالى ، ومعناه أنه اعتبرهم من أموال الكفار التي أحلها الله له ! ولو كان الطلقاء مسلمين

وكانت ملكيتهم محترمة لم يجز للنبي صلى الله عليه وآله أن يعتق عبيدهم ، فهو أتقى الأتقياء صلى الله عليه وآله وهو القائل: لايحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه !

وهكذا دخلت قريش بعد فتح مكة معركة (استقلال مكة) مع النبي صلى الله عليه وآله والحاكم الذي نصبه عليهم ، وحاول عتاب أن يلزمهم بالصلاة والزكاة وهم يتملصون ولايعرفون حاكماً لهم إلا سهيل بن عمرو !

ففي السيرة الحلبية: ٥٩/٣: « فكان شديداً على المريب ليناً على المؤمن وقال: والله لا أعلم متخلفاً يتخلف عن الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه ، فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق ! فقال أهل مكة: يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد ، أعرابياً جافياً ! فقال(ص): إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالاً شديداً حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الإسلام فنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم...

ولما ولاه على مكة جعل له في كل يوم درهماً... ويروي أنه قام فخطب الناس فقال: أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم أي له درهم ، فقد رزقني رسول الله درهماً في كل يوم فليست لي حاجة إلى أحد». وبعضه ابن هشام: ٩٣٦/٤.

وبقي عتَّاب والياً على مكة والطائف من قبل النبي صلى الله عليه وآله ، وأمره أن يحج بالناس في تلك السنة لكن القرشيين لم يحجوا معه !

قال اليعقوبي: ٧٦/٢: « فوقف عتاب بالمسلمين ، ووقف المشركون على حدتهم ».

وتواصلت مؤامرتهم على عتاب ، وكانت أول حلقة من مؤامرتهم الكبرى لأخذ خلافة النبي صلى الله عليه وآله وإبعاد عترته عليهم السلام !

كانت قريش تعتبر عتاباً من(عُبَّاد محمد)الذين يريدون فرض عترته بعده ! وقد جاءتهم الفرصة لقتله عندما جاءهم خبر وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، فشاع في مكة أن قريشاً ارتدت عن الإسلام ، وخاف منهم عتَّاب فاختبأ ، مع أنه مكيٌّ قرشي أموي !

وعندما وصلهم خبر يطمئنهم بعزل بني هاشم وبيعة أبي بكر ، اطمأن سهيل بن عمرو وخطب في قريش بنفس خطبة أبي بكر في المدينة ، وقال كلمتهم المشهورة: من كان يعبد محمداً فإن إلهه قد مات ، ونحن لا نعبد محمداً ، بل هو رسول بلغ رسالته ومات ، وهو ابن قريش وسلطانه سلطان قريش ، وقد اختارت قريش حاكماً لنفسها بعده وهو أبو بكر ، فاسمعوا له وأطيعوا.

وأصدر سهيل أمره الى عتاب الحاكم: أخرج من مخبئك واحكم مكة ، لكن باسم الزعيم القرشي أبي بكر بن أبي قحافة !

قال ابن هشام: ١٠٧٩/٤: « حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله (ص) هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتاب بن أسيد فتوارى ! فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ، وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به ، وظهر عتاب بن أسيد» !

ومن الواضح أن عتاباً بقي حاكماً إسمياً لأن أبا بكر لم يرد عزل ولاة النبي ﷺ حتى لايقال نصبهم النبي ﷺ وعزلهم أبو بكر ! أما الحاكم الحقيقي لمكة فكان سهيل بن عمرو ! ولم يطل الأمر بعتاب حتى قتلوه ! فهو أحدمن يجب تصفيتهم ، لتصل الخلافة الى عمر !

قال الطبري: ٦١١/٢: « ومات عتاب بن أسيد بمكة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر وكانا سُمَّا جميعاً (في المدينة) ثم مات عتاب بمكة » !

قتلوه بالسم في ريعان شبابه رحمه الله ، لأنه كان متمسكاً بالنص النبوي ، موالياً لعترة النبي ﷺ، ولم يكن مداهناً يطلب سهماً من الجبنة كأبي سفيان !

قال الطبري: ٤٤٩/٢:«لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا ولأبي فصيل؟! إنما هي بنو عبد مناف ! قال فقيل له: إنه قد ولَّى ابنك ! قال: وصلته رحم» !

○ ○

بهذا ينتهي المجلد الثاني من كتاب سيرة النبي ﷺ عند أهل البيت عليهم السلام

ويليه المجلد الثالث إن شاء الله ، من غزوة حنين الى وفاته ﷺ.

ومعه بحوث ملحقة من السيرة .

○ ○

فهرس المجلد الثاني من جواهر التاريخ

السـيرة النبـوية عنـد أهل البيت عليهم السلام (٢)

الفصل السابع والثلاثون

غزوة بدر الفاصلة

الفصل الثامن والثلاثون

النبي صلى الله عليه وآله والعرب من غزوة بدر الى أحد

الفصل التاسع والثلاثون

النبي صلى الله عليه وآله واليهود من غزوة بدر الى أحد

الفصل الأربعون

تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة

الفصل الحادي والأربعون

أزواج النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة خديجة عليها السلام ١٣١

الفصل الثاني والأربعون

غزوة أحُد

الفصل الثالث والأربعون

غزوة حمراء الأسد خاصة بجرحى بدر !

الفصل الرابع والأربعون

أهم الأحداث بين غزوة أحد وغزوة الأحزاب

الفصل الخامس والأربعون

غزوة الأحزاب أو الخندق

الفصل السادس والأربعون

غزوة بني قريظة

الفصل السابع والأربعون
غزوة بني المصطلق أو المرَيسيع

الفصل الثامن والأربعون
من غزوة بني المصطلق الى عمرة الحديبية

الفصل التاسع والأربعون

غزوة الحديبية وتوقيع الهدنة مع قريش

الفصل الخمسون
غزوة خيبر

الفصل الحادي والخمسون

من غزوة خيبر الى غزوة مؤتة

الفصل الثاني والخمسون
غزوة مؤتة وما بعدها الى فتح مكة

الفصل الثالث والخمسون
غزوة فتح مكة

۞ ۞

دار المرتضى

طباعة، نشر، توزيع
بيروت لبنان، ص.ب ١٥٥/٢٥ الغبيري
تلفاكس: ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢
مكتبة: ٠٠٩٦١١٢٧٩٥٥٧
خليوي: ٠٠٩٦١٧٠٩٥٠٤١٢
E-mail:mortada14@hotmail.com

DAR AL-MORTADA

Printing - publishing - Distributing
Lebanon - Beirut
PO Box: 155/25 Ghobiery
Tel-Fax: 009611840392
Mobile: 0096170950412
E-mail:mortada14@hotmail.com
Printed In Lebanon

يُطلب هذا الكتاب وبقية منشورات
الدار من مكتبة القائم
العراق - بغداد - الكاظمية المقدسة - باب المراد
تلفون: ٠٠٩٦٤٧٩٠١٩٩٢٧٢٠

الطبعة الجديدة
1430 هجريـة
2009 ميلادية